الجزء الحادي والعشرون

سورة العنكبوت آية ٤٦
إلى سورة الأحزاب آية ٣

عدد الفوائد: ٣٧٥

« قال محمد إقبال في آخر عمره
وهو يحث على الاعتناء بالقرآن :

«أقول لكم ما أؤمن به وأدين: إنه ليس بكتاب فحسب، إنه أكثر من ذلك؛ إذا دخل في القلب تغيَّر الإنسان، وإذا تغيَّر الإنسان تغيَّر العالم».

روائع إقبال ص١٥٨

الجزء الحادي والعشرون
سورة العنكبوت آية ٤٦
إلى سورة الأحزاب آية ٣٠

٦٣٩٣ ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]:

إذا كان الله قد أمرك ألا تجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، فما بالك بأخيك المسلم؟ أليس أوْلى بإحسانك؟!

٦٣٩٤ ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٧]:

ومن أمثال هؤلاء: عبد الله بن سلام وغيره، وخصَّهم الله بإيتاء الكتاب لكونهم من العاملين به، وكأن غيرهم لم يؤتوه؛ لأنهم لم يعملوا بما فيه، ومما فيه: أوصاف النبي ﷺ.

٦٣٩٥ ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]:

معجزة القرآن لم تكتمل إلا بكون النبي ﷺ أميًّا لا يقرأ ولا يكتب. قال الإمام الرازي: «أجَلُّ معجزات النبي محمد ﷺ وأشرفها أنه كان رجلًا أميًّا».

٦٣٩٦ ﴿إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]:

قال قتادة:

«يعني لو كنتَ تكتب أو تقرأ الكتب قبل الوحي، لشكَّ المبطلون المشركون من أهل مكة، وقالوا: إنه يقرؤه من كتب الأولين، وينسخه منها».

٦٣٩٧ أغلق الله كل باب شكٍّ وارتياب في هذ الكتاب، وذلك بأن جعل رسوله الذي أنزل عليه الكتاب أُمِّيًّا، فلم يعد هناك مجال للشَّك فيه، فكُفْر من كَفَر به، ما هو إلا جحودٌ وعناد.

٦٣٩٨ ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ [العنكبوت: ٤٩]:

حفظ القرآن!

قال الحسن: «أعطيت هذه الأمة الحفظ، وكان من قبلها لا يقرؤون كتابهم إلا نظرًا، فإذا أطبقوه لم يحفظوا ما فيه إلا النبيون».

٦٣٩٩ ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ [العنكبوت: ٥٠]:

لو كان القرآن من عند محمد كما يزعم المبطلون لأجابهم إلى ما يريدون، لكن ذلك لا ينبغي له، وهذا دليل على أنه عبدٌ لله مثلهم، وأنه لا يملك من أمر الرسالة إلا ما أذن الله له به.

٦٤٠٠ ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [العنكبوت: ٥١]:

القرآن كنز!

قال ابن تيمية: «كل علم دين لا يُطلب من القرآن فهو ضلال».

٦٤٠١ القرآن كفاية كل محتاج، ولا يكفيك ويروي ظمأ روحك إلا القرآن!

٦٤٠٢ قال الإمام الرازي:

«القرآن معجزة أتمُّ من كل معجزة تقدمتها لوجوه:

- أحدها: أن تلك المعجزات وجدت وما دامت، فإنَّ قَلْب العصا ثعبانا وإحياء الميت لم يبقَ لنا منه أثر، وأما القرآن فهو باقٍ، لو أنكره واحد، فنقول له: فأتِ بآية من مثله.

- الثاني: هو أن قلب العصا ثعبانًا كان في مكان واحد، ولم يره من لم يكن في ذلك المكان، وأما القرآن فقد وصل إلى المشرق والمغرب، وسمعه كل أحد».

٦٤٠٣ ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [العنكبوت: ٥٢]:

لماذا يذكر الله علمه عند ذِكْر الشهادة!

قال ابن القيم: «فإذا كان سبحانه عالمًا بجميع الأشياء، كانت شهادته أصدق شهادة وأعدلها، فإنها شهادة بعلم تام محيط بالمشهود به، فيكون الشاهد به أعدل الشهداء وأصدقهم».

٦٤٠٤ في سورة العنكبوت أخَّر الله ذكر الشهادة بعد قوله: ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، فقال: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾، وأما في الرعد والإسراء فقال: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، فما السبب؟

قالوا: لأن (يعلم) جملة فعلية تصف كلمة ﴿شَهِيدًا﴾، أي: (شهيدًا يعلم) يعني شهيدا عالما، فلو قال (كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم يعلم)، سيكون هناك فاصل بين الصفة والموصوف، ويطول الكلام ويضعف، وكلام الله منزَّه عن هذا الضعف اللغوي.

٦٤٠٥ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ٥٢]:

سين:

إذا كان الإيمان بما سوى الله كفرًا به، فما فائدة هذا العطف؟!

جيم:

فائدتان:

الأولى: التأكيد، كما يقول القائل: قم ولا تقعد، واقترب مني ولا تبتعد.

الثانية: في ذكر الثاني بيان قبح الأول، كقول القائل: أتقول بالباطل وتترك الحق؟! لبيان أن قول الباطل قبيح. ذكره الإمام الرازي

٦٤٠٦ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٢]:

كأنهم انفردوا بالخسران، وهذا أتم وجوه الخسران؛ لأن من يخسر رأس ماله ولا تركبه الديون، أخف ضررا ممن خسر رأس مالة وركبته الديون، فلما عبدوا غير الله أفنوا أعمارهم وهي رؤوس أموالهم، ثم اجتمع عليهم مع ذلك ضرر ترك عبادة الله، وهو دَيْنٌ يطالَبون بها يوم القيامة، فلا يجيبون، فيدخلون النار.

٦٤٠٧ الإيمان كسب في ذاته، والأجر فضل من الله!

قال صاحب الظلال: «إن الإيمان بالله كسب، كسب في ذاته، والأجر عليه بعد ذلك فضل من الله، إنه طمأنينة في القلب واستقامة على الطريق، وثبات على الأحداث، وثقة بالسند، واطمئنان للحمى، ويقين بالعاقبة، وإن هذا في ذاته لهو الكسب، وهو هو الذي يخسره الكافرون».

٦٤٠٨ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [العنكبوت: ٥٣]:

تأجيل العذاب لحكمة ورحمة!

قال الرازي: «أجَّلَه الله لحكمة ورحمة.

فلكونه حكيمًا لا يكون متغيرًا متقلِّبًا.

ولكونه رحيمًا لا يكون غضوبًا منزعجًا.

ولولا ذلك الأجل المسمى الذي اقتضته حكمته وارتضته رحمته، لما كان له رحمة وحكمة، فيكون غضوبًا متقلِّبًا، فيتأثر باستعجالكم، ويتغير من سؤالكم فيعجل، وليس كذلك، فلا يأتيكم بالعذاب وأنتم تسألونه، ولا يدفع عنكم بالعذاب حين تستعيذون به منه».

٦٤٠٩ ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٤]:

أي النار جامعةٌ لكل كافر، لن يفلت منهم واحد، ولا يبقى أحد من الكفار إلا دخل النار.

٦٤١٠ ومعناها كذلك: يأتيهم الموت من فوقهم، ومن أسفل منهم، ولم يذكر اليمين والشمال؛ لأن جدران النار أو سرادقها أحاطت بهم من كل جانب.

٦٤١١ ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٥]:

آيةٌ جمعت بين العذاب الحسي والعذاب المعنوي، فالحسي أن النار تغشاهم من جميع الجهات، والمعنوي هو التقريع والتهديد والتوبيخ في قوله: ﴿ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

٦٤١٢ ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦]:

لا عذر لك في القعود عن عبادة الله والإصلاح في أرض الله، إن ضاقت بك أرضٌ، فهاجِر إلى غيرها.

٦٤١٣ كيف عالج القرآن حنين المهاجر إلى الوطن؟ يقول صاحب الظلال:

«إن هاجس الأسى لمفارقة الوطن هو الهاجس الأول الذي يتحرك في النفس التي تُدْعَى للهجرة، ومن هنا يمس قلوبهم بهاتين اللمستين:

- بالنداء الحبيب القريب: ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾.
- وبالسعة في الأرض: ﴿إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾.

وما دامت كلها أرض الله، فأحب بقعة منها إذن هي التي يجدون فيها السَّعَة لعبادة الله وحده دون سواه».

٦٤١٤ ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [العنكبوت: ٥٧]:

لذا كان توكل القلب على من يموت حماقة، وكل الخلق يموتون.

٦٤١٥ ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧]:

النظر في العاقبة وتذكر الموت من أهم أسباب تحقير أمر الدنيا وتهوين مخاوفها وأحزانها.

٦٤١٦ من أجمل ما قيل:

الموت في كل حين ينْشُد الكفَنا ... ونحن في غفلة عما يُرادُ بنا

أين الأحبة والجيران ما فعلوا ... أين الذين همو كانوا لها سكَنا

قاهم الموت كأسًا غير صافية ... فصيَّرتهم تحت أطباق الثرى رُهُنَا

٦٤١٧ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [العنكبوت: ٥٨]:

أربح صفقة!

إيمان + عمل صالح = غرف فخمة عالية + جريان الأنهار من تحتها + خلود أبدي.

٦٤١٨ لمزيد الإكرام: دعَم الله وعده بالقَسَم، وأخبر أنه تولى بنفسه عملية إنزال وإسكان أهل الجنة مساكنهم.

٦٤١٩ ﴿فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٨]:

ولم تأتِ بصيغة الأمر، فلم يقل: خذوا أجرتكم؛ لأن لفظ الأمر ربما دلَّ على انقطاع الأجر بعده، وأما: ﴿فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ ، فتوحي بدوام الأجر، وأنه يزداد نعيمًا يومًا بعد يوم، وهو ما لا يكون إلا في الجنة.

٦٤٢٠ ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٩]:

جاء الفعل (صبروا) ماضيًا من باب البشارة للمؤمنين، كأن العذاب والشدة أمر قد مضى، وأن المستقبل مشرق وآمن، بينما جاء الفعل (يتوكلون) مضارعًا؛ لأن التوكل في حياة المسلم أمر متجدد كل يوم، فلا يعمل المسلم عملًا مهمًّا دق أو عظم إلا متوكلًا على الله سبحانه.

٦٤٢١ قال الشيخ السعدى فى تفسير هذه الآية:

«وبذلك تنجح أمورهم وتستقيم أحوالهم، فإن الصبر والتوكل ملاك الأمور كلها، فما فات أحدًا شيء من الخير إلا لعدم صبره وبذل جهده فيما أُريد منه، أو لعدم توكله واعتماده على الله».

٦٤٢٢ ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٩]:

قدَّم الجار والمجرور ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾؛ لقصر التوكل على الله، فهم لا يتوكلون إلا على الله سبحانه، وجاء التعبير بـ﴿رَبِّهِمۡ﴾ ؛ لأن الرب هو الراعي والخالق والرازق، فناسب الأمر سياق التوكل.

٦٤٢٣ قال سعيد بن جُبير: «التوكُّل على الله جِماعُ الإيمان، وكان يدعو: اللّهم إني أسألك صدقَ التوكُّل عليك، وحُسنَ الظنِّ بك».

٦٤٢٤ قال بعض الحكماء: «التوكل على ثلاث درجات، أولاها: ترك الشكاية، والثانية: الرضى، والثالثة: المحبة، فترك الشكاية درجة الصبر، والرضى

سكون القلب بما قسم الله له، وهي أرفع من الأولى، والمحبة أن يكون حبه لما يصنع الله به، فالأولى للزاهدين، والثانية للصادقين، والثالثة للمرسلين».

٦٤٢٥ ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]:

وكأين: للتكثير، فإن أكثر الحيوانات لا تحمل رزقها، ولا تقوم بتخزينه كما يفعل الإنسان، ومع هذا فقد ضمن الله لها رزقها طوال عمرها، فاهدأ أيها الإنسان ولا تضطرب.

٦٤٢٦ قال ابن جزي:

«والقصد بالآية: تقوية لقلوب المؤمنين؛ إذ خافوا الفقر والجوع في الهجرة إلى بلاد الناس: أي كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة، كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلدكم».

٦٤٢٧ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]:

استعمال الحوار في الدعوة والتعليم أجدى من أسلوب الإلقاء والتلقين، ويغرس القناعة بالفكرة بدلًا من التسليم السلبي بها.

٦٤٢٨ قال الإمام الرازي:

«ذكَر أمرين: أحدهما خلق السموات والأرض، والآخر تسخير الشمس والقمر؛ لأن الإيجاد قد يكون للذوات، وقد يكون للصفات، فخَلْق السموات والأرض إشارة إلى إيجاد الذوات، وتسخير الشمس والقمر إشارة إلى إيجاد الصفات، وهي الحركة وغيرها».

٦٤٢٩ ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت:٦١]:

كيف يُصرَفون عن عبادة الله؟! مع أن من عُلِمَتْ عظمته وجبت خدمته، وعظمة الخلق دليل عظمة الخالق، ولا عظمة فوق عظمة خالق السموات والأرض.

٦٤٣٠ ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [العنكبوت:٦٢]:

ما فائدة إثبات العلم لله بعد إثبات الرزق؟!

والجواب: لا يصح إطلاق اسم الرزاق إلا على العالم بحاجة عبيده من الرزق.

٦٤٣١ قال الإمام الرازي:

«بإثبات العلم استوعب ذكر الصفات التي هي صفات الإله، ومن أنكرها كفر، وهي أربعة:

الحياة، والقدرة، والإرادة، والعلم.

لأن قوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ إشارة إلى كمال القدرة.

وقوله: ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ إشارة إلى نفوذ مشيئته وإرادته.

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾ إشارة إلى شمول علمه.

والقادر المريد العالم لا يُتصوَّر إلا حيا».

٦٤٣٢ ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت:٦٣]:

حياة الأرض بعد موتها بالمطر من قِبَل الله، وكذلك حياة القلوب بعد موتها بقدرة الله، والنفوس بعد فتورها برحمة الله.

٦٤٣٣ ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [العنكبوت:٦٣]:

احمد الله أن أظهر الحق على يديك، بحيث لا يجترئ المبطلون على إنكاره وجحوده.

٦٤٣٤ ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ [العنكبوت: ٦٤]:

قال مجاهد في تفسيرها: «لا موت فيها».

٦٤٣٥ الدنيا حلم، والموت انتباهٌ من هذا النوم، ومع الموت بدء الحياة الحقيقية، والعيش بكماله ودوامه.

٦٤٣٦ ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت:٦٥]:

قال القشيري:

«الإخلاص تفريغ القلب عن الكلّ، والثقة بأن الإخلاص ليس إلا به سبحانه».

٦٤٣٧ ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥]:

من أهم موانع التوحيد: طول الأمل على حساب الآخرة، فلو انقطع الأمل في الدنيا لرجعوا إلى الفطرة الناطقة بالتوحيد.

٦٤٣٨ قال ابن القيم:

«التوحيدُ مفزَعُ أعدائه وأوليائه، فأمَّا أعداؤه فيُنجيهم من كُرَب الدنيا وشدائدها: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾».

٦٤٣٩ ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ [العنكبوت:٦٥]:

قال ابن عقيل: «كان يقال: لا يُستجاب الدعاء بسرعة إلا لمخلص أو مظلوم».

٦٤٤٠ يجيب الله دعوة الكافر إذا أخلص، فكيف بالمسلم؟!

٦٤٤١ ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٦٦]:

هذا تهديد لا تخييرٌ ولا تعليل، ومثاله أن ترى الرجل عازما على خطأ، فتنصحه، فإن لم تر استجابة غضبت قائلًا:

افعل ما شئت، وسيتبيَّن لك صحة رأيي وفساد رأيك.

٦٤٤٢ ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]:

كان الرجل من السلف الصالح يبلغه موت أخ من إخوانه فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.. كِدْتُ والله أن أكون أنا السواد المُخْتَطَف، فيزيده الله بذلك جدًا واجتهادًا.

٦٤٤٣ جاء رجل إلى الفضيل بن عياض فقال له: أوصني. قال: هل مات والداك؟ قال: نعم، فقال: فَقُمْ عَنِّي، فإن من يحتاج إلى من يعظه بعد موت والديه لا تنفعه موعظة.

٦٤٤٤ **تجهَّز!**

إذا ما المنايا أخطأتك وصادفتْ حبيبك فاعلم أنها ستعود!

٦٤٤٥ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾ [العنكبوت:٦٨]:

سبب استعمال صيغة ﴿أَظْلَمُ﴾؟!

الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، فإذا وضع أحد شيئًا في غير موضعه كان ظالمًا، فإذا وضعه في موضع لا يمكن أن يكون موضعه كان أظلم؛ لأن عدم الإمكان أقوى من عدم الحصول، ومن جعل شريكا لمن لا يمكن أن يكون له شريك كان أظلم.

وأيضًا من كذَّب صادقًا يجوز عليه الكذب كان ظالمًا، فمن كذَّب صادقًا لا يجوز عليه الكذب كان أظلم.

٦٤٤٦ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]:

قال أبو سليمان الداراني: «ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط بل هو نصر الدين، والرد على المبطلين، وقمع الظالمين، وعظمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله، وهو الجهاد الأكبر».

٦٤٤٧ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]:

قال سفيان بن عيينة لابن المبارك: «إذا رأيتَ الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين وأهل الثغور، فإن الله تعالى يقول: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾».

٦٤٤٨ **أبشِروا!** قال السعدي: «كل من اجتهد في الخير هداه الله الطريق الموصلة إليه، سواءً أكمَل ذلك العمل، أو حصل له عائق عنه».

٦٤٤٩ قال ابن القيم: «كَثْرَة المزاولات تُعطي الملكات، فتبقى للنَّفس هيئة راسخة وملكة ثابتة».

سورة الروم

٦٤٥٠ ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾ [الروم: ٢-٣]:

عن نيار بن مكرم الأسلمي: لما نزلت: الم غلبت الروم خرج بها أبو بكر إلى المشركين، فقالوا: هذا كلام صاحبك؟! قال: الله أنزل هذا وكانت فارس قد غلبت الروم، فاتخذوهم شبه العبيد، وكان المشركون يحبون أن لا تغلب الروم فارس؛ لأنهم أهل جحود وتكذيب بالبعث، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل كتاب وتصديق بالبعث، فقالوا لأبي بكر: نراهنك على أن الروم لا تغلب فارس، قال أبو بكر: البضع ما بين الثلاث إلى التسع، قالوا: الوسط في ذلك ستة لا أقل ولا أكثر، قال: فوضعوا الرهان، وذلك قبل أن يحرم الرهان، فرجع أبو بكر رضي الله عنه إلى أصحابه فأخبرهم الخبر، فقالوا: بئس ما صنعت، ألا أقررتها كما قال الله: لو شاء الله أن يقول ستًّا لقال، فلما كانت سنة ست لم تظهر الروم على فارس، فأخذوا الرهان، فلما كان سنة سبع ظهرت الروم على فارس، فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾

٦٤٥١ ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم:٣]:

إن كانت المعركة ستحدث غدًا، لأمكن التنبؤ بنتيجتها، بناءً على معرفة العَدد والعُدة، لكن مَنْ الذي يستطيع التنبؤ بمعركة ستدور رحاها بعد سنين، وينزِّل في ذلك قرآنًا يُتْلَى إلى يوم الدين إلا الله رب العالمين.

٦٤٥٢ ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ﴾ [الروم: ٤]:

وعى أبو بكر الدرس، وجاء يوم الحديبية، ويُعلِن النبي ﷺ وعده بالاعتمار،

ويستبشر المسلمون، لكن جاء المنع من أئمة الكفر، ثم كان صلح الحديبية، ولا عمرة إذن هذا العام! فصاح الفاروق: أليسَ كان يُحَدِّثُنا أَنَّا سنَأْتي البيتَ ونَطُوف به؟! فيجيبه أبو بكر بعد أن وعى الدرس: أفأخبرك أنك تَأْتِيه العامَ؟! فأجاب عمر نافيًا التحديد، وهنا يصدع بها أبو بكر: «فإنك آتِيه ومُطَوِّفٌ به»، وهكذا يجب أن يكون التصديق بالوعد واليقين بوقوعه ولو بعد حين، دون تحديد ما لم يُحدِّد الله، وعدم التألي على الغيب، أو تضييق واسع، أو القطع بما لا تعلم.

٦٤٥٣ لم أورد الله هذه الآية بعد ذكر المعركة بين فارس والروم؟! قال السعدي: «فليس الغلبة والنصر لمجرد وجود الأسباب، وإنما لا بد أن يقترن بها القضاء والقدر».

٦٤٥٤ ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم:٥]:

لا يقع نصر إلا بمشيئة الله، ولا يتأخر نصر إلا لحكمته، ولا تخلو هزيمة كافر من مظاهر قهره وعزته، ولا يخلو نصر مؤمن من مظاهر لطفه ورحمته.

٦٤٥٥ ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الروم:٦]:

الكريم لا يُخلِف وعْدَه، لكننا من نخلِف شروط تحقيق وعده.

٦٤٥٦ نسبة الوعد إلى الله إشارة إلى أنه وعد محقق؛ لأنه وعد القادر على تحقيق ما يريد.

٦٤٥٧ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٦]:

أكثر الناس لا يعلمون بم وعد الله، ولا يعلمون حكمته تعالى في الأحداث، إما لجهلهم أو عدم تفكرهم.

٦٤٥٨ ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧]:

قال الحسن: «إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطئ، وهو لا يحسن أن يصلي».

٦٤٥٩ ليس الذم هنا للإحاطة بعلوم الدنيا، وإنما لسهوهم عن الآخرة، وجهلهم بها، وعدم تفكرهم فيها، أو العمل لها.

٦٤٦٠ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم﴾ [الروم:٨]:

أجدر ما يجب أن تتفكر فيه: نفسك التي بين جنبيك، فهي أقرب إليك من غيرها، وأنت أعلم وأخبر بأحوالها منك بأحوال غيرها.

٦٤٦١ ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الروم:٨]:

تذكير دائم بأن هذا الكون له أجل مسمى، لا بد أن ينتهي بقيام الساعة، ليبرز الجميع للحساب على الأعمال.

٦٤٦٢ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الروم:٩]:

من السير في الأرض: سير القلوب بالنظر في كتب التاريخ وأحداث الأمم السابقة، وعوامل اندثارها أو انتصارها، وانحسارها أو انتشارها.

٦٤٦٣ ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الروم:٩]:

من رحمة الله أن أنزل الوحي، فلا يمكن للعقول أن تهتدي إلا به، ومن رحمته أن جعل مع هذا الوحي بينة أو معجزة تجذب الناس للإيمان، وإلا كان عدد المعرضين أكثر، وتضاعف عدد الكافرين.

٦٤٦٤ ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم:٩]:

أنت لا تملك نفسك، ولو كنت تملكها لكان لك حق التصرف فيها، لذا قال النبي ﷺ: إن لنفسك عليك حقًّا.

٦٤٦٥ ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الروم:١٠]:

المعاملة بالمثل! عاقبة المسيء سيئة، وعاقبة المحسن إحسان.

٦٤٦٦ من زرع الشوك لم يحصد الورد، ومن استنبت الحنظل لم يقطف الأزهار، ومن سلك طريق الغيّ لم ينزل بساحة الرشاد.

٦٤٦٧ ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [الروم:١١]:

من سُلِّمَ له بَدْءُ الْخَلْقِ كَانَ تَسْلِيمُ إعادته أَوْلى وأجْدر.

٦٤٦٨ ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [الروم:١١]:

هل سترجع إليه قبل رجوعك إليه؟!

المرجع إلى الله ليس فقط في أمور آخرتنا، بل وفي أمور دنيانا، فلا ينبغي أن نتحاكم إلى غيره.

٦٤٦٩ ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [الروم:١٢]:

قال الكلبي: «أي يئس المشركون من كل خير حين عاينوا العذاب».

٦٤٧٠ الإبلاس: يأس مع حيرة، ومنه سُمِّي (إبليس)؛ لأنه يئس من رحمة الله، واليأس إحدى الراحتين، لكن الحيرة التي معه تزيد العذاب ألمًا وشدة، وتفتِّت أكباد المجرمين يوم القيامة.

٦٤٧١ ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ﴾ [الروم:١٣]:

لا يشفع لك يوم القيامة إلا النبي ﷺ أو الشهداء والصالحون، أو عملك الصالح، وشفاعتهم تكون بدفع النار عنك أو ترقيتك في درجات الجنة.

٦٤٧٢ ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم:١٤]:

بعد الإبلاس يأتي الافتراق، عذاب فوق العذاب، فيكون الفراق بين أهل الإيمان عن أهل الكفر والعصيان.

٦٤٧٣ اجتماع الناس وافتراقهم غدًا يتحدد بحسب أعمالهم اليوم، فمن أراد أن يجتمع غدًا بأحد، فليعمل مثل عمله اليوم.

٦٤٧٤ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ﴾ [الروم:١٥]:

الروضة هي كل أرض مرتفعة ذات أشجار وماء وأزهار، وسميت الجنة روضة من باب المشاكلة فقط، ولمخاطبة العرب بما يفهمون، وأما الحقيقة فلا وجه للمقارنة بينهما.

٦٤٧٥ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾ [الروم:١٦]:

محضَرون من الحضور، أي الكافرون لا يغيبون عن النار، وهذا كناية عن التأبيد في النار، أو من الإحضار، وهو الاستدعاء قسرًا إلى النار.

٦٤٧٦ ﴿فَسُبۡحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾ [الروم:١٧]:

وكأن الله يريد منا أن نسبِّحه كل صباح ومساء، وفي الحديث: «**من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة، لم يأتِ أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ذلك، وزاد عليه**». صحيح الجامع رقم: ٦٤٢٥.

٦٤٧٧ شتّان بين عبد يفتتح صباحه بعبادته ويختتم مساءه بطاعته، وعبد صباحه مفتتح بتقصيره ومساؤه مختتم بذنوبه!

٦٤٧٨ قال القرطبي:

«وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح؛ لأن آثار القدرة والعظمة فيهما أظهر».

٦٤٧٩ ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾ [الروم:١٨]:

قال الإمام الرازي: «وفيه لطيفة، وهو أن الله تعالى لما أمر العباد بالتسبيح، كأنه بَيَّن لهم أن تسبيحهم الله لنفعهم لا لنفْعٍ يعود على الله، فعليهم أن يحمدوا الله إذا سبَّحوه».

٦٤٨٠ ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ [الروم:١٩]:

قال القرطبي: «بيَّن كمال قدرته، أي كما أحيا الأرض بإخراج النبات بعد همودها، كذلك يحييكم بالبعث، وفي هذا دليل على صحة القياس».

٦٤٨١ ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ [الروم:١٩]:

قال ابن عاشور:

«في الآية إيماء إلى أن الله يخرج من غلاة المشركين أفاضل من المؤمنين، مثل إخراج خالد بن الوليد من أبيه الوليد بن المغيرة، وإخراج هند بنت عتبة بن ربيعة من أبيها أحد أئمة الكفر، وإخراج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط من أبيها».

٦٤٨٢ ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الروم:٢٠]:
ذكَّرك بأصلك كي لا تُعجِب بعملك!

٦٤٨٣ ردٌّ على نظرية النشوء والارتقاء وإبطال لها، فليس أصل الإنسان قردًا، ثم تطور بشرًا.

٦٤٨٤ ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ [الروم: ٢١]:
ترى الدكتورة عائشة بنت الشاطئ أن كلمة زوج تأتي حيث تكون الزوجية هي مناط الموقف: حكمة وآية، أو تشريعًا وحُكمًا، كما في هذه الآية، فإذا تعطلت آيتها من السكن والمودة والرحمة، بخيانة أو تباين في العقدية، فامرأة لا زوج، كما في حالة امرأة العزيز لأنها خانته، وامرأة نوح وامرأة لوط لخيانتهما، وامرأة فرعون، وقد تعطلت آية الزوجية بينهما بإيمانها وكفره.

٦٤٨٥ وتوالي الدكتورة عائشة عبد الرحمن استقراء مواطن اختلاف الدلالة بين لفظتي الزوج والمرأة، مبينة أن عنصر الإنجاب عامل آخر لاستخدام لفظ الزوج دون لفظ المرأة، كما تضرع زكريا لربه قائلًا: ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا﴾ [مريم: ٥]، فلما استجاب الله له، وحققت الزوجية حكمتها كانت الآية ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فحتى تحظى المرأة بلقب الزوجة، لا بد أن تكون هذه العلاقة قد توطدت بالتآلف الفكري والنفسي والحسي، وذلك بأن تكون قد أنجبت له، وعلى دينه، وذات وفاء له، فإن اختل عنصر واحد من هذه العناصر كانت (امرأة) لا (زوج).

٣٤٨٦ ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]:

قال ابن القيم في روضة المحبين: «وأما الود فهو خالص الحب وألطفه وأرقه، وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة».

٣٤٨٧ ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢]:

قال القرطبي: «اللسان في الفم، وفيه اختلاف اللغات: من العربية والعجمية والتركية والرومية. واختلاف الألوان في الصور: من البياض والسواد والحمرة، فلا تكاد ترى أحدًا إلا وأنت تفرق بينه وبين الآخر. وليس هذه الأشياء من فعل النطفة ولا من فعل الأبوين، فلا بد من فاعل، فعُلِم أن الفاعل هو الله تعالى، فهذا من أدل دليل على المدبر البارئ».

٣٤٨٨ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الروم: ٢٣]:

ما أشبه النوم بالموت! فغلبة النوم بغير اختيار صاحبه تشبه موته، ثم انتباهه من غير سبب قريب من بعثه، وكذلك يرى في منامه ما يسرُّه وما يضرّه، وكذلك الميت في قبره، في روضة جنة أو حفرة نار.

٣٤٨٩ النوم آية أعجزت الفلاسفة والعلماء عن تفسيرها، وكيف يحدث ولماذا يحدث، ووضعوا في ذلك عشرات النظريات؛ لذا استحق أن يُفرِد الله له آيات في كتابه.

٣٤٩٠ نقضي ثلث أعمارنا تقريبًا في النوم، فهل تأملنا عظمة هذه النعمة، وهل أدينا شكرها؟

٣٤٩١ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الروم: ٢٤]:

قال قتادة:

«خوفًا للمسافر، وطمعًا للمقيم»، فالمسافر يخاف المطر حيث لا مأوى يأويه من المطر، بعكس المقيم، فسبحان من جعل الآية الواحدة ذات أثرين متعاكسين.

٦٤٤٢ ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ﴾ [الروم: ٢٤]:
مشكلتنا في اعتياد رؤية الآيات، وكثرة تعرض القلب لعجائب الأرض والسماوات؛ لذا كانت عبادة التفكر من أجلِّ العبادات.

٦٤٤٣ ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]:
كان عمر بن الخطاب ﷺ إذا اجتهد في اليمين يقول: «لا، والذي تقوم السماء والأرض بأمره».

٦٤٤٤ هي قائمة ثابتة بأمره لها، وتسخيره إياها، ثم إذا كان يوم القيامة بُدِّلت الأرض غير الأرض والسماوات، وخرج من القبور الأموات؛ ولذا قال: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾.

٦٤٤٥ ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [الروم: ٢٦]:
قال مجاهد: «كلٌّ له مطيعون، فطاعة الكافر في سجود ظلِّه».

٦٤٤٦ القنوت نوعان: خضوع شرعي، هذا للمؤمن، وخضوع كوني، وهو للكافر.

٦٤٤٧ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ [الروم: ٢٧]:
فكلمة أَهْوَن في حق الله لا تُؤخَذ على حقيقتها؛ لأن ﴿أَهۡوَنُ﴾ تقتضي صعبًا وأصعب، وهي كلمات تناسب فِعْلَ العبد لا الرب، لكن الله خاطبنا بها لإفهامنا وتقريب الصورة إلى عقولنا.

٦٤٤٨ الذي يعيد إنما يعيد من موجود، أما الذي بدأ فمن معدوم، فالأهون – بمقاييس البشر – هو الإعادة، أما الابتداء فأصعب، وكلاهما من قدرة الله سبحانه.

٦٤٤٩ ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الروم: ٢٧]:
قال ابن عباس في قوله: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: ليس كمثله شيء.

٦٥٠٠ كل صفة وصف الله بها نفسه هي صفة كمال فوق كل ما يخطر ببال.

٦٥٠١ ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَـٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨]:

قال الإمام القرطبي: «قال سبحانه: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، فيجب أن يقولوا: ليس عبيدنا شركاءنا فيما رزقتنا، فيقال لهم: فكيف يتصور أن تنزهوا أنفسكم عن مشاركة عبيدكم، وتجعلوا عبيدي شركائي في خلقي، فهذا حكم فاسد، وقلة نظر وعمى قلب!! فإذا أبطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السادة، والخلق كلهم عبيد الله تعالى، فيبطل أن يكون شيء من العالم شريكًا لله تعالى في شيء من أفعاله».

٦٥٠٢ ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ [الروم: ٢٩]:

لاحظ الارتباط العجيب! لا تتعجب من عدم هداية الظالمين، فإن الله تعالى أضلهم بسبب ظلمهم، ولا هداية لمن أضلَّ الله.

٦٥٠٣ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الروم: ٣٠]:

من الحَنَف، وهو الميل من الباطل إلى الحق، وضده الجَنَف، أي اثبت على ما أنت عليه من الحق، ولا تلتفت عنه إلى غيره.

٦٥٠٤ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الروم: ٣٠]:

قال صاحب الكشاف:

«أي فقوِّم وجهك له وعدّله، غير ملتفت عنه يمينًا أو شمالًا، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته، واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه، وسدَّد إليه نظره، وقوَّم له وجهه، مقبلا به عليه»، فهل هذا اهتمامك بدينك؟!

٦٥٠٥ ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الروم: ٣١]:

ما الإنابة؟

قال الماوردي: «وفي أصل الإنابة قولان:

- أحدهما: أن أصله القطع، ومنه أخذ اسم الناب لأنه قاطع، فكأن الإنابة هي الانقطاع إلى الله عز وجل بالطاعة.
- الثاني: أصله الرجوع، مأخوذ من ناب ينوب، إذا رجع مرة بعد أخرى، ومنه النَّوْبة لأنها الرجوع إلى عادة».

٦٥٠٦ ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ [الروم: ٣١]:

اتقوا غضب الله خاصة في حصائد الألسنة! يقول الإمام الشافعي:

لسانك لا تذكر بها عورةَ امرئ ... فكلك عوراتٌ وللناس ألسن

وعيناك إن أبدت إليك معايبًا ... لقوم فقل يا عين للناس أعين

٦٥٠٧ ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١]:

ترك الصلاة من أفعال المشركين! قال ابن حجر:

«وهذه الآية مما استدل به من يرى تكفير تارك الصلاة، لما يقتضيه مفهومها، وأجيب بأن المراد: أن ترك الصلاة من أفعال المشركين، فورد النهي عن التشبه بهم، لا أن من وافقهم في الترك صار مشركًا، وهي من أعظم ما ورد في القرآن في فضل الصلاة».

٦٥٠٨ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ [الروم: ٣٢]:

قال ابن كثير: «فرَّقوا دينهم أي: بدَّلوه وغيَّروه، وآمنوا ببعض وكفروا ببعض».

٦٥٠٩ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الروم: ٣٢]:

الإسلام دين توحد واجتماع، وقد نهى أشد النهي عن التفرق والاختلاف، فلا عصبية فيه لمذهب ولا حزب ولا أرض ولا عِرْق.

٦٥١٠ لا ينبغي أن يكون الخلاف في فروع الدين والمسائل الاجتهادية، سببًا للتفرق في الدين، ففي ذلك مشابهة للمشركين.

٦٥١١ ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٣]:

ارحل إلى الله طوعًا بسلاسل الإنعام قبل أن تُساق إليه قهرا بسلاسل الامتحان.

وهذا لمن كان كريمًا على ربه، وإلا تركه الله في مجاهل العصيان والنسيان!

٦٥١٢ ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٤]:

المستمتع بالحرام لا يعلم عاقبة المتعة المحرمة، أو يعلمها ويتغافل عنها، ولو علمها حقًّا لزهد فيها.

٦٥١٣ الآية فيها ما يُسمَّى في البلاغة (الالتفات)، فلم يقل: (وليتمتعوا)، بل قال بصيغة الأمر: ﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾، والأمر للتهديد، وفائدة الالتفات: التنبيه؛ ليتساءل القارئ والسامع: لم اختلف السياق؟ ولم كان الكلام للغائب: ﴿لِيَكْفُرُوا۟﴾، ثم صار للمخاطَب: ﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾ ؟!

٦٥١٤ ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٥]:

في الآية فائدة: من فعل شيئًا مجتهدًا ومستندًا إلى دليل، فلا إثم عليه، بل وكل من تأول دليلًا ظانًا أنه على صواب فلا شيء عليه، ومثال ذلك: أن النبي ﷺ لم يُلزم عمار بن ياسر بقضاء الصلاة حين تيمم بالتمرغ في الأرض؛ لأنه متأوِّل، ولم يلزم المرأة المستحاضة بقضاء الصلوات التي تركتها وقت الاستحاضة لأنها متأولة.

٦٥١٥ ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]:

تنبيه مهم إلى أن ما يصيبنا من مصائب سببه أفعالنا، فما علينا إلا محاسبة أنفسنا على السيئات، واستدراك ما فات، لكي يرفع الله عنا ما نزل من بلاء، وينجينا من القنوط والإحباط.

٦٥١٦ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الروم: ٣٧]:

قال الحسن: «ينظر له، فإن كان الغنى خيرًا له أغناه، وإن كان الفقر خيرًا له أفقره».

٦٥١٧ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٣٧]:

كلما زاد الإيمان، زاد التسليم لله في تقسيم الأرزاق.

٦٥١٨ ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الروم: ٣٨]:

قال مجاهد وقتادة: «صلة الرحم فرض من الله عز وجل»، حتى قال مجاهد: «لا تُقبَل صدقة من أحد ورَحِمُه محتاجة».

٦٥١٩ ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٨]:

لا ترجُ إلا الله! من جميل ما قيل:

أقُولُ لأصْحاب المُروءَاتِ قَوْلَةً ... تُريحُهُمُ إنْ أحسَنُوا وتفضَّلُوا

تَسيرُ ذوو الحاجاتِ خَلْفَكَ خُضَّعا ... فإنْ أدْركوها خلَّفُوك وهرْوَلوا

فلا تَدعِ المعْروفَ مهما تَنكَّروا ... فإنَّ ثوابَ الله أربى وأجْزَلُ

٦٥٢٠ ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٨]:

بشرى لكل مخلص! كلما كنت أكثر إخلاصًا كان أكثر خيرا لك.

٦٥٢١ ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩]:

ليس الربا المعروف، وإنما الربا بالمعنى اللغوي، فكأنه حذَّر سبحانه من أن يُهدي العبد ذوي القربي واليتامى وابن السبيل طمعا في أن يُهدَى إليه أكثر، وأخبر أن هذا لا ثواب له عند الله.

٦٥٢٢ قال ابن عباس: «الربا رباءان، فربا لا يصح، يعني: ربا البيع، وربا لا بأس به، وهو هدية الرجل يريد فضلها وأضعافها. ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾».

٦٥٢٣ ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩]:

في الحديث الصحيح: «**ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله**». صحيح الجامع رقم: ٥٦٠٠.

٦٥٢٤ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الروم: ٤٠]:

ثلاثة أمور لا يجادل فيها أحد: الخلق والإماتة والإحياء، ويبقى أمر الرزق يجادل فيه البعض، فيقول أحدهم: رزِقت بذكائي واجتهادي، ولو سلبه الله ذكاءه واجتهاده، لما رُزِق.

٦٥٢٥ ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]:

﴿بَعْضَ﴾ الذي عملوا؛ لو أذاقهم الله جميع ما عملوا ما ترك على ظهرها من دابة!

٦٥٢٦ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]:

هدف الابتلاءات ردُّ الشاردين إلى رحاب الله، وجذب الغافلين إلى روضة الطاعة.

٦٥٢٧ ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الروم: ٤٢]:

تستطيع أن تسير في الأرض وأنت واقف! فالسير في الأرض سيران: سيرٌ بالأقدام لمشاهدة آثار السابقين، وسير القلوب بالتفكر في أحوال الظلمة والمعاندين.

٦٥٢٨ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ [الروم: ٤٣]:

دين الله قيِّم أي بالغ الاستقامة لا عوج فيه، فإن كان اعوجاج فمنك وحدك.

٦٥٢٩ ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]:

غدًا يتصدع المجتمع إلى فريقين لا ثالث لهما: فريق في الجنة، وفريق في السعير.

٦٥٣٠ ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ [الروم: ٤٤]:

الكفار لا يضرون إلا أنفسهم، وذلك بأعظم الضرر! قال صاحب الكشاف: «قوله ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار؛ لأن من كان ضاره كفره، فقد أحاطت به كل مضرة».

٦٥٣١ ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤]:

والمهاد: الفراش، ومنه مهاد الصبي أي فراشه، والجملة تصوير رائع للثمار الطيبة للعمل الصالح في الدنيا، فصاحبه قد مهَّد لنفسه مكانًا مريحًا في كل منازل الآخرة، بدءًا من القبر وصولًا لساحة الحشر، حتى يبلغ الجنة.

٦٥٣٢ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الروم: ٤٤]:

قال ابن كثير: «ومع هذا فهو العادل فيهم الذي لا يجور».. كم دفعتنا كراهية البعض إلى ظلمهم!

٦٥٣٣ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: ٤٦]:

دعاء الريح!

قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أُمِرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشرِّ ما فيها، وشر ما أُمِرتْ به**». صحيح الجامع رقم: ٧٣١٥.

٦٥٣٤ ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الروم: ٤٦]:

قال الإمام الرازي:

«وليذيقكم من رحمته بالمطر، وقد ذكرنا أن الإذاقة تقال في القليل، ولما كان أمر الدنيا قليلًا وراحتها نزر قال: ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾».

٦٥٣٥ ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم: ٤٦]:

بسبب الريح تجري الفلك، وبسبب جريان الفلك تجري التجارة والرزق، وبسبب الرزق يكون الشكر.

٦٥٣٦ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم: ٤٦]:

قال سليمان التَّيْمِيُّ: «إن الله أنعم على العباد على قدره، وكلَّفهم الشكر على قدرهم».

٦٥٣٧ ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]:

يقول صاحب الظلال:

«وقد يبطئ هذا النصر أحيانًا - في تقدير البشر - لأنهم يحسبون الأمور بغير حساب الله، ويقدرون الأحوال لا كما يقدرها الله، والله هو الحكيم الخبي، يصدق وعده في الوقت الذي يريده ويعلمه، وفق مشيئته وسنته، وقد تتكشَّف حكمة توقيته وتقديره للبشر وقد لا تتكشف، ولكن إرادته هي الخير، وتوقيته هو الصحيح، ووعده القاطع واقع عن يقين، يرتقبه الصابرون واثقين مطمئنين».

٦٥٣٨ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الروم: ٤٨]

فائدة التذكير بالنِّعَم! قال الحسن البصري: «أكثِروا ذكر هذه النعمة، فإن ذكرها شكر».

٦٥٣٩ ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾ [الروم: ٤٩]

إذا جاء الغيث بعد طول يأس كانت الفرحة مضاعفة.

٦٥٤٠ ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٥٠]:

الأمر بالنظر متوجه إلى البصر والبصيرة، فالأول بالعين، والثاني بالقلب.

٦٥٤١ كم من مبصر بعينه لم يفده بصره لأن قلبه أعمى؛ وكم من كفيف لم يبصر؛ وبصيرته تضيء لكثير من المبصرين.

٦٥٤٢ التاء مبسوطة في ﴿رَحْمَتِ﴾ تفيد أنها رحمة بُسِطَت بعد قبضها، وجاءت بعد شدة، ودائمًا تكون مضافة مباشرة للفظ الجلالة.

٦٥٤٣ ﴿كَيْفَ تُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠]:

استدلال بالمحسوس المنظور -وهو حياة الأرض بعد الموت- على القادم المنتظر، وهو إحياء الموتى.

٦٥٤٤ قال السعدي:

«حياة الأرض بعد موتها من أعظم الأدلة على سعةِ رحمته، فالدليل في القلب الخالي من العلم والخير حين ينزل الله عليه غيث الوحي، فيهتز وينبت العلوم المختلفة النافعة، والأعمال الظاهرة والباطنة أعظم من الأرض بكثير».

٦٥٤٥ ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ [الروم: ٥١]:

عميان البصيرة! تأتي الريح شديدة باردة فيصفر الزرع، ويذبل، فيكفرون تسخطًا على الأقدار! بدلًا من التضرعة إلى القهار؛ ليرفع عنهم الأضرار.

٦٥٤٦ ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الروم: ٥٢]:

الموتى يسمعون! يسمعون قرع نعالنا ونحن ننصرف عنهم بعد دفنهم، لكن السماع المنفي هنا هو سماع الانتفاع.

٦٥٤٧ الحي الذي لا ينتفع بسماع الموعظة حاله أسوأ من الميت.

٦٥٤٨ ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ [الروم: ٥٢]:

هذه أشد حالات الإعراض فجاجة، فالله نفى السمع عن الأصم، فهو لا يسمعك ولو كان مقابلًا لك، فكيف إذا أدبر؟! وقيَّد الله الصمم بهذه الحالة؛ لأن الأصم قد يستدل على كلامك من إشاراتك أو حركة شفتيك إذا كنت أمامه، لكن لو كنت مدبرًا فلن يراك، وبالتالي لن يفهمك.

٦٥٤٩ ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الروم: ٥٣]:

كلما كنتَ أكثر إيمانًا، كنتَ أكثر سماعًا وانتفاعًا، والسماع هنا سماع فهم وانقياد لا سماع أذن مع إعراض.

٦٥٥٠ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]:

الطفل= ضعف، والوالدان عند الكبر= ضعف + شيبة، فوالداك عند الكِبَر أشد ضعفًا من الأطفال؛ لذا يحتاجان رعايتك أكثر من أولادك.

٦٥٥١ **راعِ أبويك عند الكبر!** لاحِظ أنه وصف الطفولة بالضعف، ثم وصف الشيخوخة بالضعف مع الشيبة، فوالداك عند الكبر أضعف من أطفالك، وأَوْلى بالرعاية.

٦٥٥٢ ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]:

لكل مغتر بالدنيا: شاهد أقوى الأقوياء، وتابع أجمل الجميلات، ثم تأمل حالهم بعد عشرات السنوات، وقد حلَّت النظّارة مكان النضارة، وأنهكت الأمراض والآفات بعد التمتع بالحدائق والجنات.

٦٥٥٣ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥]:

الدنيا كلها في جوار الآخرة ساعة، فكيف بعتم خلود الآخرة بنعيم ساعة، وليته كان نعيمًا خالصًا، بل معه تنغيص وهموم وأحزان وغموم!

٦٥٥٤ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٦]:

مواجهة حاسمة قادمة بين الملائكة والأنبياء والمؤمنين من جهة، ومن أنكر البعث من جهة أخرى، فيزداد المؤمنون فرحة، ويزداد المجرمون حسرة.

٦٥٥٥ المجرم إذا حُشِر، علم أن مصيره إلى النار، فيستقل العُمْر، ويختار تأخير الحشر، والبقاء في القبر.

والمؤمن إذا حُشِر، علِم أن مصيره إلى الجنة، فيستطيل انتظاره في ساحات القيامة، ولا يريد التأخر لحظة عن جنة الخلد في دار المقامة.

وعندها يختلف الفريقان، ويجري بينهما هذا الحوار.

٦٥٥٦ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [الروم: ٥٧]:

الاعتذار قبل الموت بلحظة تُفتَح له أبواب القبول، لكن بعد خروج الروح بلحظة لا ينفع العبد الظلوم الجهول.

٦٥٥٧ ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم: ٥٧]:

يُقال: استعتبْتُه فأعتبَني، أي استرضيته فأرضاني، والمعنى: لا يُطلَب منهم ولا يُقبَل الرجوع إلى الله بالتوبة والعمل الصالح؛ لإزالة عتب الله وغضبه عليهم.

٦٥٥٨ ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم: ٥٨]:

إشارة إلى دور القرآن في إزالة الأعذار، وأنه أتى بما يكفي الناس من الإنذار، فأقام الحجة على الكل.

٦٥٥٩ ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ [الروم:٥٨]:

يتهمون النبي الذي يوحى إليه بأنه على باطل، فلا تتعجَّب إن اتهموك إن سرتَ على منهج الوحي بنفس التهمة.

٦٥٦٠ ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٥٩]:

قال الباجي: «معنى الطبع على القلب: أن يُجعل بمنزلة المختوم عليه، لا يصل إليه شيء من الخير».

٦٥٦١ ﴿قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٥٩]:

لا يعلمون أنهم جهلاء؛ لذا لا يعملون على إزالة جهلهم، وهو أسوأ أنواع الجهل؛ لأنه جهل مُركَّب.

٦٥٦٢ ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ [الروم: ٦٠]:

لماذا الصبر؟ لأن وعْدَ الله لك بالنصرة وإظهار الدين وإعلاء كلمة الحق محقق، ولا بد من إنجازه والوفاء به لا محالة! وهذا هو زاد الصبر إن أوشك صبرنا على النفاد!

٦٥٦٣ سورة الروم سورة مكية، والجهاد لم يؤذن به في مكة، فما هو إلا الصبر، يأمر الله به رسوله، ويأمر به رسوله الناس!

٦٥٦٤ ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ [الروم: ٦٠]:

خُتِمَت السورة بالوعد بالنصر، كما افتُتِحت بالوعد به، فسورة الروم هي مبشِّرة المؤمنين، ونازِعة القلق من قلوب المصلحين، وهي من أهم جرعات اليقين!

٦٥٦٥ ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ [الروم: ٦٠]:

قال السعدي: «أي لا شك فيه، وهذا مما يعين على الصبر، فإن العبد إذا علِم أن عمله غير ضائع، بل سيجده كاملًا هان عليه ما يلقاه من المكاره، ويسَّر عليه كل عسير، واستقل من عمله كل كثير».

٦٥٦٦ ﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]:

أي لا تضطرب لكلامهم، ولا تقلق، ولا يذهب عقلك بسبب ما يصنع هؤلاء المجرمون، ولا تتسرع في قرارك، ولا تخرج عن طبعك وهدوئك ولا عن إيمانك، بل ثق في وعدنا، واطمئن لقضائنا!



سورة لقمان

٦٥٦٧ ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [لقمان:٢]:

هذا الكتاب مشتمل على الحكمة، فمن قرأه وتدبَّره وعمل به أوتي الحكمة.

٦٥٦٨ ما الحكمة؟! قال ابن القيِّم: «الحِكْمَة: فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي».

٦٥٦٩ ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان:٣]:

من المحسن؟! قال القشيري: «المقيمون عبادة الله كأنهم ينظرون إلى الله، وشرط المحسن أن يكون محسنًا إلى عباد الله: دانيهم وقاصيهم، ومطيعهم وعاصيهم».

٦٥٧٠ ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [لقمان:٤]:

للهداية شرطان: استقامة الظاهر وضرب لها مثلا بالصلاة والزكاة، واستقامة السر والباطن وضرب لها مثلا باليقين.

٦٥٧١ ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [لقمان:٤]:

كان الإمام أبو حنيفة يُسمَّى الوتد لكثرة صلاته، فكان من بركة ذلك أن مات ساجدًا.

٦٥٧٢ ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [لقمان:٤]:

وكان الإمام أبو حنيفة إذا أنفق على عياله نفقة، تصدَّق بمثلها!

٦٥٧٣ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [لقمان:٥]:

ما أجمل أن ننسب الهدى إلى الرب؛ لأن الرب هو من يهيئ لعباده أسباب السعادتين الدنيوية والأخروية، ويهديهم إلى ما فيه مصلحتهم في الدارَيْن.

٦٥٧٤ فائدة ذكر «على» إفادة استعلاء المؤمن وعلوه بالحق والهداية مع ثباته عليه واستقامته إليه.

٦٥٧٥ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ [لقمان: ٦]:

خطورة عمل القلب! قال قتادة: «والله لعله أن لا ينفق فيه مالًا، ولكن اشتراؤه استحبابه، بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحقّ، وما يضرّ على ما ينفع».

٦٥٧٦ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ [لقمان:٧]:

المستكبر فولاذي القلب، فلا تخترق قلبه الآيات، وترتد عنه دون أن تنفذ إليه أو تؤثِّر فيه العظات.

٦٥٧٧ ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان:٧]:

احذر كثرة استماع الغناء!

كثرة استماع الغناء المحرَّم تصم الآذان عن الانتفاع بالقرآن، فاجتماع النقيضين في القلب محال، ولا بد لأحدهما أن يطرد الآخر في الحال أو مع الإمهال.

٦٥٧٨ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ [لقمان:٨]:

الترك عملٌ لو كان بِنيَّة!

في الحديث: «**قالت الملائكة: يا رب.. ذاك عبدك يريد أن يعمل بسيئة وهو أبصر به، فقال: ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جراي**». صحيح الجامع رقم: ٤٣٥٦.

٦٥٧٩ جنات النعيم هي كلمة جامعة للنعيم البدني والنعيم الروحي، أي ترف البدن وسرور القلب، وهذا لا يكون تمامه ودوامه إلا في الجنة، أما في الدنيا فمُحال أن يجتمع النعيمان، وإن اجتمعا لا يدومان.

٦٥٨٠ لاحظ أنه جمَع الجنات بينما وحَّد العذاب، إشارة إلى رحمة الله الواسعة، وأنها سبقت غضبه.

٦٥٨١ ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ [لقمان:٩]:

كان من الممكن أن يقول: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ فحسب، فمعلوم أن الله لا يخلف وعده، لكنه أراد تثبيت القلوب المضطربة وطمأنة المترددين فقال: ﴿حَقًّا﴾.

٦٥٨٢ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [لقمان:١٠]:

هل فكرت يومًا في من الذي حمل الأرض وسائر الكواكب في الفضاء، وجعل لها مسارات تدور فيها بقوة ذتية؟! ولو نزع منها هذه القوة لسقطت في مجاهل الفضاء.

٦٥٨٣ ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان:١٠]:

من اللطف الإلهي، أن سخَّر الله لك الكون من حولك ليحميك ويحفظك، حتى وأنت نائم، دون أن تشعر.

٦٥٨٤ ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [لقمان:١٠]:

كلُّ ما دَبَّ على وجه الأرض، ولا أحد يعلم عدد هذه الدواب أي الكائنات الحية، بل ما جهِلْنا من أنواعها أكثر مما علمنا منها.

٦٥٨٥ ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان:١٠]:

هل تعلم أن عدد أنواع النباتات يقدَّر بحوالي ٣٥٠٠٠٠ نوع، تنتشر في كل مكان على سطح الأرض، سواء في المناطق الصحراوية أو قاع المحيطات أو أشد المناطق برودة في القطب الشمالي والجنوبي.

٦٥٨٦ ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان:١١]:

هل سمعتم عن أحد خلق ذرة في هذا الكون من العدم، أو زعم أنه فعل؟ فكيف يعبد أناس حتى اليوم البقر والحجر من دون الله؟!

٦٥٨٧ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢]:

الحكمة منحة ربانية وهدية إلهية، وليست بالضرورة عن كبر سِنٍّ، ولكن عطاء الله يعطيه من يشاء من عباده، فادع الله بالحكمة.

٦٥٨٨ ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]:

من وسائل التربية أنك إذا أمرت أحدا بأمر أن تبيِّن له سببه، فهذا أدعى لقبول الأمر منك!

٦٥٨٩ عن عبد الله بن مسعود))))))))))))))))))))))))))))))))))))))))(لما نزلت :قال) [الأنعام: ٨٢] إيمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، **أينا لا يظلم نفسه؟** قال: «**ليس ذلك إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم**». صحيح البخاري رقم: ٣٤٢٩.

٦٥٩٠ قال رسول الله ﷺ: «**الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره، وظلم لا يتركه، فأما الظلم الذي لا يغفره الله، فالشرك. قال الله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾** [لقمان:١٣]، **وأما الظلم الذي يغفره، فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم عز وجل، وأما الظلم الذي لا يتركه، فظلم العباد بعضهم بعضًا حتى يقصَّ بعضهم من بعض**». صحيح الجامع رقم: ٣٩٦١ .

٦٥٩١ ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]:

قال سفيان بن عيينة عن هذه الآية: «من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين».

٦٥٩٢ ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]:

قال سعد بن أبي وقاص: «نزلت فيَّ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]

قال: لما أسلمت، حلفت أمي لا تأكل طعامًا ولا تشرب شرابًا، قال: فناشدتها أول يوم، فأبت وصبرت؛ فلما كان اليوم الثاني ناشدتها، فأبت؛ فلما كان اليوم الثالث ناشدتها فأبت، فقلت: والله لو كانت لك مائة نفس لخرجت قبل أن أدع ديني هذا؛ فلما رأت ذلك، وعرفت أني لست فاعلًا أكلت».

٦٥٤٣ الوالدان كافران، بل ويريدانك كافرًا، ومع ذلك أمرك الله أن تحفظ حَقَّهما، فخدمتهما واجبة، وطاعتهما لازمة إلا إن أمرًا بمعصية.

٦٥٤٤ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ليس في الشرك وحده، بل في كل معصية. قال رسول الله ﷺ: «**إنما الطاعة في المعروف**». صحيح الجامع رقم: ٢٣٢٧.

٦٥٤٥ ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان:١٥]:

ما الفارق بين التوبة والإنابة؟

قال أبو هلال العسكري: «التوبة هي الندم على فعل ما سبق، والإنابة: ترك المعاصي في المستقبل».

٦٥٤٦ ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ [لقمان:١٦]:

هذه الآية دليل على تمكن القدرة الإلهية من أدق الذرات، ولو كانت في أخفى الأماكن وأصعبها، مع علمه بكيفية استخراجها، وفيها إشارة إلى أن عمل المؤمن لأي حسنة أو سيئة مهما كان ذلك دقيقًا أو صغيرًا، ظاهرًا أو خفيًّا، هي مثل حبة الخردل هذه، يعلمه الله، وسيُحضِره غدًا مع صاحبها؛ ليجازيه عليه.

٦٥٤٧ الإنسان -ستره الظلام أو كان في الضوء- قد اطلع الله عليه، سواء أسر في نفسه أم أعلن، فالله يعلم ذلك كله، فالقلوب له مفضية، والسر عنده علانية، ولا تخفى عليه خافية.

٦٥٩٨ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:١٦]:

لماذا يقترن دائمًا اسم اللطيف بالخبير؟

والجواب: لأن اللطف (العلم بدقائق الأمور): لا يتأتى إلا بالخبرة، وهذه الخبرة لا يصل إليها إلَّا الله وحده، وكلما زادت الخبرة زاد العلم بما خفي؛ ولذا اقترن بها اللطف.

٦٥٩٩ قال الإمام الشوكاني: «إن الله لطيف لا تخفى عليه خافية، بل يصِل علمه إلى كلِّ خفي».

٦٦٠٠ ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]:

لا بد مع الدعوة إلى الله من أذى ينال الداعي، ولا يُدفَع الأذى إلا بالصبر!

٦٦٠١ ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨]:

قال ابن عباس:

«ولا تتكبر؛ فتحقر عباد الله، وتُعرِض عنهم بوجهك إذا كلموك»، ولو مع عامل النظافة أو المتسوِّل في الطرقات.

٦٦٠٢ ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ [لقمان:١٩]:

يرشدك القرآن إلى كل شيء حتى طريقة المشي!

٦٦٠٣ قال الإمام القرطبي:

«والقصد: ما بين الإسراع والبطء، أي لا تدبَّ دبيب المتماوتين، ولا تثب وثْبَ الشُّطّار».

٦٦٠٤ ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٩]:

من وصايا الإمام البنا: «لا ترفع صوتك أكثر مما يحتاج إليه السامع، فإنه رعونة وإيذاء».

٦٦٠٥ ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]:

النعم دنيوية وأخروية..

فالدنيوية الظاهرة: الصحة والمال والعيال والأموال وحسن الخلقة، والدنيوية الباطنة: ستر عيوبك وقبيح أحوالك التي تكره أن يطلع عليها الناس.

والأخروية الظاهرة: الإسلام والقرآن، والأخروية الباطنة: ما ستر من عيوبك وأخفى من ذنوبك.

١١٠٦ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [لقمان: ٢٠]:

كلما قل (العلم): زاد (الجدال):.

١١٠٧ ﴿قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [لقمان: ٢١]:

كم أضاع التقليد الأعمى وتعطيل العقل أجيالا من المسلمين!

١١٠٨ قال علي عزت بيجوفيتش: «حين نعلِّم الإنسان التفكير، فإننا نحرِّره، وحين نلقِّنه فإننا نضمُّه للقطيع».

١١٠٩ ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [لقمان:٢٢]:

قرأ علي بن أبي طالب ﷺ: (ومن يُسلِّم) بالتشديد، يعني: سلِّم أمرك إلى الله، كما يُسلِّم الرجل متاعه إلى غيره، أي توكل عليه، وفوِّض أمرك إليه.

١١١٠ ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓ﴾ [لقمان:٢٣]:

هذا هو حزن الأنبياء وورثة الأنبياء: حزنٌ على ما يصيب غيرهم، لا على ما يصيب نفوسهم.

١١١١ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [لقمان:٢٣]:

في الآية تهديد ووعيد لكل من خالف سره علانيته، وكان ظاهره خيرًا من باطنه، بأن الله يعلم ما تخفي صدوركم من نيات ومكنونات، فأصلِحوا بواطنكم وطهِّروا سرائركم.

١١١٢ ﴿نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا﴾ [لقمان:٢٤]:

ما أقل قدر الدنيا إذا قورنت بالآخرة، ففي صحيح البخاري: «**وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها**». صحيح البخاري رقم: ٢٨٩٢.

٦٦١٣ ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان:٢٤]:

بعد متاع الدنيا القليل جاء دور العذاب الطويل، والذي يجمع بين شدته وآلامه على النفس، وعدم طاقتها لاحتماله.

٦٦١٤ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان:٢٥]:

الذي خلق السماوات والأرض وما فيهما من نعم هو الذي يستحق الحمد وحده، لكن أكثر الناس لا يحمدون الله، كأنهم جهلة لا يعلمون هذه الحقيقة.

٦٦١٥ ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [لقمان:٢٦]:

ما سر اقتران اسم الله (الغني) باسم (الحميد)؟!

السر أن الكل محتاج إلى الله، والله غير محتاج إلى أحد، فهو غني لعدم حاجته، وحميد مشكور لقضاء حوائجكم.

٦٦١٦ قال الخطابي: «(والحميد) هو المحمود الذي استحق الحمد بأفعاله، وهو الذي يُحمَد في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء؛ لأنه حكيمٌ لا يجري في أفعاله الغلط، ولا يعترضه الخطأ، فهو محمودٌ على كل حال».

٦٦١٧ قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«والحمد على الضراء يوجبه مشهدان:

أحدهما: علم العبد بأن الله سبحانه مستوجبٌ ذلك، مستحقٌّ له بنفسه، فإنّه أحسنَ كلَّ شيء خلقه، وأتقن كلَّ شيء، وهو العليم الحكيم، الخبير الرحيم.

والثاني: علمُه بأنّ اختيارَ الله لعبدِه المؤمن خيرٌ من اختياره لنفسه».

٦٦١٨ ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]:

لو اجتمعت مواهب أهل العلم والبلاغة والفصاحة أولهم وآخرهم على قلب رجل واحد لِيُوَفُّوا هذه الآية حَقَّها مِنْ بيان وبلاغة لما استطاعوا!

٦٦١٩ أي لو أنَّ أشجار الأرض كلها بُرِيَتْ أقلامًا، وصار البحر مدادًا لها، ويُمَدُّ بسبعة أبحر أخرى، وكُتِب بتلك الأقلام وذلك المداد كلمات الله من علمه وحكمه، لتكَسَّرَتْ تلك الأقلام، ولَنَفِدَ ذلك المداد، ولم تَنْفَدْ كلمات الله التامة التي لا يُحِيطُ بها أحد.

٦٦٢٠ ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان:٢٨]:

آفة أكثر الخلق أنهم يقيسون قدرة الله غير المحدودة بمقاييس عقولهم المحدودة. قال مجاهد: «القليل والكثير عليه سواء، إنما يقول له: كن فيكون».

٦٦٢١ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ [لقمان:٢٨]:

السميع إما بمعنى المجيب أي للدعاء، أو بمعنى الإدراك.

وسماع الإدراك ثلاثة أقسام:

- سماع تهديد وهو للعصاة والمجرمين.
- وسماع تأييد وهو للمؤمنين، ومثاله: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾.
- وسماع إحاطة وشمول، كما في قول عائشة ﵂: «تبارك الذي وسع سمعه الأصوات».

٦٦٢٢ ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لقمان:٢٩]:

هذا إخبار بحركة الشمس والقمر من مئات السنين، فكشف العلم الحديث مثلًا أن سرعة دوران الشمس حول مركز مجرة درب التبانة يساوي ٢٤٠ كيلومترًا في الثانية الواحدة.

٦٦٢٣ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:٢٩]:

من قدر على هذه الأجرام الضخمة والأعمال العظيمة، لا بد أن يكون عالمًا بها، أفلا يكون عالمًا بأعمالكم وأنتم الأصغر والأهون؟!

٦٦٢٤ لم قدَّم ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بدلًا من قوله ﴿خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ؟! **والجواب:** الحصر هنا إضافي، والغرض منه التحذير، كأنه قال: لو لم يكن خبيرا بشيء لكان خبيرا بأعمالكم، فاحذروه.

٦٦٢٥ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [لقمان:٣٠]:

قال الإمام الرازي:

«والحق هو الثبوت، والثابت الله، وهو الثابت المطلق الذي لا زوال له، فهو الحق وما عداه الباطل؛ لأن الباطل هو الزائل، يُقال: بطل ظله إذا زال».

٦٦٢٦ ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [لقمان:٣٠]:

والآية تتناول نوعي الدعاء: دعاء العبادة، ودعاء المسألة والطلب، ودعاء العبادة شامل لكل القُربات الظاهرة والباطنة؛ لأنَّ المتعبِّدَ لله طالبٌ وداعٍ بلسان حاله، وأما دعاء المسألة فهو أن يطلب الدَّاعي ما ينفعه، وكشفَ ضُرَّه.

٦٦٢٧ ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ [لقمان:٣١]:

لما ذكر آية سماوية في قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ [لقمان: ٢٩]، أتبعها بذكر آية أرضية: ﴿أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾، وذكَّر بفضله في قوله: ﴿بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى سبب جريان الفلك، أي الريح، فتجري بسببها الفلك بأمر الله.

٦٦٢٨ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ [لقمان:٣١]:

قال الشعبي:

«الصبر نصف الإيمان، والشكر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله، ألم تر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾».

٦٦٢٩ ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان:٣٢]:

لا تجعل الدعاء كالدواء، لا تستعمله إلا عند البلاء، ففي الحديث:

«**من سَرَّهُ أن يستجيب اللهُ له عند الشَّدائد وَالكرب؛ فلْيُكْثِر الدُّعاء في الرَّخاء**». السلسلة الصَّحيحة رقم: ٥٩٥.

٦٦٣٠ ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان:٣٢]:

ما أقبح الغدر بعد العهد! والتهاون بعد الإنعام!

قال ابن كثير:

«فالمقتصد هنا هو المتوسط في العمل، ويحتمل أن يكون مرادًا هنا أيضًا، ويكون من باب الإنكار على من شاهد تلك الأهوال والأمور العظام والآيات الباهرات في البحر، ثم بعد ما أنعم الله عليه بالخلاص، كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام، والدأب في العبادة، والمبادرة إلى الخيرات، فمن اقتصد بعد ذلك كان مقصِّرًا».

٦٦٣١ ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان:٣٢]:

يُستدل بفساد الظاهر على فساد الباطن، فجحود الآيات في الظاهر، سببه الغدر والكفر المستقران في قلب العبد في الباطن.

٦٦٣٢ أقبح الغدر هو الغدر مع الله. قال زيد بن أسلم: «والختر: أتمُّ الغدر وأبلغه».

٦٦٣٣ ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ [لقمان:٣٣]:

بالخوف تنصلح القلوب!

خوَّفنا الله مرة بأفعاله فقال: ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا﴾، ومرة بصفاته فقال: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾، ومرة ثالثة بذاته فقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[لقمان:٣٣].

٦٦٣٤ ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان:٣٣]:

عملك عملك.. صلاتك صلاتك.. صلاحك صلاحك.. لن تنفعك غدًا قرابتك ولا والدك ولا ولدُك.

٦٦٣٥ قال ابن كثير بعد أن ذكر هذه الآية:

«فهذا أبلغ المقامات: أن كلًا من الوالد وولده، لا يغني أحدهما عن الآخر شيئًا».

٦٦٣٦ ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]:

والغَرور بفتح الغين: هو ما غرَّ الإنسان من شيء كائنًا ما كان، شيطانًا كان أو إنسانا، أو دنيا. قال الضحاك ومجاهد: ﴿ٱلْغَرُورُ﴾: الشيطان.

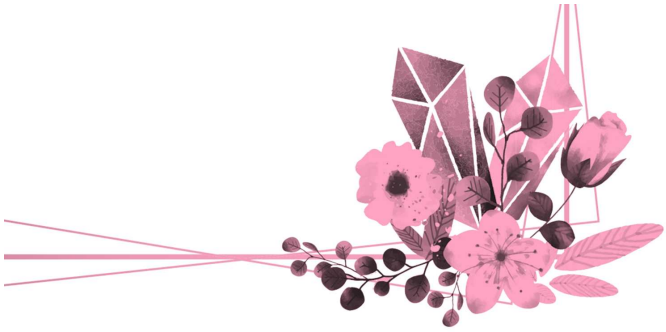
٦٦٣٧ قال سعيد بن جُبَير: «أن تعملَ بالمعصية وتتمنى المغفرة».

٦٦٣٨ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]:

هذه الخمسة هي مفاتيح الغيب، ففي صحيح البخاري: «**مفاتح الغيب خمسة، ثم قرأ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ ».

٦٦٣٩ حتى رسول الله لا يعلم الغيب!

لما قالت إحدى النساء في حضرة النبي ﷺ: «وفينا رسول الله يعلم ما في غد»، نهاها رسول الله ﷺ وقال: «**قولي ببعض ما تقولين**».



سورة السجدة

٦٦٤٠ ﴿الٓمٓ﴾ [السجدة:١]:

كل سورة ابتدأت بالحروف الهجائية المقطَّعة فهي سورة مكية، إلا سورتين: البقرة وآل عمران، فإنهما مدنيتان.

٦٦٤١ ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة:٢]:

لا ريب في أن القرآن منزَّل من عند الله، وهي حقيقة لا ريب فيها عند أي عاقل، والرَّيب في اللغة غير الشَّك، فالريب شك مع قلق واضطراب.

٦٦٤٢ إذا تعذَّر عليك رؤية الله في هذه الدار، فأعزُّ شيء على الأحباب كتاب الأحباب، فاقرأ كتاب الله بشوق حتى يحين موعد الرؤية واللقاء في دار البقاء.

٦٦٤٣ ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السجدة:٣]:

ما أجمل مواساة الحبيب لحبيبه، وما أغلى دفع الله عن نبيه أباطيل المبطلين واتهامات المجرمين.

٦٦٤٤ ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [السجدة:٣]:

قال قتادة: كانوا أمة أُمِّية، لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ.

٦٦٤٥ يأبى عدل الله أن يعذِّب قومًا إلا بعد إرسال النذير وإقامة الحجة. قال الإمام الغزالي في كتاب «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة»:

«إن أكثر نصارى الروم والترك في هذا الزمان تشملهم الرحمة إن شاء الله تعالى؛ أعني الذين هم في أقاصي الروم والترك، ولم تبلغهم الدعوة، فإنهم ثلاثة أصناف:

- صنف لم يبلغهم اسم محمد ﷺ أصلًا، فهم معذورون.

- وصنف بلغهم اسمه ونعته، وما ظهر عليه من المعجزات، وهم المجاورون لبلاد الإسلام والمخالطون لهم، وهم الكفار الملحدون.
- وصنف ثالث بين الدرجتين، بلغهم اسم محمد ﷺ، ولم يبلغهم نعته وصفته، بل سمعوا أيضًا منذ الصبا أن كذّابًا ملبسًا اسمه محمد ادعى النبوة، كما سمع صبياننا أن كذابًا يقال له المقفع بعثه الله تحدَّث بالنبوة كاذبًا، فهؤلاء عندي في أوصافه في معنى الصنف الأول؛ فإنهم مع أنهم سمعوا اسمه سمعوا ضد أوصافه، وهذا لا يُحرِّك داعية النظر فى القلب».

٦٦٤٦ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [السجدة:٤]:

عِلْم حقيقة هذه الأيام الستة عند الله، ولا سبيل لنا إلى تحديدها وتعيين مقدارها، فهي ليست من أيام الدنيا التي تبدأ بشروق الشمس وتنتهي بغروبها.

٦٦٤٧ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة:٤]:

العرش أعظم مخلوقات الله، وعليه استوى ربنا استواءً يليق بجلاله، وللعرش قوائم، ويحمله حملة من الملائكة من عظام الخلق.

٦٦٤٨ قال النبي ﷺ: «**الناس يُصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري: أفاق قبلي؟ أم جوزي بصعقة الطور؟**». رواه البخاري رقم: ٣٢١٧ .

٦٦٤٩ ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة:٤]:

ليس لنا إن خالفنا أمر الله من ولي ينصرنا من عقابه، ولا شَفِيعٍ يشفع لنا عنده كي يعفو، وحتى شفاعة النبي أو الشهداء أو الصالحين لا تكون إلا بإذنه، فالأمر كله لله.

٦٦٥٠ ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [السجدة:٥]:

قال سهل التستري: «يقضي القضاء وحده، فيختار للعبد ما هو خير له، فخيرة الله خير له من خيرته لنفسه».

٦٦٥١ ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ [السجدة:٥]:

قال الإمام المراغي:

«تمثيل لإظهار عظمة الله، كما يُصدِر الملك أوامره، ثم يتلقى من أعوانه ما يدل على تنفيذها».

٦٦٥٢ ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة:٥]:

قال ابن عاشور:

«ومعنى تقديره بألف سنة: أنه تحصل فيه من تصرفات الله في كائنات السماء والأرض ما لو كان من عمل الناس، لكان حصول مثله في ألف سنة»، لكن الله يجريه -بقدرته- في لحظة واحدة.

٦٦٥٣ ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [السجدة:٦]:

يعلم الغيب، والغيب نوعان: غيب مطلق لا يعلمه إلا الله، وغيب نسبي يعلمه من شهده، ويجهله من غاب عنه، وكلاهما يعلمه الله.

٦٦٥٤ ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [السجدة:٦]:

ما سِرُّ اقتران هذين الاسمين؟! **والجواب**: لأن الكمال في اجتماعهما، فرحمته مقرونة بعز، وليست رحمة ذل، وعزته مقرونة برحمة، فليست عزة جبروت لا رحمة فيها.

٦٦٥٥ ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة:٧]:

قال أبو حيان: «ما من شيء خلقه إلا وهو مرتَّبٌ على ما تقضيه الحكمة، فالمخلوقات كلها حسنة، وإن تفاوتت في الحسن، وحسنها من جهة المقصد الذي أريد بها، ولهذا قال ابن عباس: ليست القِرَدَة بحسنة، ولكنها متقنة محكمة».

٦٦٥٦ أول الإحسان وأكمله وأعظمه هو إحسان الله عز وجلَّ، فلا مُحسِنَ أعظم من المحسن جل جلاله.

١٦٥٧ ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة:٧]:

لم التكبر؟! وأصلك من طين، وأغلى ثيابك من دودة، وأشهى طعامك من حشرة، ومنزلك المقبل: حفرة تحت الأرض.

١٦٥٨ ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة:٨]:

هذه النطفة الممتهنة التي لا يعبأ بها الناس، فيها سِرُّ الخلق العجيب، وبحسب ما فيها يتباين الخلق في الشكل والهيئة واللون والميول والطباع والأخلاق.

١٦٥٩ ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة:٩]:

وهل هناك تكريم أشرف من هذا التكريم؟! فالرُّوح التي نفخها الله في آدَمَ وعيسى عليهما السلام هي من الأرواح التي خلقها الله سبحانه.

١٦٦٠ الروح ليست من صفات الله تعالى، بل هي خلق من خلقه، وإضافتها إلى الله إضافة تشريف وتعظيم، و﴿مِنۡ﴾ في الآية ليست للتَّبعيض، حتى تكون الروح جزءًا من الله؛ بل معناها أن هذه الرُّوح من عنده سبحانه، فهو الخالق لها، والمتصرِّف فيها كيف يشاء.

١٦٦١ قال الآلوسي في (روح المعاني):

«حُكِي أنَّ طبيبًا نصْرانيًّا حاذقًا للرَّشيد ناظر عليَّ بن الحسين الواقدي المروزي ذات يوم، فقال له: إنَّ في كتابكم ما يدلُّ على أنَّ عيسى عليه السلام جزءٌ منه تعالى، وتلا هذه الآية: ﴿وَرُوحٌ مِّنۡهُ﴾، فقرأ الواقدي قولَه تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مِّنۡهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، فقال: إذًا؛ يلزم أن يكون جَميع الأشياء جزءًا منه -سبحانه وتعالى علوًّا كبيرًا- فانقطع النَّصراني فأسْلم، وفرح الرَّشيد فرحًا شديدًا».

١٦٦٢ ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [السجدة:٩]:

شُكْر نعمة السمع بالإعراض عن سماع الغيبة والفحش واللغو، وشكر نعمة البصر بغضِّ البصر، وشكر نعمة الفؤاد بإخلاص النية.

٦٦٦٣ قال ابن القيم في مقارنة جميلة بين نعمتي السمع والبصر:

«عادم البصر أشدهما ضررًا وأسلمهما دينًا وأحمدهما عاقبة، وعادم السمع أقلهما ضررًا في دنياه وأجهلهما بدينه وأسوأ عاقبة، فإنه إذا عدِم السمع عدم المواعظ والنصائح، وانسدَّت عليه أبواب العلوم النافعة، وانفتحت له طرق الشهوات التي يدركها البصر، ولا يناله من العلم ما يكفه عنها، فضرره في دينه أكثر، وضرر الأعمى في دنياه أكثر؛ ولهذا لم يكن في الصحابة أطرش، وكان فيهم جماعة أضراء، وقَلَّ أن يبتلي الله أولياءه بالطرش، ويبتلي كثيرًا منهم بالعمى، فهذا فصل الخطاب في هذه المسألة، فمضرة الطرش في الدين، ومضرة العمى في الدنيا، والمعافى من عافاه الله منهما، ومتَّعه بسمعه وبصره، وجعلهما الوارثين منه».

٦٦٦٤ ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ [السجدة:١٠]:

استبعدوا البعث بعد التحلل في باطن الأرض أو الافتراس بواسطة السباع؛ لأن العقول المادية تقف عند حدود الممكن والمعقول، وقدرة الله فوق كل ممكن أو معقول.

٦٦٦٥ ﴿بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [السجدة:١٠]:

إنكار هذا اللقاء أو التعامي عنه هو مفتاح الشقاء الأبدي والعذاب السرمدي، وما ذكر أحَدٌ لقاء الله إلا ارتدع عن كثير من معاصيه.

٦٦٦٦ ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ [السجدة:١١]:

أحيانًا يسند التوفي إلى الله، وأحيانًا إلى ملك الموت، وأحيانًا إلى الملائكة، فهل في هذا تعارض؟! **والجواب**: لا تعارض، فإسناد التوفي إلى ملك الموت؛ لأنه المأمور بقبض الأرواح، وإسناده للملائكة؛ لأن لملك الموت أعوانًا من الملائكة.

١١٦٧ ﴿إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [السجدة: ١٢]:

سمِعوا وأبصروا، لكن للأسف! في الوقت الضائع، وبعد فوات الأوان!

١١٦٨ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [السجدة: ١٢]:

ما أشد تنكيس رؤوس المجرمين غدًا في ذلّ وخزي وندامة، بعد ما لاقوا ألوان التقريع والإهانة، وهم في قبضة الرب سبحانه،لا يستطيعون فكاكا ولا إفلاتا من نار القيامة.

١١٦٩ غدًا تُشفَى صدور المؤمنين برؤية مصائر المجرمين! حذَف الله جواب الشرط، وتقديره: لرأيتَ أمرًا عجابًا، يشفي صدرك مما فعلوه وأجرموه.

١١٧٠ لم يقل: ولو تعلم؛ لأن إخبار الله كأنه رؤيا العين، فحين يخبرك الله بأمر، فاعلم أنه أصدق مما ترى عينك؛ لأن عينيك قد تخدعانك، أما إخبار الله لك فهو الحق الذي لا شك فيه.

١١٧١ ﴿فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة:١٢]:

وهل ينفع اليقين وهم على عتبات الجحيم؟! وكيف يفيد الإيمانُ الواقف على أبواب النيران؟

١١٧٢ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣]:

لو شاء الله لهدى الناس جميعًا، لكنه لم يشأ ذلك، بل شاء أن يخلق الناس مختارين بين طريقي الهدى والضلال، ووضع لهم دواعي الخوف والرجاء، فأخبر عن جزاءين: الجنة والنار، وترك لهم حرية الاختيار، واقتصار الآية على ذكر النار في غاية المناسبة؛ لأنها تأتي في إطار الرد على من أنكر البعث بعد الموت.

٦٦٧٣ ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣]:

المؤمنون من الجن يدخلون الجنة، وكافرهم يدخل النار، وأما هل يراهم المؤمنون في الجنة أم لا يرونهم؟ فليس في هذا نص صريح.

٦٦٧٤ قال أبوبكر بن عياش قال لي رجلٌ مرة وأنا شاب: خلِّص رقبتك ما استطعت في الدنيا من رِقِّ الآخرة، فإن أسير الآخرة غير مفكوكٍ أبدًا، فوالله ما نسيتُها بعد!

٦٦٧٥ ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٤]:

لو نسيك أحد في قصر وأغلق عليك، لكان هذا من بواعث الألم وأسباب العذاب، فكيف لو نسيك في قعر النار؟!

٦٦٧٦ الله لا ينسى حاشاه، لكنه عبَّر عن الترك والإهمال بالنسيان.

٦٦٧٧ الجزاء من جنس العمل، نسوا أمر الله، فكان عقوبتهم النسيان في أعماق النيران.

٦٦٧٨ ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾ [السجدة: ١٥]:

دعوى الإيمان بلا أعمال، دعوى يشوبها البطلان.

٦٦٧٩ سمعوا القرآن فخَرّوا سجدًا؛ لأن سماع القرآن من أعظم ما يورث رقة القلب ويعالج قسوته.

٦٦٨٠ ﴿وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة:١٥]:

ما أعظم فضل التسبيح!

عن أبي ذرٍّ أنَّ رسول الله ﷺ سُئِل: أيُّ الكلام أفضل؟ قال: «**ما اصطفى الله لملائكته أو لِعباده: سبحان الله وبحمده**». صحيح مسلم: ٢٧٣١.

٦٦٨١ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦]:

تتجافى الأجساد عن الفرش في الليالي الباردة، فتكون المكافأة جنات عدن خالدة.

٦٦٨٢ كان عبدالعزيز بن رواد إذا جنَّ عليه الليل يأتي فراشه، فيمدُّ يده عليه ويقول: «إنك للينٍّ، ووالله إن في الجنة لألْيَن منك».

٦٦٨٣ تعب الصالحين في مضمار الدنيا، هو سبب فوزهم في سباق الآخرة.

قال ابن الجوزي:

«لايصعبنَّ على الخيل تضميرها، فستفرح به يوم السباق».

٦٦٨٤ ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة:١٦]:

الحكم العام: لو وُزِن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا، والحكم الخاص: من غلب عليه التقصير واليأس، فالرجاء أَوْلى به، ومن غلب عليه استمراء الرقود واعتياد الفتور، فالخوف أَولى به.

٦٦٨٥ ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة:١٦]:

يموت ١٨ شخصًا حول العالم كل دقيقة نتيجة الجوع! ما أحوج العالم إلى الإسلام الذي قال نبيه: «**ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع**».

٦٦٨٦ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]:

قال الحسن: «أخفى قوم عملهم، فأخفى الله لهم ما لم تر عين، ولم يخطر على قلب بشر».

٦٦٨٧ ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السجدة:١٨]:

المؤمن خيرٌ من ملء الأرض من الفُساق، ولو كانوا أكثر ثراء وأفصح لسانا وأعظم عمرانا.

٦٦٨٨ ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٩]:

الجنة عمل يسير وأجر كبير!

عمرو بن ثابت بن وقش الأشهلي، وهو ابن أخت حذيفة بن اليمان. قال عنه البراء بن مالك رضي الله عنه: أتى النبي ﷺ رجل مُقَنَّعٌ بالحديد، فقال: يا رسول الله..

أقاتل أو أسلم؟! قال: «**أسلم، ثم قاتل**»، فأسلم، ثم قاتل، فقُتِل، فقال رسول الله ﷺ: «**عمل قليلًا وأُجِرَ كثيرًا**». صحيح الجامع رقم: ٢٨٠٨.

٦٦٨٩ ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [السجدة:١٩]:

﴿فَلَهُمْ﴾: هذه لام التمليك، وهي تفيد مزيد الإكرام؛ لأنه إن قال: اسكنوا هذه الجنة، فيحتمل هذا أن يكون على سبيل الإعارة، وله أن يسترد جنته منهم متى شاء، وأما مع هذه اللام المباركة، فهو بمثابة صكٍّ تمليك أبدي.

٦٦٩٠ ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٩]:

العمل الصالح سبب دخول الجنة، والعمل ثلاثة أنواع:

عمل القلب: وأوله الإيمان، النية الصالحة، وإخلاص العمل لله.

والثاني: عمل اللسان بالنطق بالشهادتين، ثم الذكر والدعاء والتسبيح.

والثالث: عمل الجوارح من صلاة وصيام وزكاة وحج وأمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن المنكر.

٦٦٩١ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [السجدة: ٢٠]:

الفسق هنا هو الكفر، ومع الكفر لا التفات إلى الأعمال؛ لذا لم يقل: (**وأما الذين فسقوا وعملوا السيئات**)، ولو جعل الله النار في مقابل الكفر وعمل السيئات، لظنَّ ظانٌّ أن مجرد الكفر لا عقاب عليه، وهذا باطل.

٦٦٩٢ **الفسق نوعان!**

قال عطاء: «كفر دونَ كفرٍ، وظلم دونَ ظلم، وفسق دون فسقٍ».

فمنه الفسق الذي يُخرِج عن الملةِ، كما قال في حقِّ إبليسَ: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾.

ومنه ما لا يُخرِج عن الملة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾، وقوله في الذين يرمونَ المحصناتِ: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

٦١٤٣ ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة:٢٢]:

أحيانًا يكون نزول الشدة رحمة، وبمثابة صيحة تنبيه قبل نزول الشدة الأكبر غدًا في نار الجحيم.

٦١٤٤ لا مقارنة بين العذاب الأدنى في الدنيا والعذاب الأكبر في الآخرة. في الحديث: «**لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا، لأفسدت على أهل الأرض معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟**» صحيح الجامع رقم: ٥٢٥٠.

٦١٤٥ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢]:

قال صاحب الكشاف: «ثم» في قوله: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ للاستبعاد.

والمعنى: أن الإعراض عن آيات الله مع وضوحها وإرشادها إلى الفوز في الدنيا والآخرة مستبعد عقلًا.

٦١٤٦ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾ [السجدة:٢٢]:

لم يذكر من الذي ذكَّره! إشارة إلى وجوب قبول التذكرة من أي أحد، ولو كان أقل علمًا، أو أصغر منك.

٦١٤٧ ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢]:

لماذا لم يقل: (إنا منه منتقمون)؟

ليفيد فائدتين:

- أن المُعرِض عن التذكرة مجرم.
- أن الانتقام عام لكل المجرمين، وليس متعلِّقًا بالمعرض عن التذكرة وحده.

٦١٤٨ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [السجدة:٢٣]:

والمقصود بقوله: ﴿لِّقَآئِهِۦ﴾:

- إما لقاء موسى، وقد لقيه النبي ﷺ ليلة أُسري به.
- أو لقاء موسى للكتاب وهو التوراة ووصولها إليه.

والنهي عن الشك مقصود به هذه الأمة.

٦٦٩٩ قال الجمل: «وإنما ذكَر موسى لقربه من النبي ﷺ ووجود من كان على دينه إلزامًا لهم، وإنما لم يختر عيسى عليه السلام للذكر وللاستدلال؛ لأن اليهود ما كانوا يوافقون على نبوته، وأما النصارى فكانوا يعترفون بنبوة موسى عليه السلام».

٦٧٠٠ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة: ٢٤]:

سئل سفيان عن قول علي رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فقال: ألم تسمع قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾، فقال: لما أخذوا برأسِ الأمر صاروا رؤوسًا.

٦٧٠١ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة: ٢٤]:

ضَرَبَ أبو الدرداء مثلا للصبر واليقين فقال: «مَثَلُ اليقين والصبر مَثَلُ فَدَّادِينَ يَحْفِران الأرض، فإذا جلَس واحِدٌ جلس الآخَر».

٦٧٠٢ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [السجدة:٢٥]:

غدًا يوم الفصل الذي يفصل الله بين المختلفين في الدين، بين المؤمنين والكفار، وبين الأنبياء وأقوامهم، وبين الظالمين والمظلومين، وبعد الفصل الإلهي سيجازي كلاً بعمله.

٦٧٠٣ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ [السجدة:٢٦]:

من وسائل إصلاح القلوب: تقليب النظر في أخبار الهالكين من المعاندين والمجرمين، وقد أنعم الله علينا بدلائل محسوس من آثارهم، أبقاها للعبرة.

٦٧٠٤ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ [السجدة:٢٦]:

دعوةٌ لسماع حكايات الظالمين وكيفية مصارعهم، وما نزل بهم من عذاب معجَّل في الدنيا غير عذاب الآخرة، فمن لم يشاهد نهايتهم بعينيه، فليستمع إليها بأذنيه.

٦٧٠٥ مَنْ أراد استشراف نهاية ظالم، فليسمع إلى مصارع الظالمين قبله.

٦٧٠٦ قال النبي ﷺ يومًا لأصحابه عن ثمود وهم أصحاب الحِجر:

«لا تدخلوا على هؤلاء المُعَذَّبِينَ إِلَّا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، لا يُصِيبُكُم ما أَصابهم» صحيح البخاري رقم: ٤٤٣.

٦٧٠٧ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة:٢٧]:

رزقك يُساق إليك سَوْقًا، فما داعي للقلق من رزق غد؟!

٦٧٠٨ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [السجدة: ٢٨]:

يستعجل المجرمون العذاب، ويتعاملون معه بكل باستخفاف، وهذا واضح من ذكر اسم الإشارة ﴿هَٰذَا﴾ قبل ذكر الفتح.

٦٧٠٩ ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [السجدة: ٢٩]:

في الآية توجيهان من الله إلى طريقة التعامل مع المستخفين بالنصر الإلهي الذي وعده الله للمؤمنين:

الأول: عدم تعيين يوم الفتح في الدنيا، فأنا واثق في الوعد الإلهي، ولا أشغل نفسي بالموعد الزماني.

الثاني: ترك الحديث عن الفتح الدنيوي، والعدول عنه إلى بيان الفتح الحقيقي وهو يوم القيامة.

٦/١٠ ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ [السجدة: ٣٠]:

قال الآلوسي: «فيه إشارة إلى أنه ينبغي الإعراض عن المنكرين المستهزئين بالعارفين والسالكين، إذا لم ينجع فيهم الإرشاد والنصيحة، وإلى أنهم هالكون لا محال».

٦/١١ ﴿وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ [السجدة: ٣٠]:

«يحتمل وجوها:

أحدها: وانتظر هلاكهم فإنهم ينتظرون هلاكك.

وثانيها: وانتظر النصر من الله فإنهم ينتظرون النصر من آلهتهم، وفارق بين الانتظارين.

وثالثها: وانتظر عذابهم بنفسك فإنهم ينتظرونه بلفظهم استهزاء، كما قالوا: ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [الأعراف: ٧٠]».



سورة الأحزاب

٦/١٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]:

يغضب أحدنا إذا قيل له اتق الله؛ وكأنها انتقاص أو اتهام، وقد قالها الله تعالى لسيد الخلق ﷺ.

٦/١٣ ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب ٢]:

هل اتبعت تعاليم الوحي قرآنًا وسُنّة؟

هل عملتَ بها؟

وهل تعلم أن الله لا يخفى عليه شيء من أمرك، وما فعلته بعد سماع وحْيِه؟!

٦/١٤ ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢]:

خبير بما يُصلِحكم وما يضركم، وما يرفع قدركم وما يضع قدركم، فكيف تترددون في امتثال أمره.

٦/١٥ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٣]:

إذا فوّضت ربك في أمر، فهل تلجأ إلى غيره؟

إذا اتخذتَه وكيلًا، هل تجعل له شريكًا أو ترضى بغيره بديلًا؟!

٦/١٦ قال أبو بكر الواسطي وقد سُئل عن التوكل، فقال: «الصبر على طوارق المحن، ثم التفويض، ثم التسليم، ثم الرضا، ثم الثقة».

٦/١٧ ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤]:

الأدعياء جمع دعيٍّ، وهو الذي يدَّعي أن فلانًا ولده وليس بولده، وسببها هو أمر زيد بن حارثة، وذلك أنه كان فتى سباه بعض العرب، وباعه لخديجة،

فوهبته للنبي ﷺ فتبناه، فكان يُقال له زيد بن محمد حتى نزلت هذه الآية، والتي أبطل الله بها التبني.

٦٧١٨ ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥]:

قال القرطبي: «أي أعدل، فرفع الله حكم التبني، ومنع من إطلاق لفظه، وأرشد بقوله إلى أن الأَوْلى والأعدل أن يُنسَب الرجل إلى أبيه نسَبًا».

٦٧١٩ ﴿فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡ﴾ [الأحزاب: ٥]:

انسِبوا الأبناء إلى آبائهم الشرعيين، فإن لم تعرفوا آباءهم، فنادوهم بقولكم: يا أخي.. يا مولاي، ولم يجعل الله عليكم إثمًا في ما وقعتم فيه من خطأ بنسبتكم بعض الأبناء إلى غير آبائهم، ولكن يؤاخذكم الله في ما تعمدتم فحسب.

٦٧٢٠ في الحديث الصحيح:

«**من ادَّعى إلى غير أبيه لم يرُح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام**». صحيح الجامع رقم: ٥٩٨٨.

٦٧٢١ ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب: ٦]:

قال القرطبي: «أي في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال، وحرمةِ النكاح على الرجال».

٦٧٢٢ ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ [الأحزاب:٧]:

هؤلاء أولو العزم من الرسل، قد أخذ الله منهم الميثاق الغليظ في تبليغ الرسالة، فماذا فعل بالرسالة من بلغتهم الرسالة؟!

٦٧٢٣ ﴿لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [الأحزاب:٨]:

سؤال الصادق عن صِدْقه تبكيتٌ للمكذِّبين.

٧/٢٤ يسأل الصادقين، فما الظن بالكاذبين؟!

٧/٢٥ يا كل من ارتدى قناعًا أخفى به حقيقته، ويا كل من ادَّعى ما ليس فيه، واحترف التصنع والتمثيل، سينفضح أمرك غدًا.

٧/٢٦ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]:

جنود لا نراها، تدفع عنا ما نكره، دون أن نعلم عنها شيئًا، وهذا من أجمل معاني اللطف الإلهي.

٧/٢٧ يد الله تعمل في صالحكم أيها المؤمنون وأنتم لا تشعرون.

٧/٢٨ ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠]:

لا تنسيك أوقاتُ الرخاء كم كشف من شدائدك، وأنقَذَك من ورطات مضائقك.

٧/٢٩ ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠]:

ما أحلم الله على ظنون بعض عباده!

٧/٣٠ الله مطَّلِع على كل أسرارك، فلا تظن بربك إلا خيرًا!

٧/٣١ ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأحزاب:١١]:

ابتلاء المؤمن مختلف، يرفع الله به درجته، ويحط خطاياه، ويقوّي إيمانه.

قال بِشر بن الحارث الحافي بعدما ضُرِب أحمد بن حنبل: «أُدخل أحمدُ الكِيرَ فخرج ذهبًا أحمر».

٧/٣٢ ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١]:

فائدة الشدائد!

قال ابن كثير:

«فحينئذ ظهر النفاق، وتكلَّم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم».

٦٧٣٣ ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب١٢]:

مرض النفاق لا يظهر أثره في جسد الأمة إلا حين تلوح في الأفق سحائب الشدة.

٦٧٣٤ أمراض القلوب وخبايا الصدور لا تظهر إلا عند الشدائد والمحن، والأزمات وحدها هي التي تُخرِج خبَث المنافقين.

٦٧٣٥ ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾ [الأحزاب: ١٣]:

قائمة أعذار المنافق لا تنتهي، وكلما زاد اعتذار المرء عن أعمال الخير ومواطن الأجر، اقترب من أرض النفاق!

٦٧٣٦ ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾ [الأحزاب١٤]:

المنافق لا مبدأ له، فقِبْلته مصلحته، وولاؤه لصاحب القوة.

٦٧٣٧ كلما زاد النفاق، كان المنافق أسرع انكشافًا وأقرب انقلابًا على المؤمنين.

٦٧٣٨ ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ [الأحزاب١٥]:

كثرة الحلف من سمات المنافقين، ونقض اليمين أمر معتاد لهؤلاء المجرمين.

٦٧٣٩ ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب:١٦]:

لن يدفع عنكم الفرار ما أُبرِم عليكم في الأزل من انقضاء أجل، فإن المقدَّر كائن لا محالة، وإن نفعكم الفرار -مع أن ذلك محال- فدفع عنكم ما قُدِّر عليكم، فمُتِّعْتُم، لم يكن هذا التمتيع إلا تمتيعا قليلًا وزمانًا يسيرًا.

٦٧٤٠ ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب:١٧]:

استفهام بمعنى النفي، أي من الذي يحقق لكم من دون الله مرجوًّا؟! ومن الذي يصرف عنكم من دون الله عدوًّا؟!

٦٧٤١ ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب:١٨]:

قال الآلوسي: «الآية في عبد الله بن أُبَيٍّ وأمثاله ممن رجع من المنافقين من الخندق إلى المدينة، كانوا إذا جاءهم المنافق قالوا له: ويحك! اجلس ولا تخرج، ويكتبون إلى إخوانهم في العسكر، أن ائتونا فإنا ننتظركم».

٦٧٤٢ ﴿أُولَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الأحزاب: ١٩]:

قال صاحب الكشاف: «وهل يثبت للمنافقين عمل حتى يُردَّ عليه بالإحباط؟

قلت: لا، لكنه تعليم لمن عسى يظن أن الإيمان باللسان إيمان، وإن لم يواطئه القلب، وأن ما يعمل المنافق من الأعمال يجدي، فبيَّن أن إيمانه ليس بإيمان، وأن كل عمل يوجد منه باطل، وفيه حثٌّ على إتقان المكلَّف أساس أمره وهو الإيمان الصحيح، وتنبيهٌ على أن الأعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء من غير أساس، وأنها مما يذهب عند الله هباء منثورًا».

٦٧٤٣ ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩]:

عملية (السلْق) هي وصف الله لعمل ألسنة المنافقين في المؤمنين، فلا تتعجبوا إذا قابلتم سلاطة ألسنة المنافقين وحِدَّة كلماتهم.

٦٧٤٤ ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٠]:

ما أجبن المنافقين!

ذهب الأحزاب، ويحسبونهم لم يذهبوا، ويخافون من عودهم، ويفزعون من ظلِّهم.

وإذا جاءت الأحزاب، ودوا لو كانوا خارج المدينة في البادية، يسألون عن أخباركم وحالكم مع عدوكم، كأنهم أغراب.

٦٧٤٥ ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٠]:

إذن: لا تأْسَ عليهم إن تأخروا عنك، ولا تحزن لتخلُّفهم عن اللحاق بك، فما لهم نفع، بل ضررهم أكبر من نفعهم.

٦٧٤٦ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]:

جاءت ﴿أُسْوَةٌ﴾ نكرة لتفيد الاقتداء به في عموم أفعاله وأحواله وأخلاقه وعباداته ومعاملاته ﷺ! من هو مَثَلك الأعلى؟!

٦٧٤٧ هل لي أن أسألك في ضوء هذه الآية: من هو قدوتك ومثَلك الأعلى؟! في الحديث: «**انتسب رجلان على عهد موسى فقال أحدهما: أنا فلان ابن فلان حتى عد تسعة فمن أنت لا أم لك؟ قال: أنا فلان ابن فلان ابن الإسلام فأوحى الله إلى موسى أن قل لهذين المنتسبين: أما أنت أيها المنتسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم في النار، وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة**». صحيح الجامع رقم: ١٤٩٢.

٦٧٤٨ ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢]:

خلق الله الشدائد لتستنطق ألسنة الخلق، فالمؤمنون ينجحون في الامتحان فيقولون: ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ ، والمنافقون يسقطون فيقولون: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾

٦٧٤٩ المؤمن يرى المحنة التي يلقاها في سبيل الله أثرًا من آثار استقامته على منهج الله ودليلا على صوابه، فيزداد إيمانًا وتسليمًا.

٦٧٥٠ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]:

نزلت في أنس بن النضر حيث لم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر، فشق ذلك عليه وقال: لئن أراني الله مشهدًا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرينَّ الله ما أصنع، فاستقبل سعد بن معاذ يوم أحد قائلًا: واهًا لريح الجنة، أجدها دون

أحد، فقاتلهم حتى قُتِل، فمن شدة جراحاته قالت أخته الرُّبيِّع ابنة النضر: فما عرفتُ أخي إلا ببنانه! فنزلت هذه الآية.

٦٧٥١ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]:

من علامات صدق العبد الثبات وعدم التبديل، فالزلل بعد الثبات مِنْ قلة الصدق.

٦٧٥٢ ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٣]:

باب التوبة مفتوح للكل حتى المنافقين، فلا تغلقه في وجه أحد، ولتكن هداية المجرمين أحب إليك من عذابهم، وتوبتهم أحب إليك من عقابهم.

٦٧٥٣ ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٤]:

يعلِّمنا القرآن أن نتأدب مع الله، فلا نتألى عليه أن لا يغفر لفلان، ولا يرحم فلانًا.

٦٧٥٤ لا سقف لرحمة الله، ولا حدود لمغفرته، حتى أشد المنافقين تشملهم رحمة الله إن أقبَلوا.

٦٧٥٥ ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾ [الأحزاب:٢٥]:

صدقوا الله، ونجحوا في اختبار الشدة، فكافأهم بأن ردَّ الكفار عنهم دون قتال.

٦٧٥٦ ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [الأحزاب:٢٥]:

قال ابن كثير:

«وفي قوله: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش، وهكذا وقع بعدها، لم يغزهم المشركون، بل غزاهم المسلمون في بلادهم».

٦٧٥٧ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب:٢٥]:

قال السعدي:

«لا يغالبه أحد إلا غُلِبَ، ولا يستنصره أحد إلا غَلَب، ولا يعجزه أمر أراده، ولا ينفع أهل القوة والعزة، قوتهم وعزتهم، إن لم يعنهم بقوته وعزته».

٦٧٥٨ ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [الأحزاب:٢٦]:

الرعب من جنود الله، يؤيِّد الله به عباده الصادقين، إن بذلوا وسعهم، وتقطَّعت دونهم أسباب الانتصار.

٦٧٥٩ ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ [الأحزاب:٢٧]:

أنت وارثٌ لمالِك، وهو معارٌ لك، ويوشك أن ينتقل لغيرك بموت أو سلب أو بذل.

٦٧٦٠ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٨]:

في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت:

«لما أُمِر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه، بدأ بي، فقال: **إني ذاكر لك أمرًا، فلا عليك ألا تعجلي حتى تستأمري أبويك.**

قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه، ثم قرأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩].

فقلت: في هذا أستأمر أبوي؟

فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة.

قالت عائشة: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت، فلم يكن ذلك طلاقًا».

٦/٦١ ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٩]:

قال الإمام الآلوسي: «فلما خَيَّرهَن واخترن الله ورسوله والدار الآخرة، مدحهن الله تعالى على ذلك، إذ قال سبحانه: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ ، فقصره الله تعالى عليهن، وهن التسع اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة».

٦/٦٢ ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٠]:

كل تشريف يقتضي تكليفًا! قال ابن كثير: «فأخبر تعالى أن من جاء من نساء النبي ﷺ بفاحشة- والله عاصم رسوله ﷺ من ذلك كما مر في حديث الإفك - يضاعف لها العذاب ضعفين، لشرف منزلتهن وفضل درجتهن، وتقدمهن على سائر النساء أجمع».

٦/٦٣ قال صاحب الكشاف: «وإنما ضوعف عذابهن؛ لأن ما قبح من سائر النساء، كان أقبح منهن وأقبح؛ لأن زيادة قبح المعصية، تتبع زيادة الفضل والمرتبة، وليس لأحد من النساء، مثل فضل نساء النبي ﷺ، ولا على أحد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة، ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم: أشد منه للعاصي الجاهل؛ لأن المعصية من العالم أقبح».

٦/٦٤ ﴿بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [الأحزاب:٣٠]:

قال أبو حيان: «كبيرة من المعاصي، ولا يُتَوهَّم أنها الزنى، لعصمة رسول الله ﷺ من ذلك، ولأنه وصفها بالتبيين، والزنى مما يُتَسَتَّر به، وينبغي أن تُحْمَل الفاحشة على عقوق الزوج وفساد عشرته».

الجزء الثاني والعشرون

سورة الأحزاب آية ٣١
إلى سورة يس آية ٢٧

عدد الفوائد: ٣٥٠

قال محمد إقبال:

«إن الكتاب الذي هو مصدر حياتك ومنبع قوتك، لا اتصال لك به إلا إذا حضرتك الوفاة، فتُقرأ عليك سورة يس لتموت بسهولة، فواعجبًا! قد أصبح الكتاب الذي أُنزِل ليمنحك الحياة والقوة، يُتلى الآن لتموت براحة وسهولة!».

روائع إقبال ص ٣١-٣٢

الجزء الثاني والعشرون
سورة الأحزاب آية ٣١
إلى سورة يس آية ٢٧

٦٧٦٥ ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ [الأحزاب:٣١]:

قال الآلوسي: «ويستدعى هذا أنه إذا أثيب نساء المسلمين على الحسنة بعشر أمثالها؛ أُثِبْن على الحسنة بعشرين مثلًا لها، وإذا زيد للنساء على العشر شيء؛ زيد لهن ضعفه».

٦٧٦٦ جاء في محاسن التأويل: «أجرٌ على الطاعة والتقوى، وأجرٌ على طلبهن رضا رسول الله ﷺ».

٦٧٦٧ ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب:٣١]:

الرزق الكريم هو الجنة، ولا يستحق الوصف بالرزق الكريم إلا رزق الجنة، فرزق الدنيا لا يأتي بنفسه بل يجريه الله على أيدي الناس، بعكس الآخرة، فرزقها يأتينا بنفسه، فتدنو منك ثمار الجنة لتأكلها ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾.

وتشتهي الطير، فيخِرُّ بين يديك مشويا.

فرزق الآخرة كأنه شخص كريم، لا يُمسِكه أحد، ولا يُرسِله أحد، بل يأتيك بنفسه.

٦٧٦٨ ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]:

كلما زادت التقوى اختفى خضوع النساء بالقول، وما رقَّقت امرأة صوتها لرجل إلا لقلة تقواها.

٦٧٦٩ ﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ [الأحزاب: ٣٢]:

والمرض هنا هو شهوة الزنى والفجور، فإنَّ صاحِبَها مستعد متربص، ينتظر أدنى إشارة ليتحرك، فأدنى سبب يدعوه إلى الحرام يجيبه، ومن ذلك خضوع المرأة بالقول.

٦٧٧٠ ﴿وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [الأحزاب: ٣٢]:

قال السعدي: ولما نهاهن عن الخضوع في القول، فربما توهم أنهن مأمورات بإغلاظ القول، دفع هذا بقوله: ﴿وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ أي: غير غليظ ولا جاف كما أنه ليس بِلَيِّنٍ خاضع.

٦٧٧١ ﴿وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ [الأحزاب: ٣٣]:

تبرج المرأة ارتداد ورجعية إلى عصور الجاهلية، قبل أن تعرف البشرية ستر العورات، واليوم انقلبت الموازين، فصار العري تحضرًا، والحجاب تخلفًا!

٦٧٧٢ ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٤]:

الآيات هي القرآن، والحكمة ما جاء به النبي ﷺ من أقوال وأفعال وأحوال.

٦٧٧٣ هذا أمر بتلاوة الآيات في جميع البيوت حتى التي لم ينزل فيها الوحي، لتشمل تلاوة أمهات المؤمنين، وتلاوة غيرهن من النساء تعلُّمًا وتعليمًا.

٦٧٧٤ هذه الآية دليل على وجوب اتباع السُّنَّة، فالحكمة كما قال غير واحد من السلف: هي السنة.

٦٧٧٥ ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]:

لم يأتِ الأمر بالذكر إلا بالكثرة، فهذه الكثرة هي علامة الإيمان، وإلا فإن المنافق أيضًا يذكر الله لكن قليلا.

٦٧٧٦ سئل الإمام أبو عمرو ابن الصَّلاح عن القَدْر الذي يصير به العبد من ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾، فقال:

«إذا واظبَ على الأذكار المأثورة المثبتة صباحًا ومساءً، وفي الأوقات والأحوال المختلفة، ليلًا ونهارًا، وهي مُبيَّنة في كتاب: عمل اليوم والليلة، كان من ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾».

٧٧٧ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]:

كلما زاد إيمانك زادت ثقتك بحسن اختيار الله ورسوله، ورأيت أنه الأفضل والأصلح لك دنيا وآخرة.

والخير أجمعُ فيما اختار خالقنا وفي اختيار سواه اللؤم والشؤم

٧٧٨ الاعتراض على حكم الله وعدم الانقياد لأمره هو قرع لباب الشِّرك، فمن لم يتب منه في الحال وقع في ما هو أخطر.

٧٧٩ روى أبو نُعيم في الحلية عن الشافعي أنه أتاه رجل، فسأله عن مسألة فقال: قضى رسول الله ﷺ بكذا وكذا، فقال الرجل للشافعي: ما تقول أنت؟ فقال الشافعي: سبحان الله! أتراني في كنيسة؟ تراني في بيعة؟ تراني على وسطي زنار؟ أقول: قضى رسول الله ﷺ كذا وكذا وأنت تقول لي: ما تقول أنت؟!

٧٨٠ ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]:

نخاف من الناس أكثر من خوفنا من الله. وفي الحديث: «**أوصيك أن تستحي من الله تعالى كما تستحي من الرجل الصالح من قومك**». صحيح الجامع رقم: ٢٥٤١.

٧٨١ ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ [الأحزاب:٣٧]:

إن الله عز وجل لما منع زيدًا من ذلك الشرف الذي شرَّفه الله به بكونه كان يُدعَى زيد بن محمد، فعوَّضه عن هذا بأن ذكر اسمه صراحة في القرآن، قال الله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ [الأحزاب:٣٧]، وكذلك ربك إذا سلب عبدًا نعمة فصبر، عوَّضه الله عز وجل بأحسن منها.

٦٧٨٢ ﴿زَوَّجْنَكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧]:

كانت زينب بنت جحش تفتخر على أمهات المؤمنين أن أهاليهن زوَّجوهن، وأن الله جل وعلا زوَّجها من فوق سبع سماوات.

٦٧٨٣ ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الأحزاب:٣٧]:

أي: السبب في ذلك لكي يزول هذا الحكم الباطل، وهذه البنوة الباطلة، وهذا الأثر الذي لا يكفي فيه القول، بل لا بد من التمثيل بمثال عملي.

٦٧٨٤ ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ [الأحزاب:٣٨]:

هذه الآية تقتضي أن الرسول ﷺ يلحقه الحرج في ما لم يُحِلَّه الله له، ويُستفاد من هذا أن النبي ﷺ -مع علو رتبته- عبدٌ من عباد الله، لا يخرج عن طاعته وشريعته.

٦٧٨٥ الأفعال أقوى أثرًا من الأقوال؛ لذا زوَّج الله نبيه من زينب بنت جحش؛ لأن ذلك أبلغ في ثبوت حكم بطلان التبني.

٦٧٨٦ ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨]:

هذه الآية مفتاح الرضا وعنوان السعادة، وعدم التحسر على ما فات، فما قدَّره الله لا يمكن لأحد أن يرده، وما لم يقدِّره لا يمكن لأحد أن يحصِّله.

٦٧٨٧ ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:٣٩]:

حملك لرسالة الإسلام سيعرِّضك لمتاعب وتهديدات، فقابل كل ما يعترضك بثقتك بالله، وعدم خشيتك إلا من الله.

٦٧٨٨ في الحديث:

«**لا يمنعن رجلًا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه أو شهده أو سمعه**».

السلسلة الصحيحة رقم: ١٦٨.

٦/٨٩ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب:٣٩]:

قال الزجاجي: «الحسيب، يجوز أن يكون من حسِبت الحساب، ويجوز أن يكون أحسبنى الشيء إذا كفاني».

ومعناه في الآية: وكفاك يا محمد بالله حافظًا لأعمال خلقه، ومحاسبًا عليها.

٦/٩٠ ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب:٤٠]:

ما كان أبا أحد منكم تبنيًا، بل ولا ولادة كذلك، لكن كيف؟ وقد كان أبًا لعبدالله والقاسم وإبراهيم؟!

والجواب: أنهم ماتوا صغارًا قبل أن يبلُغوا مبلغ الرجال، وهذا من دقة التعبير القرآني ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾.

٦/٩١ ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠]:

اعتراف بمن سبق من الأنبياء، وأنه امتداد لهم، وتكذيبٌ لكل من ادعى النبوة بعده.

٦/٩٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]:

قال كعب: «من أكثر ذكر الله بريء من النفاق».

٦/٩٣ كُلّما زاد الإيمان، زاد ذكر الله، وكلما ضعف الإيمان قلَّ الذكر، واقترب العبد من ساحة النفاق.

٦/٩٤ قال مجاهد: «لا يكون الرجل من الذاكرين الله كثيرًا حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا».

٦/٩٥ الذكر الكثير أن تقوم الليل مصليًا مع زوجتك تعينها وتعينك. قال رسول الله ﷺ: «**من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته، فصلَّيا ركعتين كُتِبا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات**» صحيح الجامع رقم:٦٠٣٠.

٦/٩٦ قال أبو عثمان الحيري: «الذكر الكثير أن تذكر في ذكرك له أنك لا تصل إلى ذكره إلا به وبفضله».

٦٧٩٧ ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الأحزاب:٤٢]:

البكرة هي الصباح، والأصيل هو المساء، والمعنى: سبِّحوه على الدوام، وليكن بداية تدريبكم الأوَّلي على هذا في وقتي الصباح والمساء.

٦٧٩٨ ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب:٤٢-٤٣]:

يصلي عليك الله كلما سبَّحته، فسبِّح الله.

٦٧٩٩ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب:٤٣]:

قال ابن كثير: «هذا تهييج إلى الذكر، أي إنه سبحانه يذكركم، فاذكروه أنتم».

٦٨٠٠ ﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب:٤٣]:

سبب ما تعيشون فيه من أنوار اليقين والهدى هو صلاته عليكم ودعاء الملائكة لكم.

٦٨٠١ ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]:

الرحمة هنا رحمة خاصة بالمؤمنين، وهذا حث على الاستزادة من الإيمان، للفوز بمزيد رحمات الله للعبد في الدنيا والآخرة.

٦٨٠٢ ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٤]:

الله يتكلم معهم، وأول كلامه مع أهل الجنة: السلام، وما أجمل اجتماع السلام مع رؤية الله في هذا المقام، وهو الدخول إلى دار السلام، نعيم يضاعفه بنعيم.

٦٨٠٣ ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٤]:

تحلية بعد التخلية في الآية السابقة، والأجر الكريم هو الجنة، ولا أروع.

٦٨٠٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥]:

قدّم البشارة والترغيب على النذارة والترهيب، وفي الحديث القدسي: «**كتب ربكم على نفسه بيده قبل أن يخلق الخلق: رحمتي سبقت غضبي**». صحيح الجامع رقم: ٤٤٧٥.

٦٨٠٥ ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]:

وصف الله القمر فقال: ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾، ووصف الشمس فقال: ﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ ، لكنه حين وصف الحبيب ﷺ جمع بين الوصفين فقال: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]

٦٨٠٦ ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٤٧]:

سيروا على خطى الحبيب، بشِّروا ولا تنفِّروا، يسِّروا ولا تعسِّروا، تفاءلوا ولا تتشاءموا، وكونوا مفاتيح خير مغاليق شر.

٦٨٠٧ ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾[الأحزاب: ٤٧]:

قال ابن عطية:

«قال لنا أبي رضي الله عنه: هذه من أرجى آية عندي في كتاب الله تعالى؛ لأن الله تعالى أمر نبيه أن يبشر المؤمنين بِأَنَّ لَهُمْ عنده فضلاً كَبِيرًا، وقد بين تعالى الفضل الكبير ما هو في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾[الشورى: ٢٢]، فالآية التي في هذه السورة خبر، والتي في حم عسق تفسير لها».

٦٨٠٨ ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب:٤٨]:

نهاه عما لم يقع منه في الماضي تحذيرًا لأمته من المستقبل.

٦٨٠٩ ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ [الأحزاب:٤٨]:

لا تشغل قلبك بمصير أعدائك! قال الإمام الرازي: «أي دعه إلى الله، فإنه يعذِّبهم بأيديكم وبالنار».

٦٨١٠ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب:٤٨]:

قال الفضيل بن عياض:

«يا ربِّ.. إني لأستحي أن أقول: (توكلتُ عليك)، لو توكلتُ عليك لما خفتُ، ولا رجوتُ غيرك».

٦٨١١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩]:

هذا دليل على أن ليس للمطلقة قبل الدخول بها عِدَّة.

٦٨١٢ ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩]:

حسن الخلق عملة نادرة لا تظهر إلا وقت الخلاف. قال القشيري: «لا تذكروهن بعد الفراق إلا بخير، ولا تستردوا منهن شيئًا تخلَّفتم به معهن، فلا تجمعوا عليهن الفراق بالحال والإضرار من جهة المال».

٦٨١٣ حسن الأخلاق لا يظهر في موقف كما يظهر في الطلاق.

٦٨١٤ ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]:

قوله: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾ ذكره مفردًا، وقال: ﴿وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ﴾ فذكرهن جميعًا، وكذلك قال: وبنات خالك فردًا وبنات خالاتك جمعًا، فما الحكمة؟! قال ابن العربي: «والحكمة في ذلك أن العم والخال في الإطلاق اسم جنس كالشاعر والراجز، وليس كذلك في العمة والخالة، وهذا عُرْف لُغَوي».

٦٨١٥ ﴿ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٠]:

إشارة إلى أن إعطاء المهر كاملا للزوجة دون تأخير شيء منه، وهذا هو الأكمل والأفضل، وأن تأخير بعضه إنما هو أمر مُستَحْدَث.

٦٨١٦ ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]:

وأحللنا لك كذلك امرأة مؤمنة، إن ملَّكتك نفسها بدون مهر، إن أنتَ قبلت ذلك، وهذا الإحلال إنما هو خاص بك دون غيرك من المؤمنين؛ لأن المؤمنين لا تحل لهم من وهبت نفسها لواحد منهم إلا بولي ومهر.

٦٨١٧ رخصة لم يستفد منها رسول الله! أخرج الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له».

٦٨١٨ يشهد لهذا ما رواه الشيخان عن سهل بن سعد الساعدي، أن رسول الله ﷺ جاءته امرأة، فقالت: يا رسول الله، إنى قد وهبت نفسي لك، فقامت قيامًا طويلًا، فقام رجل فقال:

يا رسول الله، زوِّجنيها إن لم يكن لك بها حاجة، فقال رسول الله ﷺ: «**هل عندك من شيء تصدقها إياه؟**».

فقال: ما عندي إلا إزارى هذا، فقال ﷺ: «**إن أعطيتها إزارك جلست لا إزار لك، فالتمس شيئًا**».

فقال: لا أجد شيئًا، فقال: «**التمس ولو خاتمًا من حديد**»، فقام الرجل فلم يجد شيئًا، فقال له النبي ﷺ: «**هل معك من القرآن شيء؟!**»

قال نعم. سورة كذا وسور كذا- لسور يسميها- فقال له رسول الله ﷺ: «**زوَّجتُكها بما معك من القرآن**». سنن أبي داود رقم: ٢١١١

٦٨١٩ ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب:٥١]:

قال ابن حجر: «في تأويل ﴿تُرْجِي﴾ أقوال:

- أحدها: تطلِّق وتمسك.
- ثانيها: تعتزل من شئت منهن بغير طلاق، وتقسم لغيرها.
- ثالثها: تقبل من شئت من الواهبات، وترد من شئت.

واللفظ محتمل للأقوال الثلاثة.

وعن قتادة: أطلق له أن يقسم كيف شاء، فلم يقْسِم إلا بالسوية».

٦٨٢٠ عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول: أتهب المرأة نفسها؟! فلما أنزل الله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ﴾[الأحزاب:٥١]؛ قلت: ما أرى ربَّك إلا يُسارع في هواك». صحيح البخاري رقم: ٤٧٨٨.

قال ابن حجر: «أي ما أرى الله إلا موجدًا لما تريد بلا تأخير، منزلًا لما تحب وتختار. وقال القرطبي: هذا قول أبرزه الدلال والغيرة، وهو من نوع قولها: ما أحمدكما ولا أحمد إلا الله.

وإضافة الهوى إلى النبي ﷺ لا يُحمَل على ظاهره لأنه لا ينطق عن الهوى، ولا يفعل بالهوى، ولو قالت إلى مرضاتك لكان أليق، ولكن الغيرة يُغتَفر لأجلها إطلاق مثل ذلك»

٦٨٢١ ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ [الأحزاب:٥٢]:

اشتملت الآية على حكمين:

أحدهما: حرمة الزواج بغير التسع اللائي كن في عصمته عند نزولها (وهن: عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وصفية بنت حيي بن أخطب، وميمونة بنت الحارث، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحارث).

والثاني: حرمة تطليق واحدة منهن، للزواج بأخرى بدلها.

وهذا من باب تكريم أمهات المؤمنين بما اخترن الله ورسوله.

٦٨٢٢ ﴿فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ﴾ [الأحزاب٥٣]:

كن ضيفًا خفيفًا! ليس في بيت النبي ﷺ فحسب، بل وفي بيوت غيره، فمن تناول طعامًا عند من أضافه، فلينصرف بعدها تخفيفا على صاحب البيت وأهله.

٦٨٢٣ ﴿ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب٥٣]:

يقول صاحب الظلال: «فلا يقل أحد غير ما قال الله!

لا يقل أحد: إن الاختلاط وإزالة الحجب، والترخص في الحديث والمشاركة بين الجنسين أعوان على تصريف الغريزة المكبوتة..إلى آخر مقولات الضعاف المهازيل الجهال، لا يقل أحد هذا والله يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا

﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب٥٣] يقول هذا عن نساء النبي الطاهرات، وعن رجال الصدر الأول ممن لا تتطاول إليهن وإليهم الأعناق».

٦٨٢٤ ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٤]:

نقِّ قلبك من الضغائن والأحقاد والحسد والهمِّ بالسوء والآفات، فإن السِّر عند ربِّك علانية، والباطن ظاهر.

٦٨٢٥ ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ [الأحزاب:٥٥]:

قال القرطبي: «لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب لرسول الله ﷺ: ونحن أيضًا نكلمهن من وراء حجاب؟ فنزلت هذه الآية: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ﴾»، فالآية لبيان من لا يجب على النساء أن يحتجبن منه.

٦٨٢٦ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾[الأحزاب: ٥٦]:

شارِكْهُم نفس الصلاة، وأطلق لسانك، وثقِّل ميزانك، ورمِّم إيمانك.

٦٨٢٧ ﴿يُصَلُّونَ﴾ فعل مضارع يفيد الاستمرار وعدم التوقف، فلماذا توقفتم؟! صلوا عليه.

٦٨٢٨ قال الرازي: «إذا صلّى الله وملائكته عليه، فأي حاجة إلى صلاتنا؟

نقول: الصلاة عليه ليس لحاجته إليها، وإنما هو لإظهار تعظيمه، كما أن الله تعالى أوجب علينا ذكر نفسه، ولا حاجة له إليه، وإنما هو لإظهار تعظيمه منا، رحمة بنا، ليثيبنا عليه، ولهذا جاء في الحديث: «**من صلى عليّ مرة، صلى الله عليه بها عشرًا**».

٦٨٢٩ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب: ٥٦]:

في الحديث: «**من صلى علي من أمتي صلاة مخلصًا من قلبه؛ صلى الله عليه بها عشر صلوات، ورفعه بها عشر درجات، وكتب له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات**». صحيح الجامع رقم: ٣٣٦٠.

٦٨٣٠ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧]:

قال ابن جزي: «وليس معنى إذايته أنه يضره الأذى؛ لأنه تعالى لا يضره شيء ولا ينفعه شيء، وقيل:

إنها على حذف مضاف تقديره: يؤذون أولياء الله، والأول أرجح؛ لأنه ورد في الحديث يقول الله تعالى: «يشتمني ابن آدم وليس له أن يشتمني، ويُكذِّبني وليس له أن يكذِّبني، أما شتمه إياي فقوله: إن لي صاحبة وولدا، وأما تكذيبه إياي فقوله: لا يعيدني كما بدأني» وأما إذاية رسول الله ﷺ، فهي التعرض له بما يكره من الأقوال أو الأفعال».

٦٨٣١ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٥٨]:

في الحديث: «**من ضار أضر الله به، ومن شاق شق الله عليه**» صحيح الجامع رقم: ٦٣٧٢، وفي المقابل قال عمر بن عبدالعزيز: ما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة.

٦٨٣٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]:

هذه آية الحجاب، وأمر الله نبيه أن يبدأ بنسائه أولًا؛ لأن الآمر لغيره يجب أن يبدأ بنفسه.

٦٨٣٣ قال الرافعي عن الحجاب: «دجاجة القفص امرأة متحجِّبة في نظر الثعلب، وحجابها جهل وحماقة ورجعية وتخلف عن زمن الثعالب».

٦٨٣٤ وقال رحمه الله:

«لو كنتُ قاضيا، ورُفِع إليّ شاب يجرأ على امرأة فمسها، أو احتك بها، أو طاردها، أو أسمعها، وتحقَّق عندي أن المرأة كانت سافرة مدهونة مصقولة متعطرة متبرجة، لعاقبتُ هذه المرأة عُقوبتين؛ إحداهما بأنها اعْتدت على عفة الشاب، والثانية بأنها خرقاء، كشفت اللحم للهِرِّ».

١٣٥ الحجاب في القلب! هذه من شبهات رد الحجاب، وهي تهمل أن الغاية الأولى للحجاب: منع الرجل من الافتتان بالمرأة، وبالتالي فإن قول أن الحجاب في القلب، يغدو بلا معنى؛ لأنه يناقض وظيفة الحجاب في تغطية مفاتن المرأة، حتى لا يتسلل الشيطان إلى قلب الرجل، ويسوقه إلى الزنى وتوابعه.

١٣٦ العيب الذي يطال من ترتدي الحجاب وتأتي أبواب الفساد، هو نفس العيب الذي يطال المصلي الذي لا ينتهي عن كثير من أبواب الحرام! فلماذا يعايَر الحجاب إن وُجِدت (محجَّبة) تحتال على الشرع، ولا تُعايَر الصلاة إن وجد (مصلٍّ) يحتال على الشرع؟!

١٣٧ ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الأحزاب: ٦٠]:

قال الإمام القرطبي: «في الآية دليل على جواز ترك إنفاذ الوعيد، والدليل على ذلك بقاء المنافقين معه ﷺ حتى مات، والمعروف من أهل الفضل إتمام وعدهم وتأخير وعيدهم».

١٣٨ ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [الأحزاب: ٦٠]:

عاش المنافقون في عهد رسول الله ﷺ، ولم يؤمنوا به رغم سماعهم لكلامه، ومشاهدة معجزاته، فكيف نستبعِد انتشار المنافقين حولنا اليوم؟!

١٣٩ ﴿مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب:٦١]:

النفاق ومرض القلب والإرجاف في صف المؤمنين سبب اللعن والطرد من رحمة الله.

١٤٠ ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٦٢]:

السُّنة شرعية، وهي الأحكام التي فرضها الله، وهذه تتغير من أمة لأخرى.

وسنة كونية بعقوبة أعدائه، وهذه ثابتة لا تتبدل.

٦٨٤١ عقوبة الله لأعدائه واقعة لا محالة، لكنها تختلف في موعدها ونوعها.

٦٨٤٢ لا بد للمخالفين من عقوبة، دنيوية أو أخروية، وهذا من السنن الكونية.

٦٨٤٣ ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب:٦٣]:

عن أنس بن مالك: أن رجلًا سأل النبي ﷺ: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «**ما أعددت لها**» قال: ما أعددتُ لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله.

قال: «**أنت مع من أحببت**». صحيح البخاري رقم: ٦١٧١.

٦٨٤٤ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الأحزاب:٦٤]:

تلاحق اللعنة الكافرين في الدنيا وفي الآخرة، واللعنة طرد من رحمة الله في الدنيا بعدم التوفيق، وفي الآخرة بدخول النار.

٦٨٤٥ ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب:٦٥]:

آية من ثلاث آيات في القرآن، تثبت الخلود الأبدي للكفار في النار، وهي دليلٌ على بطلان من قال بفناء النار.

٦٨٤٦ ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب:٦٦]:

تقلِّب الملائكة وجوههم في النار ليكون عذابهم أشد إيلاما، فلو كان لفح النار مقتصرا على أحد جانبي الوجه، لكان للجانب الآخر بعض الراحة، لكن قضى الله ألا راحة في النار.

٦٨٤٧ قال ابن عاشور:

«وتخصيص الوجوه بالذكر من بين سائر الأعضاء لأن حرَّ النار يؤذي الوجوه أشد مما يؤذي بقية الجلد؛ لأن الوجوه مقر الحواس الرقيقة: العيون والأفواه والآذان والمنافس».

٦٨٤٨ ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧]:

النفس مجبولة على اتباع القوي.. الغني.. المشهور.. فإن كان صالحا، وإلا فالملتقى جهنم!

٦٨٤٩ التقليد الأعمى من أسباب العذاب، وقد عرف كثير منهم الحق، لكن وافقوا الرؤساء والزعماء والكبراء في الكفر به.

٦٨٥٠ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٦٨]:

يوم القيامة يطالبون لهم بمضاعفة العذاب، وبالأمس كانوا يستقبلونهم بالبِشْر والترحاب.. هذه لعنة من أطاع غيره في معصية الله.

٦٨٥١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ﴾ [الأحزاب:٦٩]:

نهانا الله أن نؤذي رسول الله كما آذى اليهود موسى، وإيذاء النبي بعصيان أمره وموالاة عدوه.

٦٨٥٢ ﴿ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ﴾ [الأحزاب:٦٩]:

الله يدافع عن أوليائه، فهنيئًا لمن سار على أنوار النبوة.

٦٨٥٣ ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب:٦٩]:

المهم: قدرك عند الله، لا قدرك عند الناس.

٦٨٥٤ أهم شيء: من أنت عند الله؟؟

٦٨٥٥ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]:

من طاب قوله حسن عمله.

٦٨٥٦ قال يونس بن عبيد: «ما من الناس أحد يكون لسانه منه على بال إلا رأيتَ صلاح ذلك في سائر عمله».

٦٨٥٧ ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ [الأحزاب:٧٢]:

الأمانة في حقيقتها هي تكاليف الدين كله كما قال القرطبي: «الأمانة تعمُّ جميع وظائف الدّين، ونُسِب هذا القول لجمهور المفسِّرين».

٦٨٥٨ ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ﴾ [الأحزاب:٧٢]:

بم يوحي تحمل الإنسان لهذه المسؤولية؟!

توحي بأن فيه طاقات كامنة أكبر مما تطيق السماوات والأرض والجبال! لو كان يعلمها!

٦٨٥٩ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢]:

من تعريفات الظلم: (وضعُ الشيء في غير مَوْضِعه)، والدرس البليغ: إنك إن لم تؤدِّ ما عليك بموجب ما منحك الله فسوف تكون ظالمًا، وإذا أنفقت ما أعطاك في غير موضعه كنتَ أظلم!

٦٨٦٠ ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٣]:

ومع أن السياق يقتضي أن يقول: لِيُعذِّب ويُثيب، لكن الله قال ﴿وَيَتُوبَ﴾، وهذا من رحمة الله ومعرفته بطبيعة البشر؛ لأن الله يعلم أن التقصير سِمَة العباد، فيفتح لهم أبواب التوبة على مصراعيه، وكأن الكل سيقصِّر لكن بدرجات متفاوتة.



سورة سبأ

٦٨٦١ ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [سبأ: ١]:

يظهر من حمد الله في الآخرة ما لا يظهر في الدنيا، بعد أن يرى كل الخلق كمال عدله وحكمته، فيحمدونه على ذلك.

٦٨٦٢ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [سبأ: ١]:

ما الفرق بين الحمدين؟!

قال الآلوسي: «والفرق بين الحمدين مع كون نعم الدنيا ونعم الآخرة بطريق التفضل، أن الأول على نهج العبادة، والثاني على وجه التلذذ والاغتباط، وقد ورد في الخبر أن أهل الجنة يُلهَمون التسبيح كما يُلهَمون النفس».

٦٨٦٣ ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ﴾ [سبأ: ٢]:

لو أن أهل الأرض جميعًا حاولوا إحصاء كل ﴿مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا﴾ ، ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ﴾ لما استطاعوا، لكن الله أحصاها.

٦٨٦٤ ربٌّ يعلم كل قطرة ماء تسقط من السماء أين تستقر، ويعلم كل نبتة خرجت في صحراء قاحلة، أفلا يعلم همَّك وشكواك، وتفاصيل بلواك؟!

٦٨٦٥ ﴿وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ: ٢]:

قال الحسن:

«الملائكة وأعمال العباد»، فانظر بِمَ تعرج الملائكة من عملك اليوم، واطرد عنك الكسل والنوم.

٦٨٦٦ ﴿مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [سبأ: ٢]:

يدخل فيها الموتى عند ولوجهم إلى القبور، وعند خروجهم منها.

٦٨٦٧ ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾[سبأ: ٢]:

يدخل في ذلك عروج الأرواح إلى السماء عند مفارقة الأجساد، ونزول الأرواح لتُرَدَّ إلى الأجساد يوم القيامة، فكان هذا خير ردٍّ على إنكار المشركين للحشر، وهو من أهم مقاصد السورة.

٦٨٦٨ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣]:

قال مقاتل: «قال أبو سفيان لكفار مكة: واللات والعزى لا تأتينا الساعة أبدا، ولا نُبعَث، فقال الله: ﴿قُلِ﴾ يا محمد: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾».

٦٨٦٩ ينتهز المؤمن أي فرصة لنشر فكرته وتبليغ رسالته، ولو كان ذلك من خلال اتهامات أعدائه.

٦٨٧٠ ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٣]:

قال مجاهد وقتادة: «﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾: لا يغيب عنه، أي الجميع مندرج تحت علمه، فلا يخفى عليه شيء، فالعظام وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت، فهو عالم أين ذهبت، وأين تفرقت، ثم يعيدها كما بدأها أول مرة، فإنه بكل شيء عليم».

٦٨٧١ ﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سبأ:٤]:

جزاء معجَّل في الدنيا بانشراح الصدر والمزيد من أعمال الخير، وجزاء مؤجَّل إلى الآخرة بالمغفرة والجنة.

٦٨٧٢ ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [سبأ:٥]:

استعمال المجرمين لأسلوب تعجيز المصلحين منهج قديم، ويشمل السعي والتفنن بطلب أمور تعجيزية ليست في مقدور البشر، بغرض الإفحام وإظهار العجز، كما طلبوا من النبي ﷺ أن يبعث الموتى.

٦٨٧٣ ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ﴾ [سبأ: ٦]:

وعبَّر الله بكلمة يرى بدلًا من يعلم للإشارة للعلم اليقيني لا الظني، فكأنهم يرونه بأعينهم.

٦٨٧٤ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ [سبأ:٧]:

حين يجعل السفهاء من سيد الخلق مادة للتندر والسخرية والاستهزاء، ويطلقون عليه استخفافًا وتجاهلًا: ﴿رَجُلٞ﴾ وكأنه مجهول وليس علَمًا مؤيَّدًا بوحي السماء، فلا تتعجبوا مما تواجهون اليوم يا ورثة الأنبياء.

٦٨٧٥ ﴿ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [سبأ:٨]:

إياك والكذب!

أفاد الإمام الرازي بأن الكافر لا يرضى بأن يظهر كذبه؛ ولذا لم يجزموا بأن النبي ﷺ مفترٍ، بل تساءلوا: هل هو مفترٍ أم مجنون؟ ليدفعوا عن أنفسهم الكذب بهذا الظن، فاحترزوا بذلك عن افتضاح كذبهم، فكل عاقل ينبغي أن يحترز عن ظهور كذبه عند الناس، ولا ينبغي للعاقل أن يكون أدنى درجة من الكافر.

٦٨٧٦ ﴿ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [سبأ:٨]:

إن كان القرآن مفترى، فأتوا بمثل هذا الافتراء، بسورة من مثله، بل بآية واحدة، ولن تقدروا.

٦٨٧٧ ﴿أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [سبأ: ٩]:

يحتمل أن يكون المراد بالرؤية: المكان أو الزمان.

أما المكان، أي ما حولهم من الأماكن التي خسف الله بأهلها.

وأما الزمان، فيكون المراد بما بين أيديهم أي المستقبل، وما خلفهم أي ما مضى من الأمم، فهل أهلكنا منهم إلا من كذَّب بآياتنا؟

٦٨٧٨ من مقاصد السورة الرد على إنكار البعث.

قال ابن كثير: «من قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها، وهذه الأرضين في انخفاضها، وأطوالها وأعراضها، إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام».

٦٨٧٩ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سبأ:٩]:

شرط الانتفاع بالآيات وجود نية التوبة والرجوع إلى رب الأرض والسماوات.

٦٨٨٠ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [سبأ: ١٠]:

قال ابن عاشور: «وتنكير ﴿فَضْلًا﴾ لتعظيمه، وهو فضل النبوة، وفضل الملك، وفضل العناية بإصلاح الأمة، وفضل القضاء بالعدل، وفضل الشجاعة في الحرب، وفضل سعة النعمة عليه، وفضل إغنائه عن الناس بما ألهمه من صنع دروع الحديد، وفضل إيتائه الزبور، وإيتائه حسن الصوت، وطول العمر في الصلاح، وغير ذلك».

٦٨٨١ ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]:

الجماد يسمع كلام الله ويطيعه، لكن بعض البشر لا يفعلون!

٦٨٨٢ ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ:١١]:

اصنع دروعًا سابغات، وأتقن صناعة هذه الدروع، وهنا درسان لكلٍّ منا: أكمِل كل عمل بدأته، واحرص على إتقان عملك.

٦٨٨٣ ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ:١١]:

قال ابن القيم في الفوائد: «هان سهر الحُرّاس لما علموا أن أصواتهم بسَمْعِ الملك».

٦٨٨٤ ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ:١٢]:

الجن مكلفون تمامًا مثل الإنس، ومؤمنهم يدخل الجنة، وكافرهم في النار.

٦٨٨٥ ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣]:

كيف أشكره؟! الشكر ثلاثة أركان: بالجوارح باستعمالها في مرضاة الله، واللسان بالشكر والحمد، والقلب بالمحبة والامتنان. قال الشاعر:

أفادتْكُمُ النَّعْماءُ مِنِّي ثلاثةً يدي ولساني والضَّميرَ المُحَجَّبا

٦٨٨٦ روي أن داود عليه السلام قال:

يا رب.. كيف أطيق شكرك على نعمك، وإلهامي وقدرتي على شكرك نعمة لك، فقال: يا داود.. الآن عرفتني.

٦٨٨٧ ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ﴾ [سبأ:١٤]:

ساعة موتك معروفة قبل ميلادك بآلاف السنين، والمنتظر منك أن تعمل لها استعدادا لما ينتظرك بعد الموت.

٦٨٨٨ ﴿مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ﴾ [سبأ:١٤]:

دابة دلَّت على موت سليمان، وغراب علَّم ابن آدم كيف يدفن أخاه، وهدهد كان سبب إسلام أمة كاملة، فلا تحتقر نفسك، ولا تستقل جهدك.

٦٨٨٩ ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ﴾ [سبأ:١٤]:

لا أحد من الخلق يعلم الغيب، لا من الجن ولا من الإنس.

٦٨٩٠ ﴿بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ﴾ [سبأ:١٥]:

مهما حاولت أن تشكر نعمة الله عليك، فسوف يلاحقك التقصير؛ لذا كنت أحوج ما تكون إلى مغفرته سبحانه.

٦٨٩١ ﴿فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ﴾ [سبأ:١٦]:

يذنبون ولا يتوبون، ثم يردِّدون: الدنيا تغيرت، وهذا صحيح؛ لأن طاعتكم تبدَّلت!

٦٨٩٢ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ [سبأ:١٦]:

المطر خير، لكن الله قادر على أن يقلبه في لحظة واحدة إلى عذاب.

٦٨٩٣ ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ:١٧]:

لا بلاء إلا بذنب، وما من ذنب إلا وله عقوبة.

٦٨٩٤ يُقَال في العقوبة: يجازي، وفي المثوبة: يجزي، فتقول للكافر: جازاك الله بما فعلت، وتقول للمؤمن: جزاك الله خيرا.

٦٨٩٥ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ [سبأ:١٨]:

مما امتن به على سبأ أن جعل بينها ﴿وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ كمكة وبيت المقدس ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ أي: متقاربة متواصلة، بحيث يرى من في إحداها القرية التي تليها.

٦٨٩٦ ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَۖ﴾ [سبأ:١٨]:

ليس من القَدَر، ولكن من التقدير، أي وجعلنا زمن السير من قرية إلى أخرى مقدَّرا محددا، بحيث لا يتجاوز مدة معينة، قد تكون نصف يوم أو أقل.

٦٨٩٧ ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾ [سبأ:١٩]:

قال صاحب الكشاف:

«بطروا النعمة، وبشموا - أي: سئموا - من طيب العيش، وملوا العافية، فطلبوا النكد والتعب، كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم، مكان المنِّ والسلوى».

٦٨٩٨ إياكم أن تدعوا على أنفسكم ولا على أبنائكم، فيوافق ذلك ساعة إجابة.

٦٨٩٩ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ:١٩]:

لماذا لم يأتِ بين (صبار) و(شكور) بواو العطف؟!

قيل: لأن الصبر هو عين الشكر، فالثناء بالأفعال يسمى شكرًا، ومن الثناء

بالأفعال: الصبر، ولقد وصف الله نوحا بالشكر، فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ؛ لأنه صبر على دعوة قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، فاستحق أن ينال لقب (الشكور).

٦٤٠٠ ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠]:

لما توعد إبليس بني آدم بالغواية، لم يكن متيقنًا أنه يقدر على ذلك، وإنما قال ذلك ظنا، فلما اتبعوه صدَقَ عليهم ظنُّه فيهم. قال الحسن: إنه لم يسُلّ عليهم سيفا، ولا ضربهم بسوط، وإنما وعدهم ومنّاهم فاغتروا.

٦٤٠١ ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ [سبأ:٢١]:

علم الله علمان:

علم يعلم به الأمور قبل أن تقع، وهذا لا يترتب عليه الثواب والعقاب، وعلم الشهادة أو علم الظهور، ولا يقع إلا بعد اختبار العباد، وظهور طاعتهم أو معصيتهم، وهو الذي تقع به الحجة على العباد، ويوجِب الثواب والعقاب.

٦٤٠٢ ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ:٢١]:

معرفة أسماء الله تعصمك من الخطأ، فمن علم أن الله حفيظ على كل شيء أي يعلم كل شيء مهما خفي أو دقَّ، خاف ولم يخالف أمر ربه.

٦٤٠٣ ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ:٢٢]:

فيه استحباب تحدي ومناظرة أهل الباطل، وهذا يستدعي من أهل الحق أن يكونوا أصحاب علم وحجة، وإلا انهزم صاحب الحق ضعيف الحجة أمام صاحب الحق قوي الحجة.

٦٩٠٤ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ [سبأ:٢٣]:
هؤلاء الملائكة، وهذا يكون عند الوحي الإلهي إلى جبريل عليه السلام، فإن الملائكة إذا سمعوا الوحي إلى جبريل فزعوا فزعًا عظيمًا، فإذا زال الفزع قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟! فيقولون: قال الحق.

٦٩٠٥ ومتى هذا؟! في كل وقت يقضي الله به أمرًا كما في سنن الترمذي من حديث أبي هريرة وهو صحيح، قال: «**إذا قضى الله في السماء أمرًا**».

٦٩٠٦ ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ:٢٤]:
يساوي النبي ﷺ بين نفسه وبينهم في احتمالات الهداية والضلال.. تعلموا أدب الحوار وفن الدعوة وكيفية اكتساب القلوب.

٦٩٠٧ قال الزركشي: «هنا نكتة هو أنه خولف في هذا الخطاب بين (على) و(في) بدخول (على) على الحق، و(في) على الباطل؛ لأن صاحب الحق كأنه على فرس جواد يركض به حيث أراد، وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام لا يدري أين يتوجه».

٦٩٠٨ ﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [سبأ:٢٥]
ما هذا اللطف في الدعوة؟! من الذي أجرم؟! إنهم المشركون، لكن النبي ﷺ ينسب هذا لنفسه تلطفًا وتوددًا!

٦٩٠٩ ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سبأ:٢٦]:
بعد النصح اللطيف تعنيف!
قال أبو حيان: «وهذا فيه تهديد وتوبيخ، تقول لمن نصحته وخوفته فلم يقبل: سترى سوء عاقبة الأمر».

٦٩١٠ الفتاح إمَّا مبالغة تكثير، أو مبالغة نوع.
فهو يفتح الأبواب المغلقة الكثيرة كمًّا، وكذلك يفتح مغاليق أصعب الشدائد نوعًا.
لكنه هنا بمعنى القاضي والحاكم بين العباد.

٦٩١١ ﴿قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ [سبأ:٢٧]:

ليس من الرؤية وهي المشاهدة، بل هو تبكيت لهم وتوبيخ، والمعنى: أن الذين هم شركاء الله على زعمكم، إن أريتموهم افتضحتم؛ لأنهم خشب وحجر وجماد، كما تقول للرجل خسيس الأصل: اذكر لي أباك الذي قارنت به فلانا الشريف، ولا تريد حقيقة الذِّكر، وإنما أردت تبكيته، وأنه إن ذكر أباه افتضح.

٦٩١٢ ﴿بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [سبأ:٢٧]:

الله لا يُغلَب، ومن استعان به وتوكَّل عليه لم يُغلَب، وما غُلِب المسلمون اليوم إلا لأنهم استعانوا بغيره يبتغون عندهم العزة، فأذلَّهم الله.

٦٩١٣ ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ [سبأ:٢٧]:

قال ابن القيم:

«(الحكيم) الذي إذا أمَر بأمرٍ كان المأمور به حسنًا في نفسه، وإذا نهى عن شيء كان المنهي عنه قبيحًا في نفسه، وإذا أخبر بخبر كان صدقًا، وإذا فعل فعلًا كان صوابًا، وإذا أراد شيئًا كان أوْلى بالإرادة من غيره.

وهذا الوصف على الكمال: لا يكون إلا لله وحده»

٦٩١٤ ﴿بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [سبأ:٣٧]:

سبب تقديم اسم الله (العزيز) على (الحكيم) أن العِزَّة هي كمال القدرة، والحكمة هي كمال العلم، وتقدَّم وصف القدرة؛ لأنها الأقرب إلى ما يشاهده الناس؛ وأما الحكمة فمتعلِّقة بالنظر والتفكر في الأغلب، وجاءت متأخرة لأنه لا يشاهدها كل الناس، بل أصحاب الفكر والاعتبار.

٦٩١٥ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ:٢٨]:

لا تَنْسوا مهمتكم يا أتباع النبي! وظيفة المرسلين، ومن ورائهم كل الدعاة المخلصين: التبشير والإنذار، والترغيب والترهيب، والتذكير بنعيم الجنة وعذاب النار.

٦٩١٦ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ:٢٨]:

ليس شرطًا أن تكون الأغلبية على صواب، بل العكس هو الصحيح، فلا تنجرف مع التيار إلا بعد التفكر والاعتبار، فقد يكون أهله يسوقونك نحو النار.

٦٩١٧ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [سبأ:٢٩]:

قال قتادة:

«قال أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم: إن لنا يومًا نوشك أن نستريح فيه ونتنعم فيه. قال: المشركون: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾، أي تكذيبا».

٦٩١٨ **استعجال العذاب صفة المجرمين!**

لكثرة ما كانوا يقولون هذا ويردِّدونه: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾، كرّره الله في كتابه خبرًا عنهم ٦ مرات!

٦٩١٩ ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [سبأ:٣٠]:

هذا الميعاد قادم إما بالموت أو بيوم القيامة، وكل من مات فقد قامت قيامته.

٦٩٢٠ من دقة التقدير الإلهي وعظمة الحُكْم الرباني، أن كل شيء تم تقديره قبل خلق السماوات والأرض، وله ميعاد محدد، لا يتقدم عنه لحظة لحدوث طارئ أو خلل، ولا يتأخر عنه لأي سبب، وليس ذلك في مقدور أحد من البشر.

٦٩٢١ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سبأ:٣١]:

التعبير عن الكافرين بالظالمين؛ لأن الكفر أبشع الظلم، وهو ظلم العبد نفسَه.

٦٩٢٢ ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [سبأ:٣١]:

ولم يقل بصيغة الإضمار: (ولو تراهم موقوفون)، وفائدة الإظهار بدل الإضمار: إفادة عموم الظالمين والكافرين، وأنهم داخلون جميعًا في هذا

الوقوف غدًا، فلا تُحمَل الآية على حال خاصة أو أفراد بعينهم، بل هي عامة ليتعظ بها الجميع.

﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ [سبأ:٣١]:

تلاوم أهل النار من أعظم ما يضاعف آلام المعذَّبين من الكبراء والمستضعفين.

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ:٣١]:

يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا: أنتم أضللتمونا، وينكر الذين استكبروا قائلين: بل أنتم اتبعتمونا، وهذا هو حال الأخلاء في الفساد والإفساد يوم القيامة: ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ [سبأ:٣٢]:

كلاهما مجرم، لكن المستكبرين أعظم إجرامًا، لكنها زفرات اليائسين، يظنون الشكوى مما يرفع العذاب عنهم أو يخففه إلى حين، وهيهات.

﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ﴾ [سبأ:٣٣]:

أسرَّ من من ألفاظ الأضداد، فيكون معناها الجهر ويكون معناها السر، أي: جهروا بالندامة، فأخذ بعضهم يوبخ بعضًا، وكفر الأتباع بالزعامات والسيادات وتبرأ الكبراء من الصغراء، ولن يفيدهم ذلك هيهات!

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [سبأ:٣٤]:

قال ابن كثير: «عن أبي رزين قال: كان رجلان شريكان خرج أحدهما إلى الساحل وبقي الآخر، فلما بعث النبي ﷺ كتب إلى صاحبه يسأله ما فعل، فكتب إليه أنه لم يتبعه أحد من قريش، إنما اتبعه أراذل الناس ومساكينهم،

قال: فترك تجارته ثم أتى صاحبه، فقال: دلني عليه، قال: وكان يقرأ الكتب أو بعض الكتب، قال فأتى النبي ﷺ، فقال: إلام تدعو؟ قال: «**أدعوا إلى كذا وكذا**» قال: أشهد أنك رسول الله. قال رسول الله ﷺ: «**وما علمك بذلك؟**» قال: إنه لم يُبعَث نبي إلا اتبعه أراذل الناس ومساكينهم، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ ، فأرسل إليه النبي ﷺ: «**إن الله عز وجل قد أنزل تصديق ما قلت**».

٦٤٢٨ ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:٣٥]:

يا مساكين!

ليس المال والأموال علامة حب الله للعبد ورضاه عنه، كثيرًا ما يكونان من أسباب الاستدراج إلى مصارع العباد.

٦٤٢٩ ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ:٣٦]:

يوسِّع الله الرزق امتحانًا، ويضيِّقه ابتلاء، ولكن أكثر الناس يظنون الأمر خبط عشواء.

٦٤٣٠ ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سبأ:٣٦]:

أي لحكمة بالغة، فيوسِّع الرزق لحكمة، ويضيِّقه لحكمة، والمؤمن موقن بحكمة الله مُسلِّم لها وإن لم تظهر له، والكافر والمنافق جاهلان، فيسخطان.

٦٤٣١ ما اتسع رزق ولا ضاق إلا بإذن الرزاق.

٦٤٣٢ ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ [سبأ:٣٧]:

ليست الزُّلفى عند الله بالمال والأولاد، ولكن بالأعمال الصالحة والأرواح الصافية والنفوس الزاكية والعيون الباكية.

٦٤٣٣ قال الزمخشري:

«والمعنى: أن الأموال لا تقرِّب أحدًا إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله، والأولاد لا تقرِّب أحدًا إلا من علَّمَهم الخير، وفقَّهم في الدين، ورشَّحهم للصلاح والطاعة».

٦٤٣٤ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ [سبأ:٣٧]:

الباء في: ﴿بِمَا عَمِلُواْ﴾ هي باء السببية، وليست باء العوض، فجعل الله العمل سبب دخول الجنة، ولم يجعل الجنة عوضًا على العمل.

٦٤٣٥ ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧]:

أحلى ما في نعيم الجنة أنه أبدي، فأهل الجنة آمنون من انقطاعه أو نقصانه أو تغيره، بل نعيمهم يزيد حلاوة وجمالًا يومًا بعد يوم.

٦٤٣٦ ﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [سبأ:٣٨]:

سيظل الدين مهاجَمًا من أناس سخَّروا أموالهم وطاقاتهم وأوقاتهم لإبطال آياته بكل تصميم، فلا تتعجَّبوا.

٦٤٣٧ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [سبأ:٣٩]:

قال ابن جزي: «إخبار يتضمن الردَّ عليهم، بأن بسط الرزق وقبضه في الدنيا معلَّق بمشيئة الله، فقد يوسع الله على الكافر وعلى العاصي، ويضيِّق على المؤمن والمطيع، وبالعكس، فليس في ذلك دليل على أمر الآخرة».

٦٤٣٨ ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ:٣٩]:

قال ابن كثير: « يخلفه عليكم بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب».

٦٤٣٩ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾[سبأ:٤٠]:

اذكر يوم الرحيل!

جلس معروف الكرخي في مجلس، فاغتاب رجل منهم رجلًا، فقال معروف: يا هذا.. اذكر يوم يوضع القطن على عينيك!

٦٩٤٠ ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ:٤٠]:

هذا الكلام خطاب للملائكة التي عُبِدت من دون الله، وتقريع للكفار الذين عبدوها، وذلك على المثل السائر: (إياك أعني واسمعي يا جارة).

٦٩٤١ ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ [سبأ:٤١]:

تعلم من الملائكة أن تسبِّح الله وتنزِّهه إذا سمعت ما لا يليق به.

٦٩٤٢ ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ:٤١]:

عبادة الجن ليس بالركوع لها والسجود، بل بطاعة أوامرها.

٦٩٤٣ ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [سبأ:٤٢]:

كل من علَّق قلبه بغير الله جعله الله سبب خذلانه في الدنيا والآخرة.

٦٩٤٤ لم يكونوا يملكون لهم شيئًا في الدنيا، لكنهم كانوا مخدوعين، وأما اليوم فانكشف الخداع وسقط القناع.

٦٩٤٥ ﴿قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ [سبأ:٤٣]:

إلهاب القلوب وإيغار الصدور بالحمية والعصبية للجماعة أو العائلة أو الأرض كثيرًا ما يكون سببًا في الإعراض عن الهدى، والإغراق في الضلال.

٦٩٤٦ ﴿وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ﴾ [سبأ:٤٣]:

المنطق المتهافِت لأهل الباطل! اتهموا النبي ﷺ بأنه افترى القرآن على الله، فناقضوا بذلك أنفسهم، فقد كانوا يلقبونه بالصادق الأمين، فماذا تغيَّر؟!

٦٩٤٧ ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ:٤٤]:

لم يرسل الله إلى العرب كتابا قبل القرآن، ولا رسولا قبل محمد ﷺ، فمن أين جاؤوا بهذا الدين المزيف؟ بل وتمسكوا به إلى الدرجة التي يتهمون بها الرسول الحق بأنه مفترٍ!

٦٩٤٨ ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ [سبأ:٤٥]:

لو أن كل طاغية رأى كم أهلك الله من قبله من هو أشد منه قوة وأكثر أموالا وأعوانًا، لردَّه ذلك عن ظلمه، لكن الظالمين عميان.

٦٩٤٩ ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [سبأ:٤٥]:

استفهام قُصِد به التهويل والترهيب، ويعني: انظر كيف كان إنكاري عليهم؟ كان بإهلاكهم من جراء تكذيبهم، وهذا فعله سبحانه مع غيرهم إن هم سلكوا طريقهم.

٦٩٥٠ ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ﴾ [سبأ:٤٦]:

قال ابن عباس: «هي لا إله إلا اللَّه»

إيجاز البلاغ في كلمة واحدة أحيانًا يكون أبلغ في البيان، وأقرب إلى حصول المراد، ومن الأساليب المتنوعة للدعوة..

٦٩٥١ ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ [سبأ:٤٦]:

أول المنازل اليقظة!

قال صاحب المنازل ما ملخصه: هي القومة لله المذكورة في قوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ [سبأ: ٤٦]، والقومة لله هي اليقظة من سِنة الغفلة، والنهوض عن ورطة الفترة، وهي على ثلاثة أشياء:

- ملاحظة القلب للنعمة، مع اليأس من عدِّها، والوقوف على حدِّها.
- والتفرغ إلى معرفة منة الله عليه بها من غير استحقاق ولا دفع ثمنها.
- والعلم بالتقصير في حقها والقيام بشكرها.

٦٩٥٢ ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ [سبأ:٤٦]:

الحق قد تصل إليه وحدك أو بمعونة غيرك! وإن بَحْث مثل هذا الأمر المهم يحتاج إلى فردَيْن يتبادلان النظر والدليل ويتقصيَّان المسألة، وسيقنع أحدهما الآخر بالحجة والمنطق، وسيصلان إلى الحق المنشود، أو يصل إليه فرد واحد عاقل بنفسه إن كان متجرِّدًا للحق.

٦٩٥٣ الطريق إلى الحقيقة لا تكون بالمجادلة أمام الجماهير، وإنما بتأمل الإنسان مع نفسه، أو مع مثله، فأمام الجماعة تتحرك في النفس رغبات العُلُو والانتصار مع الانفعال مما يحول دون الوصول إلى الحق.

٦٩٥٤ **فضل الصحبة!** قدَّم الاثنين في القيام على المنفرد؛ لأن تفكير الاثنين في الأمور بإخلاص واجتهاد، أجدى في الوصول إلى الحق من تفكير الشخص الواحد.

٦٩٥٥ ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ [سبأ:٤٦]:

ساعة من ساعات التفكر النافع قد تكون أفضل من ساعات من عبادات أخرى كثيرة.

٦٩٥٦ ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ:٤٦]:

أفادت: ﴿بِصَاحِبِكُم﴾ فائدتين:

الأولى: زيادة التشنيع عليهم في أنهم يصفون صاحبهم الذي يعرفونه جيدا بهذا الوصف.

الثانية: أنه كان الأَوْلى بهم أن يكونوا أول الناس تصديقًا بصاحبهم، وأولهم إعانة له.

٦٩٥٧ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ:٤٦]:

خرج رسول الله ﷺ يومًا حتى أتى الصفا، فصعد عليها ثم نادى:

«**يا بني فهر! يا بني عدي! يا بني عبد مناف! يا بني عبد المطلب! أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيَّ؟** قالوا: ما جرَّبنا عليك إلا صدقًا قال: **فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**». صحيح الجامع رقم: ٧٩٠٢.

٦٩٥٨ ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سبأ:٤٧]:

فيه التلطف في الدعوة، ومجاراة الخصم في زعمه الباطل، والتنزل إلى ما افترضه من سؤال الأجر، وهذا كله من وسائل الإقناع والبيان.

٦٩٥٩ ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [سبأ:٤٧]:

الأجر على قدر المشقة، فكلما أوذيت في سبيل الله أكثر، كانت مكافأتك عنده أعظم وأكبر.

٦٩٦٠ إن كان أجرك كاملًا على الله، فهل يضرك في شيء إن لم تجد ثناء أو عطاء من الناس؟!

٦٩٦١ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ﴾ [سبأ:٤٧]:

استشهد الله على من عاداك وآذاك، والله سيفصل بينكم، فهو خير الحاكمين كما أنه خير الشاهدين.

٦٩٦٢ ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [سبأ:٤٨]:

الحق – لقوة منْطِقه – قذيفة تطيح بالباطل، وصاحب الحق اختصَّه الله بهذا الشَّرَف.

٦٩٦٣ ﴿قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ:٤٩]:

إذا نزل الحق الساحة، لم يبقَ للباطل مقالة ولا رئاسة ولا مكانة، لا ابتداء ولا إعادة.

٦٩٦٤ الإبداء: فعل الأمر ابتداء، والإعادة: فعله مرة أخرى، ولا يخلو الحي منهما، فعدمهما كناية عن هلاك الباطل، كما يقال: فلان لا يأكل ولا يشرب، كناية عن هلاكه.

٦٩٦٥ ﴿وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ﴾ [سبأ:٥٠]:

حتى اهتداء النبي بفضل ربه، فكيف يفتخِر أحد بهدايته، وينسبها لفضله؟!

٦٩٦٦ سبب هدايتك هو اتباع الوحي، وتستطيع قياس مقدار هدايتك بحسب ما اتبعت من وحي ربِّك.

﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ:٥٠]:

سميعٌ لمن دعاه، وقريبٌ ممن ناجاه، ولا يخيِّب من رجاه، فكيف يتأخر عنه مولاه.؟

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ:٥١]:

وهذا الفزع للكافرين يكون عند خروجهم من قبورهم للبعث والحساب، أو عند قبض أرواحهم، وقوله: ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ أى: فلا مهرب لهم ولا نجاة.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [سبأ:٥٢]:

أنى لهم تناول الإيمان وتعاطيه، وقد صاروا في مكان بعيد عن الدنيا، فبالموت انتهى كل شيء، ورأوا ما كانوا يكفرون به رأي العين، فلم يعد هناك فرصة للإيمان، هيهات هيهات.

﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [سبأ:٥٣]:

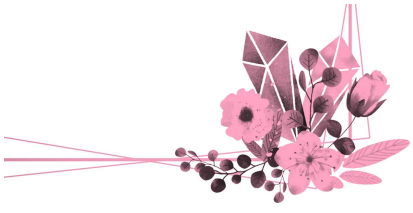
لا ينفعهم إيمانهم بعد موتهم، وسبب كفرهم: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ عكس ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ ، والقذف بالغيب، معناه أن يقول العبد ما لا يعلمه.

﴿مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [سبأ:٥٣]::

تشير إلى أنهم لم يحاولوا الاقتراب من الحق ليتعرفوا عليه ويهتدوا به، وهذا دليل سفاهة آرائهم وخلل عقولهم.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ:٥٤]:

إذا تحسَّرتَ يومًا على أرباح ضائعة أو تجارة خاسرة؛ فاذكر أشد الحسرات: حسرة أهل النار على ما فات من حسنات، وضاع من فرص النجاة، ثم اغتنم ما فات!



سورة فاطـر

٦٩٧٣ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر:١]:

كل الملائكة لها أجنحة، اثنان أو ثلاثة أو أربعة أو ما يزيد، فجبريل مثلا له ستمائة جناح.

٦٩٧٤ ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فاطر:١]:

قال صاحب الكشاف: «والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق: من طول قامة، واعتدال صورة، وتمام الأعضاء، وقوة في البطش، وحصافة في العقل، وجزالة في الرأى، وجرأة في القلب، وسماحة في النفس، وذلاقة في اللسان، ولباقة في التكلم، وحسن تأنٍّ في مزاولة الأمور، وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف».

٦٩٧٥ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر:١]:

يزيد في الخلق ما يشاء، ومن ذلك زيادة خلق الملائكة، بزيادة الأجنحة؛ لأنه على كل شيء قدير.

٦٩٧٦ ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر:٢]:

لو هَرَبْتَ من هذه الرحمة إلى جو السماء أو باطن الأرض لأدركتك!

٦٩٧٧ من الأذكار المأثورة التي نقولها بعد كل صلاة مفروضة: «**اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**».

٦٩٧٨ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [فاطر:٣]:

قال القشيري: «من ذكَر النّعمة فصاحب عبادة، ونائل زيادة.

ومن ذكَر المنعم فصاحب إرادة، ونائل زيادة.

ولكن فرق بين زيادة وزيادة.

ذلك زيادته في الدارين: عطاؤه.

وهذا زيادته: لقاؤه، اليوم سرًّا بسرٍّ من حيث المشاهدة، وغدا جهرًا بجهر من حيث المعاينة».

٦٩٧٩ ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [فاطر:٣]:

نعم الله على كثرتها تنحصر في قسمين: نعمة الإيجاد، ونعمة الإبقاء.

وقوله: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى نعمة الإيجاد في الابتداء.

وقوله: ﴿يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ إشارة إلى نعمة الإبقاء عن طريق الرزق حتى الموت وهو الانتهاء.

٦٩٨٠ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [فاطر:٣]:

من الأَفْك بمعنى الصَّرف عن الحق، أو الإفك بمعنى الكذب بمعنى التكذيب بتوحيد الله بعد أن أقررتم بأنه خلقكم ورزقكم.

٦٩٨١ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ﴾ [فاطر:٤]:

عموم البلاء فيه تسلية لسيد الأنبياء ومن تبعه من المصلحين والأتقياء.

٦٩٨٢ جاء لفظ ﴿رُسُلٞ﴾ [فاطر:٤] بصيغة التنكير، للإشعار بكثرة عددهم، دلالة على أنها سُنة جارية.

٦٩٨٣ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [فاطر:٥]:

الناس ثلاثة أقسام:

قسم قليل العقل سخيف الرأي، يغتر بالدنيا، فيقصِّر في عمل الآخرة.

وقسم ثانٍ يوسوس له شيطان الإنس أو شيطان الجن، فيزيِّن له الدنيا، فيُغَرّون بها على حساب الآخرة.

والقسم الثالث: لا يغترون بالدنيا، ولا يُغَرّون بمن يزيِّن في عيونهم الدنيا، جعلنا الله وإياكم منهم.

٦٩٨٤ ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦]:

التنبيه الإلهي على الخطر قبل وقوعه يُربِّي في النفس المناعة المطلوبة، ويحصِّنها ضد الأمراض لتأخذ نصيبها من المناعة اللازمة.

٦٩٨٥ ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦]:

فلا يحفِّز النفس على بذل غاية الجهد مثل الإحساس بالعداوة والصراع، ولا يستخرج منها أقصى ما تستطيع مثل الحرب، فهي آية تأمرنا برد العداوة بمثلها، وابتداء العدو بالهجوم قبل أن يفترسنا.

٦٩٨٦ مرٌ مُخِيف أنْ نتعامَل مع عدوٍّ يكِنُّ لنا أقصى مشاعر الحقد والعداوة والبغضاء، ولا يرضى لنا بأقل من النار؛ يَرانا ولا نَراه، نغفل عنه ولا يغفل عنَّا، ما هذا الطيش!

٦٩٨٧ قال ابن القيم: «والأمر باتخاذه عدوًا تنبيه على استفراغ الوسع في محاربته ومجاهدته كأنه عدو لا يفتر [ولا يَقْصُر] عن محاربة العبد على عدد الأنفاس».

٦٩٨٨ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [فاطر: ٧]:

قال ثابت البناني: «بلغني أنه ما من قوم جلسوا مجلسا، فيقومون قبل أن يسألوا الله الجنة، ويتعوذوا بالله من النار إلا قالت الملائكة: المساكين.. أغفلوا العظيمتين».

٦٩٨٩ ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر:٨]:

كان من دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «اللّهم أرنا الحق حقًّا فنتبعه، والباطل باطلًا فنجتنبه، ولا تجعل ذلك علينا متشابهًا فنتبع الهوى».

٦٩٩٠ ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [فاطر:٩]:

لماذا ﴿فَتُثِيرُ﴾ بصيغة المضارع، بينما ﴿فَسُقْنَٰهُ﴾ ﴿فَأَحْيَيْنَا﴾ بصيغة الماضي؟!

والجواب: كي تستحضر دائمًا هذه الصورة البديعة للسحاب المثار الدالة على قدرة الله، بينما جاءت: ﴿فَسُقْنَٰهُ﴾ ﴿فَأَحْيَيْنَا﴾ بالفعل الماضي مع نون العظمة، للدلالة على قدرة الله البالغة ورحمته الواسعة بعباده.

٦٤٤١ ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر:٩]:

قال الإمام الرازي: «فإن قيل ما وجه التشبيه بقوله: كَذلِكَ النُّشُور؟ فالجواب من وجوه:

أحدها: أن الأرض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها، كذلك الأعضاء تقبل الحياة.

ثانيها: كما أن الريح يجمع القطع السحابية، كذلك يجمع - سبحانه - بين أجزاء الأعضاء..

ثالثها: كما أنا نسوق الريح والسحاب إلى البلد الميت، كذلك نسوق الروح والحياة إلى البدن الميت».

٦٤٤٢ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]:

قال الحسن البصري: «العمل الصالح يرفع الكلام الطَّيِّب إلى الله تعالى، ويُعرَض القول على العمل، فإن وافقه رُفِعَ وإلا رُدَّ».

٦٤٤٣ قال وهب بن مُنبِّه: «مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر»، وعنه قال: العمل الصالح يبلِّغ الدعاء. ثم تلا هذه الآية: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾.

٦٤٤٤ ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر:١١]:

قال الزمخشري: «يعلم عدد أيام الحمل وساعاته، ويعلم أحواله من الخِداج (النقصان) والتمام، والذكورة والأنوثة، والحُسْن والقُبْح، وغير ذلك».

٦٤٤٥ ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ [فاطر:١١]:

ماذا الذي يزيد في العمر؟! قال رسول الله ﷺ: «**صلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمرن الديار، ويزدن في الأعمار**». صحيح الجامع رقم: ٣٧٦٧.

٦٩٩٦ عن كعب أنه قال حين طعن عمر ﷺ: لو أن عمر دعا الله لآخَّر في أجله، فقيل لكعب: أليس قد قال الله: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ قال: فقد قال الله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾.

٦٩٩٧ ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ﴾ [فاطر:١١]:

ما الذي يُنقِص من العمر؟! قال السعدي: «من أسباب قصر العمر: الزنى، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، ونحو ذلك مما ذُكِر أنها من أسباب قصر العمر».

٦٩٩٨ ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر:١٢]:

قال أكثر المفسرين: المراد من الآية ضرب المثل في حق الكفر والإيمان أو الكافر والمؤمن، فالإيمان لا يشبه بالكفر في الحسن والنفع؛ كما لا يتشابه البحران: العذب الفرات والملح الأجاج.

٦٩٩٩ ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر:١٢]:

من كل واحد من العذب والملح تأكلون لحمًا طريًا، وتستخرجون حلية تلبسونها وهي اللؤلؤ والمرجان، ومن العجيب أن العلماء اكتشفوا حديثًا لآلئ رائعة الجمال في محار المياه العذبة التي تعيش في بريطانيا، وخاصة في أنهار ويلز وإسكتلندا.

٧٠٠٠ ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر:١٢]:

سبحان من جذب قلوب الشاردين عنه إليه بكثرة الإنعام، وأعانهم على شكرها بتذكيرهم بها في آيات القرآن، كي لا تضيع سدى في خضم النسيان.

٧٠٠١ ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر:١٣]:

آفة المرء النسيان، واعتياد رؤية النِّعَم يمنع العبد من شكر الكريم المنان، فشكرًا لآيات القرآن أن ذكَّرتنا وانتشلتنا من بئر النسيان.

٧٠٠٢ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣]:

والقطمير: القشرة الرقيقة التي تكون بين التمرة والنواة، فلا الأصنام، ولا غير الأصنام يملك من الدنيا هذا الشيء الحقير، فكيف تتذللون لهم بالطلب يا مساكين؟!

٧٠٠٣ لماذا سلب الله صفة المُلك عن الأصنام، بينما لم يذكر سلب وصف الخلق عنها؟

والجواب من وجهين:

- **أحدهما**: أن كل المشركين كانوا معترفين بأن لا خالق لهم إلا الله، لكنهم كانوا يقولون أن الله فوَّض بعض الأمر إلى الأصنام، فقال لهم الله: لا مُلْك لهذه الأصنام، ولا ملَّكها الله شيئًا.
- **وثانيهما**: أنه يلزم من عدم الملك عدم الخلق؛ لأن من خلق شيئًا ملكه، فإذا لم يملك قطميرًا، فما خلق قليلًا ولا كثيرًا.

٧٠٠٤ ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ﴾ [فاطر:١٤]:

يحيي الله بقدرته الأصنام يوم القيامة، حتى تنطق، وتُخْبِر أنها لم تكن أهلا للعبادة.

٧٠٠٥ ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٤]:

لما كان مُستغرَبًا أن ينطق الخشب والحجر يوم القيامة، ويكذِّب عابده، وهو مما يرفضه العقل لولا أن الله أخبر به، ختم الله الآية بألا أحد ينبِّئك بهذا الخبر أصدق من الله العليم الخبير، فاجزم بحصول هذا لأنه واقع لا محالة، ولا تشك فيه مثقال ذرة.

٧٠٠٦ يؤمنون في ذلك الوقت، ولكن لا ينفع الإيمان بعد زوال زمن التكليف وانتهاء وقت الامتحان.

٧٠٠٧ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾[فاطر:١٥]:

الفقير إلى الله هو من استغنى بالله عن الناس، فصار أغنى الناس.

٧٠٠٨ كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز: «يا أخي، من استغنى بالله اكتفى، ومن انقطع إلى غيره تعنَّى (تعِب)».

٧٠٠٩ ﴿أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [فاطر:١٥]:

قال أبو الحسن المزيِّن: «من لَمْ يستغن بالله أحوجه الله إلى الخلق، ومن استغنى بالله أحوج الله إليه الخلق».

٧٠١٠ ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ [فاطر:١٦- ١٧]:

أهون شيء على الله أن يستبدَلكم بقوم آخرين إن أنتم عصيتموه وما أطعتموه.

٧٠١١ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾ [فاطر:١٨]:

من الأحاديث الموضوعة التي ذكرها ابن الجوزي في (الموضوعات]: «لا يدخل الجنة ولد زِنية»، وهو من الأحاديث المكذوبة على رسوله الله ﷺ، ويخالف نص هذه الآية.

٧٠١٢ **هل يُعذَّب الميت بكاء أهله عليه؟!**

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الميت لا يعذَّب بذلك إلا إذا وصى بذلك فنُفِّذت وصيته؛ وأما من بكى عليه أهله وناحوا من غير وصية منه فلا يُعذَّب بذلك، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾ ، وحملوا حديث: «**إن الميت ليُعذَّب ببكاء أهله عليه**» على ما إذا وصَّى بذلك.

٧٠١٣ ﴿وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ﴾ [فاطر:١٨]:

من مشاهد يوم القيامة! قال ابن عباس: «يلقى الأب والأم ابنه فيقول: يا بني احمل عني بعض ذنوبي، فيقول: لا أستطيع حمل شيء، حسبي ما عليَّ».

٧٠١٤ قال الفضيل بن عياض: «يعني الوالدة تلقي ولدها يوم القيامة، فتقول: يا بني.. ألم تكن بطني لك وعاء؟ ألم يكن لك ثديي سقاء؟ فيقول: بلى يا أماه. فتقول: يا بني.. قد أثقلتني ذنوبي فاحمل عني ذنبًا واحدًا، فيقول: يا أماه.. إليك عني، فإني اليوم عنك مشغول».

٧٠١٥ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [فاطر:١٨]:

لا ينفع التخويف إلا لصاحب الخوف، أي الذين يخشون ربهم في خلواتهم، وعند غيبتهم عن العيان، غير مرائين أحدًا.

٧٠١٦ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ [فاطر:١٨]:

إنما تبلغ الموعظة مداها لمن جمع بين عمل الباطن: ﴿يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾، وعمل الظاهر: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

٧٠١٧ ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ﴾ [فاطر:١٨]:

إنماتعامل الله لتربح عليه، فتزكيتك لنفسك، وعملك لمصلحتك، فالجنة تتهيأ لك، والحور تشتاق إليك.

٧٠١٨ ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [فاطر:١٨]:

قال الإمام الرازي: «المتزكي.. إن لم تظهر فائدته عاجلًا، فالمصير إلى الله، يظهر عنده في يوم اللقاء في دار البقاء.

والوازر إن لم تظهر تبعة وزره في الدنيا، فهي تظهر في الآخرة، إذ المصير إلى الله».

٧٠١٩ ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ٢١ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢﴾ [فاطر: ١٩-٢٢].

ما فائدة تكثير الأمثلة هنا حيث ذكر الأعمى والبصير، والظلمة والنور، والظل والحرور، والأحياء والأموات؟!

المثل الأول: مثل للمؤمن والكافر، فالمؤمن بصير، والكافر أعمى.

المثل الثاني: لكن البصير لا يبصر إن لم يكن هناك ضوء؛ لذا ذكر مثلا للإيمان والكفر بالظلمة والنور، فالإيمان نور والمؤمن بصير لا يخفى عليه النور، والكفر ظلمة، والكافر أعمى غارق في الظُّلمات.

المثل الثالث: ذكر مثلا لمصير المؤمن والكافر، فالمؤمن في ظِلٍّ ونعيم، والكافر في حر وجحيم.

المثل الرابع:مثل آخر للمؤمن والكافر، فالإيمان حياة تنفع صاحبها، والكفر موت لا ينتفع صاحبه بشيء مما يراه.

وقدَّم الظل على الحرور؛ لأن رحمته سبقت غضبه، وعفوه سبق عقابه.

٧٠٢٠ ﴿إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٣]:

ليكن شعار كل داعٍ إلى الخير: أنت لا تملك قلوب العباد، وإنما تبلغ كلماتك الآذان، فتنال أجرك على البلاغ والبيان.

٧٠٢١ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [فاطر:٢٤]:

صوت الدعوة لم ينقطع يومًا، فهنيئًا لمن كان من ورثة الأنبياء، ودعا إلى الله في زمن اختلط فيه الحلال بالحرام، وكثر المنافقون والأدعياء.

٧٠٢٢ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾ [فاطر:٢٥]:

كما أن سُنَّة الأولين الماضية هي الإعراض والتكذيب، فإن سُنة الله الجارية هي الخزي والتعذيب.

٧٠٢٣ ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾ [فاطر:٢٥]:

قال الإمام الشوكاني: «والأَوْلى تخصيص البيِّنات بالمعجزات، والزُّبُر بالكتب التي فيها مواعظ، والكتاب بما فيه شرائع وأحكام».

٧٠٢٤ ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [فاطر:٢٦]:

ليس من رأى كمن سمع! هنا استفهام يفيد التعجب من أحوال الهالكين، فقد أنكر الله عليهم كفرهم، فعاقبهم وأخذهم أخذًا عجيبًا أدهش العقول، وهذا يستلزم أن يكون حال هؤلاء الهالكين معلومًا لهم، وقد رأوه حاضرًا حولهم في آثار عاد وثمود التي كانوا يمرون عليها في تجاراتهم وسفرهم.

٧٠٢٥ ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ [فاطر:٢٧]:

جُدَد: جمع جُدَّة، والجُدَّة هي الطريق، أي خلق الله من الجبال طُرُقا، وهذه الطرق تارة بيضاء، وتارة حمراء، وليس معناها جدُد جديدة أو حديثة.

٧٠٢٦ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]:

قال عبد الله بن مسعود: «ليس العلم عن كثرة الحديث، إنما العلم خشية الله»، وعنه ﷺ قال: «كونوا للعلم رُعاةً، ولا تكونوا له رواة؛ فإنه قد يرْعَوي ولا يَروي، وقد يروي ولا يرعوي».

٧٠٢٧ قال أبو الدرداء ﷺ: «لا تكون تقيًا حتى تكون عالمًا، ولا تكون بالعلم جميلًا حتى تكون به عاملًا».

٧٠٢٨ قال الحسن: «العالِم: الذي وافق علمُه عملَه، ومن خالف علمَه عملُه فذلك راويةُ حديث، سمع شيئًا فقاله»، وقال رحمه الله: «الذي يفوق الناسَ في العلم جدير أن يفوقهم في العمل».

٧٠٢٩ ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر:٢٩]:

من هؤلاء؟! الذين يتلون كتاب الله حق تلاوته، ويقيمون الصلاة، وينفقون في سبيل الله سرًّا وجهرا، فاعرف رأس مالك، وقدْر الجواهر التي أعطاك الله، ولا تضيِّعها فترد الآخرة صفر اليدين ومن المفاليس.

٧٠٣٠ ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [فاطر:٣٠]:

وليسرح خيالك في قوله: ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾، ففضله على قدر عظمته، وعقلك لن يحيط بعظمته؛ ولذا لن يحيط أبدا بفضل الله!

٧٠٣١ ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٣٠]:

قال سهل التستري: «السابِق العالم، والمقتصد المتعلم، والظالم الجاهل».

٧٠٣٢ ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٣٠]:

قال جعفر الصادق: «بدأ بالظالمين إخبارًا بأنه لا يُتقَرَّب إليه إلا بكرمه، وأن الظلم لا يؤثِّر في الاصطفاء، ثم ثنى بالمقتصدين لأنهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحدٌ مكره».

٧٠٣٣ ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٣٠]:

لئلا يغتر السابق بالخيرات بعمله، فلولا الله ما سبق إلى الخيرات هو ولا غيره.

٧٠٣٤ ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [فاطر:٣١]:

القرآن هو الحق، وكل مبدأ أو رأي أو فكر يصادم حقيقة قرآنية ثابتة، فهو باطل.

٧٠٣٥ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر:٣٢]:

كن من الصفوة! كن من أهل القرآن.

٧٠٣٦ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [فاطر:٣٢]:

دخل عقبة بن صهبان على عائشة ﵂، فقال لها: يا أم المؤمنين، أرأيت قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]، فقالت عائشة ﵂: «أما السابق، فمن مضى في حياة رسول الله ﷺ، فشهد له بالحياة والرزق، وأما المقتصد، فمن اتَّبَع

آثارهم، فعمل بأعمالهم حتى يلحق بهم، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك ومن اتبعنا، وكُلٌّ في الجنة».

٧٠٣٧ ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر:٣٢]:

لئلا يغتر سابق بالخيرات بعمله، فما سبق أحدٌ بالخيرات إلا بتوفيق الله.

٧٠٣٨ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [فاطر:٣٣]:

قال محمد الأمين الشنقيطي: «كان بعضُ العلماءِ يقول: حُقَّ لهذه (الواو) أن تُكْتَبَ بماءِ الْعَيْنَيْن، يعني: واوَ ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ ؛ لأنها حَكَمَتْ بدخولِ الجميعِ في الجنةِ، وعلى رأسهم: الظالم لنفسه».

٧٠٣٩ **سرعة الدخول!**

قال الإمام الرازي:

«﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ إشارة إلى سرعة الدخول، فإن التحلية لو وقعت خارجًا، لكان فيه تأخير الدخول، فقال: يدخلونها، وفيها تقع تحليتهم».

٧٠٤٠ ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر:٣٣]:

في الحديث: «**إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خَلاق (نصيب) له في الآخرة**»

صحيح الجامع رقم: ٢٣٨٧.

٧٠٤١ ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر:٣٤]:

قال إبراهيم التيمي: «ينبغي لمن لا يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار لأن أهل الجنة قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾».

٧٠٤٢ من أعظم دواعي فرح أهل الجنة أن الله عز وجل أذهَب عنهم الحزن إلى الأبد!

٧٠٤٣ اعتبر ابن قيم الجوزية الحزن مرضًا من أمراض القلب (التي تمنعه من نهوضه وسيره وتشميره، والثواب عليه ثواب المصائب التي يُبتَلى العبد بها بغير اختياره، كالمرض والألم ونحوهما).

٧٠٤٤ **ما هو الحزن المحمود؟!**

قال ابن القيم: «يحمد في الحزن سببه ومصدره ولازمه لا ذاته، فإن المؤمن إما أن يحزن على تفريطه وتقصيره في خدمة ربه وعبوديته، وإما أن يحزن على تورطه في مخالفته ومعصيته وضياع أيامه وأوقاته، وهذا يدل على صحة الإيمان في قلبه وعلى حياته، حيث شغل قلبه بمثل هذا الألم، فحزن عليه».

٧٠٤٥ ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر:٣٥]:

قال السعدي: «أي: لا تعب في الأبدان ولا في القلب والقوى، ولا في كثرة التمتع، وهذا يدل على أن الله تعالى يجعل أبدانهم في نشأة كاملة، ويهيِّئ لهم من أسباب الراحة على الدوام، ما يكونون بهذه الصفة، بحيث لا يمسهم نصب ولا لغوب، ولا هم ولا حزن.

ويدل ذلك على أنهم لا ينامون في الجنة؛ لأن النوم فائدته زوال التعب، وحصول الراحة به، وأهل الجنة بخلاف ذلك، ولأنه موت أصغر، وأهل الجنة لا يموتون، جعلنا الله منهم، بمنه وكرمه».

٧٠٤٦ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر:٣٦]:

الموت راحة، ولا راحة لأهل النار!

٧٠٤٧ الآية دليل قدرة الله البالغة، حيث أبقى النار أبد الآبدين لا تنطفئ، فلا ينقص عذابها، ولا يخبو لهيبها، ولا تهوي حرارتها؛ ولذا لا يرتاح أهلها.

٧٠٤٨ ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر:٣٧]:

ما أوضح حجة الله علينا! قال قتادة: «اعلموا أن طول العمر حجة»،

٧٠٤٩ ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ [فاطر:٣٧]:

وفي صحيح ابن حبان: «مَنْ عَمَّرَهُ الله ستين سنة، فقد أعْذَر إليه في العمر».

قال ابن حجر: «الإعذار: إزالة العذر، والمعنى: أنه لم يُبقِ له اعتذرًا كأن يقول: لو مدَّ لي في الأجل لفعلتُ ما أُمِرتُ به».

٧٠٥٠ ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر:٣٧]

قالوا: النذير: النبي، وقالوا: القرآن، وقيل: موت الأحباب، وقيل: الشيب، ففي بعض الآثار: قالت شعرة وقد ابيضت لجارتها: استعدي للموت، فقد جاءك النذير.

٧٠٥١ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [فاطر:٣٨]:

عليم بإخلاص المخلصين، وصدق الصادقين، ونفاق المنافقين، وجحود الكافرين، وتوبة المنكسرين، ويجازي على أعمال قلوب كما يجازي على عمل الجوارح.

٧٠٥٢ شبهة وردُّها!

لما قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾، قال قائل: ما كفر الكافر بالله إلا أياما معدودة، فكان ينبغي ألا يعذَّب إلا مثل تلك الأيام، فأخبر الله أنه لا يخفى عليه ما في الصدور، ويعلم من الكافر أن كفره قد تمكَّن من قلبه، بحيث لو عاش إلى الأبد لما أطاع ربه، ولا عبده.

٧٠٥٣ ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۗ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ﴾ [فاطر:٣٩]:

شتان بين فريقين:

فريق كلما طال عمره، زاد بغض الله له، وتضاعف خسرانه، وطال مكثه في النار.

وفريق كلما طال عمر أحدهم، حسُن عمله، وارتفعت في الجنة درجته، وزاد أجره، وعظم قدره عند رب العالمين.

٧٠٥٤ ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [فاطر:٣٩]:

خسارة الكافر يوم القيامة فادحة! يخسر نفسه، ويخسر أهله، ويخسر جاهه وقدره، والأهم من ذلك كله: يخسر منزله في الجنة.

٧٠٥٥ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ [فاطر:٤٠]:

من آداب المناظرة أن تسرد كل شبهات وحجج الخصوم، ثم تثبت بطلانها جميعًا، وبهذا تفحِم خصومك المبطلين، وتنتصر للحق الذي معك، بعكس إيراد الشبهات متفرِّقة ثم ردها مبعثَرة، فهذا يشتت فكرتك، وينصر صاحب الباطل عليك.

٧٠٥٦ ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر:٤٠]:

ليس للظالمين منطق ولا حجة، وإنما هو الخداع والتزييف، وتزيين الباطل حقًّا، والحق باطلا، حتى يتمكنوا من قيادة أتباعهم من (القطيع).

٧٠٥٧ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر:٤١]:

نعمة الله في إمساكه السماوات من السقوط والتهاوي، وحفظه الأرض من التلاشي من أعظم النعم الخفية والعطايا يا غير المرئية.

٧٠٥٨ كان عمر بن الخطاب ﷺ إذا اجتهد في اليمين قال: «والذي تقوم السماء والأرض بأمره».

٧٠٥٩ إذا رأيتَ في السماوات والأرض ما يزعجك، ويثير مخاوفك، فالجأ إلى من بيده أمرهما وأمرك، وتوجَّه إليه بالدعاء والصلاة؛ ولذا شُرِعت صلاة الكسوف.

٧٠٦٠ ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر:٤١]:

ولئن زالتا على سبيل الفرض ما أمسكهما من أحد من بعد إمساكه، أي لا يقدر على دوامهما والحفاظ عليهما وإبقائهما إلا الله سبحانه.

٧٠٦١ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ [فاطر:٤١]:

ما معنى اسم الله الحليم؟

قال ابن القيم:

فهو الحليم فلا يُعاجِل عبده بعقوبة ليتوب من عِصيان بحلمه سبحانه تتأخر العقوبات عن الكافرين وعن أصحاب السيئات.

٧٠٦٢ ﴿غَفُورًا﴾ [فاطر:٤١]:

كثير المغفرة، فمن العبد التوبة عن زلَّة واحدة، ومن الرب المغفرة لذنوب كثيرة.

٧٠٦٣ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر:٤٢]:

احذر أن تعيب الناس بشيء، فتعاقَب بالوقوع فيه!

كانت قريش تلعن اليهود والنصارى لأنهم كذَّبوا رسلهم، فلما بُعِثَ إليهم رسول الله ﷺ، كذَّبوه!

٧٠٦٤ ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر:٤٣]:

قال الآلوسي: «والآية عامة على الصحيح، والأمور بعواقبها، والله تعالى يُمهِل ولا يُهمِل، ووراء الدنيا الآخرة، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون، وبالجملة: من مَكَر به غيره، ونفذ فيه المكر عاجلًا في الظاهر، ففي الحقيقة هو الفائز، والماكر هو الهالك».

٧٠٦٥ في الحديث: «**من غشنا فليس منا، والمكر والخداع في النار**». صحيح الجامع رقم: ٦٤٠٨، فالذي يمكر ويدبِّر الحيل والمكايد ليغش الناس يستحق النار.

٧٠٦٦ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾ [فاطر:٤٤]:

السير سيران: سير الأبدان بالأقدام، وسير القلوب بالتأمل وصحة الأفهام، وسير القلوب أهم!

٧٠٦٧ قال ابن رجب: «سفر الدنيا ينقطع بسير الأبدان، وسفر الآخرة ينقطع بسير القلوب. قال رجل لبعض العارفين: قد قطعت إليك مسافة. قال: ليس هذا الأمر بقطع المسافات، فارِق نفسك بخطوة، وقد وصلتَ إلى مقصودك».

٧٠٦٨ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فاطر:٤٤]:

وقف عبد الملك بن مروان على قبر معاوية وعليه نبتة تهتز، فقال: الحمد لله، عشرين سنة أميرًا، وعشرين سنة خليفة، ثم صرت إلى هذا؟!

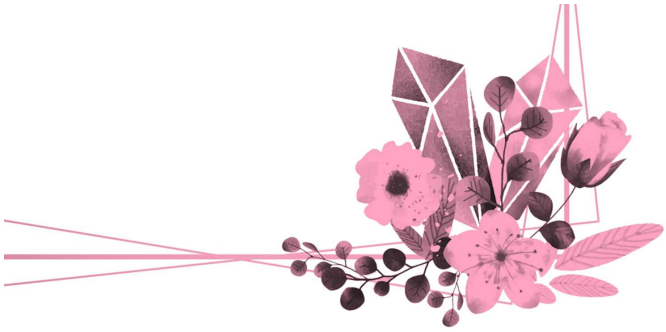
هل الدهر والأيام إلا كما ترى رَزِيَّة مالٍ أو فراق حبيب

٧٠٦٩ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر:٤٥]:

قال يحيى بن أبي كثير: «أمر رجل بالمعروف ونهى عن المنكر، فقال له رجل: عليك بنفسك فإن الظالم لا يضر إلا نفسه، فقال أبو هريرة: كذبت؟ والله الذي لا إله إلا هو، ثم قال: والذي نفسي بيده.. إن الحُبارى لتموت هزلًا في وكرها بظلم الظالم».

٧٠٧٠ ﴿وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا﴾ [فاطر:٤٥]:

ولم يقل إذا جاء أجلهم أهلكهم؛ لأنه بصير بأعمال عباده، فيغفر للمؤمن المستغفر، أو يحاسبه فيعذِّبه، وإن كان كافرًا خُلِّد في النار، وهكذا تختلف مصائر العباد بحسب أحوالهم.



سورة يس

٧٠٧١ ﴿يسٓ﴾ [يس:١]:

لم يرد في فضل سورة يس حديث صحيح، لكن قال الآلوسي:

«وذُكِر أنها تُسمَّى المُعِمَّة، والمدافِعَة، والقاضية، ومعنى المُعِمَّة: التي تَعُمُّ صاحبها بخير الدنيا والآخرة، ومعنى المدافِعَة: التي تدفع عن صاحبها كل سوء، ومعنى القاضية: التي تقضي له كل حاجة- بإذن الله وفضله».

٧٠٧٢ أرجح الأقوال أن هذه الكلمة ﴿يسٓ﴾ من الألفاظ المقطعة التي افتتحت بها بعض سور القرآن، وليست اسمًا من أسماء النبي ﷺ.

٧٠٧٣ ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس:٢]:

وهل يُقسم الله رب العالمين إلا بعظيم؟! فما آثار هذا التعظيم في قلوب القارئين له والمصلين؟!

٧٠٧٤ اللّٰهم ارزقنا حكمة القرآن!

قال ابن باديس: «﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: هو الموصوف بالحكمة، وأصل اللفظ من حَكَم بمعنى أمسك، فالحكمة هي العلم الصحيح الذي يمسك صاحبه عن الجهالات والضلالات والسفالات، فيكون ذا إدراك للحقائق قويم وخلق كريم، وعمل مستقيم لا يحكم إلا عن تفكير، ولا يقول إلا عن علم، ولا يفعل إلا على بصيرة؛ فإذا نظر أصاب، وإذا فعل أصاب، وإذا نطق أتى بفصل الخطاب».

٧٠٧٥ ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس:٣]:

هذا دليلٌ على عظمة أمر الرسالة، التي نزلت على شكل كتاب عظيم من رب عظيم على أعظم المرسلين.

٧٠٧٦ قال المشركون للنبي ﷺ: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣]:، فأقسم الله في القرآن بالقرآن: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

٧٠٧٧ ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يس:٤]:

هو دين الإسلام الذي فيه هداية الدنيا والآخرة، ولما كان القرآن حاويًا للدين، فكان القرآن من الصراط المستقيم، فمن عمل بالقرآن كان على صراط مستقيم، لا شيطان يغويه، ولا حيرة تعتريه.

٧٠٧٨ ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [يس:٥]:

لماذا (العزيز الرحيم)؟!

قال الرازي:

«إشارة إلى أن الملك إذا أرسل رسولًا، فالمرسَل إليهم إما أن يخالفوا المرسِل، ويهينوا المرسَل، وحينئذٍ لا يقدر الملك على الانتقام منهم إلا إذا كان عزيزًا.

أو يخافوا المرسِل ويُكرِموا المرسَل، وحينئذٍ يرحمهم الملك».

٧٠٧٩ ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس:٦]:

أي آباؤهم الأقربون، وإلا فآباؤهم الأبعدون قد أُنذِروا، فآباء العرب الأقدمون أنذرهم الله بإسماعيل عليه السلام.

٧٠٨٠ قال صاحب الظلال: «الغفلة أشد ما يفسد القلوب، فالقلب الغافل قلب مُعطَّل عن وظيفته، مُعطَّل عن الالتقاط والتأثر والاستجابة، تمر به دلائل الهدى، أو يمر بها دون أن يحسها أو يدركها، ودون أن ينبض أو يستقبل، ومن ثم كان الإنذار هو أليق شيء بالغفلة».

٧٠٨١ من رحمة الله بعباده أنه كلما نزلت الغفلة في قوم، بعث الله إليهم رسولًا ينتشلهم منها.

٧٠٨٢ ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس:٧]:

المؤمنون قلة دومًا! قال ابن جرير:

«لقد وجب العقاب على أكثرهم؛ لأن الله قد حتم عليهم في أم الكتاب أنهم لا يؤمنون بالله، ولا يصدقون رسوله».

٧٠٨٣ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ [يس:٨]:

قال قتادة: «مغلولون عن كل خير»؛ لذا فبعض الناس لا ينقاد إلى الخير مهما نصحته!

٧٠٨٤ ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ [يس:٨]:

بعير قامح: إذا رفع رأسه ولم يطأطئه ليشرب الماء، والإيمان كالماء الزلال فيه الحياة، فالذي لا يسعى لأسباب الهداية مع كونها بين يديه، سيهلك، كما يهلك البعير إذا لم يطأطئ رأسه لشرب الماء.

٧٠٨٥ قال ابن تيمية:

«فما وجه التشبيه بين هذا وبين حبس القلب عن الهدى والإيمان؟!

قيل: أحسن وجه وأبينه، فإن الغِلَّ إذا كان في العنق واليد مجموعة إليها، منع اليد عن التصرف والبطش، فإذا كان عريضًا قد ملأ العنق ووصل إلى الذقن، منع الرأس من تصويبه، وجعل صاحبه شاخص الرأس منتصبه، لا يستطيع له حركة».

٧٠٨٦ ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس:٩]:

موانع الهداية ذاتية وخارجية!

قال الإمام الرازي:

«المانع، إما أن يكون في النفس، وإما أن يكون خارجًا عنها، وهما المانعان جميعًا من الإيمان، أما في النفس فالغل، وأما من الخارج فالسد، ولا يقع

نظرهم على أنفسهم، فيرون الآيات التي في أنفسهم؛ وذلك لأن المقمح لا يرى نفسه، ولا يقع بصره على يديه.

ولا يقع نظرهم على الآفاق؛ لأن من بين السدين لا يبصرون الآفاق، فلا تبين لهم الآيات التي في الآفاق».

٧٠٨٧ ﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ﴾ [يس:٩]:

جعلنا عليهم غشاء أي غطاء، أحاط بهم إحاطة شاملة، حتى منع عيونهم من الإبصار، ولو كان الآيات واضحة وضوح النهار.

٧٠٨٨ ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يس:١٠]:

ليست هذه دعوة لترك إنذار الناس، بل دعوة لنصيحتهم بغرض هدايتهم وإقامة الحجة عليهم.

٧٠٨٩ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ﴾ [يس:١١]:

قال ابن عاشور:

«والتعبير بوصف الرحمن دون اسم الجلالة لوجهين: أحدهما: أن المشركين كانوا ينكرون اسم الرحمن، كما قال تعالى: قالوا وما الرحمن [الفرقان: ٦٠].

والثاني: الإشارة إلى أن رحمته لا تقتضي عدم خشيته، فالمؤمن يخشى الله مع علمه برحمته فهو يرجو الرحمة».

٧٠٩٠ ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ [يس:١٢]:

الآثار هي ما يبقى من أثر أعمالك الصالحة أو السيئة بعد موتك، ليظل نهر أجرك أو وزرك جاريا عليك وأنت في القبر وحتى يوم الحشر!

٧٠٩١ نكتب! معناها أنك مراقبٌ على مدار اللحظة!

٧٠٩٢ ما هي آثار الأعمال الصالحة؟! في الحديث: «**سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من علَّم علمًا، أو أجرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلًا، أو**

بنى مسجدًا، أو ورث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته». صحيح الجامع رقم: ٣٦٠٢.

٧٠٩٣ ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس:١٣]:

ولم يذكر القرآن اسم القرية ولا من هم أصحابها، فليس المهم الأسماء، بل العبرة والعظات.

٧٠٩٤ أمر الله نبيه أن يضرب مثلًا لكل من دعا إلى الله، فهو مثال موجَّه لكل داعية، عليه أن يصغي له ويستفيد به.

٧٠٩٥ ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾ [يس:١٤]:

لماذا التعزيز بثالث؟ لأن اثنين لا يكفيان في تبليغ الرسالة، فكان لا بد من إرسال داعية ثالث، واليوم أرضنا في حاجة إلى الدعاة حاجة الأرض العطشى إلى الماء، فكُن أنت الثالث!

٧٠٩٦ ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ [يس:١٥]:

اعتراض سخيف! قال صاحب الظلال: «الرسالة منهج إلهي تعيشه البشرية، وحياة الرسول هي النموذج الواقعي للحياة وفق ذلك المنهج الإلهي، النموذج الذي يدعو قومه إلى الاقتداء به، وهم بشر، فلا بد أن يكون رسولهم من البشر؛ ليحقق نموذجًا من الحياة يملكون أن يقلدوه»

٧٠٩٧ ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ [يس:١٥]:

ما أسفه هؤلاء وأحلم العقلاء!

أكثر رجل من سَبِّ الأحنف بن قيس وهو لا يجيبه، فقال الرجل: والله ما منعه من جوابي إلا هواني عليه.

٧٠٩٨ ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ [يس:١٦]:

لشدة ما واجهوا من إنكار، أكَّدوا تلقي الرسالة بثلاثة مؤكِّدات:

الأول: ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ﴾ لأن هذا يجري مجرى القسم.

الثاني: ﴿إِنَّا﴾.

الثالث: اللام في ﴿لَمُرْسَلُونَ﴾.

٧٠٩٩ ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [يس:١٧]:

بلاغ المرسلين واضح مبين، فلا إبهام في الرسالة أو غموض. قال ابن تيمية: «ومن غَلَط في فهم القرآن، فمِنْ قصوره أو تقصيره».

٧١٠٠ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يس:١٨]:

يتشاءمون ممن ينبغي التبرك والتفاؤل بهم، وهذا والله دليل انطماس البصيرة ونقصان العقل.

٧١٠١ كفى بالتطير شرًّا أن الله لم يحك الله التطير إِلَّا عن أعداء الرُّسُل.

٧١٠٢ ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس:١٩]:

كفركم سبب شؤمكم، فالعمل هو السبب الحقيقي للتفاؤل والتشاؤم.

٧١٠٣ ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس:١٩]:

من علامات الإسراف على النفس: مقابلة الإحسان بالإساءة. قال قتادة: «أي إن ذكَّرناكم بالله تطيرتم بنا؟! بل أنتم قوم مسرفون».

٧١٠٤ ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس:٢٠]:

رجل لم نعرف اسمه ولا لقبه، إنما عرفه الله، وشرَّفه بذكر خبره في القرآن، وكفاه فخرًا وشرفًا أن تتحدث عنه الأجيال على مر الأزمان!

٧١٠٥ لم يُلقِ بمسؤولية الدعوة على الأنبياء والمرسلين، بل شاركهم لما علم عدم حصول الكفاية في تبليغ أمر الدين، ولا يزال الأمر قائمًا إلى اليوم.

٧١٠٦ ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ [يس:٢٠]:

أقصى: لفظ مقصود لتنبيه الدعاة على المضي في الخير، واستصغار أي جهد مبذول فيه، فمن عرف شرف الأجر هان عليه جهد التكلف.

٧١٠٧ ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس:٢١]:

طلبك للمقابل على فعل الخير كفيل بأن يثير الشكوك فيك.

٧١٠٨ ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٢٢]:

تلطَفَ في النصح بإيراده في معرض نصح نفسه، حيث أراهم أنه اختار لهم ما يختار لنفسه.

٧١٠٩ ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ [يس:٢٣]:

التلميح وعدم التصريح أسلوب دعوي راق، فمؤمن آلِ يس نسب سيئة قومه لنفسه ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ ، تلطفًا وتأليفًا لقلوبهم.

٧١١٠ ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ﴾ [يس:٢٣]:

حتى ما نزل بك من مصائب فهو من رحمة الله، فسبحان من يرحم ببلائه، ويبتلي بنعمائه.

٧١١١ ﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يس:٢٤]:

نسب الضلال إلى نفسه إن عبَد غير الله، وأرادهم بقوله، لكنه تلطف في دعوتهم.

٧١١٢ ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ۝٢٥ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ﴾ [يس:٢٥، ٢٦]:

آذوه واحتقروه وقتلوه، ومع هذا يتمنى لو علموا بمقعده في الجنة.. إنها رحمة الداعية بقومه مهما آذوْه!

٧١١٣ ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ﴾ [يس:٢٦]:

دعا قومه بعد موته!

قال ابن عباس:

«نصح قومه حيًّا وميتًا».

﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [يس:٢٦، ٢٧]:

قال القرطبي: «وفي هذه الآية تنبيه عظيم، ودلالة على وجوب كظم الغيظ، والحِلْم عن أهل الجهل، والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي، والتشمُّر في تخليصه، والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه.. ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته، والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام!».



الجزء الثالث والعشرون

سورة يس آية ٢٨
إلى سورة الزمر آية ٣١

عدد الفوائد: ٥٤٧

قال وهب بن الورد:

«نظرنا في هذا الحديث، فلم نجد شيئًا أرق لهذه القلوب ولا أشد استجلابًا للحق من قراءة القرآن لمن تدبَّره».

حلية الأولياء ٨ / ١٤٢

الجزء الثالث والعشرون
سورة يس أية ٢٨
إلى سورة الزمر آية ٣١

٧١١٥ ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ [يس:٢٨]:

ما الحاجة في إهلاك هؤلاء إلى إنزال ملائكة إن كان الأمر ينقضي بصيحة! الملائكة من جند الله، تأتمر بأمره، تعج بهم أرجاء السماء، وينفِّذون ما أمر الله به في الأرض.

٧١١٦ قال الزمخشري:

«فإن قلتَ: فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق؟

قلتُ: إنما كان يكفي ملَكٌ واحد، فقد أُهلِكَتْ مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل، وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة، ولكن الله فضَّل محمدًا ﷺ بكل شيء على سائر الأنبياء وأولي العزم من الرسل فضلاً عن حبيب النجار، وأولاه من أسباب الكرامة والإعزاز ما لم يُولِّه أحدًا، فمن ذلك أنه أنزل له جنودًا من السماء، وكأنه أشار بقوله: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا﴾ ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ إلى أن إنزال الجنود من عظائم الأمور التي لا يؤهَّل لها إلا مثلك، وما كنا نفعل ذلك لغيرك».

٧١١٧ ﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾ [يس:٢٩]:

ما أعظم قدرة الله، صيحة واحدة بصوت عالٍ، بلا أي فعل كفيلة بإهلاك أهل الأرض جميعًا، لو أراد الله ذلك.

٧١١٨ ما أهون أمر العباد على الله إن عصوه!

٧١١٩ كيف قبض الله أرواحهم جميعًا في لحظة؟!

الجواب: كل الأمور الغيبية لا تسأل عنها بكيف؛ لأن قدرة الله فوق كل كيف، وأعظم من إدراك أي عقل.

٧١٢٠ ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [يس:٣٠]:

ما أتى رسول إلا وقد استهزأ به بعض قومه، فلا تجزعوا إن سرتم في طريق الأنبياء، ثم سمعتم صيحات الاستهزاء.

٧١٢١ ما أجمل قول القائل:

والله لو صاحب المرء جبريل ... لم يسلم المرء من قال وقيلا
قد قيل في الله أقوالًا مصنَّفةً ... تُتلى إذا رُتِّل القرآن ترتيلا
قد قيل أن له ولدًا وصاحبةً ... زورًا عليه و بهتانًا وتضليلا
هذا قولهم في الله خالقهم ... فكيف لو قيل فينا بعض ما قيلا

٧١٢٢ ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ [يس:٣١]:

الاعتبار بمن سبقك، وإلا اعتبر بك من بعدك!

٧١٢٣ ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ﴾ [يس:٣٢]:

ما أعظم قدرة الله على حشر كل الخلائق من لدن آدم إلى قيام الساعة في مكان واحد، فلا يفلت منهم واحد.

٧١٢٤ لا مفر من إحضار الجميع غدًا بين يدي الجبار، فاستعد لموقفٍ رهيب، مُنصَرَفه إلى الجنة أو إلى النار.

٧١٢٥ ما أحسن ما قال القائل:

ولو أنا إذا متنا تُرِكْنا ... لكان الموت راحة كلِّ حي
لكنا إذا متنا بُعِثْنا ... ونُسأَل بعده عن كل شيء

﴿٧١٢٦﴾ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس:٣٣]:

كان أعظم شبهة لهم: أمر البعث، وكثر فيه إنكارهم، فكان تكرار آيات القرآن حول إحياء الأرض بعد موتها، كأوضح مثال يشبه البعث بعد الموت.

﴿٧١٢٧﴾ ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾ [يس:٣٤]:

جعلنا وفجَّرنا.. لا تظنوا أنكم تصنعون شيئًا، ما أنتم إلا ستار لقدرة الله وقَدَره النافذ بكم أو بغيركم.

﴿٧١٢٨﴾ ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس:٣٥]:

أنعم علينا بنعمه، ثم ذكَّرنا بها ليعيننا على شكره، فاستعملناها في العصيان، وقابلنا الجميل بالكفران.

﴿٧١٢٩﴾ ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [يس:٣٥]:

﴿مَا﴾: إما موصولة، بمعنى الذي عملته أيديهم كالعصائر وما غرسوه وصنَّعوه من ثمار الأرض.

أو نافية، والمعنى: لم يعملوه بأيديهم، بل العامل له هو الله.

﴿٧١٣٠﴾ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس:٣٦]:

ما من شيء خلقه الله في هذا الكون إلا وله زوجان.

﴿٧١٣١﴾ تشير الآية إلى جهل الإنسان وعدم إحاطته بكل شيء مهما اتسع علمه.

﴿٧١٣٢﴾ تظهر الزوجية في البشر والحيوان، لكن كيف تكون في النبات؟!

هذا من إعجاز القرآن، فقد ثبت حديثًا أن كل النباتات زوجان.

- إما أن يكون النبات مذكرًا أو مؤنثًا، ويُسمَّى ثنائي المسكن مثل النخيل.

- أو يجمع بين الزهرة المذكرة والزهرة الأنثى على نبات واحد، ويسمى أحادي المسكن كالذرة والكوسة.
- أو أن الزهرة نفسها تجمع بين أعضاء التذكير والتأنيث، وتسمى (زهرة خنثى).

٧١٣٣ كل شيء له زوجان، وتنزه الله عن أن يكون له زوج أو ولد؛ لذا بدأ الآية بقوله: ﴿سُبۡحَٰنَ﴾.

٧١٣٤ ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾ [يس:٣٧]:
آية يومية لا تخفى على أحد، تدلِّل على وجود وقدرة الواحد الأحد، وكم من آيات نمر عليها كالأموات.

٧١٣٥ ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس:٣٨]:
تذكير مستمر في خضم الحركة التي لا تتوقف، أن يومًا قادما سيتوقف فيه كل شيء ويستقر: (لمستقر لها)، وذلك يوم القيامة.

٧١٣٦ تجري الشمس في هذا الفضاء الكوني الهائل بسرعة قدَّرها الفلكيون باثني عشر ميلا في الثانية الواحدة.

٧١٣٧ ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس:٣٨]:
قال صاحب الظلال:
«وحين نتصور أن حجم هذه الشمس يبلغ نحو مليون ضعف لحجم أرضنا هذه، وأن هذه الكتلة الهائلة تتحرك أو تجري في الفضاء لا يسندها شيء، حين نتصور ذلك، ندرك طرفًا من صفة القدرة التي تصرف هذا الوجود عن قوة وعن علم».

٧١٣٨ ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس:٣٩]:
الإنسان أشبه ما يكون بالقمر، يولد ضعيفًا (هلالا)، ثم يكتمل (بدرًا)، ثم يرجع ضعيفًا من جديد (هلالا) مع بلوغ أرذل العمر.

٧١٣٩ لكل بداية نهاية، وكل تمام مآله النقصان، وما ارتفع شيء إلا وضعه الله كما رفعه، هذه سنة الله في جميع خلقه.

٧١٤٠ ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٤٠]:
دقة حركة الكواكب في الكون مذهلة! تجري بحساب دقيق، وليس جريًا عشوائيًا؛ ولذا استطاع علماء الفلك أن يتنبَّأوا بمواعيد الكسوف والخسوف، وذلك لعشرات السنين القادمة، وتأتي دائمًا منضبطة تمامًا في مواعيدها المحددة.

٧١٤١ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس:٤١]:
السفينة هي سفينة نوح، ولم يوصف فلك غير فلك نوح بهذا الوصف: ﴿ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾.

٧١٤٢ الآية في الآية تحتمل ثلاثة معانٍ:
أحدها: عبرة لهم.
الثاني: نعمة عليهم.
الثالث: إنذار لهم، وكلها بادية في آية سفينة نوح.

٧١٤٣ من معاني الذرية:
الآباء والأجداد، فالآباء ذرية، والأبناء ذرية.

٧١٤٤ ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس:٤٢]:
كلما ركبت سفينة أو مركبًا أو سيارة أو طائرة، فلا تنس حمد الله الذي سخَّرها لك، لتعبر بها الأجواء والبحار والمحيطات إلى وجهتك.

٧١٤٥ ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ [يس:٤٣]:
كل نجاة من الغرق ووصول للشط نعمة تستحق الشكر.

٧١٤٦ لولا جوده وفضله لغرقنا كما غرق كثيرون، لكنه بحسن الأفضال وجميل الإمهال، حفظنا ربنا في كل الأحوال.

٧١٤٧ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يس:٤٤]:
الدنيا في أحد أقصر تعريفاتها: متاعٌ إلى حين.

٧١٤٨ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [يس:٤٥]:
الخوف سبب الرحمة!
خُوِّفوا بما مضى من ذنوبهم أي ما تقدَّم منها، وما سيأتي منها أي ما تأخَّر. قاله مجاهد والحسن.

٧١٤٩ ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [يس:٤٦]:
الآيات نوعان:
شرعية: ما جاء به الرسل، والإعراض عنها بتكذيب الأخبار، والاستكبار عن العمل بالأحكام.
وكونية: وهي دلائل قدرة الله في الكون، والإعراض عنها بعدم الالتفات إليها، ولا التأمل في عظمة الله فيها.

٧١٥٠ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يس:٤٧]:
كان العاصي بن وائل السهمي، إذا سأله المسكين قال له:
اذهب إلى ربك، فهو أولى مني بك.
ثم يقول: قد منعه الله فأطعمه أنا؟!

٧١٥١ تعامى هؤلاء عن أن الله جعل الدنيا داء ابتلاء لا دار جزاء، وأنه اختبر فيها الأغنياء بالفقراء، ليعطوهم مما أعطاهم الله، وإلا حرمهم الله.

﴿١٧٥٢﴾ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يس:٤٨]:

وعد الله هذا يتبين بعد الموت، حيث يبدأ الوبال بعد انتهاء الإمهال.

﴿١٧٥٣﴾ ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩]:

أي وهم لاهون عنها حال خصومتهم وتشاجرهم بينهم، أو عند اختصامهم في أمور الدنيا من بيع وشراء في المجالس والأسواق، وهذا لا يكون إلا في أشد أوقات الغفلة.

﴿١٧٥٤﴾ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٥٠]:

الموت يأتي بغتة، وملَك الموت لن يُمكِّنَ أحدًا من فعل أي شيءٍ حتى الوصيَّة؛ ولذا كان الندب إلى كتابة الوصية فورًا (**ما حق امرئ مسلم يبيت ليلتين وله شيء يريد أن يوصي فيه إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه**).

﴿١٧٥٥﴾ ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس:٥١]:

هي النفخة الثانية وهي نفخة القيام من القبور، وينسِلون أي يُسرِعون المشي، مجبرين لا مختارين.

﴿١٧٥٦﴾ سبحان من جعل النفختين المتماثلتين مؤثرتين في أمرين متضادين: الإحياء والإماتة؟!

﴿١٧٥٧﴾ قال الإمام الرازي:

«الموضع موضع ذكر الهيبة، والكلام عن الكافر، ولفظ الرب يدل على الرحمة، فلو قال بدل الرب لفظًا دالًا على الهيبة، هل يكون أليق أم لا؟

قلنا: هذا اللفظ أحسن ما يكون؛ لأن من أساء واضطر إلى التوجه إلى من أحسن إليه، يكون ذلك أشد ألمًا وأكثر ندمًا من غيره».

﴿١٧٥٨﴾ ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس:٥٢]:

قال ابن كثير: «وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم؛ لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد».

٧١٥٩ ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس:٥٢]:

بعد فوات الأوان، يرجو رحمة الرحمن!

٧١٦٠ ﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ﴾ [يس:٥٣]:

تهوينٌ لأمر البعث والحشر، فالبعث بمجرد صيحة واحدة من إسرافيل، والحشر استدعاء إجباري لا اختياري لجميع الخلائق.

٧١٦١ ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [يس:٥٤]:

نكَّر كلمة نفس ليشمل جميع النفوس، سواء أحبها الله أو أبغضها، ولا يصيبها أدنى ظلم في هذا اليوم، فلا يُنقَص من حسناتها، ولا يُزاد في سيئاتها.

٧١٦٢ ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥]:

من كان مشغولًا في الخير هنا كان مشغولًا مع الحور هناك، شغل في مقابل شغل، لكن مع الفارق!

٧١٦٣ ﴿هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ﴾ [يس:٥٦]:

ليس في الجنة شمس ولا قمر، وإنما هو ظل ليس له في الظاهر سبب.

٧١٦٤ امرأة لا تحب زوجها، فهل تجتمع به في الجنة؟!

الجواب: إذا دخل الزوجان الجنة، تُبَدَّلُ أوصافهما بما يجلب السرور التام لهما، الذي لا تنغيص فيه بوجه من الوجوه، وهذا من التبديل الذي ورد في الدعاء النبوي في صلاة الجنازة: «**وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلًا خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه**». صحيح مسلم رقم: ٩٣٦.

٧١٦٥ ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس:٥٦]:

صبروا في الدنيا على التعب وألوان الشقاء، فطاب لهم في الجنة النعيم وراحة الاتكاء.

٧١٦٦ ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٧]:

أي يتمنون. عن كُثيِّر بن مُرَّة قال: «إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ما تشاءون أن أُمْطِرَكُمْ؟ فلا يسألون شيئًا إلا مطرتهم، فقال كثير بن مرة: لئن أشهدنا الله ذلك المشهد لأقولن أمطرينا جَوَارِيَ مُزَيَّنَاتٍ».

٧١٦٧ ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨]:

يسمعون سلام الله منه بلا واسطة، وأكّد ذلك بقوله: ﴿قَوْلًا﴾ ، ثم قال: ﴿مِن رَّبٍّ﴾ ؛ لتعلم أنه ليس سلاما على لسان رسول ولا سفير.

٧١٦٨ ﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾: وذكر صفة الرحمة ليعلم العبد أنه لم يصل إلى الجنة بعمله واستحقاقه، وإنما وصلها برحمة ربه.

٧١٦٩ ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩]:

من وقف على الحياد بين الحق والباطل، فلن يكون في مقدوره القيام بنفس الدور يوم القيامة.

٧١٧٠ ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩]:

انفصِلوا عن المؤمنين..لا تسيروا في ركابهم، فارقتموهم في الدنيا في الأعمال، فلتفارقوهم اليوم في الأحوال: هم في النعيم، وأنتم في الجحيم.

٧١٧١ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠]:

ما أقسى هذه العبارة مع ما فيها من تقريع ولوم وتبكيت بعد أن أمرهم بالتمايز، ثم أمرهم بمقاساة النار، فدائمًا ما يرتبط العذاب البدني في النار بالعذاب النفسي.

٧١٧٢ ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس:٦١]:

كما أن الطبيب يقول للمريض: لا تتناول كذا فإن يضرك، ثم يقول له: تناول هذا الدواء لتقاوم للمرض، فكذلك يمنع الله عبده من أصل الداء، وهو اتباع الشيطان، ويوصيه بالدواء، وهو العبادة.

١١٧٣ ﴿وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ﴾ [يس:٦٢]:

كم نسبة الضالين بين البشر؟!

قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول: أخرج بعث النار قال: وما بعث النار؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين**» صحيح الجامع رقم: ٨١٤٢.

١١٧٤ ﴿أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ﴾ [يس:٦٢]:

تقريع على عتبات النار يضاعف عذابها، على عدم انتفاعهم بنعمة العقل الذي ركَّبه فيهم، حيث استعملوه فيما يضرهم، ولتلبية حظوظهم وشهواتهم.

١١٧٥ ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [يس:٦٣]:

هذه جهنم التي توعَّدكم الله بها إن عصيتموه، بل وعاديتم من حذَّركم منها وقاطعتموه، وتشاءمتم من خطاب الترهيب وتناسيتموه، فطالعوا هذا العذاب قبل أن تذوقوه.

١١٧٦ ﴿ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [يس:٦٤]:

لا عقوبة إلا بذنب، وعدالة الله مطلقة.

١١٧٧ ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]:

يجادل العبد يوم القيامة ربه، فيقول: يا رب.. ألم تُجِرْني من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني، فيقول الله: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا، وبالكرام الكاتبين شهودًا، فيختم على فيه (فمِه)، فيقال لأركانه: انطقي، فتنطق بأعماله!

١١٧٨ ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]:

ظننتَ نفسك في الدنيا خاليا، وما علمتَ أن جوارحك كانت معك! شهدت عليك، وستؤدي الشهادة غدًا بين يدي الله!

٧١٧٩ ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٦٦]:

ولو نشاء طمس أعينهم لنمحو عنها الرؤية والإبصار لفعلنا، ولكنا لم نفعل رحمة بهم، وكان الواجب أن يقابلوا النعمة بالشكر لا بالكفر، وقوله: ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾ أي لو أرادوا بعد الطمس على العيون المبادرة إلى الطريق الذي اعتادوا سلوكه، لا يقدرون لأنهم لا يبصرون، وهذا تهديد شديد حالَ استمرارهم في الكفر.

٧١٨٠ ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس:٦٧]:

هدَّدهم بالمسخ، وهو تبديل الخلقة وقلبها حجرًا أو جمادًا أو بهيمة، وبذلك لا تستطيع أن تتقدم أو تتأخر؛ لأنها لا تعقل.

٧١٨١ ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس:٦٨]:

أيها الشباب.. اعملوا قبل أن يُحال بينكم وبين العمل. كانت حفصة بنت سيرين تقول: «يا معشر الشباب، اعملوا، فإنما العمل في الشباب».

٧١٨٢ ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ [يس: ٦٩]:

القرآن ليس من الشعر في شيء، وأين هو من الشعر، والشعر إنما هو كلام موزون مقفى، يدل على معنى، فأين الوزن في القرآن؟ وأين القافية؟ وأين المعاني التي يبثها الشعراء من معانيه؟ وأين نظم كلامهم من نظمه وأساليبه؟

٧١٨٣ ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥ﴾ [يس:٦٩]:

لو أراد قرض الشعر لم يستطع، كما جعلناه أمِّيًّا لا يتهدَّى للخط ولا يحسنه، لتكون الحجة أثبت، والشبهة أدحض.

٧١٨٤ قال الزمخشري:

«فإن قلت: فقوله:

أنـــا النّبـــي لا كـــذب أنـــا ابـــن عبـــد المطَّلِـــب

قوله:

هـــل أنـــت إلا أصـــبع دَمِيْـــتِ وفي ســـبيل الله مـــا لقيـــتِ

لت: ما هو إلا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمى به على السليقة، من غير صنعة ولا تكلف، إلا أنه اتفق ذلك من غير قصد ولا التفات منه إليه أن جاء موزونا، كما يتفق في كثير من إنشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم».

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس: ٧٠]:

الكافر ميت لأنه فقد القرآن، وأنت حي فقط بالقرآن!

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠]:

الحياة حياة القلب، والموت موت القلب، والأكل والشرب علامة حياة الظاهر، والقرآن علامة حياة الباطن!

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ [يس:٧١]:

متملِّكون لها بتمليكنا إياها، أو متمكِّنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا إياها

﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾ [يس:٧٢]:

قال ابن كثير: «أي جعلهم يقهرونها وهي ذليلة لهم، لا تمتنع منهم، بل لو جاء صغير إلى بعير لأناخه، ولو شاء لأقامه وساقه، وذاك ذليل منقاد معه، وكذا لو كان القطار مائة بعير أو أكثر لسار الجميع بسير الصغير!».

خضوع الأنعام لنا إنما هو بتسخير الله لها، وليس بقدراتنا، فعند ذبح الأضحية، تذكَّر أن الله هو ذلَّلها لك.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس:٧٣]:

هذه المنافع بأكل لحومها، والانتفاع بشحومها، وشرب ألبانها، والحمل عليها، وقطع المسافات الطويلة بها، ثم الاستفادة بأصوافها وأوبارها وأشعارها، ثم بعظم بعضها، ومع هذا قصَّروا في شكرها.

﴿٧١٤١﴾ ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [يس:٧٤]:

ما أشد غباء من يرجو النصر من غير الله! قد آخى الكفار الذين رجوا نصر الأصنام، وهو رجا النصر ممن لا يملك شيئًا من هذا الحطام.

﴿٧١٤٢﴾ ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ﴾ [يس:٧٥]:

يُحضِر الله الأصنام ويحشر من عبدها إلى النار؛ ليروا سفاهة رأيهم وخيبة أملهم، فلا يستطيعون نصرهم، ويشهدون تعذيبهم، بل ويشاركونهم العذاب.

﴿٧١٤٣﴾ ﴿وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ﴾:

﴿وَهُمۡ﴾ تنصرف إلى المشركين الذين عبدوا ما لا ينفع ولا يضر، ولا يملك نصرهم في الدنيا ولا في الآخرة، وهذا غاية السَّفَه والضلال.

﴿٧١٤٤﴾ ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ [يس:٧٦]:

بعض الكلمات لها وقع السيوف، وألمها شديد بالغ، فاستدعى أن يواسي الله خير رسله في كتابه بلطيف كلامه.

﴿٧١٤٥﴾ كل حيل الأعداء ومكائد الأشقياء مكشوفة لدى من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء..اطمئن.

﴿٧١٤٦﴾ ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ [يس:٧٦]:

اتهام المصلحين سُنَّة لم يسلم منها خير المرسلين، فكيف تسلم أنت من اتهامات المبطلين؟

﴿٧١٤٧﴾ ﴿إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ [يس:٧٦]:

اليقين بإحاطة علم الله بما نزل من الآلام خير دواءٍ للأحزان.

﴿٧١٤٨﴾ ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾ [يس: ٧٧]:

لا يخاصم ربه إلا من نسي أصله!

٧١٩٩ ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩]:

قال مقاتل: اعتزلوا اليوم من الصالحين.

قال أبو العالية: تميَّزوا... مضى عهد الاندساس في صفوف المؤمنين!

٧٢٠٠ قال الضحاك: «إن لكل كافر في النار بيتا يدخل ذلك البيت، ويُردَم بابه بالنار، فيكون فيه أبد الآبدين لا يَرى ولا يُرى».

٧٢٠١ ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ [يس:٧٨]:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**أسرف رجلٌ على نفسه، فلما حضره الموت أوصى بنيه، فقال: إذا أنا مت، فأحرقوني، ثم اسحقوني ثم اذروني في الريح في البحر، فوالله لئن قدر عليَّ ربي ليعذبني عذابا ما عذبه به أحدًا. قال: ففعلوا ذلك به، فقال للأرض: أدّي ما أخذتِ، فإذا هو قائم، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟! فقال: خشيتك يا رب أو قال مخافتك، فغُفِر له بذلك**». صحيح مسلم رقم: ٤٩٥٦ .

٧٢٠٢ ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٩]:

في صحيح مسلم: «**كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خُلِق، ومنه يُرَكَّب**». صحيح الجامع رقم: ٤٥٠٨.

٧٢٠٣ لا تقِس قدرة الخالق على قدرة المخلوقين، وإنما القياس على كيف بدأ الخلق من التراب والطين.

٧٢٠٤ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٩]:

جواب لمن تساءل: كيف يحشر الله من أكلته السباع، أو احترق تمامًا حتى صار رمادًا تذروه الرياح؟!

٧٢٠٥ ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس:٨٠]:

الذي قدر على خلق النار في الأغصان الرَّطِبة الندية، قادر على خلق الحياة في الرِّمم البالية، فهما مثلان متشابهان لإخراج الضد من الضد.

٧٢٠٦ ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس:٨١]:

قال صاحب الظلال:

«هذه الشمس واحدة من مائة مليون في المجرة الواحدة التي تتبعها شمسنا، والتي تؤلف دنيانا القريبة! وفي الكون مجرات أخرى كثيرة، أو دنيات كدنيانا القريبة.

عدَّ الفلكيون حتى اليوم منها مائة مليون مجرة بمناظيرهم المحدودة! وهم في انتظار المزيد كلما أمكن تكبير المناظير والمراصد، وبين مجرتنا أو دنيانا والمجرة التالية لها نحو خمسين وسبع مائة ألف سنة ضوئية (السنة الضوئية تُقدَّر بستة وعشرين مليون مليون من الأميال!)، وهذا هو الجزء الذي يدخل في دائرة معارفنا الصغيرة المحدودة .!

وأين الناس من ذلك الخلق الهائل العجيب؟».

٧٢٠٧ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]:

أبعد المستحيلات تحدث لو أرادها الله وفي لمح البصر، فلا تيأس من انكشاف غمة أو نصر أمة!

٧٢٠٨ ليس عند الله أمر صعب ولا سهل، وليس هناك قريب ولا بعيد، فإرادة الله لأي شيء سبب كافٍ لوجوده كائنا ما كان، وإنما يقرِّب الله الأمور لأفهامنا؛ لندركها بمقاييسنا البشرية المحدودة.

٧٢٠٩ ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[يس: ٨٣]:

الملكوت والرحموت والرهبوت والجبروت هي مصادر زيدت الواو والتاء فيها، للمبالغة فى الملك والرحمة والرهبة والجبر، لكن الملكوت لا يختص إلا بملك الله، والمعنى: نزِّهوا الله الذي بيده وتحت قدرته وقيد تصرفه ملك كل شيء، عما وُصِفَ به من العجز والنقصان والبهتان.

٧٢١٠ مادام أن بيده سبحانه ملكوت كل شيء، فهو القادر على كل شيء، كما قال قتادة: «ملكوت كل شيء أي مفاتح كل شيء».

٧٢١١ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٨٣]:

قُدّم ﴿إِلَيْهِ﴾ على ﴿تُرْجَعُونَ﴾: تأكيدًا لرجوعهم إلى الله؛ لأنهم كان ينكرون المعاد.



سورة الصافات

٧٢١٢ ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ [الصافات:١]:

أقسم بالملائكة التي تصطف استعدادا لتلقي أوامر الله.. النظام سُنَّة كونية لا تشذَّ عنها.

٧٢١٣ في صحيح مسلم عن جابر بن سمره قال: قال رسول الله ﷺ:

«**ألا تصفّون كما تصفُّ الملائكة عند ربهم**»؟ **قلنا**: وكيف تصَفُّ الملائكة عند ربهم؟ قال:

«**يُتِمُّون الصُّفُوف الْأُوَل، ويتراصُّون في الصف**». صحيح مسلم رقم: ١١٩.

أي لا يشرعون في صف حتى يكمل الذي قبله، ثم يتراصون في الصفوف حتى لا يكون بينهم فُرَج.

٧٢١٤ ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ [الصافات:٢]:

لا تظن زهدك في المعصية كان بسبب تقواك فحسب، فهناك ملائكة يزجرونك عن المعاصي دون أن تشعر!

٧٢١٥ من وظائف الملائكة الخفية أن منهم فريقًا يزجر السحاب إلى حيث يريد الوهاب، لكن منا قومًا عمون؛ لذا لا يشكرون.

٧٢١٦ ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات:٣]:

جدِّد نيتك وأنت تتلو كتاب الله، أنك تقتفي أثر ملائكة لا تفتر عن الذكر، ولا تصمت عن لحظة الشكر.

٧٢١٧ الترتيب بالفاء في هذه الصفات على سبيل الترقي؛ إذ الأولى كمال (والصافات)، والثانية أكمل (فالزاجرات)، لتعدى منفعتها إلى الغير، والثالثة أكمل وأكمل (فالتاليات)، لتضَمُّنها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٧٢١٨ ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ [الصافات:٤]:

قال الجيلاني:

«يا غلام..

إذا قلت: (لا إله إلا الله)، فقد ادَّعيتَ.

يقال: أيها القائل ألك بيِّنة؟ ما البيِّنة؟ البيِّنة: امتثال الأمر، والانتهاء عن النهي، والصبر على الآفات، والتسليم إلى القدَر، هذه بيِّنة هذه الدعوى».

٧٢١٩ ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات:٥]:

اكتفى هنا بذكر المشارق عن المغارب؛ لأن كل واحد منهما يستلزم الآخر، ولأن الشروق أدل على القدرة، وأبلغ في النعمة، ولأن الشروق سابق على الغروب.

٧٢٢٠ ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات:٥]:

لم جمع (المشارق)؟! قال صاحب الظلال:

«الأرض في دورتها أمام الشمس تتوالى المشارق على بقاعها المختلفة، كما تتوالى المغارب، فكلما جاء قطاع من الأرض أمام الشمس، كان هناك مشرق على هذا القطاع، وكان هناك مغرب على القطاع المقابل له في الكرة الأرضية، وهي حقيقة ما كان يعرفها الناس في زمان نزول القرآن الكريم، أخبرهم الله تعالى بها في ذلك الزمان القديم».

٧٢٢١ ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات:٦]:

استدل على الله من آثار قدرته، وتقرَّب إليه بالتفكر في خلقه، واقضِ جزءا من ليلك في عبادة التفكر بتأمل السماء.

٧٢٢٢ ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ [الصافات:٧]:

لما أخبر أن الملائكة تنزل بالوحي من السماء، بيَّن أنه حرس السماء عن استراق الشياطين للسمع بأن زيَّنها بالكواكب، والمارِد: العاتي من الجنِّ والإنس.

٧٢٢٣ ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات:٨]:

الوحي الإلهي وأخبار السماء في مأمن تام من استراق السمع من الإنس أو الجن.

٧٢٢٤ ﴿دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات:٩-١٠]:

قال صاحب الظلال:

«ونحن لا نعرف كيف يتسمع الشيطان المارد، ولا كيف يخطف الخطفة، ولا كيف يرجم بالشهاب الثاقب؛ لأن هذه كلها غيبيات تعجز طبيعتنا البشرية عن تصور كيفياتها ومجالنا فيها هو تصديق ما جاء من عند الله فيها، وهل نعلم عن شيء في هذا الكون إلا القشور؟!».

٧٢٢٥ قال ابن عباس: «كانت للشياطين مقاعد في السماء، فكانوا يستمعون الوحي قال: وكانت النجوم لا تجري، وكانت الشياطين لا تُرمى، فلما بُعِثَ رسول الله ﷺ جعل الشيطان إذا قعد مقعده، جاءه شهاب فلم يخطئه حتى يُحَرِقه».

٧٢٢٦ ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ [الصافات:١٠]:

قد تأتي بعض الشياطين بخبَرٍ من السماء، فقد دلت نصوص أخرى أن الشيطان قد يصل إلى مراده، فيصل به إلى الكاهن قبل أن يدركه الشهاب.

٧٢٢٧ ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات:١١]:

كن وريث النبوة في محاجة أهل الباطل والبهتان بالمنطق والبرهان، لتستنقذ من براثنهم أهل الغفلة والعصيان.

٧٢٢٨ ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ [الصافات:١١]:

ما أهون خلقهم وأيسره إذا قورِنوا بخلق السماوات والأرض والمشارق والمغارب، وهذا دليل تفاوت الخلق في العظمة.

٧٢٢٩ ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات:١٢]:

قرأ عامة قراء الكوفة: (بل عجبتُ ويسخرون) بضم التاء، بمعنى: بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكا، وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون.

وقرأ عامة قراء المدينة والبصرة ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ [الصافات: ١٢] بفتح التاء بمعنى: بل عجبتَ أنت يا محمد من سخريتهم من هذا القرآن.

٧٢٣٠ العجَب كل العَجَب ممن يسخر من الحق الساطع. قال قتادة: «عَجِبَ محمد ﷺ، وسَخِر ضُلَّالُ بني آدم».

٧٢٣١ ﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذْكُرُونَ﴾ [الصافات:١٣]:

دخل الإمام مالك المسجد قبل صلاة المغرب فجلس ولم يصلِّ ركعتين (وكان لا يرى صلاة النافلة بعد العصر)، فقال له صبي في المسجد: قم فاركع ركعتين، فلم يقم الإمام مالك، فقال الصبي: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات:٤٨]، فقام الإمام مالك وصلى ركعتين حتى لا يدخل في نطاق الآية الكريمة.

٧٢٣٢ ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ [الصافات:١٤]:

روى الإمام النووي في (بستان العارفين) أن أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي قال: كنا نمشي في أزقة البصرة إلى باب بعض المحدِّثين، فأسرعت المشي وكان مع رجل منهم ماجن في دينه، فقال (ساخِرًا): ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها، كالمستهزئ، فما زال في موضعه حتى جفَّت رجلاه وسقط.

٧٢٣٣ ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصافات:١٥]:

يكفي تخبطهم في الرد عليهم، فمرة ساحر، ومرة مجنون، ومرة كاهن، ومرة يتعلمه من غلام له، وهذا ديدن أصحاب الباطل في تخبطهم وغياب حجتهم في مواجهة أهل الحق.

٧٢٣٤ ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝١٦ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الصافات:١٦-١٧]:

استبعاد وعد الله قولًا أو عملًا هو من علامات فقدان المعرفة وانسداد البصائر والختم على القلوب والضمائر.

٧٢٣٥ ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ [الصافات:١٨]:

لا مداراة على حساب المبادئ، ولا أنصاف حلول في مسائل العقيدة، ولا خجل من الجهر بكلمة الحق.

٧٢٣٦ ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الصافات:١٩]:

والمراد بهذه الزجرة: النفخة الثانية التي يقوم بها إسرافيل، والتعبير عن الصيحة بالزجرة للدلالة على شدتها وعنفها على الكافرين.

٧٢٣٧ ﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الصافات:٢٠]:

عبَّر بصيغة الماضي ﴿وَقَالُوا۟﴾ عن المستقبل لتحقق وقوعه، ومع هذا فالبعض يشكِّك فيه.

٧٢٣٨ يوم الدين من أسماء يوم القيامة، والدين بمعنى الجزاء؛ كما في المثل: (كما تدين تدان).

٧٢٣٩ ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات:٢١]:

هذا كلام الملائكة لهم يجيبونهم أنه لا تنفعهم الولولة ولا الحسرات، وأن هذا يوم الفصل الذي بين أهل الخصماء، ويظهر فيه الصادقون من الأدعياء.

٧٢٤٠ ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]:

قال قتادة والكلبي: «كل من عمل مثل عملهم، فأهل الخمر مع أهل الخمر، وأهل الزنى مع أهل الزنى».. اختر صحبتك غدًا!

٧٢٤١ ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٣]:

عرِّفوهم طريق النار إن كانوا لا يعرفون، أو اجعلوها كالهدية تهدونها إليهم لو كانوا يرغبون، وهذا غاية التهكم والتوبيخ.

٧٢٤٢ هل أخذهم إلى النار هداية؟ إنه عذاب السخرية النفسي الذي يضاعف أثر العذاب البدني.

٧٢٤٣ ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]:

هذا إيقافٌ على الصراط للمساءلة عن جميع الأقوال والأفعال، وهو حبسٌ يُجمَعون فيه مع أقرانهم قبل أن يُساقوا إلى الجحيم.

٧٢٤٤ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [الصافات:٢٥-٢٦]:

لا فائدة من المقاومة، بل ولا فائدة من الاستجداء والملاومة، تقاوم من؟! ملايين الملائكة المسؤولة عن العذاب في جهنم؟

٧٢٤٥ ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات:٢٧]:

هنا مشهد احتداد الجدال والعتاب في النار، بين الأتباع والمتبوعين، بين الزعماء والعوام، بين الكبراء والفقراء.

٧٢٤٦ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات:٢٨]:

قال الزمخشري: «اليمين لما كانت أشرف العضوين وأمتنهما، وكانوا يتيمنون بها، فبها يصافحون، ويماسحون، ويناولون ويتناولون، ويزاولون أكثر الأمور.

لما كانت كذلك استعيرت لجهة الخير وجانبه، فقيل: أتاه عن اليمين، أى من الخير وناحيته».

٧٢٤٧ ﴿قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات:٢٩]:

من لم يكن إيمانه راسخًا، سهل على الدعاية الباطلة أن تؤثِّر فيه.

٧٢٤٨ ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ [الصافات:٣١]:

ترى من يكون داخلًا في هذا القسم الإلهي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ؟ اللّهم عافِنا وأجِرنا.

٧٢٤٩ ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾ [الصافات:٣٢]:

الغاوي حامل عدوى لمن حوله، فالغواية وباء واجب الاتقاء، والصاحب إما مهلكة وإما منجاة.

٧٢٥٠ ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الصافات:٣٣]:

الاشتراك في العذاب الآخرة لا يخفِّف وقعه على النفس، بالعكس يضاعف آلامه بالتلاوم والعتاب.

٧٢٥١ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الصافات:٣٤]:

أي بالمشركين، فغاية الإجرام: أن تجعل لله شريكًا في العبادة بشقيها: الحب والخضوع.

٧٢٥٢ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات:٣٥]:

الكِبْر من أسباب الحُمْق!

قال النبي ﷺ لأبي طالب عند اجتماع قريش عنده عند موته: «قولوا لا إله إلا الله، تملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجَم»، فأبَوْا إلا الإعراض.

٧٢٥٣ ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٦]:

حتى الكفر درجات، أو دركات، فأوله الإعراض، ثم التكذيب، ثم رمي المرسلين بأفظع الصفات، كما في هذه الآية.

٧٢٥٤ علامة الإفلاس غياب الموضوعية! وإلا فكيف يجتمعان: شاعر ومجنون؟!

٧٢٥٥ ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:٣٧]:

ما جاء محمد ﷺ بجديد، فرسالته هي رسالة كل الأنبياء من قبله، ودعوته صدى الدعوة الأولى.

٧٢٥٦ هذا نص تعزية الله عن تكذيب قومه له، بأن الرسل قبله كُذِّبوا من أقوامهم.

٧٢٥٧ ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾ [الصافات:٣٨]:

في الآية التفات من الغيبة إلى أسلوب المخاطَب إظهارًا لشدة الغضب عليهم، وزجرًا لهم عن الوقوع في هاوية التكذيب، مع استعمال أسلوب التأكيد ﴿إِنَّكُمْ﴾ واللام ﴿لَذَآئِقُواْ﴾.

٧٢٥٨ ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٣٩]:

كأن الله علم أن قائلًا سيقول: كيف يليق بالرحيم الكريم أن يعذِّب عباده؟!

فجاء الجواب: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

٧٢٥٩ ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات:٤٠]:

قيل هو من الإخلاص. قال القشيري: «الإخلاص: تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين، ويقال: هو أن تنظر إلى نفسك بعين الانتقاص».

٧٢٦٠ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات:٤١]:

من نعمة الله علينا أن أخبرنا بتفاصيل رزقنا في الجنة تشويقًا وترغيبًا، وبثًا للحماسة فينا.

٧٢٦١ ﴿فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ [الصافات:٤٢]:

خصَّ الفواكه بالذكر لأنهم يأكلونها تلذذًا وتفكُّهًا لا عن جوع.

٧٢٦٢ ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الصافات:٤٣-٤٤]:

من نعيم الجنة: التلذذ برؤية الإخوان.

٧٢٦٣ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الصافات:٤٤]:

قال ابن عباس:

«على سرر مكللة بالدُّر والياقوت والزبرجد، السرير ما بين صنعاء إلى الجابية (بسوريا)، وما بين عدن إلى أَيْلة (بالأردن)».

٧٢٦٤ ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الصافات:٤٥]:

العرب تقول للقدح إذا كان فيه خمر: كأس، فإذا لم يكن فيه خمر فهو قدح، كما يقال للخُوان إذا كان عليه طعام: مائدة، فإذا لم يكن عليه طعام لم تقل له مائدة.

٧٢٦٥ قال الزجاج: ﴿بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ أي من خمر تفيض من الكأس كما تجري العيون على وجه الأرض!

٧٢٦٦ ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [الصافات:٤٦]:

قال ابن عباس: «ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء»، لكن حقيقة نعيم الجنة تختلف عن الدنيا اختلافا عظيمًا، ولا تُدرَك حقيقة هذا النعيم إلا بمعاينته بعد دخول الجنة.

٧٢٦٧ ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات: ٤٧]:

أي لا تغتال عقولهم وتُذهِبُها، وإنما صرف الله السُّكر عن أهل الجنة -كما صرف عنهم النوم- لئلا ينقطعوا عن التلذذ بالنعيم لحظة!

٧٢٦٨ ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٧]:

قال الضحاك: «في الخمر أربع خصال: السُّكَر والصداع والقيء والبول، فذكر الله خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال».

٧٢٦٩ ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصافات: ٤٨]:

قال السعدي: «إما أنها قصرت طرْفها على زوجها، لعفتها وعدم مجاوزته لغيره، ولجمال زوجها وكماله، بحيث لا تطلب في الجنة سواه.

وإما لأنها قصرت طرْف زوجها عليها، وذلك يدل على كمالها وجمالها الفائق، الذي أوجب لزوجها أن يقصر طرفه عليها».

٧٢٧٠ ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات:٤٩]:

يشبهن بيض النعام الذي أخفاه الريش في العش، فلم تمسه الأيدي، ولم تخدشه العيون، وخاطب الله العرب بما يفهمون ويألفون، فشبَّه بياض الحور ببيض النعام الذي يخالطه شيء من الصفرة، وهو لونٌ محبوب في النساء عند العرب، والعرب تقول لكل مصون ﴿مَّكْنُونٌ﴾.

٧٢٧١ ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات:٥٠]:

من نعيم الجنة! يتناول أهل الجنة الشراب، ويتحادثون -وهم يشربون- عما جرى لهم في الدنيا، وذلك على عادة المتنعمين، كما في قول الشاعر:

وما بَقِيَت من اللذات إلا أحاديث الكرام على المدام

٧٢٧٢ ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [الصافات:٥١]:

احذر قرين السوء، فإنه يؤذيك، وإلى طريق النار يهديك.

٧٢٧٣ ﴿يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات:٥٢- ٥٣]:

أي: أإنا لمحاسبون، والدينونة، هي الحساب، ومنه الحديث: «**الكيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت**» حسَّنه الترمذي رقم: ٢٤٥٩.

٧٢٧٤ ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ [الصافات:٥٤]:

مشاهدة عذاب أهل النار يضاعِف إحساس أهل الجنة بقيمة ما هم فيه من النعيم، وفضل الله عليهم بالنجاة من الجحيم.

٧٢٧٥ ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]:

لولا أن الله عرَّفه بصاحبه ما عرفه، فقد تغير لونه وهيئته من أثر العذاب وألسنة النار.

٧٢٧٦ ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]:

قال الآلوسي: «واطلاع أهل الجنة على أهل النار، ومعرفة من فيها، مع ما بينهما من التباعد غير بعيد بأن يخلق الله- تعالى- فيهم حِدَّة النظر، ويُعرِّفهم من أرادوا الاطلاع عليه.

وقيل: إن لهم طاقات (فتحات) في الجنة ينظرون منها من علو إلى أهل النار».

٧٢٧٧ ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات:٥٦]:

ماذا حصل حين اطلع؟

رأى قرينه في لُجَّة العذاب، فانطلق يوبِّخه على محاولاته التي كادت تقذفه معه في النار.

٧٢٧٨ الهلاك الحقيقي هو ضياع الدين، وللأسف.. كثيرون لا يكتشفون هذه الحقيقة إلا على أبواب الجحيم.

٢٧٧٩ ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات:٥٧]:

نجاتك من العذاب هي فضل نعمةٍ من الوهاب، لا هي بطول اجتهاد ولا فطنة أو ذكاء.

٢٧٨٠ النعمة الباقية.. النعمة الحقيقية هي نعمة الإيمان.. كل نعمة غير الإيمان إلى زوال.

٢٧٨١ ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ [الصافات:٥٨]:

هذا استفهام تلذذ من أهل الجنة، وتحدث بنعمة الخلود غير المحدود، وهو من أعظم أسباب سرور أهل الجنة.

٢٧٨٢ ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الصافات:٥٩]:

الموت في الآخرة فعل ماضٍ، لا علاقة له بالحال ولا الاستقبال، فهنيئًا لصاحبه إن كان من أصحاب الجنة.

٢٧٨٣ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الصافات:٥٩]:

هذا تعريضٌ من المؤمنين بالمشركين؛ لأنهم أيضًا ما هم بميتين، لكنهم من المعذبين، فحالهم شرٌّ من الموت. قيل لبعض الحكماء: ما شَرٌّ من الموت؟ فقال: الذي يتمنى فيه الموت.

٢٧٨٤ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصافات:٦٠]:

من تكامل نعيمه، عظم خوفه من زواله، وحينها يتساءل: أيدوم هذا لي؟ أيبقى ولا يفنى؟ لذا يصيح عند معرفة حقيقة الخلود: إن هذا لهو الفوز العظيم.

٢٧٨٥ ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات:٦١]:

خطِّط للجنة! أهداف المؤمن محددة، وخطواته معلومة، وخطته مرسومة.

٢٧٨٦ لمثل هذا، وليس لغير هذا، فالمؤمن ينتقي أهدافه لتكون الأعظم أجرًا والأكثر نفعا، ولا يخبط خبط عشواء في طاعاته أو حركاته.

٧٢٨٧ ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ [الصافات: ٦٢]:

في الحديث: «**لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن تكون طعامه؟!**» صحيح الجامع رقم: ٥٢٥٠.

٧٢٨٨ ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ [الصافات:٦٣]:

الفتنة هنا هي اختبار الإيمان!

قال ابن كثير: «ومعنى الآية: إنما أخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختبارًا، نختبر به الناس؛ من يُصدِّق منهم ممن يكذب»، وقد كان، وذلك أن الكفار لما سمعوا هذه الآية قالوا: كيف يكون في النار شجرة، والنار تحرق الأشجار؟!

٧٢٨٩ ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات:٦٤]:

شجرة عجيبة! منبتها في قعر جهنم، وأغصانها تمتد إلى دركاتها.

٧٢٩٠ ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات:٦٥]:

ومع أنه لم ير أحد الشيطان حتى يخاف منه، لكن كفى بصورته الغائبة المجهولة رعبا، فليس الطعم المريع ما ينتظر المعذَّب فحسب، بل معه المنظر الفظيع والشكل المخيف، وهذا من العذاب النفسي الذي يضاعف أثر العذاب الحسِّي.

٧٢٩١ ﴿فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ﴾ [الصافات:٦٦]:

جوع أهل النار شديد؛ لذا يفزعون في إزالته بتناول أي شيء أمامهم ولو كان شجر الزقوم، أو أن زبانية النار يُكرِهونهم على الأكل من تلك الشجرة تكميلا لعذابهم.

٧٢٩٢ ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ﴾ [الصافات:٦٧]:

ما فائدة ﴿ثُمَّ﴾ في الآية؟!

قال الرازي:

«فيه وجهان:

الأول: أنهم يملؤون بطونهم من شجرة الزقوم، وهو حارٌّ يحرِق بطونهم، فيعظم عطشهم، ثم إنهم لا يسقون إلا بعد مدة مديدة، والغرض: تكميل التعذيب.

والثاني: أن الله تعالى ذكر الطعام بتلك البشاعة والكراهة، ثم وصف الشراب بما هو أبشع منه، فكان المقصود من كلمة ﴿ثُمَّ﴾ بيان أن حال المشروب في البشاعة أعظم من حال المأكول».

٧٢٤٣ ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٦٨]:

قال ابن كثير: «أي ثم إن مردَّهم بعد هذا الفصل لإلى نار تتأجج وسعير تتوهج، فتارة في هذا وتارة في هذا. كما قال تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾».

٧٢٤٤ ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾ [الصافات:٦٩]:

فيه فائدة: إطلاق لفظ الآباء على الأجداد، كما قال الله لنا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

٧٢٤٥ ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات:٧٠]:

العامي فرضه التقليد، وصاحِب العالم فرضه الاجتهاد، وهذا هو الرأي الوسط في مسألة الاجتهاد والتقليد.

٧٢٤٦ ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات:٧١]:

هنيئًا للقلة التي اهتدت على هذا المدح الإلهي الخالد في صفحات القرآن.

٧٢٤٧ لا تغتروا بكثرة المنحرفين، فكثرة أعدادهم لا تبرِّر ضلال الضالين ولا خطأ المخطئين، ولكنها فتنة لقصار النظر وضعاف الإيمان.

٧٢٤٨ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الصافات:٧٢]:

من لم تبلغه الرسالة والإنذار، فلم تقم عليه الحُجَّة؛ لذا يمتحِنه الله في الآخرة، فإن أطاع دخل الجنة، وإن عصى دخل النار.

٧٢٩٩ ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات:٧٣]:

قال الآلوسي: «والخطاب إما لسيد المخاطبين ﷺ، أو لكل من يتأتى منه مشاهدة آثارهم».

٧٣٠٠ النظر نوعان:

بصري، بالنظر إلى آثار هلاكهم في الدنيا.

وقلبي، بالنظر إلى عاقبتهم في الآخرة.

٧٣٠١ ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات:٧٤]:

من الذي أخلصهم لطاعته وهدايته؟ إنه الله رب العالمين، ولولا الله لهلكوا مع الهالكين.

٧٣٠٢ ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ [الصافات:٧٥]:

النداء قرين الإجابة، فإذا توقف الدعاء انقطعت الإجابة.

٧٣٠٣ نِعْم المجيب أنت يا رباه، فليبشِر بالخير العميم كل من دعاه.

٧٣٠٤ من تنادي إذا كنت من البلاء تعاني؟! من الأعلم بك؟ من الأرحم بحالك؟ من الأقدر على كشف ضرِّك للوصول إلى راحة بالِك؟!

٧٣٠٥ ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الصافات:٧٦]:

يصل أثر عملك الصالح لأهلك، في ما ينالهم من خير، أو يندفع عنهم من شر، والسبب: ما بذلته لدين الله ودعوته.

٧٣٠٦ ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات:٧٧]:

أبونا الأول هو آدم عليه السلام، وأبونا الثاني هو نوح عليه السلام، ولولاه ما بقي على وجه الأرض منا أحد.

٧٣٠٧ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الصافات:٧٨]:

أبقينا عليه في الآخِرين الثناء الحسن إلى يوم الدين، ومن ذلك أننا نثني عليه الآن في صفحات هذا الكتاب!

٧٣٠٨ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات:٧٩]:

قال الزمخشري:

«فإن قلتَ: فما معنى قوله: ﴿فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قلتُ: معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعًا، وأنه لا يخلو أحد منهم منها، كأنه قال: ثبَّت الله التسليم على نوح، وأدامه في الملائكة والثقلين، يسلِّمون عليه عن آخرهم».

٧٣٠٩ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٠ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات:٨٠-٨١]:

علَّل تحيته بالسلام بأنه كان محسنًا، ثم علَّل إحسانه بكونه كان مؤمنًا، فدلَّ ذلك على أن أعظم الدرجات وأشرف المقامات: الإيمان بالله.

٧٣١٠ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ [الصافات:٨٢]:

كل من لم يؤمن غرق، فكل طغيان لا بد له من عقوبة: إما دنيوية أو أخروية.

٧٣١١ ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات:٨٣]:

قال القرطبي: «الشيعة: الأعوان، وهو مأخوذ من الشِّياع، وهو الحطب الصغار الذي يوقد مع الكبار حتى يستوقد»، فإبراهيم ممن شايع نوحًا على دينه وتقواه.

٧٣١٢ المراد أنه عاش ومات على طهارة القلب من دنس الشهوات وغبار الشبهات وجميع الآفات.. كن صاحب قلب إبراهيمي وسَبْقٍ إيماني.

٧٣١٣ ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٤]:

سئل محمد بن سيرين: ما القلب السليم؟ فقال: «الناصح لله عز وجل في خلقه».

٧٣١٤ ما أحبَّ صاحب القلب السليم إلى الله! حتى أثنى الله على الخليل لقلبه السليم، فكن مثله إن طمعتَ في نفس الثناء.

٧٣١٥ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ [الصافات:٨٥]:

لا تمنعك قرابتك وحسن صلتك بمن تحب من الإنكار عليهم، وتنبيههم على مواضع خطئهم.

٧٣١٦ ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات:٨٦]:

قال المبرد: «الإفك هو أسوأ الكذب، وهو الذي لا يثبت ويضطرب»، وأطلق على اتخاذ الآلهة إفكا؛ لأنه لا يقوم عليه أدنى دليل.

٧٣١٧ ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات:٨٧]:

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «والذي لا إله غيره.. لا يحسن عبد بالله عز وجل الظن إلا أعطاه الله ظنه، ذلك بأن الخير في يده».

٧٣١٨ على قدر حسن الظن يكون من الله عظيم المَنِّ.

٧٣١٩ ماذا تظن بربك؟ أينصرك أم يخذلك؟ يسترك أم يفضحك؟ يجيب دعاءك أم يرُدُّك؟ يقبل توبتك أم يطردك؟ الله لك بحسب ما تظن.

٧٣٢٠ ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ﴾ [الصافات:٨٨]:

أي ليريهم على أنه يستدل بها على شيء لأنهم كانوا منجِّمين.

قال قتادة: «والعرب تقول لمن تفكر: نظر في النجوم»، يعني نظر إلى السماء متفكرًا فيما يلهيهم به، وهذا دليل جواز استعمال الحيلة والتورية للوصول إلى هدف نبيل.

٧٣٢١ ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]:

أي سقيم القلب بسبب ما هم فيه من كفر وضلال، فإن العاقل يقلقه ويزعجه ما هم فيه من الكفر، وقال لهم ذلك ليتركوه حتى ينفِّذ ما أقسم عليه من تحطيم الأصنام، فكلام إبراهيم حق، وقد ترك لقومه أن يفهموه بحسب ما يعتقدون.

٧٣٢٢ فيه دليل على أن تعاطي الحيل الشرعية من أجل إزالة المنكر أمر مشروع، فإن إبراهيم اعتذر لقومه عن خروجه معهم في يوم عيدهم، وقال لهم: إني سقيم؛ ليختلي بالأصنام فيحطِّمها، ويثبت لقومه أنها لا تصلح للعبادة.

٧٣٢٣ ﴿فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ [الصافات:٩٠]:

جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: «**لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، اثنتين منهن في ذات الله عز وجل، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾** [الأنبياء: ٦٣]، **وبينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فسأله عن سارة فقال: هي أختي**». صحيح الجامع رقم: ٥٢٠٢.

٧٣٢٤ وما هو بالكذب الصراح بل هو من المعاريض، أي أني مثل السَّقيم في التخلف عن الخروج، وقوله: «**هي أختي**» أراد أخوة الإيمان، وأنه أراد التهكم في قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣].

٧٣٢٥ ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصافات:٩١]:

ما فائدة توجيه إبراهيم هذا الكلام للأصنام في ظل غيبة عابديها، وهو يعلم أنها لن تأكل؟!

والجواب:

أن بعض حراسها كانوا هناك، وإلا كان كلامه لغوا لا فائدة منه.

٧٣٢٦ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ [الصافات:٩٢]:

فيه زيادة السخرية من تلك الأصنام، وإظهار الغيظ منها، والضيق بها، والغضب عليها.

٧٣٢٧ لم يكسِر إبراهيم الأصنام إلا بعد أن أثبت بالحجة لمن حضر أنها لا تصلح أن تكون آلهة.

٧٣٢٨ ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات:٩٣]:

في معنى اليمين قولان:

الأول: معناه بالقوة والشدة؛ لأن اليمين أقوى الجارحتين.

والثاني: أنه قصد باليمين الحَلِف، وهو قوله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧]

٧٣٢٩ ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ [الصافات:٩٤]:

قال الزجاج: «يزِفون: يُسرِعون وأصله من زفيف النعامة، وهو ابتداء عدوها»، وإن تسارع أهل الباطل في الدفاع عن باطلهم، فينبغي لأهل الحق أن يكونوا أسرع في نصرة الحق.

٧٣٣٠ ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات:٩٥]:

فيه فضل الاحتجاج واستعمال العقل في مجادلة أهل الباطل، فلم يكن الخشب والحجر قبل النحت آلهة، فإذا نَحَت أحدكم كتلة حجر أو قطعة خشبة صارت آلهة تُعبَد!

٧٣٣١ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦]:

أي خلقكم الله، وخلَق المادة التي تصنعون منها أصنامكم من حجر أو خشب.

٧٣٣٢ خلق الله أفعال العباد، فعن حذيفة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**إن الله يصنع كل صانع وصَنْعَتَه**»، وتلا بعضهم عند ذلك: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

٧٣٣٣ ﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٩٧]:

كان من الممكن قتل إبراهيم في صمت، أو إحراقه دون أن يخسروا ثمن هذا البنيان! لكنهم أرادوا أن يكون مشهد القتل مأساويًّا صارخًا، ليردعوا من تسوِّل له نفسه بالإيمان.

٧٣٣٤ ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات:٩٨]:

ما أسفل أن تكيد الدين وحملة الرسالة من الصالحين.

٧٣٣٥ من كاد أولياء الله، كان في مواجهة مباشرة مع الله، ومصيره الإذلال في الأسفلين.

٧٣٣٦ ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]:

قال مقاتل: «هو أول من هاجر من الخلق مع لوط وسارة إلى الأرض المقدسة، وهي أرض الشام..».

٧٣٣٧ ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات:١٠٠]:

ليس المهم أن يرزقك الله بالولد، الأهم أن يكون من الصالحين.

٧٣٣٨ ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]:

قال صاحب الكشاف: «وقد انطوت البشارة على ثلاثة: على أن الولد غلام ذكر، وأنه يبلغ أوان الحلم، وأنه يكون حليمًا».

٧٣٣٩ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]:

قال ابن جزي: «إن قيل: لم شاوره في أمر هو حتمٌ من الله؟ فالجواب: أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه، ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه، ويوطِّن نفسه على الصبر».

٧٣٤٠ ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصافات: ١٠٢]:

قد تنصح من هو أفضل منك، أو أكبر منك، أو أعلم منك، كما فعل إسماعيل، فلا تحقر نفسك.

٧٣٤١ ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات: ١٠٢]:

لولا مشيئة الله ما صبرت، ولولا إعانة الله لي ما صبرت، ولولا استعانتي بالله ما صبرت.. هذا افتقار الأنبياء، فكيف يفتخر بقوته من دونه من الضعفاء.

٧٣٤٢ ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات:١٠٣]:

الاستسلام لله أورث إبراهيم مقام الخِلَّة، فصار إبراهيم خليل الرحمن لما نجح في هذا الامتحان.

٧٣٤٣ حين ترضى بالأقدار تبدأ المحنة في الانحسار.

٧٣٤٤ قال القرطبي: «وفي الخبر: إن الذبيح قال لإبراهيم عليه السلام حين أراد ذبحه:

يا أبت.. اشدد رباطي حتى لا أضطرب.
واكفف ثيابك لئلا ينتضح عليها شيء من دمي فتراه أمي فتحزن.
وأسرِع مَرَّ السكين على حلقي؛ ليكون الموت أهون عليَّ.
واقذفني للوجه، لئلا تنظر إلى وجهي فترحمني، ولئلا أنظر إلى الشفرة فأجزع».

٧٣٤٥ ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ [الصافات:١٠٤]:
ناداه الله بطريق الوحي بإرسال الملَك، لكن أسند المناداة إلى الله تعالى؛ لأنه الآمر بها.

٧٣٤٦ ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الصافات:١٠٥]:
الدرس: لا يُرفَع قضاء إلا بالرضا به.

٧٣٤٧ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦]:
قال السعدي: «وهو خليل الرحمن، والخلة أعلى أنواع المحبة، وهو منصب لا يقبل المشاركة، ويقتضي أن تكون جميع أجزاء القلب متعلقة بالمحبوب، فلما تعلقت شعبة من شعب قلبه بابنه إسماعيل، أراد تعالى أن يصفي وُدَّه ويختبر خلته، فأمره أن يذبح من زاحم حبه حب ربه، فلما قدّم حب الله، وآثره على هواه، وعزم على ذبحه، وزال ما في القلب من المزاحم، بقي الذبح لا فائدة فيه؛ فلهذا قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ ١٠٧﴾[الصافات: ١٠٦-١٠٧]».

٧٣٤٨ ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات:١٠٧]:
كانت ثواب الصبر على البلاء أن خلَّصه الله من الذبح، وفداه بكبش عظيم، ثم أكرمه فوق الولد بولد آخر: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

٧٣٤٩ ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الصافات:١٠٨-١٠٩]:

لما صبر إبراهيم على الابتلاءات كلها استحق أن يخلِّد الله ذكره في العالمين، فقد نجح في البلاء الذي حصل بغير اختياره حين أُلقِي في النار، ونجح في الابتلاء الذي وقع باختياره حين هَمَّ بذبح ولده بيده.

٧٣٥٠ ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الصافات:١١٠]:

نجزي بنون العظمة، فعطاء الله على قدر رب العالمين، وعطاؤك يا على قدرك أيها العبد المسكين.

٧٣٥١ ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصافات:١١١]:

العبودية في كل المواضع عار وشنار، إلا العبودية لله فإنها شرف وفخار؛ ولذا تكرَّر مدح الله لأصحابها في كتابه.

٧٣٥٢ ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات:١١٢]:

بشِّروا من حولكم كما بشَّر القرآن.. أسعِدوا من حولكم.. كونوا مفاتيح أفراح، ومغاليق أحزان.

٧٣٥٣ لا بد من البشرى بعد البلوى، واليسر بعد العسر؛ لأن دوام الحال محال، والفجر آتٍ مهما الليل طال.

٧٣٥٤ الولد ليس سببًا للبُشْرى إن لم يكن صالحا.

٧٣٥٥ ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾ [الصافات:١١٣]:

قال أبو حيان:

«وفيه دليل على أن البر قد يلد الفاجر، ولا يلحقه من ذلك عيب ولا منقصة».

٧٣٥٦ ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الصافات:١١٤]:

المنَّة على موسى وهارون هنا بالنبوة، فإنها أعظم درجة يصل إليها إنسان؛ ولذا لم يعيِّن الله ما منَّ به عليهم لنحمل المنَّ على أكمل معناه.

٧٣٥٧ النبوة منَّة لأن كلًّا من موسى وهارون لم يسألاها الله، إذ ليست النبوة مكتسبة.

٧٣٥٨ ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الصافات:١١٥]:

وفيه قولان:

قيل: إنه الغرق، أغرق الله فرعون وقومه، ونجَّى بني إسرائيل.

وقيل: المراد أنه تعالى نجاهم من أذى فرعون، حيث كان يذبِّح أبنائهم ويستحيي نساءهم.

٧٣٥٩ ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الصافات:١١٦]:

كانوا هم الغالبين في كل الأحوال، بظهور الحجة في أول الأمر، والغلبة والرفعة في آخر الأمر.

٧٣٦٠ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾ [الصافات:١١٧]:

الكتاب المستبين: هو التوراة، والمستبين شديد الوضوح، يقال: استبان الشيء إذا ظهر ظهورًا شديدًا.

٧٣٦١ ﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات:١١٨]:

كل عبد مفتقر إلى الهداية ولو كان نبيا، وأقرب الناس من الانحراف من ظنَّ نفسه أبعدهم عنه.

٧٣٦٢ لماذا لم يقل: (وهديناهما إلى الصراط المستقيم)؟

والجواب: الهدية نوعان:

هداية دلالة: وتتعدى بإلى، فيقال: هداه إلى الصراط المستقيم.

وهداية توفيق: وتتعدى بنفسها، فيقال: هداه الصراطَ المستقيم، وهي المقصودة في هذه الآية.

٧٣٦٣ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الصافات:١١٩]:

الذِّكر الجميل والثَّناء الجزيل من الفضل الجليل لله رب العالمين.

٧٣٦٤ في الحديث:

«**إذا أثنى عليك جيرانك أنك محسن فأنت محسن، وإذا أثنى عليك جيرانك أنك مسيء فأنت مسيء**». صحيح الجامع: ٢٧٧.

٧٣٦٥ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الصافات:١٢٠]:

سلام عليهما من كل سوء، وسلام يحفظهما من مجرد أن يذكرهما أحد بسوء، والسلام من آثار اسم الله السلام.

٧٣٦٦ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات:١٢١]:

ليس هذا ثوابًا لموسى وهارون فحسب، بل ثوابًا لكل محسن، فتنافسوا في هذا الدرب، واقتفوا آثار الركب، وتعرَّضوا لجوائز الرب.

٧٣٦٧ ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات:١٢٢]:

أشرف المقامات: مقام العبودية، وصدق من قال:

حسْبُ نفسي عِزا بأنيَ عبدُ ... يحتفي بي بلا مواعيدَ ربُّ

و في قُدسِه الأعزُّ ولكن ... أنا ألقى متى وأين أُحِبُّ!

٧٣٦٨ ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:١٢٣]:

إلياس من أنبياء بني إسرائيل، وقيل إنه إدريس عليه السلام، والأرجح أنه غيره.

٧٣٦٩ ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الصافات:١٢٤]:

أعظم الناس ذنبًا أجدر أن يكون أعظمهم خوفًا، وأطلق لفظ التقوى ولم يحدده بشيء، فلم يقل: تتقون الله أو تتقون النار، لتبقى على عمومها وإطلاقها.

٧٣٧٠ تأمل اللطف في الخطاب، فلم يقل: اتقوا الله، مع أن كثيرًا من الأنبياء قالها، وذلك مراعاة لاختلاف أحوال المخاطَبين، ومخاطبة كل واحد بما يليق به.

٧٣٧١ ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [الصافات:١٢٥]:

البعل: اسم الصنم الذى كان يعبده قومه، وسُمِّيت باسمه مدينة بعلبك بالشام، وكان قومه يسكنون فيها.

٧٣٧٢ ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الصافات:١٢٦]:

تذكير لهم بالموت الذي حصد آباءهم وأجدادهم؛ ليستعدوا للحاق بهم بصلاح أعمالهم وصدق إيمانهم قبل يوم الفراق.

٧٣٧٣ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ﴾ [الصافات:١٢٧]:

لاحظ الإهانة في أسلوب الإحضار، وكيف تسوقهم الملائكة إلى جحيم النار.

٧٣٧٤ ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ [الصافات:١٢٧]:

مهما كان صدق دعوتك، وحسن عرضك لفكرتك، ستظل طائفة من الناس خياراتهم محسومة، ومفاتيح هدايتهم مفقودة.

٧٣٧٥ ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [الصافات:١٢٨]:

أخلصَهم الله لإخلاصهم، فإخلاصهم هو سِرُّ اصطفائهم واستخلاصهم.

٧٣٧٦ عملية الاستخلاص تستدعي سعيًا دؤوبًا، ومراحل متعددة تشمل اختبارت واجتياز عقبات، وهي بمثابة تصفيات، حتى لا يصل في نهايتها إلى أعالي الدرجات إلا أخلص العُبَّاد.

٧٣٧٧ ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصافات:١٣٢]:

من رغب عن عبودية الله، ابتُلي بعبودية الخلق، وصدق ابن القيم حين قال: «هربوا من الرِّقِّ الذي خُلِقوا له، وبُلوا بِرِقِّ النفس والشيطان».

٧٣٧٨ ﴿وَإِنَّ لُوطٗا لَّمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٣ إِذۡ نَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ١٣٤ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٣٣-١٣٥]:

من بطَّأ به عمله لم يُسرِع به نسبه!

وهو ما قاله النبي ﷺ في بداية دعوته، حيث قال:

«يا عباس بن عبد المطلب! لا أغني عنك من الله شيئًا.

يا صفية عمة رسول الله! لا أغني عنك من الله شيئًا.

يا فاطمة بنت محمد! سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا»

صحيح الجامع رقم: ٧٩٨٢.

٧٣٧٩ ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾ [الصافات:١٣٦]:

الإيمان هو جواز المرور الوحيد إلى شط النجاة، فكل من لم يؤمن فهو من الآخَرين الهالكين، ولو كانت امرأة نبي.

٧٣٨٠ ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[الصافات:١٣٧-١٣٨]:

كم مررنا وما اعتبرنا، ووُعِظنا وما اتعظنا، وكأن المراد غيرنا، والمخاطَب: أصحابنا!

٧٣٨١ ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:١٣٩]:

قوافل المرسلين لا تتوقف؛ لأن هداية الخلق أحب شيء إلى رب العالمين.

٧٣٨٢ إياك أن تقدح في نبي، ففي الحديث:

«**لا ينبغي لعبدٍ أن يقول: أنا خير من يونس بن متى**». صحيح الجامع رقم: ٧٧٩٦.

٧٣٨٣ قال الإمام الصنعاني:«المراد أنه لا يقول أحد من الناس نزل في ضيق وكرب من تكذيب الناس للحق الذي يأتي به، فصبر على تكذيبهم وأذاهم، هو خير من يونس، لأجل ما حُكِي عنه من قلة صبره على أذى قومه؛ لأن له مقاما عند الله رفيعا، ينغمر فيه ما وقع من قلة صبره».

٧٣٨٤ كيف الجمع بين حديثين؟!

حديث:«**ما ينبغي لنبي أن يقول: إني خير من يونس بن متى**». صحيح الجامع رقم: ٥٨٢١.

وحديث: «**أنا سيد ولد آدم، ولا فخر**».

الجواب: إنما أراد أنه سيد ولد آدم يوم القيامة؛ لأنه الشافع يومئذٍ، وحامل لواء الحمد، وأراد بهذا القول التواضع، وخصَّ يونس بالذكر لأنه دون غيره من الأنبياء كإبراهيم وموسى وعيسى، فكأنه قال: إذا كنتُ لا أحب أن أفضَّل على يونس، فكيف بغيره ممن فوقه؟!

٧٣٨٥ ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الصافات: ١٤٠]:

عبَّر عن هروب يونس من قومه، بهروب العبد الآبق من مولاه؛ لأن يونس ترك قومه دون إذن ربه، فاشترك مع العبد الآبق في نفس الفعل.

٧٣٨٦ ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات:١٤١]:

عدل ما بعده عدل! فيونس عليه السلام لم يستثنِ نفسه من القرعة لأنه نبي، ولم يرفع نفسه فوق قومه.

٧٣٨٧ فيه جواز ارتكاب أدنى الضررين لدفع أعلاهما، فهلاك بعض الركاب أَوْلى من هلاك الكل.

٧٣٨٨ ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات:١٤٢]:

لا تحزن إذا ابتلعتك محنة، ستحملك حتمًا إلى شطآن الأجر.

٧٣٨٩ وَهُوَ مُلِيمٌ أي آتٍ بما يلام عليه من السفر بغير إذن ربه.

٧٣٩٠ المليم من أتى ما يستحق اللوم عليه، وأما الملوم فهو الذي يلام، استحق ذلك أو لم يستحق.

٧٣٩١ ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣]:

قال الحسن:

«ما كان له صلاة في بطن الحوت، ولكنه قدَّم عملا صالحا في حال الرخاء، فذكره الله به في حال البلاء».

٧٣٩٢ اجتهِد أن يكون لك خصلة من عمل صالح، وأخلِص فيها بينك وبين ربك، وادخرها ليوم بلائك وفقرك، واسترها عن عيون الخلق، يصلْ إليك نفعها أحوج ما تكون إليه.

٧٣٩٣ ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٤]:

سبب نجاتك من البلاء تسبيحك وقت الرخاء!

٧٣٩٤ ادخر لنفسك خبيئة من الصالحات تنجيك عند نزول الملمات.

٧٣٩٥ ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات:١٤٥]:

أضاف الله النبذ إلى نفسه، وإنما حصل بفعل الحوت، ليدل على الأمور كلها بيد الله، وأن الحوت ما هو إلا عبدٌ مأمور.

٧٣٩٦ من بطن البحر وبطن الحوت إلى صحراء قاحلة، ومع هذا مرض وجراح، ثم تُكتَب له السلامة والنجاة؛ لأن (سليم الله يسلم).

٧٣٩٧ ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [الصافات:١٤٦]:

عناية الله حين تدرك العبد، يسخِّر له البر والبحر.

٧٣٩٨ كان الله قادرا على رعايته والعناية به من غير شجرة، لكنه أراد أن يعلِّمنا أن الأمور بأسبابها.

٧٣٩٩ ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات:١٤٧]:

رجلٌ واحد فتح الله له قلوب ما زاد على مائة ألف من القوم، فكم سيفتح الله على يديك من القلوب اليوم؟!

٧٤٠٠ ﴿فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات:١٤٨]:

لا تُنسيكَ نجاتك من الهلاك، أن الساعة أمامك لتحاسب فيها على ما قدَّمت وملأت به أيامك.

٧٤٠١ ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَٰتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الصافات:١٤٩]:

كان العرب يستنكفون من البنات، والشيء الذي يستنكف منه المخلوق، كيف يمكن إثباته للخالق؟!

٧٤٠٢ ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾ [الصافات:١٥٠]:

من أخبر هؤلاء أن الملائكة إناث؟ لا حس ولا خبر ولا نظر بين أيديهم دل على هذا، فمن أين استقوه؟!

٧٤٠٣ قال صاحب الكشاف:

«فإن قلت: لم قال: ﴿وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾، فخصَّ علم المشاهدة؟

قلت: ما هو إلا الاستهزاء بهم وتجهيل؛ وذلك لأنهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة، لم يعلموه بخلق علمه في قلوبهم، ولا بإخبار صادق، ولا بطريق استدلال ونظر».

٧٤٠٤ ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾ [الصافات:١٥١]:

هذه كذبة واحدة من جملة أكاذيبهم، واستعمال ﴿مِّنْ﴾ للتبعيض.

٧٤٠٥ ﴿وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الصافات:١٥٢-١٥٥]:

لم فسدت عقولهم؟!

قال ابن القيم:

«ما عُصِيَ الله بشيء إلا أفسَده على صاحبه.

فمن عصى الله بماله أفسده عليه.

ومن عصاه بِجاهِه أفسَدَه عليه.

ومن عصاه بلسانه أو قلبه أو عضو من أعضائه، أفسَدَه عليه، وإن لم يشعر بفساده».

٧٤٠٦ ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ﴾ [الصافات:١٥٦]:

قال الرازي: «واعلم أنه تعالى لما طالبهم بما يدل على صحة مذهبهم، دلَّ ذلك على أن التقليد باطل، وأن الدين لا يصح إلا بالدليل».

٧٤٠٧ ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الصافات:١٥٧]:

هذا من التنزل في الحوار للتلطف بهم وإقامة الحجة عليهم.

٧٤٠٨ ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات:١٥٨]:

أكثر أهل التفسير أن الجنة هنا الملائكة. قال قتادة: «قالت اليهود إن الله صاهر الجن فكانت الملائكة من بينهن».

٧٤٠٩ ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات:١٥٩]:

إنشاء من جانب الله تعالى لتنزيهه، وتلقين للمؤمنين بأن يقتدوا بالله في ذلك التنزيه، وتعجيب من فظيع ما نسبوه إليه.

٧٤١٠ ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات:١٦٠]:

ولقد علمت الجنة أن الذين قالوا: (الملائكة بنات الله) لمحضرون العذاب، إلا عباد الله الذين أخلصهم لرحمته، وخلقهم لجنته.

٧٤١١ ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۝١٦١ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ [الصافات:١٦١، ١٦٢]:

تأييس للمشركين من محاولاتهم فتنة المؤمنين وإعادتهم إلى الكفر إلا من سبق في علم الله تعالى أنه من أهل النار.

٧٤١٢ تصريح بعلم الله السابق للعبد بالسعادة والشقاوة، كما في الحديث المتفق عليه: «..، **ثم يبعث الله إليه ملكًا ويؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد**،..». صحيح الجامع رقم: ١٥٤٢.

٧٤١٣ ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:١٦٣]:

يشبه قوله تعالى: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٩] أي إنما يضل به من هو مأفوك ومُبطِل.

٧٤١٤ ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤]:

ما من مَلَك إلا له مكان معلوم في السماوات. قال ابن عباس: «ما في السماوات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يسبِّح».

٧٤١٥ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٥، ١٦٦]:

كان عمر بن الخطاب إذا أقيمت الصلاة أقبل على الناس بوجهه، فقال: «يا أيها الناس استووا، إن الله إنما يريد بكم هدي الملائكة» ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٥-١٦٦] «استووا، تقدَّم أنت يا فلان، تأخَّر أنت يا هذا، فإذا استووا تقدَّم فكبَّر».

٧٤١٦ ﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ لَوْ ﴿١٦٧﴾ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الصافات:١٦٧-١٦٩]:

حجج الكفار للمكابرة! قال الطبري: «كان هؤلاء المشركون من قريش يقولون قبل أن يبعث إليهم محمد ﷺ نبيا: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، يعني كتابا أنزل من السماء كالتوراة والإنجيل، أو نبي أتانا مثل الذي أتى اليهود والنصارى».

٧٤١٧ ﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الصافات:١٧٠]:

يعلمون عاقبة كفرهم حين لا ينفعهم ندمهم على تقصيرهم.

٧٤١٨ ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ [الصافات:١٧١، ١٧٢]:

كيف يستقيم هذا مع ما جاء في القرآن أن من أنبياء الله مَنْ قُتِل كيحيى وزكريا عليهما السلام؟!

والجواب من أربعة وجوه:

- أن هذا الحكم بناءً على الأغلب.
- الكلام عمن أُمِر بالجهاد من المرسلين، فقد تكفل الله لهم بالنصر، وأما من لم يؤمَر بجهاد، فقتلهم غير مناف للآية.
- الانتصار نوعان: بالحجة والبرهان، وبالسيف والسِّنان.
- الانتصار بمعنى الانتقام، وقد يكون حالَ وجود النبي بينهم، كما حصل لقوم نوح وعاد وثمود؛ أو بعد وفاة النبي، كما انتقم الله من قتلة يحيى وزكريا، وممن حاول صلب المسيح، فقد سلَّط عليهم أعداءهم فغلبوهم وقتلوهم.

٧٤١٩ سئل ابن تيمية عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾: إنا في الدنيا، فما نرى بأعيننا إلا أن الكفار والمنافقين فيها يظهرون، وأنا على الحق ومغلوب، وإذا ذكَّره إنسان بما وعده الله من حسن العاقبة للمتقين، قال: هذا في الآخرة فقط.

فأجاب (بتصرف):

«هذه الاقوال مبنية على مقدمتين باطلتين:

- **إحداهما**: حسن ظنه بدين نفسه، واعتقاد أنه قائم بما يجب عليه، وتارك ما نُهِى عنه، واعتقاده في خصمه ونظيره خلاف ذلك، فإذا كان عكس ذلك، فيكون هذا من جهله بالدين الحق.
- **والمقدمة الثانية**: إن الله قد لا يؤيد صاحب الدين الحق وينصره، وقد لا يجعل له العاقبة في الدنيا، فلا ينبغي الاغترار بهذا، وهذا من جهله بوعد الله تعالى».

٧٤٢٠ ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات:١٧٣]:

أخبرك بنتيجة المعركة مقدَّمًا، لتختار الفريق الفائز والطائفة المنصورة.

٧٤٢١ وعْدٌ لا يتخلَّف، وسُنَّة كونية مطَّرِدة، فإذا ما غُلِب المسلمون، فليحاسبوا أنفسهم، وليُراجعوا شروط جنديتهم لربهم!

٧٤٢٢ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الصافات:١٧٤]:

أمر أعدائك إلى بوار، وقوتهم إلى زوال، فلا يغرنك الإمهال، ولا ما استدرجهم الله به من طيب الأحوال.

٧٤٢٣ ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات:١٧٥]:

قال قتادة:

«سوف يبصرون حين لا ينفعهم الإبصار»، فهو توعُّد بأن كل آتٍ قريب.

٧٤٢٤ ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الصافات:١٧٦]:

الاستعجال نوعان:

قولي بطلب العذاب، وعملي بالإغراق في المعاصي عنادًا واستخفافًا.

٧٤٢٥ عن ابن عباس ﷺ أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: يا محمد.. أرِنا العذاب الذي تخوفنا به، فنزلت هذه الآية.

٧٤٢٦ ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات:١٧٧]:

للصباح ذكريات رائعة مع كل مؤمن.

في الحديث الذي رواه أنس ﷺ قال: لما أتى رسول الله ﷺ خيبر، وكانوا خارجين إلى مزارعهم بفئوسهم ومساحيهم، فلما رأو النبي ﷺ قالوا: محمد والخميس (الجيش)، ورجعوا إلى حصنهم، فقال ﷺ: «**الله أكبر.. خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذرين**». صحيح البخاري رقم: ٦١٠.

٧٤٢٧ ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝١٧٨ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات:١٧٨،١٧٩]:

قال أبو حيان:

«كرر الأمر بالتولي، تأنيسًا له عليه الصلاة والسلام، وتسلية وتأكيدًا لوقوع الميعاد، ولم يقيد أمره بالإبصار، كما قيَّده في الأول، إما لاكتفائه به في الأول فحذفه اختصارا، وإما لما في ترك التقييد من جولان الذهن فيما يتعلق به الإبصار منه من صنوف المسرات، والإبصار منهم من صنوف المساءات».

٧٤٢٨ قال الرازي:

«قيل: المراد من هذه الكلمة في ما تقدم أحوال الدنيا، وفي هذه الكلمة أحوال القيامة، وعلى هذا التقدير فالتكرير زائل».

٧٤٢٩ ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾ [الصافات:١٨٠-١٨٢]:

عن علي ﷺ: «من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه: سبحان ربك رب العزة»، إلى آخر السورة.



سورة ص

٧٤٣٠ ﴿صٓ ۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص:١]:

يقال لها سورة «داود».

٧٤٣١ ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص:١]:

من وظائف القرآن أن يذكِّرنا بما ينفعنا في معاشنا ومعادنا، فمن منا تذكَّر؟!

٧٤٣٢ بعض القسَم لشدة وضوحه لا يحتاج إلى جواب؛ لأن الجواب معلوم سلفا من السياق، وتقديره: ليس الأمر كما قال الكفار من تعدد الآلهة، إنما هو إله واحد.

٧٤٣٣ ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾ [ص:٢]:

عزة الكفار الكاذبة بالإثم لا بد أن تواجهها عزة كل مؤمن بما يحمل من الحق.

٧٤٣٤ هوِّن عليك يا محمد! فمن كفر بك لم يكفر لتقصيرك في دعوتك، بل كفر عنادا وتكبرا عن اتباع الحق.

٧٤٣٥ ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ﴾ [ص:٣]:

كثيرون لما رأوا العذاب أرادوا التوبة بعد فوات الأوان، وتعالت صيحات الاستغاثة في وقت لا فرار فيه ولا إغاثة.

٧٤٣٦ ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ [ص:٤]:

طول العيش في الضلال يجعل الدعوة إلى الهدى أعجوبة!

٧٤٣٧ ﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾ [ص:٤]:

للحق قوة تأثير تشبه أثر السِّحر، لكنها أقوى وأثبت، فإن السحر يزول بالتداوي والشفاء، والحق إذا نزل قلب المؤمن ظل معه حتى الممات.

٧٤٣٨ علامة سيرك في نفس الطريق: أن تنالك الاتهامات الباطلة، والتشنيعات السخيفة الفاجرة.

٧٤٣٩ ليس العداء للشخص، بل للفكرة؛ لذا تكرر الاتهامات في جميع الأزمان وكل الفترات.

٧٤٤٠ ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]:

سبحان الله! أبسط قناعات المؤمن هي نفسها أعقد إشكالات الكافر.

٧٤٤١ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٦]:

اتهام نيات المصلحين مسلك قديم! قال السعدي: «أي له قصد ونية غير صالحة في ذلك، وهذه شبهة لا تروج إلا على السفهاء، فإن من دعا إلى قول حق أو غير حق، لا يرد قوله بالقدح في نيته، فنيته وعمله له، وإنما يرد بمقابلته بما يبطله ويفسده من الحجج والبراهين».

٧٤٤٢ ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص:٧]:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، يعني النصرانية، قالوا: لو كان هذا القرآن حقًّا لأخبرتنا به النصارى.

٧٤٤٣ قالوا: نحن ما سمعنا عن أسلافنا القول بالتوحيد، فوجب أن يكون هذا القول باطلًا، وهذا ذمٌّ للتقليد بغير علم خاصة في أمور العقائد.

٧٤٤٤ ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص:٨]:

الأنانية والنظرة العنصرية الاستعلائية هي نظرة جاهلية.

٧٤٤٥ كثير من حالات الإعراض عن الحق، سببها أن البعض ينظر إلى المستوى المادي أو الاجتماعي أو هيئة (الشخص)، لا إلى (الأفكار والمبادئ).

٧٤٤٦ ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ [ص:٨]:

تأخر العذاب من أسباب الشَّكِّ! قال الإمام الرازي: «كان النبي ﷺ يخوِّفهم من عذاب الله لو أصروا على الكفر، ثم إنهم أصروا على الكفر، ولم ينزل عليهم العذاب، فصار ذلك سببًا لشكهم في صدقه».

٧٤٤٧ ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [ص:٨]:

البعض لا يؤمن حتى يذوق العذاب، فيُقبِل على الطاعات، ويجتنب المنهيات، وهيهات القبول عندها هيهات.

٧٤٤٨ ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ [ص:٩]:

خزائن الله ملأى، تنتظر يدا تجتهد في السعي والطلب لتنفتح.

٧٤٤٩ هذه الآية كفيلة بالقضاء على بذرة الحسد في قلوب المغتاظين، وبث روح الطمع في فضل الله بدلا منها في قلوب المحرومين.

٧٤٥٠ ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَـٰبِ﴾ [ص:١٠]:

ارتقوا في الأسباب، واصعدوا في المعارج التي توصل إلى العرش، ودبِّروا أمر العالم وتحكَّموا في ملكوت الله، وأنزِلوا الوحي على من تريدون.

٧٤٥١ **عليك بدعاء القوة والثقة!**

كان النبي ﷺ يقول بعد كل صلاة: «**اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**».

٧٤٥٢ ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [ص:١١]:

قال الزمخشري: «يريد ما هم إلا جيش من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب، فلا تبالِ بما يقولون، ولا تكترث لما به يهذون.

﴿مَّا﴾ مزيدة، وفيها معنى الاستعظام، إلا أنه على سبيل الاستهزاء بهم.

﴿هُنَالِكَ﴾، من قولهم لمن يتندب لأمرٍ ليس من أهله: لست هنالك».

٧٤٥٣ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۖ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ [ص:١٣]:

ليس قومك أول المكذبين، ولن يكونوا الآخِرين، فطباع البشر أصلها الإصرار والتكرار، وعدم الاعتبار بمصارع الأشرار.

٧٤٥٤ ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [ص:١٤]:

المقصود بهذه الآية زجر السامعين وردع المخالفين وتخويف الغافلين، فمهما تأخر عقاب الله، فهو واقع إن لم يبادر المسيئون بتوبة.

٧٤٥٥ ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص:١٥]:

إن لم يذوقوا عذابي في الدنيا، فهم في انتظار صيحة يوم القيامة، وهي صيحة النفخة الثانية في الصور، وليست في نفسها عذابًا، لكن بها يبدأ العذاب، فالعذاب إن لم يقع في الدنيا، فهو في الانتظار في دركات النار.

٧٤٥٦ ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص:١٥]:

الفواق هو الزمن بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع، والمعنى أن الصيحة إذا جاء وقتها لم تتأخر هذا القدر من الزمن.

٧٤٥٧ ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦]:

والقِطُّ: النصيب والقطعة من الشيء، مأخوذ من قَطَّ الشيء إذا قطعه وفصله عن غيره، فأطلقوا على عذابهم وصف القطعة من العذاب، باعتبار أنها مقتطعة من العذاب الكلي المُعدِّ لهم.

٧٤٥٨ ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦]:

واستفتاح دعائهم بنداء الله بصفة الربوبية، هو استهزاء منهم بعذاب الله، واستخفافهم به.

٧٤٥٩ ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ص: ١٧]:

بعض الكلام مثل ضرب الحسام!

٧٤٦٠ ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ [ص: ١٧]:

يحب الله القوة ويمدحها في عباده، والقوة الممدوحة هي هنا قوة الإيمان وقوة الأبدان، فلا بد للعبد أن يسعى في امتلاك أسباب القوتين، ولا يتكاسل عن طلب واحدة منهما.

٧٤٦١ ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:١٧]:

الأواب: الكثير الأوب، أي الرجوع، والمراد: الرجوع إلى ما أمر الله به والوقوف عند حدوده، و«زبور» داود المسمى عند اليهود بـ «المزامير» مشتمل على كثير من الاستغفار والتوبة.

٧٤٦٢ ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [ص:١٨]:

تسبيح خاص للجماد غير التسبيح العام! قال مقاتل: «كان داود إذا ذكر الله جل وعز ذكرت الجبال معه، وكان يفقه تسبيح الجبال».

٧٤٦٣ الإشراق وقت سطوع ضوء الشمس، وهو وقت الضحى، وهو غير الشروق، الذي هو وقت طلوع الشمس، ويسبق الإشراق.

٧٤٦٤ عن ابن عباس قال: هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن؟ قالوا: لا، فقرأ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾.

٧٤٦٥ ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:١٩]:

من معجزات داود، أن الطير لا ينفر منه، بل تُقبِل عليه كلما سبَّح، لتسبِّح معه، ويفهم تسبيحها.

٧٤٦٦ ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ [ص:٢٠]:

يقول الأستاذ محمد أحمد الراشد: «ودعوة تدَّعي أنها إسلامية، لا يُشَدُّ ملكها اليوم وتغلب، ما لم يسبِّح رجالها بالعشي والإشراق».

٧٤٦٧ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص:٢٠]:

قليل من الناس يستطيع الفصل بين الحق والباطل، ليحكم بين الناس بالعدل، مصحوبا بالحزم الذي لا يشوبه تردد أو تراجع.

٧٤٦٨ ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١]:

ملخص القصة أن خصومة قامت بين اثنين من البشر، فجاؤوا إلى داود ليقضي بينهما، لكنه ظن أنهم جاؤوا لاغتياله وإيذائه، ثم تبين له أنهم ما جاؤوا للاعتداء عليه، فاستغفر ربه من ذلك الظن السيئ، فغفر الله له.

٧٤٦٩ ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾ [ص:٢٢]:

هكذا أمروا نبي الله داود، وهو من هو في شجرة النبوة، ثم يأتي قاض أو أمير أو مدير يأنف من أن يأمره أحد بالعدل، أو يُنهَى عن الجَوْر!

٧٤٧٠ ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي﴾ [ص:٢٣]:

جميلٌ ألا تنسيك الخصومة أخوتك لأخيك.

٧٤٧١ ﴿لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ [ص:٢٣]:

المؤمن الذي يخشى الله يقرُّ بحقوق الآخرين قبل أن يطالب بحقه.

٧٤٧٢ ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [ص:٢٤]:

ما قيمة الإيمان إذا لم يمنع صاحبه من البغي والعدوان؟! لا يعدو عندها أن يكون كلامًا لا يجاوز اللسان.

٧٤٧٣ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡ﴾ [ص:٢٤]:

سمع عمر ﷺ رجلًا يقول في دعائه: اللّهم اجعلني من عبادك القليل، فقال له عمر: ما هذا الدعاء؟

فقال: أردت قول الله عز وجل: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡ﴾، فقال عمر: كل الناس أفقه منك يا عمر.

٧٤٧٤ ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]:

السجود طريق المغفرة!

قال ﷺ: «**ما من عبد يذنب ذنبا فيتوضأ فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله بذلك الذنب إلا غفر الله له**». صحيح الجامع رقم: ٥٧٣٨.

٧٤٧٥ استغفر ربه ليغفر له سوء ظنه، فكيف بالواقع في ما هو أكبر من ذلك وأفظع، من حصاد لسانه وسيئات فعله؟!

٧٤٧٦ ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ [ص:٢٥]:

وما الذي فعله داود؟! لكن كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

٧٤٧٧ ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص:٢٥]:

قال ابن القيم: «قال غير واحد من السلف: كان داود بعد التوبة خيرًا منه قبل الخطيئة، قالوا: ولهذا قال سبحانه: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [سورة ص: ٢٥]، فزاده على المغفرة أمرين: الزلفى وهى درجة القرب منه. والثاني: حسن المآب، وهو حسن المنقلب وطيب المأوى عند الله».

٧٤٧٨ ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص:٢٥]:

دليل صريح على أن العبد بعد التوبة قد يعود خيرا مما كان قبلها، فأبشِروا بالخير معشر التائبين، وطلِّقوا اليأس إلى أبد الآبدين.

٧٤٧٩ ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [ص: ٢٦]:

ليس أمامك إلا طريقان: إما اتباع الحق أو اتباع الهوى.

٧٤٨٠ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧]:

من ظن أن الله خلق خلقا أو فعل شيئًا لغير حكمة وبلا سبب، فقد أساء الظن بالله، وبدأ يسلك سكك الكافرين.

٧٤٨١ لو لم يخلق الله الآخرة لذهب جهد الصالحين سُدًى، وعاد فساد المفسدين ذكاء وفطنة، وأفلت كل ظالم بظلمه، وكان الخلق باطلًا، لا حكمة فيه.

٧٤٨٢ هذه الآية دليل على صحة القول بالبعث والحشر يوم القيامة.

٧٤٨٣ قال ابن القيم ما ملخصه:

«كيف يتوهم أنه عرفه من يقول أنه لم يخلق لحكمة، ولا أمَر لحكمة، ولا نهى لحكمة، وإنما يصدر الخلق منه والأمر عن مشيئة وقدرة، لا لحكمة ولا لغاية،

وهل هذا إلا إنكار لحقيقة حمده؛ لأن الخلق والأمر مُظهِران لحمده وحكمته، فإنكار الحكمة هو إنكار لحقيقة خلقه وأمره، وهذا من أقبح الظن وأسوئه بالرب سبحانه، وتنزيهه عنه كتنزيهه عن الظلم والجور».

٧٤٨٤ ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص:٢٨]

قال ابن كثير:

«أي لا نفعل ذلك، ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك، فلا بد من دار أخرى يُثاب فيها هذا المطيع، ويعاقَب فيها هذا الفاجر.

وهذا الإرشاد يدل على العقول السليمة والفطر المستقيمة، على أنه لا بد من معاد وجزاء، فإنا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك.

ونرى المطيع المظلوم يموت بكمد.

فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا، وإذا لم يقع هذا في هذه الدار، فتعيَّن أن هناك دارًا أخرى لهذا الجزاء والمواساة».

٧٤٨٥ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]:

قال ابن عطية: «وظاهر هذه الآية يعطي أن التدبر من أسباب إنزال القرآن».

٧٤٨٦ يعينك على التدبر أن تفتح مصحفك باحثًا عن الرسالة الربانية المُرسَلة إليك اليوم، وتوقِن أن فيها شفاء لداء تعانيه.

٧٤٨٧ ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٣٠]:

مدح الله سليمان بعبوديته لربه وكثرة أوبته إليه، لا بكنوزه وممتلكاته وقد حاز الدنيا بأسرها.

٧٤٨٨ اجعل من الذنب وسام شرف، وسببًا للثناء عليك، وذلك بصدق توبتك وتحقيق عبوديتك لله رب العالمين.

٧٤١٩ ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ [ص:٣١]:

أبلغ وأوجز كلام عن كمال وجمال الخيل حالتي وقوفها وحركتها. قال الإمام الرازي:

«أما حال وقوفها فوصفها بالصُّفون (والصافِن من الخيل: الذي يقف على ثلاثة أرجل ويرفع الرابعة فيقف على مقدم حافرها).

وأما حال حركتها فوصفها بالجودة، يعني أنها إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها على أحسن الأشكال، فإذا جرت كانت سراعا في جريها، فإذا طَلَبَتْ لَحِقَت، وإذا طُلِبَتْ لم تُلْحَق».

٧٤٩٠ ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ [ص:٣٢]:

بمعنى أن هذه المحبة الشديدة للخيل إنما نبعت بسبب ذكر الله وأمره، لا عن الشهوة والهوى.

٧٤٩١ ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]:

لم يرتضِ الإمام الرازي التفسير الذي عليه أكثر المفسرين من أن سليمان ذبح الخيل لأنها ألهته عن الصلاة، فالمسح ليس الذبح، بل المسح عليها بيده حقيقي حبًّا لها وإعجابًا بها، وذكر سليمان أنه أحبها لا لأجل الدنيا وإنما أحبها لأمر الله، وطلب نصرة الدين.

٧٤٩٢ ما الغرض من هذا المسح؟! قال الرازي: «الغرض من المسح: التشريف لها لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو... وإظهار أنه خبير بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها، فكان يمتحنها، ويمسح سوقها وأعناقها، حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض».

٧٤٩٣ قال ابن حزم: «تأويل الآية على أنه قتل الخيل إذ اشتغل بها عن الصلاة، خرافة موضوعة.. قد جمعت أفانين من القول لأن فيها معاقبة خيل لا ذنب لها والتمثيل بها، وإتلاف مال منتفع به بلا معنى، وتنسب تضييع الصلاة إلى نبي مرسل! ثم يعاقِب الخيل على ذنبه لا على ذنبها!».

٧٤٤ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]:

أصحُّ ما قيل في فتنة سليمان عليه السلام أنه قال: لأطوفن الليلة على أربعين امرأة، تأتى كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة وجاءت بشق رجل، جاء هذا في صحيح البخاري، وقال ﷺ: «**فو الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فرسانا**»، وفيه أن المَلَك قال له: قل إن شاء الله، فلم يقل على سبيل النسيان، والمراد بالجسد المُلقَى على الكرسي ذلك الشِّق الذي وُلِد له.

٧٤٥ استنبط العلماء من هذا الحديث أن فتنة سليمان، هي تركه تعليق ما طلبه على مشيئة الله، وأن عقابه على ذلك كان عدم تحقق ما طلبه، فلا تنس أن تقيِّد أي شيء تنوي فعله بمشيئة الله.

٧٤٦ ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا﴾ [ص: ٣٥]:

قال ابن جزي: «قدَّم الاستغفار على طلب الملك؛ لأن أمور الدين كانت عندهم أهم من الدنيا، فقدَّم الأوْلى والأهمَّ».

٧٤٧ لا يمنعك اقتراف الذنب من الدعاء، فانقباضك بسبب الذنب يبسطه رجاؤك في كرم الرب، واذكر دعوة نبي الله سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا﴾.

٧٤٨ ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص:٣٦]:

كل الخلائق جندٌ لله، يبعث بها حيث يشاء إن شاء ومتى شاء.

٧٤٩ ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص:٣٧]:

ذكر الإمام القرطبي أن الشياطين ما سُخِّرَت لأحد قبل سليمان، وأن سليمان أول من استخرج اللؤلؤ من البحر عن طريق شياطين غواصين.

٧٥٠ ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [ص:٣٨]:

من تمرد وعصى، أو امتنع من العمل وأبى، أو أساء واعتدى، لا بد له معه من حزم ومن عقوبة، وكانت العقوبة هنا: الحبس في الأغلال.

٧٥٠١ ﴿هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [ص:٣٩]:
أنعم الله عليه بحرية الإنفاق والإمساك، ومعلوم أن سليمان عليه السلام سيستعمل هذا العطاء في ما يرضي الله، وهذا شأن كل مؤمن.. عطاؤه لله، وإمساكه لله.

٧٥٠٢ ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ [ص:٤٠]:
أقرب الناس جوارا من الله يوم القيامة: أكثرهم عبادة وطاعة له اليوم.

٧٥٠٣ في الحديث: «**إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا: إمام عادل، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا: إمامٌ جائر**». مسند أحمد رقم: ١١٥٢٥ وفي إسناده ضعف.

٧٥٠٤ ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ [ص:٤١]:
أصيب أيوب عليه السلام بنوعين من المكروه: الغم الشديد بسبب زوال الخيرات التي كانت بين يديه، وهو: (النُّصْب)، والألم الكثير الذي حلَّ ببدنه بسبب الأمراض، وهو: (العذاب).

٧٥٠٥ قال صاحب الكشاف: «ألطَف أيوب عليه السلام في السؤال، حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، ولم يصرِّح بالمطلوب، ويحكى أن عجوزًا تعرضت لسليمان بن عبد الملك، فقالت له: يا أمير المؤمنين.. مشت جرذان- أي فئران- بيتي على العصا!! فقال لها: ألطفت في السؤال، لا جرم لأجعلنها تثب وثب الفهود، وملأ بيتها حبًّا».

٧٥٠٦ هل أصاب الشيطان أيوب بالمرض؟! والصحيح: لا. قال ابن عاشور: «أي مسَّني بوسواس سببه نُصْب وعذاب، فجعل الشيطان يوسوس إلى أيوب بتعظيم النُّصْب والعذاب عنده، ويلقي إليه أنه لم يكن مستحقًا لذلك العذاب، ليلقي في نفس أيوب سوء الظن بالله أو السخط من ذلك، ففي قول أيوب: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ كناية لطيفة عن طلب لطف

الله به، ورفع النصب والعذاب عنه، بأنهما صارا مدخلًا للشيطان إلى نفسه، فطلب العصمة من ذلك».

٧٥٠٧ ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ [ص:٤٢]:

ضربة قدم من أيوب المريض كفيلة بأن تفجِّر عين ماء فوارة؛ لأن الضربة سبب، والله رب الأسباب، تأتمر بأمره.

٧٥٠٨ الفرج أقرب إليك من رجليك، حين يأذن الله.

٧٥٠٩ لو شاء الله لنبع الماء بلا سبب، لكن قضى الله أن لكل شيءٍ سببًا.

٧٥١٠ ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ [ص:٤٣]:

رحمة منا لا فضلاً منك، فما ترفل فيه من نعم، ليس بسبب ذكائك ولا اجتهادك، بل برحمة الله.

٧٥١١ ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ [ص:٤٣]:

بالصبر تعوِّض خسائرك، وتنال أضعاف ما فقدت.

٧٥١٢ ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ﴾ [ص:٤٤]:

ما ألطف الله بعباده! غضب أيوب عليه السلام على زوجته، فحلف ليضربنها مائة جلدة، فأفتاه الله أن يأخذ ضِغثًا وهو حزمة حشيش فيها مائة عود، فيضربها به ضربة واحدة، ليبرَّ بيمينه.

٧٥١٣ نزل الوحي من السماء لحماية زوجة وفية، فما أعظم الوفاء، وما أعظم تكريم الله للزوجة إن أحسنت خدمة زوجها.

٧٥١٤ يجعل الله للصابر مخرجا من كل معضلة، حتى من يمينه.

٧٥١٥ ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ﴾ [ص:٤٤]:

يا تُرى.. كيف سيجدك ربك إذا ابتلاك؟!

٧٥١٦ ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾ [ص:٤٤]:

لو كان هذا الثناء من أمر أو وزير، لطرت به فرحًا، فكيف وهو ثناء رب العالمين! أبشروا معشر الصابرين.

٧٥١٧ ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [ص:٤٥]:

﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي﴾: أي القوة، ﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾: أي البصائر. قال قتادة والسُّدِّيُّ: «أُعْطوا قوة في العبادة، وبصرا في الدين».

٧٥١٨ أكمل الأحوال: اجتماع القوة والبصيرة، فما تفيد القوة بغير بصيرة، وما تنفع البصيرة من غير قوة؟!

٧٥١٩ توبيخ لمن قصَّر في تحصيل القوة في العبادة بالمجاهدة، والبصيرة في الدين بالتفكر والمدارسة، مع قدرته عليهما.

٧٥٢٠ الأيدي: القوة على إظهار الحق وتنفيذ أمر الله وإعلاء كلمته، وهذا دليل على وجوب تولية صاحب القوة، وتقديمه على الضعيف، إذا استويا في الدين.

٧٥٢١ قال ابن القيم:

«وانقسم الناس في هذا المقام أربعة أقسام، فهؤلاء أشرف الأقسام من الخلق وأكرمهم على الله تعالى (**أصحاب القوة والبصيرة**).

القسم الثاني: عكس هؤلاء، من لا بصيرة له في الدين، ولا قوة على تنفيذ الحق، وهم أكثر هذا الخلق.

القسم الثالث: من له بصيرة بالحق ومعرفة به، لكنه ضعيف لا قوة له على تنفيذه ولا الدعوة إليه، وهذا حال المؤمن الضعيف، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله منه.

القسم الرابع: من له قوة وهمة وعزيمة، لكنه ضعيف البصيرة في الدين، لا يكاد يميز بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

وليس في هؤلاء من يصلح للإمامة في الدين، ولا هو موضع لها سوى القسم الأول».

٧٥٢٢ ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص:٤٦]:

قال مالك بن دينار: «نزع الله تعالى من قلوبهم حب الدنيا وذكرها، وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها». اللّٰهم اجعلنا على خطاهم.

٧٥٢٣ والمراد أنهم استغرقوا في ذكرى الدار الآخرة، وبلغوا في هذا الذكر أعلاه، إلى حيث نسوا الدنيا.

٧٥٢٤ ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾ [ص:٤٧]:

استدل الإمام الهروي بهذه الآية على (منزلة الصفاء)، فقال:

«وحقيقتها: التأدب بآداب رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا، وتحكيمه باطنًا وظاهرًا، والوقوف معه حيث وقف بك، والمسير معه حيث سار بك، بحيث تجعله بمنزلة شيخك الذي قد ألقيت إليه أمرك كله سره وظاهره، واقتديت به في جميع أحوالك، ووقفت مع ما يأمرك به، فلا تخالفه ألبتة، وإذا أخبرك عن شيء أنزلته منزلة ما تراه بعينك، وإذا أخبرك عن الله بخبر أنزلته منزلة ما تسمعه من الله بأذنك».

٧٥٢٥ ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص:٤٧]:

أن تكون من أهل الخير، فهذا اصطفاء من الله وانتقاء، فاحمد الله عليه.

٧٥٢٦ قال الإمام الرازي:

«واحتج العلماء بهذه الآية في إثبات عصمة الأنبياء، قالوا: لأنه تعالى حكم عليهم بكونهم أخيارًا على الإطلاق، وهذا يعُمُّ حصول الخيرية في جميع الأفعال والصفات».

٧٥٢٧ ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص:٤٨]:

النظر في سير الأخيار يُعدي، ومدارسة سِيَرهم منهج تربوي لا غنى عنه لبناء الشخصية المسلمة.

٧٥٢٨ ﴿هَـٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص:٤٩]:

هذه الأخبار عنهم شرف لهم في الدنيا، لكن هذا الشرف لا يساوي شيئًا إذا قورن بطيب نعيمهم الذي ينتظرهم في الآخرة.

٧٥٢٩ ﴿جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص: ٥٠]:

لو أغلِقت أبواب الجنة لكانت سجنًا، فالحرية من نعيم الجنة!

٧٥٣٠ ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ [ص:٥١]:

على قدر التعب هنا، تطيب الراحة هناك.

٧٥٣١ ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ﴾ [ص:٥١]:

الاقتصار على ذكر الفاكهة في الطعام للإشارة أن أكل أهل الجنة لمحض التفكه والتلذذ، لا أنه من جوع، وجاءت نكرة إشارة إلى كثرة أنواع الفاكهة.

٧٥٣٢ ﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ﴾ [ص:٥٢]:

قال السُّدِّي: «قصرن أبصارهن وقلوبهن على أزواجهن، فلا يُرِدْن غيرهم».

كلما حققت المرأة المسلمة هذه الصفة زاد جمالها.

٧٥٣٣ قال ابن عاشور:

«ويجوز أن يكون المعنى: أنهن يقصرن أطراف أزواجهن عليهن، فلا تتوجه أنظار أزواجهن إلى غيرهن اكتفاء منهم بحسنهن، وذلك كناية عن تمام حسنهن في أنظار أزواجهن بحيث لا يتعلق استحسانهم بغيرهن، فالأطراف المقصورة أطراف أزواجهن».

٧٥٣٤ ﴿أَتۡرَابٌ﴾ [ص:٥٢]:

متساويات في السن والجمال والشباب، فلماذا خلقهن الله على هذه الحال؟!

قال القفّال: «والسبب في اعتبار هذه الصفة، أنهن لما تشابهن في الصفة والسن والحلية كان الميل إليهن على السوية، وذلك يقتضي عدم الغيرة».

٧٥٣٥ ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص:٥٣]:

هذا من كلام الملائكة أو كلام الله لأهل الجنة، فأي بشارة وأي سعادة تنتظرنا؟!

٧٥٣٦ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٖ﴾ [ص: ٥٤]:

قال الطبري:

«كلما أخذوا ثمرة من ثمار شجرة من أشجارها، فأكلوها، عادت مكانها أخرى مثلها، فذلك لهم دائم أبدًا، لا ينقطع».

٧٥٣٧ ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ [ص:٥٥]:

الطغاة لهم رجعة إلى الله، والله توعدهم بهذا الرجوع المؤلِم.

٧٥٣٨ ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [ص:٥٦]:

ما ظنك إذا كان الفِراش الذي ينامون عليه ويستريحون من نار؟ استعذ بالله من هذا المصير.

٧٥٣٩ ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص:٥٧]:

تنويع عجيبٌ لألوان العذاب، فالحميم هو الماء الحار، والغساق: زمهرير جهنم.

قال ابن عباس: «الغسَّاق: الزَّمْهرير البارِد الذي يُحرِق من بَرْده».

٧٥٤٠ ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ [ص:٥٨]:

أنواع أخرى من العذاب، تشبه في فظاعتها الحميم والغساق، لم يذكر الله طبيعتها، ولا يعرفها أهل الدنيا، لتفاجئ أهل النار غدًا.

٧٥٤١ ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٥٩]:

الترحيب بأهل الجنة أول ما ينتظرهم، وهذه تحية أهل النار.

٧٥٤٢ ﴿قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [ص:٦٠]:

هذا تخاصم أهل النار، ومن علاماته: دعاؤهم على بعض، فتقول خزنة النار للسادة: هذا فوج من أتباعكم داخل النار معكم، فتقول السادة: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾.

٧٥٤٣ ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٦١]:

حذارِ حذارِ أن تكون سببًا في عصيان غيرك!

٧٥٤٤ ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ [ص:٦٢]:

مشكلة معظم الناس أنهم لا يعرفون قدر غيرهم إلا بعد فوات الأوان.

٧٥٤٥ ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [ص:٦٣]:

الذين كانوا مادة السخرية بالأمس أعلى الله شأنهم اليوم؛ لأن القيامة خافضة رافعة.

٧٥٤٦ يبحثون عمن سخروا منهم في جنبات النار، حتى يكتشفوا أنهم يسكنون في جنات الأبرار.

٧٥٤٧ لا تتعجب من حيرة البعض بين أهل الحق وأهل الباطل، فبعضهم لن يكتشف فساد رأيه عن الصالحين، إلا بعد أن يذوق عذاب الجحيم!

٧٥٤٨ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٦٤]:

الله يقول: ما أخبرتكم به من تخاصم أهل النار، ودعاء بعضهم على بعض هو حق لا ريب فيه، فقد علم الله أننا سنستغرب هذه الأخبار، فأكَّدها ليستيقن الأبرار، ويقيم الحجة على الفجار.

٧٥٤٩ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ [ص:٦٥]:

الإنذار والتخويف من أهم أعمال المرسلين ومن ورائهم المصلحون، خاصة مع أهل العناد والمجرمين.

٧٥٥٠ إذا رأيت داعية خلا خطابه من الإنذار والتحذير من النار، على مدار السنين والأعوام، فتعجَّب لحاله، واستغرب من اعوجاجه.

٧٥٥١ ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [ص:٦٥]:

كل جبار في الأرض الله يقهره، وكما قال القشيري: القهار: من لا يجري بخلاف حُكْمِه -في مُلكِه- نَفَس!

٧٥٥٢ ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ﴾ [ص:٦٦]:

لما أرهبهم بقهره، رغَّبهم بمغفرته! الله رب كل شيء، وهو عزيز يقهر من عانده وعصاه، ويغفر لمن دعاه ورجاه، فكيف يُعبَد غيره؟ ويُستعان بسواه؟

٧٥٥٣ ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٧٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص:٧٨،٦٨]:

القرآن أعظم الأنباء، ومع هذا قابله البعض بالهجر والإعراض.

٧٥٥٤ لو أن رجلًا أخبرك أن بصدد استلام رسالة، وبحسب تنفيذك لما فيها يتوقف أمر نجاتك أو هلاكك، فكيف يكون استقبالك لها؟! هكذا القرآن.

٧٥٥٥ ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص:٦٩]:

لولا أن الله أطلع نبينا على خبر آدم وإبليس ما علم منه شيئًا، فحتى الرسول لا يتقدم أو يتأخر أو يتكلم إلا بما أذن به الله، فاجعل قدوتك في هذا الباب رسول الله ﷺ.

٧٥٥٦ ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [ص:٧٠]:

إن عبتم عليَّ علو لهجتي في الترهيب واستعمالي أسلوب الإنذار الشديد، فليس هذا من عندي، وإنما هو وحي لا أملك مخالفته، بل واجبي أن أبلِّغه لكم كما بلغني.

٧٥٥٧ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص:٧١- ٧٢]:

نسب الله الروح إلى نفسه تشريفًا وتكريمًا، ولأنه لا يعلم كُنْه الروح ولا سرها إلا الله خالقها.

٧٥٥٨ ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [ص:٧٣]:

سجد ما لا يحصى من الملائكة في لحظة واحدة، وفي مشهد مهيب، يوحي بكمال الخضوع لله رب العالمين.

٧٥٥٩ ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [ص:٧٤]:

قال الطاهر بن عاشور في تعليق قيِّم على هذه الآية:

«وهذا ناموس خُلُقي جعله الله مبدأ لهذا العالم قبل تعميره، وهو أن تكون الحوادث والمضايق معيار الأخلاق والفضيلة، فلا يحكم على نفس بتزكية أو ضدها إلا بعد تجربتها وملاحظة تصرفاتها عند حلول الحوادث بها».

٧٥٦٠ مُدِح رجل عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالخير، فقال عمر: هل أريتموه الأبيضَ والأصفر؟ يعني الدراهم والدنانير.

قال الشاعر:

لا تمدحَنَّ أمرًا حتّى تُجرِّبه ... ولا تذمَّنَّه من قبل تجريب

ن الرجال صناديق مقفَّلة ... وما مفاتيحها غَيرَ التجاريب

٧٥٦١ ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص:٧٥]:

يقول لإبليس: أبيتَ السجود لآدم تكبرًا عليه، ولم تكن من المتكبرين العالين قبل ذلك، ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ قبل ذلك، وهذا علوٌ وتكبُّر على ربك.

٧٥٦٢ ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص:٧٦]:

في الآية تقريعٌ من الله للمشركين الذين كفروا بالنبي ﷺ، وأبوا الانقياد له استكبارًا أن يخضعوا لرجل منهم، كما أبى إبليس السجود لآدم استكبارًا أن يسجد لبشر من طين.

٧٥٦٣ ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾ [ص:٧٦]:

كلمة إبليس التي بسببها هلك، يكرِّرها المتكبرون في معاملاتهم كل يوم.

٧٥٦٤ أسوأ الكبر بما ليس باجتهادك ولا من ثمرة مجهودك.

٧٥٦٥ قال السعدي:

«وبزعمه أن عنصر النار خير من عنصر الطين، وهذا من القياس الفاسد، فإن عنصر النار مادة الشر والفساد والعلو والطيش والخفة، وعنصر الطين مادة الرزانة والتواضع وإخراج أنواع الأشجار والنباتات، وهو يغلب النار ويطفئها، والنار تحتاج إلى مادة تقوم بها، والطين قائم بنفسه، فهذا قياس شيخ القوم، الذي عارض به الأمر الشفاهي من الله، قد تبين غاية بطلانه وفساده، فما بالك بأقيسة التلاميذ الذين عارضوا الحق بأقيستهم، فإنها كلها أعظم بطلانًا وفسادًا من هذا القياس».

٧٥٦٦ ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [ص:٧٧]:

ذنب واحد أخرجه من الجنة، وطرده من رحمة الله إلى الأبد، فحذارِ أن تستصغر ذنبًا.

٧٥٦٧ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص:٧٨]:

إعلان بعلم الله بإصرار إبليس على الكفر، فلعنه مستمر طوال الدنيا، ولا ينقطع إلا يوم القيامة بدخوله النار، ليتحقق أثر اللعن.

٧٥٦٨ ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [ص:٧٩]:

انظر كيف تمنى إبليس أن يمد الله في عمره، ليتمكن من إغواء من قدَّر الله أن يغويه، أفلا نغار من عدونا، فنتمنى أن يمد الله في أعمارنا؛ لنتمكن من هداية من قدَّر الله أن نهديه.

٧٥٦٩ ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ [ص:٨٠، ٨١]:

قال سفيان بن عيينة: «لا تتركوا الدعاء، ولا يمنعكم منه ما تعلمون من أنفسكم، فقد استجاب الله تعالى لإبليس وهو شر الخلق. قال: ﴿فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٨٠﴾».

٧٥٧٠ قال الإمام السمعاني: «فإن قيل: وهل يجوز أن يجيب الله دعوة الكافر؛ حيث أجاب دعوة اللعين؟ قيل: يجوز على طريق الاستدراج والمكر والإملاء لا على سبيل الكرامة».

٧٥٧١ ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [ص:٨٢]:

قال قتادة: «علم عدوُّ الله أنه ليست له عزَّة».

٧٥٧٢ التجربة خير برهان! أقسم إبليس بعزة الله، وهو يعلم عظمة هذا القَسَم؛ لأنه وجد أن الله قدَّره على إغواء آدم والوسوسة له، فغرَّته نفسه ليغوي ذريته من بعده.

٧٥٧٣ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [ص:٨٣]:

قال الإمام السعدي عن إبليس:

«لما علم أنه عاجز من كل وجه، وأنه لا يضل أحدًا إلا بمشيئة الله تعالى، فاستعان بعزة الله على إغواء ذرية آدم هذا، وهو عدو الله حقًّا.

ونحن يا ربنا العاجزون المقصِّرون، المقرون لك بكل نعمة، ذرية من شرَّفْتَه وكرَّمْتَه، فنستعين بعزتك العظيمة، وقدرتك، ورحمتك الواسعة لكل مخلوق، ورحمتك التي أوصَلْتَ إلينا بها، ما أوصلتَ من النِّعَم الدينية والدنيوية، وصرفت بها عنا ما صرفت من النقم، أن تعيننا على محاربته وعداوته، والسلامة من شره وشركه، ونحسن الظن بك أن تجيب دعاءنا».

٧٥٧٤ ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ [ص:٨٤]:

الله هو الحق، ويقضي بالحق، ولا يقول إلا الحق.

٧٥٧٥ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:٨٥]:

امتلاء جهنم بالجن والإنس! قال النبي ﷺ: «**لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتقول: قط قط وعزتك، وَيُزْوَى بعضها إلى بعض**». صحيح البخاري رقم: ٦٦٦١.

٧٥٧٦ ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [ص:٨٦]:

هل يجوز أخذ أجر على الإمامة بالمصلين؟

ثبت عند البخاري وغيره أن جماعة من المسلمين نزلوا ببعض العرب فلدغ سيدهم، فعالجه أحد الصحابة بالقرآن (رقاه)، فشفاه الله، فأخذوا على ذلك أجرًا، فأخبروا بذلك رسول الله ﷺ فقال: «**إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله**». صحيح البخاري رقم: ٢٢٧٦ .

٧٥٧٧ ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦]:

تتسلل محبتك إلى القلوب بحسب بساطتك وعدم تكلفك.

٧٥٧٨ البساطة فن نبوي! لم يكن رسولك متكلفًا، فكن على سجيتك، ولا تتقمص شخصية غيرك، فهذا مفتاح القبول وسر الوصول للقلوب والعقول.

٧٥٧٩ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [ص:٨٧]:

هذه رسالة لعالَمَيْ الإنس والجن، ولأهل السماء والأرض، وللخلق أجمعين.

٧٥٨٠ ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص:٨٨]:

قال الإمام الطبري:«وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أعلم المشركين المكذبين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد حين من غير حد منه لذلك الحين بحد، وقد علم نبأه من أحيائهم الذين عاشوا إلى ظهور حقيقته، ووضوح صحته في الدنيا، ومنهم من علم حقيقة ذلك بهلاكه ببدر».

سورة الزمر

٧٥٨١ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر:١]:

قال القشيري:

«هذا كتاب عزيز، نزل من ربٍّ عزيز، على عبد عزيز، بلسان ملَك عزيز، في شأن أمة عزيزة، بأمر عزيز».

٧٥٨٢ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر:٢]:

أي أنزلناه بسبب الحق، أي: لإثباته وإظهاره.

أو معنى ثانٍ: أنزلناه ملتبسا بالحق والصواب، والمراد أن كل ما فيه موجب للعمل والقبول حتما. ذكره الآلوسي

٧٥٨٣ ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:٢]:

عن محمود بن لبيد ﷺ قال: خرج النبي ﷺ، فقال: «**أيها الناس! إياكم وشرك السرائر**. قالوا: يا رسول الله، وما شرك السرائر؟. قال: **يقوم الرجل فيصلي، فيُزَيِّن صلاته جاهدًا لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر**». صحيح ابن خزيمة رقم: ٩٣٧.

٧٥٨٤ ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]:

قال ابن العربي:

«هذه الآية تدل على وجوب النية الخالصة في كل عمل».

٧٥٨٥ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]:

من كمال رحمته أنه لم يجعل بينك وبينه واسطة، ولا وضع على بابه حاجبًا ولا حاجزا.. هيا.. ادخل عليه!

٧٥٨٦ التعبير بصيغة الافتعال ﴿ٱتَّخَذُوا۟﴾ دليل على أن الإنسان مفطور على الخضوع لربه، وأنه لا يلتفت إلى غيره إلا بتكلف، وإخضاع نفسه للهوى والشيطان.

٧٥٨٧ قال الرازي:

«الضمير في قوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ عائد على الأشياء التي عبدت من دون الله، وهي قسمان العقلاء وغير العقلاء.

أما العقلاء، فهو أن قومًا عبدوا المسيح وعزيرًا والملائكة، وكثير من الناس يعبدون الشمس والقمر والنجوم ويعتقدون فيها أنها أحياء عاقلة ناطقة.

وأما الأشياء التي عُبِدَت مع أنها ليست موصوفة بالحياة والعقل، فهي الأصنام».

٧٥٨٨ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر:٣]:

يوم القيامة تنعقد المحاكمة، ويقضي فيها أحكم الحاكمين بالحكم الفصل بين المتخاصمين، فلا استئناف، ولا نقض لحكم أعدل العادلين.

٧٥٨٩ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣]:

سين: كم قد هدى الله من سبق منه الكذب والكفر؟!

جيم: قال ابن عطية: لا يهدي الكاذب الكافر في حال كذبه وكفره.

٧٥٩٠ العبرة بعموم اللفظ، فهلا أخذنا العبرة؟! لم يقل الله تعالى: ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ﴾ ؛ لبيان أن الله لا يهدي كل من اتصف بهاتين الخصلتين الذميمتين: الكذب والكفر.

٧٥٩١ ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾ [الزمر:٤]:

ما ألطف خطاب الرب! خاطبهم على قدر عقولهم، وعلى سبيل الفرضية المستحيلة، وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه، من أن الملائكة بنات الله، أو أن المسيح ابن الله.

٧٥٤٢ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [الزمر:٤]::

اسمان في غاية المناسبة لختام الآية.

- الواحد الذي لا شبيه له، ولو كان له ولد، لاقتضى أن يكون شبيهًا له؛ لأنه بعضٌ منه.
- القهار لجميع الخلق، ولو اتخذ ولد لم يكن مقهورًا منه، ولكان له دلال على أبيه.

٧٥٤٣ لماذا دائمًا اقتران اسم ﴿ٱلۡوَٰحِدُ﴾ باسم ﴿ٱلۡقَهَّارُ﴾؟

والجواب: لأن قَهْر ملوك الدنيا إنما يكون بجنودهم وسلاحهم، وأما الله تعالى فيقهر كل الخلق وهو واحد أحد، فرد صمد، مستغنٍّ عن أي ظهير سبحانه.

٧٥٤٤ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [الزمر:٥]:

التكوير: اللف، فيقال: كوَّر العمامة على رأسه، ووجه التشابه هنا من جهتين:

- الأول: أن الليل والنهار خِلْفة، يذهب هذا ويأخذ مكانه هذا، وإذا أخذ مكانه فكأنما التف عليه كما يُلَفُّ اللباس على اللابس.
- الثاني: أن كل واحد منهما يغيِّب الآخر إذا طرأ عليه، فشُبِّه في تغييبه إياه بشيء ظاهر، لُفَّ عليه ما غيَّبه عن الأبصار.

٧٥٤٥ ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ [الزمر:٥]:

على ضخامة الشمس والقمر هما خاضعان لله، لا يحيدان عن أمره قيد أنملة، ولا ينحرفان مليمترًا واحدًا عن المسار الذي حدَّده الله لهما، والدور عليك أن تمتثل أمر ربك كما الشمس والقمر.

٧٥٤٦ قال الإمام الرازي:

«النور والظلمة عسكران مهيبان عظيمان، وفي كل يوم يغلب هذا ذاك تارة، وذاك هذا أخرى، وذلك يدل على أن كل واحد منهما مغلوب مقهور، ولا بد من غالب قاهر لهما، يكونان تحت تدبيره وقهره، وهو الله سبحانه وتعالى».

٧٥٩٧ ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [الزمر:٥]:

خَلْق هذه الأجرام العظيمة (الشمس والقمر) دلَّ على أن الله عزيز أي كامل القدرة، إلا أنه كذلك غفار عظيم الرحمة، فلما كان كونه عزيزًا يوجب الخوف والرهبة، فكونه غفارًا يوجب كثرة الرحمة، وكثرة الرحمة توجب الرجاء والرغبة.

٧٥٩٨ ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر:٦]:

قال الشنقيطي:

«خلق نوع الإنسان على قسمة رباعية: قسم منه خلقه من ذكر دون أنثى، وقسم منه خلقه من أنثى دون ذكر، وقسم منه خلقه بلا أنثى ولا ذكر، وقسم منه خلقه من أنثى وذكر.

- أما الذي خلق من دون الأنثى ومن دون الذكر: فهو أبونا آدم؛ لأن الله خلقه من تراب ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾ [آل عمران: آية ٥٩].
- خلق من ذكر دون أنثى: هو حواء، خلقها الله من آدم دون أنثى.
- والذي خُلِق من أنثى دون ذكر: هو نبي الله عيسى، أوجده الله من أمه مريم بلا ذكر.
- والذي خُلِق من ذكر وأنثى: هو سائر جنس الإنسان.

وهذه غرائب وعجائب تدل على كمال قدرة خالق هذا الكون، إن شاء خلق دون أنثى ودون ذكر، وإن شاء خلق من ذكر دون أنثى، وإن شاء خلق من أنثى دون ذكر، وإن شاء خلق من أنثى وذكر».

٧٥٩٩ ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾

قال قتادة: «من الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، كل واحد زوج».

٧٦٠٠ سين: لم عبَّر عن الخلق بالإنزال؟!

جـيم: لأن هذه الأنعام تعيش عن طريق ما تأكله من نبات، والنبات يخرج بالماء النازل من السماء، فكأن الأنعام نازلة من السماء.

أو لأن الخلق إنما يكون بأمر السماء المكتوب في اللوح المحفوظ.

٧٦٠١ ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر:٦]:

أفاد الإمام البقاعي إلى أنها إشارة إلى أن أكثر الأنعام أشد من الإنسان، فكان تسخير الأنعام له وتذليلها إنزالًا لها عن قوتها، وإضعافًا لشدتها، وهذا من فضل الله على عباده ورحمته بهم.

٧٦٠٢ ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ [الزمر:٦]:

ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة. قاله ابن عباس ومجاهد.

٧٦٠٣ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [الزمر:٦]:

قال القشيري:

«أي: أنا خلقتكم، وأنا رزقتكم، وأنا صوَّرتكم فأحسنت صوركم، وأنا الذي أسبغت عليكم إنعامي، وخصصتكم بجميل إكرامي، وأغرقتكم في بحار أفضالي، وعرَّفتُكم استحقاق جمالي وجلالي، وهديتكم إلى توحيدي، وألزمتكم رعاية حدودي، فما لكم لا تنقطعون بالكلية إليَّ؟ ولا ترجون ما وعدتكم لديَّ؟ وما لكم في الوقت بقلوبكم لا تنظرون إليَّ؟».

٧٦٠٤ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر:٦]:

قوى قاهرة تصرف هؤلاء عن دلائل الحق الباهرة، قوى خارجة عنهم وهي شياطين الإنس والجن، وقوى داخلية وهي أهواؤهم.

٧٦٠٥ ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾ [الزمر:٧]:

ما كلَّف المكلفين ليجر إلى نفسه منفعة أو ليدفع عن نفسه مضرة، وذلك لأنه تعالى غني على الإطلاق، ويمتنع في حقه جر المنفعة ودفع المضرة.

٧٦٠٦ ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧]:

قال الإمام القرطبي:

«لا يرضى الكفر وإن أراده، فالله تعالى يريد الكفر من الكافر، وبإرادته كفَر (كفرًا)، لا يرضاه ولا يحبه، فهو يريد كون ما لا يرضاه، وقد أراد الله عز وجل خَلْق إبليس وهو لا يرضاه، فالإرادة غير الرضا، وهذا مذهب أهل السنة».

٧٦٠٧ كيف إرادة الله مع عدم رضاه؟!

لو كان الله يريد فقط ما يرضاه، لأصبح الناس كلهم مؤمنين، ولما صلح أن تكون الدنيا اختبارًا، ولما كان هناك منكر يُنهى المؤمنون عنه، ولا معروف مهجور يأتمرون به.

٧٦٠٨ ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾:[الزمر:٧]:

يرضاه لكم ويثيبكم به ويمدحكم عليه؛ لأنه سبب فوزكم وفلاحكم دنيا وآخرة.

٧٦٠٩ كان الإمام أحمد يأكل، فكلما أكل لقمة حمد الله، فقيل له في ذلك، فقال: أكل وحمد خير من أكل وصمت.

٧٦١٠ هذه الآية دليل على أن شكر الله على النعمة من أهم أسباب رضا الله عن العبد.

٧٦١١ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر:٧]:

عن عروة بن الزبير قال: سُئلتْ عائشة ﵂ عن ولد الزنى، فقالت: ليس عليه من خطيئة أبويه شيء، وقرأَتْ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

٧٦١٢ ومن تطبيقات هذه القاعدة ألا يقام الحد على المرأة الحامل حتى تضع حملها، سواء كان الحمل من زنى أو غيره، ولا خلاف في هذا بين العلماء.

٧٦١٣ ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزمر:٧]:

تهديدٌ للعصاة وبشارة للتُّقاة، فكل ذرة جهد في الخير مدَّخرة لكم، تستبشرون بها يوم الجزاء، فاستعدوا ببذل المزيد من الجهد والعطاء.

٧٦١٤ ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الزمر:٧]:

النية ومكنونات الصدور عليها مدار الأجور.

قال ابن تيمية:

«الفضل بنفس العمل وجودته لا بقدره وكثرته، ورُبَّ تسبيحة من إنسان أفضل من ملء الأرض من عمل غيره، وكان إدريس يُرْفَع له في اليوم مثل عمل جميع أهل الأرض، وإن الرجلين ليكونان في الصف، وأجر ما بين صلاتهما كما بين السماء والأرض!».

٧٦١٥ ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ [الزمر:٨]:

إلى أصحاب الذاكرة السمكية.. لكل من نسي المحن التي أزاحها الله عنه: هذه الآية موجَّهة إليهم، تذكِّرهم ألا دوام لمحنة، ولا بقاء لشدَّة.

٧٦١٦ التخويل لا يكون جزاءً بل ابتداء، للدلالة على أن عطاء الله ابتداء فضل منه، لا يستحق أحد من العباد منه شيئًا.

٧٦١٧ ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الزمر:٨]:

ليته اكتفى بالتقصير في شكر نعمة الله عليه، لكنه نسب هذه النعمة إلى غير الله، وأشرك معه غيره.

٧٦١٨ ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر:٨]:

ماذا يساوي قليل الدنيا المشوب بالتنغيص والكدَر، الخلود في الآخرة إذا كان في سقر؟!

٧٦١٩ ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]:

العلم الذي لا يحمل صاحبه على العبادة والوقوف بين يدي الله في جوف الليل، ليس بعلم.

٧٦٢٠ ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر:٩]:

ما أقرب رحمة الله من القائمين بالليل، والمستغفرين بالأسحار!

٧٦٢١ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ [الزمر:١٠]:

إحسانك المحدود في الدنيا يقابله إحسان الله اللامحدود في الآخرة بالجنة.

٧٦٢٢ قال ابن القيم:

«فالإحسان له جزاء معجَّل ولا بد، والإساءة لها جزاء معجَّل ولا بد.

ولو لم يكن إلا ما يجازي به المحسن من انشراح صدوره في انفساح قلبه، وسروره؛ ولذاته بمعاملة ربه عز وجل وطاعته، وذكره ونعيم روحه بمحبته وذكره، وفرحه بربه سبحانه وتعالى أعظم مما يفرِّح القريب من السلطان الكريم عليه بسلطانه».

٧٦٢٣ ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ [الزمر:١٠]:

حَضٌّ على الهجرة من أجل الدين، فلا عذر للمفرطين في الدين أبدًا، فلو ضاقت بكم أوطانكم، ولم تتمكنون فيها من إقامة شرائع الدين، قيل لكم: أرض الله واسعة، ففروا من أرض الفتنة إلى الأرض التي تتمكنون فيها من إقامة الطاعات.

٧٦٢٤ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]:

قال علي ﷺ: «كل مطيع يكال له كيل ويوزن له وزن إلا الصابرون، فإنه يُحْثَى لهم حثيًا».

٧٦٢٥ عن الحسن أنه ذكر الوجع فقال: أما والله ما هو بِشَرِّ أيام المسلم.. أيامٌ ذَكَر فيها ما نسي من معاده. وكُفِّر بها عنه خطاياه.

٧٦٢٦ ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:١١]:

قال إبراهيم النخعي: «إن الرجل ليعمل العمل الحسن في أعين الناس، لا يريد به وجه الله: فيقع له المقت والعيب عند الناس حتى يكون عيبًا.

وإنه ليعمل العمل أو الأمر يكرهه الناس يريد به وجه الله: فيقع له الإلفة والحسن عند الناس».

٧٦٢٧ ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر:١٢]:

كان النبي ﷺ أول المسلمين، فاقتدِ به وكن أول المصلين وأول المتصدقين وأول العافين.

٧٦٢٨ ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزمر:١٣]:

خاف المعصوم، وما خاف كل جهول ظلوم.

٧٦٢٩ ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمر:١٤]:

أعلن التزماك وهويتك الإسلامية، ولا تبالِ بمن خالفك.

٧٦٣٠ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ١٥]:

لا لقاء لأهل النار غدًا مع أهلهم، وسواء ذهب أهلهم إلى الجنة وذهبوا هم إلى النار، أو سكن الجميع النار، فلا سرور لهم في اللقاء ولا في الفراق!

٧٦٣١ ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٥]:

الظلل من فوق لكن كيف تكون من تحت؟ قال الطاهر بن عاشور: «أما إطلاق الظلال على الطبقات التي تحتهم فهو من باب المشاكلة، ولأن الطبقات التي تحتهم من النار تكون ظللًا لكفار آخرين؛ لأن جهنم دركات كثيرة».

٧٦٣٢ ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾[الزمر:١٦]:

إن خفتَه اليوم كفاك الله خوف الغد، وإلا فبين يديك يوم القيامة مخاوف عظيمة.

٧٦٣٣ ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧]:

كلمة مدحٍ من المدير تحفِّزك، ومدح رب العالمين لا يحرِّك فيك ساكنًا! ويحك!!

٧٦٣٤ ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨]:

قال ابن عباس: «هو الرجل يسمع الحسن والقبيح، فيتحدث بالحسن ويكف عن القبيح فلا يتحدث به».

٧٦٣٥ وقيل: يستمعون القرآن وأقوال الرسول، فيتبعون أحسنه أي محكمه فيعملون به.

٧٦٣٦ قال وهب بن منبِّه: «من أدب الاستماع سكون الجوارح، وغض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل، والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى».

٧٦٣٧ ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ [الزمر: ١٩]:

في الكلام حذف تقديره: أفمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه؟! كلا، ونزلت في قوم كان النبي ﷺ يحرص على إسلامهم وقد سبقت لهم من الله الشقاوة. قال ابن عباس: «يريد أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان».

٧٦٣٨ ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ١٩]:

حتى سيد الدعاة والمرسلين ﷺ لا يملك أن ينقذ أحدًا من النار إلا أن يأذن الله له بالهداية، أو لنبيه فيه بالشفاعة، فكيف يغتر داعية اليوم بما أجراه الله على يديه.

٧٦٣٩ ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠]:

ما صفة غرف الجنة؟!

في الحديث: «**إن في الجنة غرفًا يُرَى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدَّها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل، والناس نيام**». صحيح الجامع رقم: ٢١٢٣ .

٧٦٤٠ هل تعلم أن من أسماء سورة الزمر: سورة الغُرَف.

٧٦٤١ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:٢١]:

كل ما كمل من الدنيا فمآله إلى النقصان، فالصحة إلى مرض، والشباب إلى هِرَم، والقوة إلى ضعف، والحياة إلى ذبول ثم موت.

٧٦٤٢ دورة حياة النبات هي نفسها دورة حياة الإنسان، فتأمَّل.

٧٦٤٣ ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]:

ما هي أعظم العقوبات؟! قال مالك بن دينار: «ما ضُرِب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب، وما غضب الله على قوم إلا نزع الرحمة من قلوبهم».

٧٦٤٤ ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر:٢٣]:

أي يشبه بعضه بعضًا في البلاغة والفصاحة والحقائق والإعجاز، ويشبه بعضه بعضًا في أن الجميع وحي من الله، وحق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٧٦٤٥ ﴿مَّثَانِىَ﴾ [الزمر: ٢٣]:

ما فائدة التكرار؟!

قال السعدي:

«﴿مَّثَانِىَ﴾ أي: تُثَنَّى فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الخير، وصفات أهل الشر، وتثنى فيه أسماء الله وصفاته، وهذا من جلالته، وحسنه، فإنه تعالى، لما علم احتياج الخلق إلى معانيه المزكية للقلوب، المكملة للأخلاق، وأن تلك المعاني للقلوب، بمنزلة الماء لسقي الأشجار، فكما أن الأشجار كلما بعد عهدها بسقي الماء نقصت، بل ربما تلفت، وكلما تكرر سقيها حسنت وأثمرت أنواع الثمار النافعة، فكذلك القلب يحتاج دائمًا

إلى تكرر معاني كلام الله تعالى عليه، وأنه لو تكرر عليه المعنى مرة واحدة في جميع القرآن، لم يقع منه موقعا، ولم تحصل النتيجة منه؛ ولهذا سلكت في هذا التفسير هذا المسلك الكريم، اقتداء بما هو تفسير له، فلا تجد فيه الحوالة على موضع من المواضع، بل كل موضع تجد تفسيره كامل المعنى، غير مراعٍ لما مضى مما يشبهه، وإن كان بعض المواضع يكون أبسط من بعض وأكثر فائدة، وهكذا ينبغي للقارئ للقرآن، المتدبر لمعانيه، أن لا يدع التدبر في جميع المواضع منه، فإنه يحصل له بسبب ذلك خير كثير، ونفع غزير».

٧٦٤٦ ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣]:

عن ثابت البناني قال: قال فلان: «إني لأعلم متى يستجاب لي. قالوا: ومن أين تعلم ذلك؟ قال: إذا اقشعرَّ جلدي، ووجل قلبي، وفاضت عيناي، فذلك حين يستجاب لي».

٧٦٤٧ ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر: ٢٤]:

لماذا يتقي العذاب بوجهه لا بيده؟! لأن يديه مغلولتان بالسلاسل!

٧٦٤٨ ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزمر:٢٥]:

أشدُّ العذاب ما كان بغتة، وأتمُّ السرور ما كان فلتة.

٧٦٤٩ ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٢٦]:

لماذا عذاب الآخرة أكبر؟! في الحديث الصحيح:

«**ناركم هذه التي توقد بنوآدم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم**. قيل: يا رسول الله! إن كانت لكافية؟ قال: **فإنها فُضِّلت عليها بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حَرِّها**». صحيح الجامع رقم: ٦٧٤٢.

٧٦٥٠ ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر:٢٧]:

القرآن ملىء بالأمثال، والجميع مشتركون في سماع الأمثال، لكن لا يصغي إليها ولا يعقِلها من كان قاسي القلب، فاسد الحال، فلا يعقِلها إلا العالِمون المتدبِّرون.

٧٦٥١ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨]:

قال ابن عباس: «غير مختلف»، فلا اختلاف فيه، لا في ألفاظه ولا في معانيه، ولا تناقض ولا اضطراب، ولا كلام يلغي كلامًا آخر أو يخالفه أو ينازعه، وهذا من تمام الإعجاز.

٧٦٥٢ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩]:

ضرب الله مثلًا للكافر والمؤمن، فالكافر كعبد تملكه جماعة: ﴿شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾، أي: متنازعون ومختلفون، فكل واحد يأمره بأمر غير الآخر، فهو في عذاب أليم بين هؤلاء السادة المتشاكسين.

والمؤمن كعبد لا يملكه إلا رجل واحد: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾، فلا يحمِّله فوق طاقته، وهو مستريح معه، ويعيش في سلام وأمان.

٧٦٥٣ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]:

قال قتادة: «نُعِيَتْ إلى النبي ﷺ نَفْسُه، ونُعِيَتْ إليكم أنفسُكم»، وهذا تذكير بهذه الحقيقة إن غابت عن الأذهان بالغفلة والعصيان.

٧٦٥٤ قال القرطبي: «خطاب للنبي ﷺ أخبره بموته وموتهم، فاحتمل وجوها خمسة:

أحدها: أن يكون ذلك تحذيرا من الآخرة.

الثاني: أن يذكره حثا على العمل.

الثالث: أن يذكره توطئة (تهيئة) للموت.

الرابع: لئلا يختلفوا في موته كما اختلفت الأمم في غيره.

الخامس: ليُعلِمه أن الله تعالى قد سوَّى فيه بين خلقه مع تفاضلهم في غيره، لتكثر فيه السَّلوة، وتقِلَّ فيه الحسرة».

٧٦٥٥ يقال: ميِّت بالتشديد لمن لا يزال حيًّا وسيموت يومًا، ويقال: مَيْت بالفتح لمن هو ميت فعلًا، ولذلك كان الخطاب ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ [الزمر:٣٠] فهو لا يزال حيًا ويخاطب بهذا، ومعناه: إنك صائر إلى الموت لا محالة.

٧٦٥٦ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:٣١]:

قال ابن عباس: «يخاصِم الصادق الكاذب، والمظلوم الظالم، والمهديَّ الضالَّ، والضعيف المستكبر».

٧٦٥٧ كم خصيما سيكون لك يوم القيامة يريد القصاص منك؟! نِلْتَ منه في الدنيا بيدك أو لسانك، وجاء وقت القصاص.



الجزء الرابع والعشرون

سورة الزمر آية ٣٢
إلى سورة فصلت آية ٤٦

عدد الفوائد: ٤٢٩

قال الحارث المحاسبي:

«إذا عظم في صدرك تعظيم المتكلّم بالقرآن، لم يكن عندك شيء أرفع، ولا أشرف، ولا أنفع، ولا ألذ، ولا أحلى من استماع كلام الله جل وعز ، وفهم معاني قوله تعظيمًا وحبًا له، وإجلالاً؛ إذ كان الله تعالى قائله، فحب القول على قدر حب قائله».

فقه القرآن ص ٣٠٢

الجزء الرابع والعشرون
سورة الزمر آية ٣٢
إلى سورة فصلت أية٤٦

٧٦٥٨ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٣٢]:

فمن مِن خلق الله أعظم فرية ممن كذب على الله، فادَّعى أن له ولدًا وصاحبة، أو أنه حرَّم ما لم يحرمه من المطاعم.

٧٦٥٩ من الكذب على الله أن تفسِّر القرآن بغير علم.

٧٦٦٠ سئل أبو بكر الصديق ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾، فقال: «أيُّ أرض تُقِلُّني، وأيُّ سماء تُظِلُّني، إن قلتُ في كلام الله ما لا أعلم».

٧٦٦١ الظلم مراتب، والذنوب درجات، تتفاضل بينها بين صغائر وكبائر، وحتى الكبائر تتفاوت.

٧٦٦٢ ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر:٣٣]:

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: والذي جاء بالصدق هو رسول الله ﷺ، وصدق به المسلمون أولئك هم المتقون.

٧٦٦٣ لا ينبغي للكاذب أن يُنسَب إلى التقوى أو ينتمي لقافلة المتقين.

٧٦٦٤ قال الإمام البقاعي:

«أفرد الضمير (جاء بالصدق) للإشارة إلى قلة الموصوفين بهذا الوصف من الصدق، وختم الآية بصيغة الجمع في قوله: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ لبيان عظمتهم وإن كانوا قلة».

٧٦٦٥ ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الزمر:٣٤]:

هل في الجنة...؟!

اسرح بخيالك الواسع، وضع ما تشاء وكل ما تتخيله مكان هذا الفراغ، وستجد في الجنة خيرًا منه.

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الزمر:٣٥]:

٧٦٦٦ من صفات المتقين وعلاماتهم البارزة: استعظام الصغائر التي فرطت منهم، ولو غفَرها الله، لاستعظامهم الذنب، ومعرفتهم بقدر من عصوه.

٧٦٦٧ بشَّرهم بأن يكفِّر الأسوأ، ومن كفَّر الأسوأ كفَّر ما دونه، وبشَّرهم بأنه يجزيهم أحسن ما كانوا يعملون، لا أنه يجزيهم الحسنة بمثلها.

٧٦٦٨ من عناية الله بعباده المتقين: أن يضاعِف لهم الأجر، فتكون حسناتهم الصغيرة كالكبيرة، وينالون ثوابهم كله على أكمل الوجوه، وبحساب الأحسن مما عملوا.

٧٦٦٩ ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ﴾ [الزمر: ٣٦]:

قال ابن القيم: «فالكفاية التامة مع العبودية التامة والناقصة، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

٧٦٧٠ قال قتادة في سبب نزولها: مشى خالد بن الوليد إلى العزى ليكسرها بالفأس، فقال له سادنها: أحذِّركَها يا خالد، فإن لها شدة لا يقوم لها شيء، فعمد خالد إلى العُزّى فهشم أنفها حتى كسرها بالفأس، وتخويفهم لخالد تخويف للنبي ﷺ؛ لأنه الذي وجَّه خالدًا.

٧٦٧١ تقوية لقلب كل مؤمن عند الشدائد، وإزالة للخوف الذي في قلبه تجاه أي خطر.

٧٦٧٢ قال الآلوسي: «إنكار ونفي لعدم كفايته تعالى على أبلغ وجه، كأن الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يتفوه بعدمها، أو يتلعثم في الجواب بوجودها».

٧٦٧٣ ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر:٣٦]:
عدم الخوف من الخلق دليل قوة القلب، كما أنه دليل على الإيمان. قال الإمام أحمد: «لو صححْتَ لم تخف أحدًا». أي من المخلوقين.

٧٦٧٤ ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر:٣٦]:
لا يصرف الله عن الحق إلا من علم أنه ليس أهلًا للحق.

٧٦٧٥ قال ابن القيم: «حقيق بالمفتي أن يكثر الدعاء بالحديث الصحيح: (**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السموات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**)». قال: «وكان شيخنا [يعني الإمام ابن تيمية] كثير الدعاء بذلك».

٧٦٧٦ قال ابن عبد الهادي عن شيخه الإمام ابن تيمية:
«كان رحمه الله يقول: ربما طالعتُ على الآية الواحدة نحو مائة تفسير، ثم أسأل الله الفهم وأقول: يا معلِّم آدم وإبراهيم علِّمني، وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها، وأمرِّغ وجهي في التراب، وأسأل الله تعالى وأقول: يا معلِّم إبراهيم فهِّمني».

٧٦٧٧ ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ [الزمر:٣٧]:
مراد الآية ليس التيئيس من الهداية، بل توجيه الخلق لطلب الهداية من الله وحده.

٧٦٧٨ تغنى الشاعر المؤمن في سجنه ساخرا من تضييق الخناق عليه قائلًا:

سُدُّوا عليَّ الباب كي أخلو إلى ... كُتْبي فلي في الكتب خير خَدين
وخذوا الكتاب فإن أُنسِيَ مصحفي ... أتلوه بالترتيل والتلحين
وخذوا المصاحف، إن بين جوانحي ... قلبا بنور يقينه يهديني
الله أسعدني بظل عقيدتي ... أفيستطيع الخلق أن يُشْقوني؟

٧٦٧٩ ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الزمر:٣٨]:

الضر والرحمة من الله وحده، وليس من أحد غير الله، وقدَّم الضُّرَّ لأن دفعه أهم للعبد من جلب المنفعة.

٧٦٨٠ خوَّفوا النبي ﷺ من أصنامهم، وزعموا أنه لو استمر في تحقيرها، فإنها ستؤذيه، فكانت هذه الآية، والتي تصلح أن تكون ردًّا على كل من خوَّفك من غير الله.

٧٦٨١ ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨]:

أهل التوكل الحقيقيون لا يتوكلون إلا على الله، وهذا تعريضٌ بكل من توكل على غير الله، واعتمد على غيره في قضاء حوائجه.

٧٦٨٢ ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ﴾[الزمر:٣٩]:

لن يتوقف أهل الباطل عن سعيهم، ولن يتوقف أعداء الدين عن مؤامراتهم، ورد فعل كل مسلم يجب أن يكون: العمل لغايته النبيلة أضعاف ما يعمل هؤلاء لغايتهم الوضيعة.

٧٦٨٣ عارٌ عليك أن تقف مكتوف الأيدي تجاه مؤامرات الأعداء وخذلان الأدعياء!

٧٦٨٤ كن قوي اللهجة في نصرة الحق الذي تحمله، وأظهر ثقتك ويقينك بالله الحق الذي ينصر الحق وحملة لواء الحق.

٧٦٨٥ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٣٩]:

تهديد بأن مصيركم إلى النار، وستعاينون ذلك عن قريب، لكن لن يفيدكم هذا العلم لأنه في دار الجزاء لا دار العمل والابتلاء.

٧٦٨٦ ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [الزمر:٤٠]:

عذاب الدارَيْن!

﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ في الدنيا، وقد أخزاهم الله يوم بدر، ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ في الآخرة، وهو عذاب النار.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر:٤١]:

من أحسن منكم، فإحسانه إلى نفسه اكتسبه، ومن أساء فبلاؤه على نفسه جلَبَه، والله أغنى الأغنياء عن طاعة المقبلين، ولا تضره زلَّات المعرضين.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]:

أي نومها، فجهِّز نفسك عند كل نومة أنك قد لا تقوم منها إلا على صيحة يوم القيامة.

عن البراء بن عازب قال: كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام وضع يده تحت خده الأيمن، ويقول: «**اللهم قني عذابك، يوم تبعث عبادك**». صحيح الجامع رقم: ٤٧٩٠.

﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]:

يتوفى الله نفسين: النفس التي ماتت موتًا حقيقيًّا، والنفس التي ماتت بالنوم موتا مؤقتا، ثم يمسك روح التي ماتت عنده، ويرسل الأخرى أي يردها إلى بدن النائم ليستيقظ، ويتكرر هذا الأمر كل ليلة.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الزمر:٤٢]:

تمر هذه الآيات على عميان البصائر مرور الكرام، لكنها تمر على المؤمنين الذين يتفكرون، فتزيدهم إيمانًا بقدرة الله وكمال سلطانه ووحدانيته.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر:٤٣]:

استعمال الدليل العقلي أبلغ في الإقناع وإقامة الحجة، فكيف يطلبون شفاعة من لا يملك شيئًا، ولا عقل له؟!

٧٦٤٣ كلما زاد الإيمان، قلَّت الحاجة إلى الأدلة الحسية، وحدث اليقين بالأدلة الغيبية.

٧٦٤٤ **قدِّم النَّقل على العقل!**

قال أبو الزناد: «إن السنن ووجوه الحق لتأتي كثيرًا على خلاف الرأي، فما يجد المسلمون بُدًّا من اتباعها، من ذلك أن الحائض تقضي الصيام، ولا تقضي الصلاة».

٧٦٤٥ ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر:٤٤]:

لا يشفع الأنبياء ولا الشهداء ولا العلماء ولا الأطفال فضلاً عن الأصنام إلا بإذن الله.

٧٦٤٦ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر:٤٥]:

يزداد إيمانك، فينشرح صدرك لذكر الله نطقًا وسماعًا، ويقل إيمانك، فينقبِض صدرك من الذكر، وتهرب منه.

٧٦٤٧ بعض بني جلدتنا تحمر أنوفهم غضبًا إذا استدعَيْتَ أحكام الشرع في خطابك، أو استشهدت بآيات القرآن، والعجيب أنهم في عداد المسلمين.

٧٦٤٨ إذا مات القلب أظلم، فآثر الظلام على الضوء، والعذاب على النجاة.

٧٦٤٩ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر:٤٦]:

كان النبي ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته: «**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**».

٧٧٠٠ قال سعيد بن جبير: إني لأعرف آية ما قرأها أحد قط، فسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه، قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦].

٧٧٠١ ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٤٧]:

لو تصدَّقوا اليوم بمثقال ذرة اليوم لتُقُبِّل منهم ما أنفقوه، لكن يوم القيامة لا يُقبَل منهم ضعف كنوز الأرض لو بذلوه.

٧٧٠٢ لو بكوا في الدنيا دمعة واحدة، لمحت كثيرًا من سيئاتهم، لكن يوم القيامة لو بكوا أنهار الدماء، لم ينفع بكاءهم.

٧٧٠٣ ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]:

قال مجاهد والسُّدِّي: «عملوا أعمالًا توهموا أنها حسنات، فإذا هي سيئات».

٧٧٠٤ قال سفيان الثوري في هذه الآية: «ويل لأهل الرياء.. ويل لأهل الرياء.. هذه آيتهم وقصتهم».

٧٧٠٥ قيل لسليمان التيمي: أنت أنت ومن مِثْلك؟! (إعجابًا به)، فقال: لا تقولوا هكذا، لا أدري ما يبدو لي من ربي عز وجل، سمعت الله عز وجل يقول: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]

٧٧٠٦ ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الزمر:٤٨]:

عاقبة الاستهزاء! استهزؤوا بالبعث فبعثهم الله، وبالعذاب فعذَّبهم الله، وأحاط بهم من كل جانب، فلا فرصة للهرب ولا النجاة، وعبَّر بالفعل الماضي (وحاق) للإيذان بتحقق وقوعه حتى كأنه وقع بالفعل.

٧٧٠٧ ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ [الزمر: ٤٩]:

أي لا يعلم هؤلاء الزاعمون أن ما هم فيه من الخير نتيجة علمهم وسعيهم، لا يعلمون أن عطاء المال فتنة واختبار، ينجحون فيه بالشكر أو يفشلون بالعصيان، فالتبس عليهم تمييز الخير من الشر.

٧٧٠٨ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: ٤٩]:

أكثر الناس لا يعلمون أن ما أوتوه من نعمة في الدنيا هو شرٌّ إن لم يقوموا بشكرها، فيرون المال خيرًا كله، وهذا خطأ.

٧٧٠٩ ﴿قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الزمر:٥٠]:

قالها قارون وغيره: إنما أوتيته على علم عندي، فما دفعت عنهم أموالهم التي كسبوها عذاب الله، وهل سمعتم يومًا عن مال منع عن صاحبه عذاب ربه؟!

٧٧١٠ احذر! بعض الكلمات مشؤومة، تتسبَّب في إهلاك صاحبها!

٧٧١١ ﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [الزمر:٥١]:

سنة الله في عقاب الظالمين ثابتة، لا تتغير على مدار الأزمان وباختلاف الأوطان.

٧٧١٢ الظلم لا محالة سيطال الظالم نفسه، وتلك حقيقة وأمر واقع لا فكاك منه بموجب هذه الآية: ﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ [الزمر:٥١].

٧٧١٣ لا محاباة لقوم على حساب آخرين، فالظالمون أمة واحدة، ولم يُكتَب لأحد منهم براءة من العذاب في الزُّبُر.

٧٧١٤ ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ [الزمر:٥٢]:

يوسِّع على من يشاء من خلقه في رزقه؛ لأن منهم من لا يُصلِحه إلا ذلك، ويقتِّر على من يشاء منهم في رزقه؛ لأنه لا يُصلِحه إلا الإقتار، والله أعلم بعباده.

٧٧١٥ يبسط الرزق للأغنياء ويطالبهم بالشكر، وهذا امتحانهم، ويضيِّق الرزق على الفقراء ويطالبهم بالصبر، وهذا امتحانهم.

٧٧١٦ **أرزاق الأرواح!** إذا بسَط رزق روحك لم تؤثِّر فيك فاقة، وإذا قبضه استنفد منك كلَّ طاقة.

٧٧١٧ يوسِّع ويضيِّق أرزاق الأبدان وأرزاق القلوب حسب مشيئته وعلمه وحكمته.

٧٧١٨ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]:

قال القشيري:

«التسمية بـ ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ﴾، والوصف بأنهم ﴿أَسْرَفُوا۟﴾ ذم. فلمّا قال: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ﴾ طمع المطيعون في أن يكونوا هم المقصودين بالآية، فرفعوا رؤوسهم، ونكَّس العصاة رؤوسهم وقالوا: من نحن.. حتى يقول لنا هذا؟! فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ فانقلب الحال، فهؤلاء الذين نكَّسوا رؤوسهم انتعشوا وزالت ذلّتهم، والذين رفعوا رؤوسهم أطرقوا وزالت صولتهم».

٧٧١٩ قال عبد الله بن مسعود وغيره: «هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى».

٧٧٢٠ ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤]:

قال السعدي:

«﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ بقلوبكم، ﴿وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ بجوارحكم، إذا أُفرِدَت الإنابة، دخلت فيها أعمال الجوارح، وإذا جُمِع بينهما، كما في هذا الموضع، كان المعنى ما ذكرنا».

٧٧٢١ ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥]:

وأحسن ما أُنزِل من الله هو القرآن، وأحسن: اسم تفضيل مستعمل في معنى: كامل الحُسْن، وليس في معنى: تفضيل بعضه على بعض؛ لأن جميع ما في القرآن حَسَن.

٧٧٢٢ ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾[الزمر:٥٦]:

متى ما واتتك فرصة فاغتنمها، وإلا لاحقتك الحسرات، فقلَّما عادت فرصة بعد الفوات.

٧٧٢٣ قال ابن عباس: «يوم الحسرة هو من أسماء يوم القيامة»، وقرأ: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

٧٧٢٤ أهل الانحراف درجات، أسوأهم: الساخرون من أصحاب الاستقامة. قال قتادة: «لم يكفه أن ضيَّع طاعة الله حتى سخر من أهلها».

٧٧٢٥ ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر:٥٧]:

الاحتجاج بالقدر لتبرير الأخطاء احتجاج سخيف، أبطله الله في كتابه، ويلجأ إليه المنحرفون في جميع العصور والأزمان، ويعيدون ترديده يوم القيامة.

٧٧٢٦ ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر:٥٨]:

يظل الشك في النار قائمًا لدى البعض حتى رؤية النار، فتبدأ عندها الأمنيات اليائسة في الرجوع إلى الدنيا بلا طائل.

٧٧٢٧ ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر:٥٨]:

لماذا المحسنون؟ لأن درجة الإحسان أعلى من درجة التقوى، وهي أن تعبد الله كأنك تراه، وهي تتناسب مع رؤية أهل النار للعذاب.

٧٧٢٨ ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر:٥٩]:

ردٌّ من الله لقول القائل: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾ ، فتعلَّل بالأقدار بأنها سبب دخوله النار، فدحض الله ما افتراه، وساق له دليل كذبه وأخزاه.

٧٧٢٩ ﴿تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠]:

قال القشيري: «هؤلاء الذين ادّعوا أحوالًا ولم يصدقوا فيها، وأظهروا المحبة لله ولم يتحققوا بها، وكفاهم افتضاحًا بذلك! وأنشدوا:

ولمّا ادّعيت الحبَّ قالت كذبتنى ... فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا؟!

فما الحبّ حتى تنزف العين بالبكا ... وتخرَس حتى لا تجيب المناديا»

٧٧٣٠ قال ابن عاشور: «ويدخل في الذين كذبوا على الله كل من نسب إلى الله صفة لا دليل له فيها، ومن شرع شيئًا فزعم أن الله شرعه متعمدًا قاصدًا ترويجه للقبول بدون دليل، فيدخل أهل الضلال الذين اختلقوا صفات لله أو نسبوا إليه تشريعًا، ولا يدخل أهل الاجتهاد المخطئون في الأدلة، سواء في الفروع بالاتفاق، وفي الأصول -على ما نختاره- إذا استفرغوا الجهود».

٧٧٣١ ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ [الزمر:٦١]:

هذا رجل تقي.. هذه زوجة تقِيَّة.. أبشر بشهادة الناس لك اليوم بالتقوى، فهي جواز عبورك غدًا عبر أبواب الجنة .

٧٧٣٢ ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر:٦١]:

قال الإمام الرازي ما ملخصه: «هذه آية جامعة؛ لأن الإنسان إذا علم أنه لا يمسه السوء، كان فارغ البال بحسب الحال، وإذا علم أنه لا يحزن كان هادئ النفس عما وقع في قلبه بسبب فوات الماضي، فحينئذٍ يظهر أنه سلم عن كل الآفات».

٧٧٣٣ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الزمر:٦٢]:

خالق الفرح بلا سبب، وخالق الفرَج من العدم، وخالق اليُسر من رحِم العُسْر، ففيم اليأس يا صاحب البؤس؟!

٧٧٣٤ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢]:

الله خالق كل شيء، فكيف عبدتم من لم يخلق شيئًا؟! الله مدبِّر كل شيء بكمال حكمة وعظيم قدرة، فكيف اتخذتم غيره وكيلا؟!

٧٧٣٥ ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر:٦٣]:

المقاليد: المفاتيح، فكل كنوز السماوات والأرض في خزائن الله، ومفاتيح خزائن الله بيد الله، وهذه إشارة إلى أن أي عطاء دنيوي أو أخروي، مادي أو معنوي، يصل المؤمن أو الكافر، والبر أو الفاجر، هو من الله وحده.

٧٧٣٦ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الزمر:٦٣]:

قد يربحون جولة دنيوية محدودة، فيرفعون رايات النصر في نشوة، ويتسلطون على المسلمين بالعلو والقهر والغلبة، لكن الخسران مصيرهم الحتمي وحليفهم الدائم، وهل هناك خسارة أفدح من دخول النار وضياع الجنة؟

٧٧٣٧ ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر:٦٤]:

ساوموه.. نعبد إلهك يومًا، وتعبد إلهنا يومًا، فردَّ عليهم: ما أقبح جهلكم، وهل الإيمان صفقة تجارية حتى تخضع للأخذ والرد؟!

٧٧٣٨ حاول المشركون مع النبي ﷺ كي يشرك بالله، فما ظنك بمحاولاتهم اليوم للإيقاع بالمسلمين في براثن الشرك وشراك الكفر؟

٧٧٣٩ أعظم الجهل أن تعبد غير الله.

٧٧٤٠ أعظم الجهل أن تجهل أمر الله الذي خلقك ورعاك ورزقك وهداك، ثم تتوجه بالسؤال إلى من لا يملك شيئًا.

٧٧٤١ قال النبي ﷺ للجاهل في وجهه: «أنت جاهل»، فلا مواربة، ولا مداهنة.

٧٧٤٢ ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥]:

الآية تنفير من الشرك وتقبيح له بأعظم لهجة؛ لأنه إذا كان رسول الله ﷺ لو وقع في شيء منه- على سبيل الفرض- حبط عمله، وكان من الخاسرين، فكيف بغيره من أفراد أمته؟!

٧٧٤٣ ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥]:

قال الآلوسي:

«شبَّه حاله (المشرك) حينئذٍ بحال التاجر الذي أخرج مالًا ليربح فيه زيادة مال، فعاد وقد ذهب ماله الذي كان بيده أو أكثره، فالكلام تمثيل لحال من أشرك بعد التوحيد، فإن الإشراك قد طلب به مبتكروه زيادة القرب من الله، إذ قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، فكان حالهم كحال التاجر الذي طلب الزيادة على ما عنده من المال، ولكنه طلب الربح من غير بابه، فباء بخسرانه وتبابه».

٧٧٤٤ ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦]:

في الشكر وقاية من العُجب، فلو عرف العبد حقيقة أن ما به من نعمة فمن الله لم يعجب بنفسه، و لم ينسب لنفسه ما ليس له.

٧٧٤٥ قال السعدي: «فكما أنه تعالى يُشكَر على النعم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصول الرزق وغير ذلك، كذلك يُشكَر ويُثنى عليه بالنعم الدينية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، بل نعم الدين، هي النعم على الحقيقة».

٧٧٤٦ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]:

هذه الآية مذكورة في سور ثلاث، في سورة الأنعام، وفي سورة الحج، وفي هذه السورة: سورة الزمر.

٧٧٤٧ ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]:

عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يقبض الله الأرض، ويطوي السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟**». صحيح البخاري رقم: ٤٨١٢.

٧٧٤٨ ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [الزمر: ٦٨]:

اختلف العلماء من هذا المستثنى؟

فذهب الجمهور إلى أن المستثنى هم الملائكة والحور والولدان وهم في الجنة؛ لأن الجنة لا موت فيها، لكن لا يمكن الجزم بكل من استثناه الله من ذلك.

٧٧٤٩ ﴿فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]:

من أطال القيام في الصلاة هان عليه طول القيام يوم القيامة.

٧٧٥٠ ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]:

قال السعدي:

«عُلِم من هذا، أن الأنوار الموجودة تذهب يوم القيامة وتضمحل، فإن الله أخبر أن الشمس تُكوَّر، والقمر يخسف، والنجوم تندثر، ويكون الناس في ظلمة، فتشرق عند ذلك الأرض بنور ربها، عندما يتجلى وينزل للفصل بينهم، وذلك اليوم يجعل الله للخلق قوة، وينشِّئهم نشأة يَقْوَوْن على أن لا يُحرِقهم نوره، ويتمكنون أيضًا من رؤيته، وإلا، فنوره تعالى عظيم، لو كشفه، لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

٧٧٥١ ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر: ٦٩]:

الشهداء من الملائكة الحفظة، ومن أعضاء العبد التي تشهد بطاعته أو معصيته، ومن الأرض التي مشى عليها في ما يرضي الله أو يسخطه.

٧٧٥٢ ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [الزمر:٦٩]:

لأنه حساب صادر ممن لا يظلم مثقال ذرة، ومن أحاط علمه بكل ما عملوه، وشهد عليه أعدل الشهداء الحفظة الكرام، فقد كتبت عليهم كل ما قدَّموه، فلا مجال لاعتراض أو استئناف.

٧٧٥٣ ﴿وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ [الزمر:٧٠]:

قد يقول قائل: وما حاجة الله إلى شهود؟! **والجواب**: لإقامة الحجة. قال عطاء: «يريد أني عالم بأفعالهم، لا أحتاج إلى كاتب ولا إلى شاهد».

٧٧٥٤ ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾

لا تزال أبواب النار مغلقة، كما تُغلَق أبواب السجون، حتى يأتي أصحاب الجرائم الذين يسجنون فيها، فتُفتَح لهم، ثم تُغلَق عليهم.

٧٧٥٥ ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر:٧٢]:

قال وهب: «تستقبلهم الزبانية بمقامع من نار، فيدفعونهم بمقامعهم، فإنه ليقع في الدفعة الواحدة إلى النار بعدد ربيعة ومُضَر». وربيعة ومضر من قبائل العرب.

٧٧٥٦ ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ﴾[الزمر:٧٢]:

من الذي قال؟!

قال ابن كثير: «أي: كل من رآهم وعلِم حالهم يشهد عليهم بأنهم مستحقون للعذاب؛ ولهذا لم يسند هذا القول إلى قائل معين، بل أطلقه ليدل على أن الكون شاهدٌ عليهم بأنهم مستحقون ما هم فيه، بما حكم العدل الخبير عليهم».

٧٧٥٧ ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الزمر: ٧٣]:

قال القرطبي: «قال في حق الفريقين ﴿وَسِيقَ﴾ بلفظ واحد، فَسوْق أهل النار طردهم إليها بالخزي والهوان، كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل.

وسوق أهل الجنان سوْق مراكبهم إلى دار الكرامة والرضوان؛ لأنه لا يُذهَب بهم إلا راكبين كما يفعل بمن يُشرَّف ويكرَّم من الوافدين على بعض الملوك، فشتان ما بين السَّوْقَين».

٧٧٥٨ ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]:

زيادة الواو دليل على أن الأبواب فتحت لهم قبل أن يأتوا لكرامتهم على الله تعالى، والتقدير حتى إذا جاؤوها وأبوابها مفتحة، لكنه حذف الواو في قصة أهل النار؛ لأنهم وقفوا على النار، وفُتِحت أبوابها بعد وقوفهم عليها ترويعا لهم وتخويفًا.

٧٧٥٩ تشتاق الجنة إلى أهلها؛ لذا تُفتَّح أبوابها على مصراعيها في انتظار من يأتي إليها من أهلها، وكأنها تستقبله بالأحضان!

٧٧٦٠ ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣]:

يأبى الله أن يدخل الناس الجنة فُرادى، بل كل صحبة التقت على طاعة، يدخلون الجنة سويًّا في زمرة واحدة وجماعة.

٧٧٦١ ﴿طِبْتُمْ﴾ [الزمر:٧٣]:

طابت أعمالكم في الدنيا، فطاب مثواكم في الآخرة.

٧٧٦٢ ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣]:

هذه أول كلمة تطرق أسماع أهل الجنة فور دخول الجنة، فاللهم اجعلنا من أهلها.

٧٧٦٣ ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر:٧٤]:

أعظم نعم الله على العبد: دخول الجنة، وقد ألهم الله أهلها ورضي منهم أن يشكروه عليها بقولهم: الحمد لله، فعوِّد لسانك دائمًا قول: الحمد لله.

٧٧٦٤ الحمد عملٌ من أعمال أهل الجنة، من اعتاد عليه في الدنيا، كافأه عليه أعظم المكافأة في الآخرة.

٧٧٦٥ اليوم شفاء صدر المظلوم من الظالم، فالفرحة بإهلاك الظالم عادة جارية لأهل الدنيا، فلا عجب أن يحمدوا الله على تعذيب ظالميهم في الآخرة.

٧٢٦٦ ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ [الزمر:٧٤]:

نتمكن من التصرف فيها تمكن الوارث من التصرف في ما ورثه، فلنا فيها حرية التصرف، وحرية الانتقال، وحرية الكلام، وحرية الإنفاق والإنعام.

٧٢٦٧ ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر:٧٤]:

الحرية نعمة! لذا كانت من نعيم الجنة.

٧٢٦٨ ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الزمر:٧٤]:

قال مقاتل: «ليس هذا من كلام أهل الجنة، بل من كلام الله تعالى». هذه شهادة الله، فما ظنك بروعة هذا الأجر!

٧٢٦٩ ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر:٧٥]:

يُسبِّحون بحمد ربهم مستغرقين بحمده، أي ذاكرين لله بوصفي الجلال والإكرام، تلذذًا من غير تكليف.

٧٢٧٠ في الآية إشعار بأن منتهى درجات العليين وأعلى لذائذ أصحاب النعيم هو الاستغراق في الثناء على رب العالمين بالتسبيح والحمد.

٧٢٧١ ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]:

قال ابن كثير: «أي ونطق الكون أجمعه ناطقه وبهيمه لله رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله؛ ولهذا لم يسند القول إلى قائل، بل أطلقه، فدلَّ على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد».

٧٢٧٢ قال ابن عطية:

«أي إن هذا الحاكم العدل ينبغي أن يُحمَد عند نفوذ حكمه وإكمال قضائه، ومن هذه الآية جُعِلَت: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خاتمة المجالس في العلم».

سورة غافر

٧٧٧٣ ﴿حمٓ﴾ [غافر: ١]: قال ابن عباس: إن لكل شيء لبابا، ولباب القرآن الحواميم، وقال مسعر بن كدام: كان يُقال لهن: العرائس.

٧٧٧٤ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ [غافر:٢]:
عزة القدر، وعزة القهر، وعزة الامتناع عن أي نقص.

٧٧٧٥ ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر:٢]:
الفارق بين علم البشر وعلم الله؟
علم الله أزلي، أي لم يسبقه جهل، وعلم الله أبدي، أي لا يلحقه نسيان، فهو علم شامل زمانًا، ليغطي الماضي والمستقبل، وشامل مكانًا؛ ليغطي كل شيء.

٧٧٧٦ ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣]:
صفتان إلهيتان متلازمتان ليبقى كل عبد متوازنًا دائمًا بين الخوف والرجاء.

٧٧٧٧ هذه الآية بعثها عمر بن الخطاب إلى رجل من أهل الشام كان يفد إلى عمر، ثم انتكس وتتابع في الشراب، ثم قال عمر لأصحابه: ادعوا الله لأخيكم أن يُقبِل بقلبه وأن يتوب الله عليه، فلما بلغ الرجل كتاب عمر ﷺ جعل يقرؤه ويردده ويقول: غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، قد حذَّرني عقوبته، ووعدني أن يغفر لي، فلم يزل يرددها على نفسه حتى تاب.

٧٧٧٨ ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣]:
والطَّوْل يطلق على مطلق القدرة، فكل ما عجَزَتْ عنه قدرتك، فاطلبه من ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾.

٧٧٧٩ ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣]:
ترهيب العاصي برجوعه إلى الله كفيلٌ بردعه عن معاصيه، والمعنى: إن كان إليه المصير، فكيف التأخر عن تصحيح المسير؟!

٧٧٨٠ ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤]:

آيات الله نوعان: آيات شرعية في القرآن والسُنَّة، وآيات كونية في آثار قدرته في الخلق، والجدال في آيات الله يشمل النوعين.

٧٧٨١ الجدال في القرآن والسنة يكون بإنكار ما جاء فيهما، ومعارضة أحكامهما، والجدال في الآيات الكونية يكون بإنكار نسبتها إلى الله، أو إنكار الحكمة من حدوثها كالتخويف والعظة، مع نسبتها إلى الطبيعية.

٧٧٨٢ ﴿فَلَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ [غافر: ٤]:

قال الإمام المناوي:

«ذكروا أن الحافظ ابن حجر لما كان قاضي القضاة، مرَّ يومًا بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة، فهجم عليه يهودي يبيع الزيت الحار وأثوابه ملطخة بالزيت، وهو في غاية الرثاثة والشناعة، فقبض على لجام بغلته، وقال: يا شيخ الإسلام.. تزعم أن نبيكم قال: **(الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)**، فأي سجن أنت فيه؟! وأي جنة أنا فيها؟! فقال: أنا بالنسبة لما أعد الله لي في الآخرة من النعيم، كأني الآن في السجن، وأنت بالنسبة لما أعدَّ لك في الآخرة من العذاب الأليم، كأنك في جنة، فأسلم اليهودي».

٧٧٨٣ ﴿وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۢ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ﴾ [غافر: ٥]:

أرادوا أخذه فأخذهم الله، وراموا قتله فقتلهم الله، فالجزاء من جنس العمل.

٧٧٨٤ ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥]:

دلَّ هذا على أن هناك جدالًا بالحق، وهو الجدال فيها لإيضاح ما التبس منها، ومحاورة أهل العلم لاستنباط معانيها، ورد أهل الزيغ بها وعنها، وهذا من أعظم الجهاد.

٧٧٨٥ ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٦]:

إذا ختم الله على قلب عبد وحكم عليه بالشقاوة، فلن ينفعه كثرة ما يرد عليه من نصح ولا سعاية.

٧٧٨٦ ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [غافر: ٧]:

ما استطاعت الملائكة حمل العرش إلا بالتسبيح، فكل ما صعب عليك، فاستعن عليه بالتسبيح.

٧٧٨٧ ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧]:

قال السخاوي:

«في هذه الآية دليل على أن صفة الإيمان إذا جمعت بين شخصين يجب أن تكون داعية للنصيحة، وأن يستغفر له بظهر الغيب، وإن تباعدت أماكنهم وتفاوتت أجناسهم، فإنه لا اشتراك بين سماوي وأرضي، ولا بين ملَك وبشر، ومع ذلك لما جمعتهم صفة الإيمان استغفر أهل السماوات العلى لأهل الأرضين السفلى».

٧٧٨٨ ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧]:

قرأ رجل على سليم بن عيسى، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، بكى بكاءً شديدًا، ثم قال: «ألا ترى ما أعظم حق المؤمن! تراه نائمًا على فراشه والملائكة يستغفرون له».

٧٧٨٩ **بشارة!** هذا دليل محبة الملائكة للمؤمنين! قال السعدي: «الدعاء للشخص من أدلِّ الدلائل على محبتِه؛ لأنه لايدعو أحد إلا لمن يحبه».

٧٧٩٠ ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ﴾ [غافر: ٨]:

قال سعيد بن جبير:

يدخل المؤمن الجنة، فيقول: أين أبي؟! أين أمي؟! أين ولدي؟ أين زوجتي؟ فيقال: إنهم لم يعملوا مثل عملك، فيقول: إني كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم الجنة».

٧٧٤١ ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [غافر: ٨]:

فعزتك وحكمتك هما سبب جرأتنا على السؤال، فعزتك تقتضي استغناءك عن الانتفاع بالأشياء الثمينة، فإنعامك على الصالحين بالجنة، لا ينقص من ملكك مثقال ذرة، وأما حكمتك، فتقتضي معاملة المحسن بالإحسان.

٧٧٤٢ ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٖ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥۚ﴾ [غافر: ٩]:

قال ابن القيم: «فهذا يتضمن طلبَ وقايتهم من سيئات الأعمال وعقوباتها التي تسوء صاحبها، فإنه سبحانه متى وقاهم العملَ السيّئَ وقاهم جزاءه السيِّئ».

٧٧٤٣ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [غافر: ١٠]:

قال ابن جزي:

«وهذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار، فإنهم إذا دخلوها مقتوا أنفسهم، أي مقت بعضهم بعضًا، ويُحتَمل أن يمقت كل واحد منهم نفسه، فتناديهم الملائكة وتقول لهم: مقت الله لكم في الدنيا على كفركم أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم».

٧٧٤٤ ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ [غافر: ١١]:

ليس المهم فقط أن تؤمن، الأهم أن تؤمن قبل الوقت الضائع.

٧٧٤٥ ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ [غافر: ١١]:

قالوها بلهجة اليائس، الواثق أنه لا سبيل للرجوع، ولا طريق للهروب، ولا سكة لإعادة المحاولة.

٧٧٤٦ ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ﴾ [غافر: ١٢]:

ليس الإيمان هنا هو الإيمان بالله، بل معناه: إن يجعلوا لله شركاء من دونه، تُصدِّقوا ذلك وتؤمنوا به.

٧٧٩٧ ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]:

الله هو الحاكم في خلقه، والقضاء له وحده لا لغيره، ولا يمكن لأحد ردُّ حكمه وعقابه، ولا سبيل إلى النجاة لعلوِّه وكبريائه.

٧٧٩٨ ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗا﴾[غافر: ١٣]

تقديم ذكر الآيات على الرزق دليل على أن النعم الدينية أهم من النعم الدنيوية.

٧٧٩٩ ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣]:

لن ينتفع بآيات الله، ولن يشكر رزقه وعطاءه، إلا صاحب إنابة وصدق في التوجه إلى الله.

٧٨٠٠ قال أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية:

«الفرق بين التوبة والإنابة: قيل: التوبة هي الندم على فعل ما سبق، والإنابة: ترك المعاصي في المستقبل».

٧٨٠١ ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]:

عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ إذا انصرف من الصلاة يقول:

«لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، أهل النعمة والفضل والثناء الحسن، لا إله إلا الله، مخلصين له الدين، ولو كره الكافرون».

صحيح أبي داود رقم: ١٣٥٠.

٧٨٠٢ ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]:

سيرك في طريق الحق وعلى الصراط المستقيم، سيغيظ منك الكافرين وجموع المنافقين، فلا تلتفت إلى كراهيتهم، وامضِ لما أمرك الله.

٧٨٠٣ ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ [غافر: ١٥]:

أن تأتي بعد: ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ إشارة إلى إن الإخلاص سبب رفع الدرجات.

٧٨٠٤ سبحانه! رافع درجات أنبياء والأولياء؛ ولذا رفع محمدًا ﷺ فوق الخلائق، واختصَّه بالدعوة والرسالة.

٧٨٠٥ ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ [غافر: ١٥]

نموذجان رفعهما (رفيع الدرجات): العرش، وهو أعظم مخلوقات الله، والروح: جبريل، وهو أعظم ملائكة الله.

٧٨٠٦ ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾[غافر: ١٥]:

النبوة لا تُنال بكسب العبد وصلاحه، إنما هي محض فضل من الله. قال السفاريني:

ولا تنـــال رُتْبَـــة النُّبُـــوَّة ... بالكسـب والتهـذيب والفتـوة

كِنَّهـا فضـل مـن المـولى الأجَـلِّ ... لمـن يشـا مـن خلقـه إلى الأجـل

٧٨٠٧ ﴿لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥]:

لا تظن أن ظالما سيفلت بجريمته! قال ميمون بن مهران: «يلتقي فيه الظالم بالمظلوم».

٧٨٠٨ ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ﴾ [غافر: ١٦]:

قد تختبئ اليوم في غرفتك، أو خلف شاشتك، أو باسم مستعار على صفحتك، لكن غدًا.. لا مجال للاختباء، ولا فرصة للمكر والدهاء.

٧٨٠٩ ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]:

قال الحسن: «هو السائل تعالى، وهو المجيب؛ لأنه يقول ذلك حين لا أحد يجيبه، فيجيب نفسه سبحانه فيقول: لله الواحد القهار».

٧٨١٠ ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ﴾ [غافر: ١٦]:

لا تدل الآية على أن الميت لا ينتفع بعمل غيره، فقد جاء في الحديث أن رجلًا أتى النبي ﷺ وأخبره بأن أمه ماتت فجأة، وأنها لو تكلمت لتصدقت، أفأتصدق عنها؟ فقال له النبي ﷺ: «**نعم**»، وفي البخاري: «**من مات وعليه صوم، صام عنه وليه**». صحيح البخاري رقم: ٢٧٥٦.

٧٨١١ ﴿لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ﴾ [غافر: ١٦]:

ولا جور ولا محاباة ولا وساطات ولا استئنافات.

٧٨١٢ قال الإمام الرازي:

«وقوع الظلم في الجزاء يقع على أربعة أقسام:

أحدها: أن يستحق الرجل ثوابا فيُمنَع منه.

وثانيها: أن يُعْطِيَ بَعْضٌ بعضَ حقه، ولكنه لا يُوَصِّلُ إليه حَقَّهُ بالتمام.

وثالثها: أن يعذِّب من لا يستحق العذاب.

ورابعها: أن يكون الرجل مستحقًّا للعذاب فَيُعَذَّب، ويُزاد على قدر حقه.

فقوله تعالى: ﴿لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ﴾ يفيد نفي هذه الأقسام الأربعة».

٧٨١٣ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧]:

قال ابن كثير: «أي يحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفسًا واحدة».

٧٨١٤ عن ابن عباس ﷺ: «إذا أخذ في حسابهم لم يقل أهل الجنة إلا فيها، ولا أهل النار إلا فيها».

٧٨١٥ ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ﴾ [غافر: ١٨]:

من أهم وسائل الإنذار هو التخويف من يوم القيامة، وهو يوم قريب (أزِف)، يوم الذي لا يوم بعده، وهو آخر يوم قبل الخلود في الجنة أوالنار، وهو يوم عصيب طويل مقداره خمسون ألف سنة.

٧٨١٦ ﴿إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ﴾ [غافر: ١٨]:

بلغ من شدة الفزع، أن تكاد القلوب تصعد إلى الحناجر، وتخرج من الصدر، ليبقى الإنسان على هذه الحال: لا يموت فيستريح، ولا ينقطع خوفه ووجعه فيطمئن.

٧٨١٧ ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]:

من ألوان العذاب فقد الأحبة الذي يشاركون المرء أوجاعه وآلامه؛ لذا كان من عذاب أهل النار: فقدان الحميم.

٧٨١٨ ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]:

أن تختلس نظرة إلى من حولك دون أن يشعر.. حتى هذه الله يعلمها.

٧٨١٩ ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ [غافر: ١٩]:

قال ابن عباس: «هو الرجل ينظر إلى المرأة، فإذا نظر إليه أصحابه غضَّ بصره، فإذا رأى منهم غفلة تدسس بالنظر، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره، وقد علم الله عز وجل منه أنه يود لو نظر إلى عورتها».

٧٨٢٠ لم غض البصر للرجال أهمُّ؟!

بعد أن صدرت أعداد مجلة خلاعية اسمها playgirl تعرض صورًا (لرجال) في مواقف إثارة جنسية، قامت صحيفة Post York New بإجراء مقابلات مع النساء، وكانت النتيجة أن أربع نساء من خمس قلن: إن الصور الخليعة المعروضة للرجال في هذه المجلة غير مثيرة جنسيًّا بالنسبة لهن.

٧٨٢١ لم إطلاق البصر للرجال أخطر؟!

جاء في استفتاء أجري سنة ١٩٩٤م أن الرجال في أمريكا –حيث لا يوجد أي مانع أخلاقي من الزنى لغير المتزوج- يفكِّرون في إنشاء علاقات جنسية مع ست نساء في السنة القادمة، وثماني نساء في غضون السنتين القادمتين، في حين أجاب النساء في ذات الاستفتاء أنهن يفكِّرن في إنشاء علاقة جنسية مع رجل واحد في السنة التالية، ونفس الرجل في السنة التي تليها!

٧٨٢٢ ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ [غافر: ٢٠]:

هذا يوجب عظيم خوف المذنبين من الله؛ لأن القاضي إذا كان عالِمًا بكل شيء حتى نظرات العيون وخبايا الصدور، لم يمكن الإفلات من حكمه أو التحايل عليه.

٧٨٢٣ ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾ [غافر: ٢٠]:

كل من تعلق بغير الله فقد تعلق بسراب، وارتبط بمن لا يضره ولا ينفعه، وهو أعجز من أن ينفع نفسه أو يضرها فضلاً عن أن ينفع غيره أو يضره.

٧٨٢٤ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠]:

يتكلم العبد بكلام، فيُقال له: لقد سمعك فلان، فيتلون وجهه، ويستشعِر الحرج، ويسعى في الاعتذار وتبرير مما قال، فالله أحق أن يُستحى منه.

٧٨٢٥ ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ [غافر: ٢١]:

من لم يسر بقدمه، فليسِر بقلبه، وسير القلب بقراءة وسماع أحوال الأمم السابقة، والتفكر في عاقبتهم، فالفكرة سير القلب.

٧٨٢٦ ﴿كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ﴾ [غافر: ٢١]:

أخذَهَم الله بأهون الأسباب، فقتل النمرود بحشرة، وأغرق فرعون بجنس ما افتخر به: الأنهار التي تجري من تحته، فأجراها من فوقه، وأهلك عادا بألطف المخلوقات وهو الريح.

٧٨٢٧ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [غافر: ٢٢]:

لاحظ أن الله ربط الأسباب بمسبباتها، وهو الذي لا يُسأل عما يفعل، والدرس: تحتاج دائمًا أن تستعمل هذا الأسلوب لإقناع غيرك.

٧٨٢٨ ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾ [غافر: ٢٣]:

عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «**ما من الأنبياء نبي إلا أُعطِي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**». صحيح البخاري رقم: ٤٩٨١.

٧٨٢٩ قال الحافظ بن حجر: «المعنى: أن المعجزات الماضية كانت حِسِّية تُشاهَد بالأبصار، كناقة صالح، وعصا موسى، ومعجزة القرآن، تُشاهد بالبصيرة فيكون من اتبعه لأجلها أكثر؛ لأن الذي يشاهَد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل باقٍ يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرًا».

٧٨٣٠ ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٤]:

أسباب معارضة المصلحين تتنوع، ومنها ثلاثة: المُلْك والسلطان (فرعون)، والمنصب (هامان)، والمال (قارون).

٧٨٣١ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾[غافر: ٢٥]:

قال ابن كثير: «وهذا أمر ثانٍ من فرعون بقتل ذكور بني إسرائيل.

أما الأول، فكان لأجل الاحتراز من وجود موسى، أو لإذلال هذا الشعب، وتقليل عددهم أو لمجموع الأمرين.

وأما الأمر الثاني، فللعلة الثانية لإهانة هذا الشعب، ولكي يتشاءموا بموسى عليه السلام، ولهذا قالوا: ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾».

٧٨٣٢ ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٢٥]:

إظهار اسم الكافرين هنا للربط بين السبب والمسبِّب، ولإفادة العموم، فينصرف الذهن إلى أن كيد كل كافر في ضلال، وليس فقط فرعون وجنوده.

٧٨٣٣ ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٢٦]:

وما الذي يمنعك يا فرعون؟! لعله أراد: أوجِدوا لي الذرائع المناسبة لقتل موسى، وقوموا بتهيئة الرأي العام لعملية القتل!

٧٨٣٤ ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ [غافر: ٢٦]:

الاستهزاء بدعوات الصالحين صفة مشتركة بين الطغاة.

٧٨٣٥ ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]:

للطغاة ذرائع كاذبة لاضطهاد المصلحين وإيذائهم، يدلِّسون بها على الجماهير ويستخفونهم.

٧٨٣٦ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧]:

الكِبْر حجاب يحجب القلب عن تذكّر يوم الحساب.

٧٨٣٧ ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨]:

حين تضطرب الموازين، ونعيش زمن غربة الدين، يكون القتل مصير الصادح بالإيمان، ويكون التكريم مصير المبطلين والمجرمين.

٧٨٣٨ قالها وهو خائف يكتم إيمانه، فحالة الاستضعاف ليست مبررًا للقعود عن العمل، والخوف ليس سببًا لترك النهي عن المنكر بالكلية.

٧٨٣٩ صاحب الفطرة السليمة يستبعد ويستصعِب الاعوجاج، وأما أصحاب الفطرة المنحرفة، فيستلذون به!

٧٨٤٠ ﴿يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾ [غافر: ٢٨]:

جواز كتمان الإيمان لمن خاف على نفسه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن المؤمن المستضعف هناك قد يكتم إيمانه واستنانه، كما كتم مؤمن آل فرعون إيمانه، وكما كان كثير من المؤمنين يكتم إيمانه حين كانوا في دار الحرب».

٧٨٤١ قد يكون من المصلحة كتمان الإيمان، وليس كل من عمل عند ظالم ظالمًا مثله.

٧٨٤٢ رغم ذبح الذراري واستحياء النساء وممارسة كافة أشكال الإرهاب، فقد تسلل الإيمان إلى هذا القلب، فللهداية أسرار، ولا يعلم إلا الله من تختار.

٧٨٤٣ ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨]:

لم يقل موسى، إبعادا للتهمة عن نفسه، وحتى لا يشُكّوا في أنه قد آمن به.

٧٨٤٤ ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]:

في صحيح البخاري:

عن عروة بن الزبير، قال: سألت عبد الله بن عمرو، عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: رأيت عقبة بن أبي معيط، جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقا شديدًا، فجاء أبو بكر حتى

دفعه عنه، فقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] صحيح البخاري رقم: ٣٦٧٨.

قال جعفر الصادق: «مؤمن آل فرعون قال ذلك سرًّا، وأبو بكر قاله ظاهرا».

٧١٤٥ ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]:

قدَّم مؤمن آل فرعون الكذب في خطابه على الصدق؛ وذلك لئلا يعتقد القوم أنه متعصب لموسى.

٧١٤٦ ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ [غافر: ٢٨]:

بدأ بفرضية كذب موسى تأليفًا لقلب الخصم، ومبالغة في نفي الشبهة عن نفسه.

٧١٤٧ ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]:

قال ابن جزي: «وإنما قال بعض ولم يقل كل مع أن الذي يصيبهم هو كل ما يعدهم ليلاطفهم في الكلام، ويبعد عن التعصب لموسى، ويُظهِر النصيحة لفرعون وقومه، فيرتجى إجابتهم للحق».

٧١٤٨ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]:

يجوز أن يكون الكلام عن فرعون حقيقة، أو عن موسى عليه السلام على سبيل التنزل مع الخصم.

٧١٤٩ لا تجد المسرف في العصيان أو في الطغيان إلا كذابًا ذا بهتان.

٧١٥٠ ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر: ٢٩]:

أدخل نفسه في الخطاب ليستميل قومه، ويؤلِّف قلوبهم.. هذه حكمة كل داعية.

٧١٥١ ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر: ٢٩]:

الاستبدادا فكرة، والفكرة لا تموت، وحامل هذه البذرة قد يكون أبًا أو أمًّا أو مديرًا أو أميرًا أو حاكمًا أو أي صاحب مسؤولية.

٧٨٥٢ من مهلكات الفرد: إعجاب كل ذي رأي برأيه، فإذا كان قائدًا، كان ذلك سبب هلاك الأمة.

٧٨٥٣ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ [غافر: ٣٠]:
قال السعدي: «كرر دعوة قومه غير يائس من هدايتهم، كما هي حالة الدعاة إلى الله، لا يزالون يدعون إلى ربهم، ولا يردهم عن ذلك راد، ولا يثنيهم عتو من دَعوه عن تكرار الدعوة».

٧٨٥٤ تحزب أهل الباطل لمحاربة المصلحين هي سنة ماضية من عهود النبيين وحتى يوم الدين.

٧٨٥٥ ﴿مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾ [غافر: ٣١]:
أعمى البصيرة لن ينفعه مثل هذا التذكير، ومن ختم الله على قلبه سينسى أخبار الهالكين والمعذبين.

٧٨٥٦ ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١]:
يطلق الظلم على أمرين: الشرك بالله ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾، ويطلق على المعاملة بغير الحق، وقد جمع قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾ كلا النوعين، فالله لا يريد صدور ظلم من عباده بالشرك، ولا يشاء أن يظلم عباده.

٧٨٥٧ ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢]:
سُمِّي يوم التناد؛ لأن النداءات فيه تتعالى، فمن طالب شفاعة، وصاحب ضراعة، ومهنِّئ بنجاة، وموبِّخ على ما جناه، ومعترف ببلواه، ومعتذر عن خطاياه، ومنادٍ بالويل والثبور، ومنادٍ بالفرحة والسرور.

٧٨٥٨ قال القرطبي:
«زاد في الوعظ والتخويف وأفصح عن إيمانه، إما مستسلمًا موطنًا نفسه على القتل، أو واثقًا بأنهم لا يقصدونه بسوء».

٧٨٥٩ تنويع الخطاب الدعوي، بعد أن خوَّف قومه من العذاب الدنيوي، أتبع ذلك بتخويفهم من العذاب الأخروي.

٧٨٦٠ ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ [غافر: ٣٣]:

محاولات الهروب من أهوال يوم القيامة ومن عذاب الآخرة محاولات ساذجة يلجأ إليها من أيقن بالهلاك.

٧٨٦١ ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٣]:

في الآية فراسة ظاهرة وتعريض بتوقعه أن يكون فرعون وقومه من الضالين؛ لأنه أحس منهم الإعراض، ولم يتوسم فيهم بشائر الانتفاع بنصحه والاهتداء.

٧٨٦٢ ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤]:

تكذيبكم كتكذيب آبائكم من قبل، وكأنكم لم ترثوا منهم إلا السيئات، ولم تتعلموا منهم إلا الإعراض عن الآيات.

٧٨٦٣ ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ [غافر: ٣٤]:

ما أسفل هذه الهمم! جاءتهم البينات، فقابلوها بالشك والشبهات، وقام يوسف بتنظيم شؤون دنياهم وأنقذهم من مجاعات، فلم تعزِم نفوسهم على أن يسألوه إرشادهم في الدين ليفوزوا بنعيم الجنات.

٧٨٦٤ ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ [غافر: ٣٥]:

يجادلون بصيغة المضارع لإفادة تجدد مجادلتهم وتكررها، وأنهم لا ينفكون عنها.

٧٨٦٥ من أسباب إضلال الله للعبد: كثرة جداله بغير حق.

٧٨٦٦ ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٣٥]:

قال الطاهر بن عاشور:

«وفي إسناد كراهية الجدال في آيات الله بغير سلطان للمؤمنين تلقين للمؤمنين بالإعراض عن مجادلة المشركين، على نحو ما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]، وقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] وقوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]».

٧٨٦٧ ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]:

قلب المتكبر مغلق بقفل مفتاحه ضائع؛ لذا لا سبيل لفتح أبواب قلبه أمام أنوار الهداية.

٧٨٦٨ المتكبر صفة للقلب؛ لأنه الملك، والجوارح جنود، فإذا تمكَّن الكِبْر من القلب، تبعته الجوارح.

٧٨٦٩ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ [غافر: ٣٦]:

الحاشية التي حول فرعون سبب أساسي في استمراره في ضلاله.

٧٨٧٠ الاقتراحات السخيفة للطغاة تلقى رواجًا كبيرًا عند أتباعهم من أهل النفاق.

٧٨٧١ ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾[غافر: ٣٧]:

لما أحس فرعون أنه أقر أن لموسى إله غيره، استدرك بسرعة فقال: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾، ولفظ الظن هنا يوحي بالموضوعية، فتظاهر فرعون بأنه جادٌّ، ويبحث بحث متأمل ناظر في الأدلة، للتعرف على حقيقة ما يدعو إليه موسى.

٧٨٧٢ تلبيس فرعون على قومه! قال البقاعي: «وتعليله بالترجي الذي لا يكون إلا في الممكن دليل على أنه كان يُلبِّس على قومه وهو يعرف الحق، فإنَّ عاقلا لا يعُدُّ ما رامه في عداد الممكن العادي».

٧٨٧٣ ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ [غافر: ٣٧]:

أشد عقوبات الله للعبد: التزيين: أن ترى الباطل حقًّا، والشر خيرا، وأهل الحق مبطلين، وأصحاب الباطل مُحقّين.

٧٨٧٤ ﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[غافر: ٣٧]:

صَدَّ فرعون الناس عن طريق الله، فصدَّه الله عن الهداية، فكان جزاؤه من جنس عمله.

٧٨٧٥ ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٧]:

كل من كاد مؤمنًا، فكيده إلى ضياع وخسران.

٧٨٧٦ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨]:

اتباعكم لي ليس لشخصي بل لدعوتي لكم إلى سبيل الرشاد، فالدعوة إلى مبدأ لا إلى فرد.

٧٨٧٧ تعريض بأن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي والضلال.

٧٨٧٨ ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]:

قال ابن القيم: «وأما الدنيا فمنقطعة؛ ولذاتها لا تصفو أبدًا ولا تدوم، بخلاف الآخرة فإن لذّاتها دائمة، ونعيمها خالص من كل كدر وألم، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين مع الخلود أبدًا».

٧٨٧٩ قال مطرف: «إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فالتمِسوا نعيمًا لا موت فيه».

٧٨٨٠ ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [غافر: ٤٠]:

السيئة تُكتَب سيئة واحدة، ومع هذا لا تسجَّل في صحيفتك إلا بعد ست ساعات، لتتيح لك فرصة التوبة، ففي الحديث: «**إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كُتِبَتْ واحدة**». صحيح الجامع رقم: ٢٠٩٧.

٧٨٨١ ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠]:

سئل النخعي عن عمل كذا، ما ثوابه؟ فقال: إذا قُبِل لا يُحصَى ثوابه.

٧٨٨٢ ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤١]:

قال صاحب الكشاف: «فإن قلت: لم كرر نداء قومه؟

قلت: أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم، وإيقاظ عن سنة الغفلة، وفيه: أنهم قومه وعشيرته.. ونصيحتهم عليه واجبة، فهو يتحزن لهم، ويتلطف بهم، ويستدعي بذلك أن لا يتهموه- فإن سرورهم سروره، وغمهم غمه- وأن ينزلوا على تنصيحه لهم».

٧٨٨٣ ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [غافر: ٤٢]:

للكفر دعاة مخلصون، يبذلون له أوقاتهم وجهودهم ليدخلوا النار، فكيف يفتر دعاة الحق عن بذل ما يملكون لنصرته ليدخلوا الجنة؟!

٧٨٨٤ ﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾ [غافر: ٤٢]:

ترهيب وترغيب! العزيز الغالب الذي يغلب من عصاه، لكنه مع هذا غفار لمن آمن به ورجاه.

٧٨٨٥ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [غافر: ٤٣]:

ثبت لدي بما لا يقبل الشك، أن آلهتكم التي تدعونني لعبادتها آلهة باطلة، لا نفع ولا ضرر منها في الدنيا ولا في الآخرة.

٧٨٨٦ قال الإمام الرزاي:

«وفي تفسير هذه الدعوة احتمالان.

الأول: أن المعنى ما تدعونني إلى عبادته ليس له دعوة إلى نفسه؛ لأنها جمادات، والجمادات لا تدعو أحدا إلى عبادة نفسها، وقوله: ﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعني أنه تعالى إذا قلبها حيوانا في الآخرة، فإنها تتبرأ من هؤلاء العابدين.

والاحتمال الثاني: أن يكون قوله: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ معناه: ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة».

﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤٣]:

الدنيا ليست عادِلة لكن الحياة ليست في الدنيا فقط، بل الحياة الحقيقية هي حياة الآخرة، بل هي كل شيء، فانظر إلى الصورة الكاملة، ولا تحكم على الرواية من فصلها الأول.

﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤]:

من فوَّض أمره إلى الله لا يعتريه قلق؛ لأن قلبه صار معلَّقًا بالسماء.

﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤]:

ذكر أن سبب تفويض أمره معهم إلى الله، بأن الله عليم بأحوال جميع العباد، فشمِله علم الله وشمِل خصومه.

العمل: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[غافر: ٤٤]، والنتيجة: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ [غافر: ٤٥] هل رأيت أرباح التفويض؟ اللّٰهم إني فوضتك في أموري كلها.

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ [غافر: ٤٥]:

الله وحده القادر على أن ينجيك من كل من يمكر بك، بحسب ما في قلبك من قوة التفويض والتوكل على الله.

﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]:

قال ابن كثير: «وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور».

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤٧]:

هنا تفاصيل قصة النزاع والخصومة في النار بين العبد المأمور وسيده، بين الأتباع والكبراء، والضعفاء والزعماء.

٧٨٩٤ ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤٧]:

لا أمل عندهم في الخروج من النار، أقصى ما يتمنونه هو تحمل غيرِهم نصيبًا من عذاهم.

٧٨٩٥ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٨]:

عبارتان وقع كل منهما أشد من الآخر، في تيئيس أهل النار من تخفيف العذاب: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾.

٧٨٩٦ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٨]:

حكم الله نهائي، لا نقض فيه ولا استئناف!

٧٨٩٧ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩]:

ينزع الله الرحمة من قلوب ملائكة العذاب حتى لا يسمعوا استغاثاتهم، فهي صرخة في وادٍ، ونفخة في رماد.

٧٨٩٨ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ﴾ [غافر: ٤٩]:

لم يجرؤوا على النطق بلفظ الربوبية: (ربنا)، لاستشعارهم العار والخزي، فيرون معه أنهم ليسوا أهلًا لأن تضاف إليهم ربوبية الله.

٧٨٩٩ ﴿قَالُواْ فَادْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٥٠]:

لا يجيب الله دعوة الكافر إلا في حالتين: إذا كان مضطرًا أو كان مظلومًا.

٧٩٠٠ ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]:

قال البغوي: «قال ابن عباس: بالغلبة والقهر. وقال الضحاك: بالحُجَّة، وفي الآخرة بالعذر. وقيل: بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة، وكل ذلك قد كان للأنبياء والمؤمنين، فهم منصورون بالحجة على من خالفهم، وقد

نصرهم الله بالقهر على من ناوأهم وإهلاك أعدائهم، ونصرهم بعد أن قُتِلوا بالانتقام من أعدائهم، كما نصر يحيى بن زكريا لما قُتِل، قُتِل به سبعون ألفًا، فهم منصورون بأحد هذه الوجوه».

٧٩٠١ قال ابن عاشور: «والمعنى لا تستبطئ النصر فإنه واقع، وذلك ما نصر به النبي ﷺ في أيامه على المشركين يوم بدر ويوم الفتح ويوم حنين وفي أيام الغزوات الأخرى، وما عرض من الهزيمة يوم أحد كان امتحانًا وتنبيهًا على سوء مغبة عدم الحفاظ على وصية الرسول ﷺ أن لا يبرحوا مكانهم، ثم كانت العاقبة للمؤمنين».

٧٩٠٢ كيف يقع النصر في الدنيا؟ وقد قُتِل زكريا، ويحيى، وحاولوا قتل عيسى فرفعه الله إليه، وأُخرِج إبراهيم من أرضه، وهاجر محمد ﷺ؟ **والجواب**: أن النصر إما يكون في الحياة بمحق الأعداء، أو يكون بالانتقام من الأعداء لإيذائهم الأنبياء، وذلك في حياة الأنبياء أو بعد موتهم، فالوعد أكيد، لكن الميعاد مخفي.

٧٩٠٣ ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [غافر: ٥١]:

قال القشيري: «ننصرهم على أعدائهم بكيد خفّي ولطف غير مرئيّ، من حيث يحتسبون، ومن حيث لا يحتسبون».

٧٩٠٤ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: ٥٢]:

الاعتذار اليوم سَمْتُ الأبرار، وما أحبه إلى الرحيم الغفار! لكن غدًا لا تُقبل الأعذار، ولا ينفع تبريرٌ من الفجار.

٧٩٠٥ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢]:

لا منافاة بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ ؛ لأن المقصود واحد، وهو أنهم ليس لهم عذر مقبول حتى يستَمع إليهم، أو قيل: يعتذرون في موقف، ولا يعتذرون في موقف آخر.

٧٩٠٦ لحظة واحدة قبل الموت تكفي للاعتذار، والفوز بالجنة والنجاة من النار، وأما غدًا، فأعذار الدنيا كلها لا تكفيك!

٧٩٠٧ ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ [غافر: ٥٢]:

لا يجوز لعن إلا من لعن الله، فلا يجوز لعْن كافرٍ بعينه، لعل الله يهديه.

٧٩٠٨ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [غافر: ٥٣]:

قال الطاهر بن عاشور:

«هذا من أوضح مثل نصر الله رُسُلَه والذين آمنوا بهم، وهو أشبه الأمثال بالنصر الذي قدره الله تعالى للنبي ﷺ والمؤمنين، فإن نصر موسى على قوم فرعون كوَّن الله به أمة عظيمة لم تكن يؤبه بها، وأوتيت شريعة عظيمة وملكا عظيمًا، وكذلك كان نصر النبي ﷺ والمؤمنين، وكان أعظم من ذلك وأكمل وأشرف».

٧٩٠٩ ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [غافر: ٥٤]:

لا يظن حافظ القرآن أنه قد حاز الهدى بحفظ القرآن دون العمل به، فلم ينتفع اليهود بالتوراة، وكانوا كالحمار يحمل أسفارا، فلا تكونوا مثلهم.

٧٩١٠ ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [غافر: ٥٥]:

قال القشيري: «الصبر في انتظار الموعود من الحقّ على حسب الإيمان والتصديق، فمن كان تصديقه ويقينه أتمّ وأقوى كان صبره أتمّ وأوفى».

٧٩١١ قال القشيري في التفسير: «كن بقلبك فارغًا عنهم، وانظر من بعد إلى ما يُفعل بهم، واستيقن بأنه لا بقاء لجولة باطلهم، فإن لقيت بعض ما نتوعدهم به وإلّا فلا تك في ريب من مقاساتهم ذلك بعد».

٧٩١٢ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥]:

قل (سبحان الله وبحمده) كل صباح ومساء، ففي الحديث: «**من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطَّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**». صحيح الجامع رقم: ٦٤٣١.

٧٩١٣ ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥]:

قال البغوي: «أمره بالاستغفار مع أنه مغفور له لتستنَّ به أمته».

٧٩١٤ قال الآلوسي: «أُمِر عليه السلام بذلك إبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى، وأنها صفةُ الأنبياء، وبعثًا للكفرة على الرجوع عما هم عليه بأبلغ وجهٍ وألطفه، فإنه عليه السلام حيث أُمر بها وهو منزَّه عن شائبةِ اقترافِ ما يوجبها من الذنب وإن قلَّ، فتوبتهم وهم عاكفون على أنواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه أصلًا (أوْلى)».

٧٩١٥ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ [غافر: ٥٦]:

في أكثر الأحيان يكون الحامل على الجدال: الكِبر، فلا تخُضْ نقاشا مع متكبر.

٧٩١٦ كل من تكلَّم في أمر الدين، فلا بد له من حجة ودليل.

٧٩١٧ ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]:

الحق يعلو ولا يُعلَى عليه!

قال ابن كثير:

«ما في صدورهم إلا كبر على اتباع الحق، واحتقار لمن جاءهم به، وليس ما يرومونه من إخمال الحق وإعلاء الباطل بحاصل لهم، بل الحق هو المرفوع».

٧٩١٨ من أذله الله فلا عزة له!

وقيل: في صدورهم عظمة، ما هم ببالغي تلك العظمة؛ لأن الله مذلُّهم.

٧٩١٩ ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦]:

ولم يذكر يستعيذ من ماذا، ليفيد العموم، أي استعذ بالله من الكِبر، واستعذ به من شياطين الإنس والجن، واستعذ بالله من كل الشرور.

٧٩٢٠ ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]:

في الكون (المعلوم) قرابة مليون مليون مجرَّة، وفي المجرَّة الواحدة قرابة مليون مليون نجم، وبعض النجوم يكبُر الشمس بملايين المرَّات، فأيهما أعظم: خلق الناس أم هذا الخلق؟!

٧٩٢١ ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓـُٔ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [غافر: ٥٨]:

كما أنه لا يصح المساواة بين الأعمى والبصير، فكذلك لا تصح مساواة المؤمن بالكافر، والبر والفاجر، لا عند الله، ولا في دنيا الناس.

٧٩٢٢ ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر: ٥٩]:

أكثر الناس لا يؤمنون بلسان المقال وهم الكافرون، أو بلسان الحال وهم الغافلون.

٧٩٢٣ ثلاثة تأكيدات على يوم القيامة: حرف التأكيد (إن)، واللام، ونفي الشك عنه، فأي قلوب غافلة احتاجت هذا التأكيد رب العالمين حتى توقن بيوم الدين!

٧٩٢٤ يقول الناس عن فلان الذي مات: انتقل إلى مثواه الأخير! وليس هذا صحيحًا، فالميت سوف يُدعَى للحساب، ثم يكون مثواه الأخير: الجنة أو النار.

٧٩٢٥ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]:

كان سفيان الثوري يقول: «يا من أحبُّ عباده إليه من سأله فأكثر سؤاله، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله، وليس أحد كذلك غيرك يا رب».

٧٩٢٦ ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ﴾ [غافر: ٦٠]:

ليس أبسط ولا أروع ولا أجمل ولا ألطف من هذا الطلب!

٧٩٢٧ ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾ [غافر: ٦٠]:

لو لم تُرِدْ نيلَ ما أرجو وأطلُبه ... مِن جودِ كفّك ما عوَّدتَني الطلبا

٧٩٢٨ كان عمر ﷺ يقول: «إني لا أحمل همَّ الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء، فإذا ألهِمْتُ الدعاء، فإن الإجابة معه»، وكان يقول للصحابة: «لستم تُنصَرون بكثرة، وإنما تُنصَرون من السماء».

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١]:

أكثر الناس لا يشكرون نعم الله عليهم؛ فكيف سيشكرون الناس؟!

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [غافر: ٦٢]:

كل شيء قيد أمره، وتحت سلطانه وقهره، فالضيق هو من يملك مفاتيح فرَجِه، والمرض بيده وحده شفاءه وزوال ضرره، فكيف تعلقت القلوب بغيره؟!

﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [غافر: ٦٣]:

الذنوب سبب لانصراف القلوب عن الحق، فالضلال اختيار العبد لا إجبار من الرب.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ﴾ [غافر: ٦٤]:

تعرَّف إليكم بكل طريق وأرشدكم إلى محبته بكل سبيل، فهنا خمس آيات: اثنتان من آيات الآفاق: الأرض والسماء، وثلاث من آيات النفس: حدوث التصوير، وحسن هذا التصوير، ورزقها من الطيبات.

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤]:

استدل بعض العلماء على أن اسم الله من أسباب البركة، ففي مسند أحمد: «**كل كلام أو أمر ذي بالٍ لا يُفتَح بذكر الله عزَّ وجلَّ، فهو أبتر، أو قال أقطع**». مسند أحمد رقم: ٨٦٩٧

﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ﴾ [غافر: ٦٥]:

ما من أحد إلا سبق حياتَه عدمٌ، ويلحقه زوال، فالكل أموات باعتبار ما سيكون، والله وحده هو الحي.

من أراد حياة قلبه، فليدع الله باسمه الحي أن يحيي قلبه من موات، ويوقظه من سبات.

٧٤٣٦ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥]:

هو الخالق وحده فادعوه وحده، وأخلصوا العمل له وحده، ومن علامات ذلك: عدم التفات قلوبكم إلى مدح الخلق أو ذمهم.

٧٤٣٧ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥]:

درسٌ بليغٌ في تصحيح النيَّة!

قال الإمام نافع بن جبير: «مَن شَهِد جنازةً ليراه أهلُها، فلا يَشْهَدْها».

٧٤٣٨ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥]:

قال ابن جرير: «كان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال لا إله إلا الله، أن يتبعها بالحمد لله رب العالمين، عملًا بهذه الآية».

٧٤٣٩ ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٦]:

ما أنا إلا عبد مأمور، نُهيتُ فانتهيت، وأُمِرت فأتمرت، وأينما وجَّهني ربي توجَّهت.

٧٤٤٠ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧]:

هنا استعراض شريط حياتك بأسرها في آية واحدة، وموجزه بغض النظر عن تفاصيلها: من التراب وإلى التراب!

٧٤٤١ ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [غافر: ٦٨]:

لو أراد الله شيئًا لأمضاه، من غير أسباب، بل وبما يظهر لك أنه عكس الأسباب.

٧٤٤٢ صدور القول عن القائل أسرع أعمال الإنسان وأيسرها، واختار لتقريب سرعة إمضاء إرادة الله أكثر الأفعال اختصارا: (كن) المركب من حرفين.

٧٩٤٣ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ [غافر: ٦٩]:

تكرر الجدال في هذه السورة خمس مرات، وكأنها نزلت للردِّ على المجادلين، وبناء فعل ﴿يُصْرَفُونَ﴾ للمجهول؛ للتعجب من الصارف الذي صرفهم عن هذه الآيات مع كثرة الدواعي للإقبال عليها، ولم يكن الصارف إلا نفوسهم المنحرفة.

٧٩٤٤ ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ [غافر: ٧٠]:

تكذيب حرف من القرآن كتكذيب كل القرآن! قال الإمام البقاعي: «أشير بأداة الكمال إلى أنه لكماله كأنه لا كتاب غيره؛ لأن من سمعه فكأنما سمعه من النبي ﷺ لإعجازه، فمن كذب بحرف منه، فقد كذب بكل كتاب الله».

٧٩٤٥ ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٧٠ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر: ٧٠، ٧١]:

قال ابن عاشور:

«ومن المسائل ما رأيته أن الشيخ ابن عرفة كان يومًا في درسه في التفسير سئل: هل تكون هذه الآية سندا لما يفعله أمراء المغرب -أصلحهم الله- من وضع الجناة بالأغلال والسلاسل، جريًا على حكم القياس على فعل الله في العقوبات؟! كما استنبطوا بعض صور عقاب من عمل قوم لوط من الرجم بالحجارة، أو الإلقاء من شاهق؟!

فأجاب بالمنع؛ لأن وضع الغل في العنق ضرب من التمثيل، وإنما يوثق الجاني من يده. قال: لأنهم إنما قاسوا على فعل الله في الدنيا ولا يقاس على تصرفه في الآخرة؛ لنهي النبي ﷺ عن الإحراق بالنار، وقوله: (**إنما يُعذِّب بها رب العزة**)».

٧٩٤٦ ﴿يُسْحَبُونَ ۝٧١ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١، ٧٢]:

هل تعلم أن من ألوان العذاب في النار: السَّحب على الوجوه في الماء الذي اشتد فورانه وغليانه،ليشوي الوجوه والجسوم.

٧٤٤٧ ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ﴾ [غافر: ٧٢]:

السجر: ملْءُ التنور (الفرن) بالوقود، لتقوية النار فيه، فهؤلاء توقد بهم النار ويشتد سعيرها. قال مجاهد: يصيرون وقودا للنار.

٧٤٤٨ ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [غافر: ٧٣، ٧٤]:

هذا من التعذيب النفسي يوم القيامة، وهو أشد على النفس من العذاب الحسي، لما فيه من الفضيحة على رؤوس الأشهاد، مع التقريع واللوم الشديد الذي يشبه ضرب السياط، لأنهم لا يستطيعون بعده مراجعة أنفسهم واستدراك ما فاتهم.

٧٤٤٩ ﴿بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ﴾ [غافر: ٧٤]:

دعتهم رداءة مكرهم ورذالة طباعهم إلى استمراء الكذِب حتى بين يدي من لا تخفى عليه خافية.

٧٤٥٠ ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ﴾[غافر: ٧٥]:

قال السعدي: «وهذا هو الفرح المذموم الموجب للعقاب، بخلاف الفرح الممدوح الذي قال الله فيه: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾، وهو الفرح بالعلم النافع، والعمل الصالح».

٧٤٥١ ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: ٧٦]:

قال علي بن أبي طالب ﷺ يومًا وهو يخطب: «إن أبواب جهنم هكذا، أطباقا بعضها فوق بعض، ورُوِي عنه: «أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، فيمتلئ الأول، ثم الثاني، ثم الثالث، حتى تمتلئ كلها».

٧٤٥٢ ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ [غافر: ٧٧]:

الاحتمالان إذن قائمان!

أن ترى نهاية عدوك أو لا تراها..

لكن الوعد الإلهي بالعقوبة الإلهية ليس خاضعًا للاحتمال.

الرسالة هنا: العبد عبدٌ والربُّ رب! وليس للعبد أو من مهماته تحديد ساعة الفرج ولا موعد النهايات ومصارع الطغاة.. بل الأمر في هذا إلى الله وحده.

٧٩٥٣ إما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب والنقمة، فإذا كان هذا حال النبي ﷺ، فكيف بحالنا نحن؟! ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن يَحِلَّ بهم ذلك، فإلينا مصيرك ومصيرهم، لنحكم عند ذلك بينك وبينهم بالحقّ بأن ندخلهم النار، ونكرمك بجوارنا في جنات النعيم.

٧٩٥٤ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]:

إلى كل داعية.. لا تستوحش، فأنت فرد في قطار النبوة الخالد، ولك الفخر أن لك نسبًا يربطك بأعظم الخلق من الأنبياء، وأنك كما كانوا بين الناس منارة اهتداء وموضع اقتداء.

٧٩٥٥ كان عبد الله بن المبارك يُكثِر الجلوس في بيته، فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه؟!

٧٩٥٦ ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [غافر: ٧٨]:

كانوا يطلبون المعجزات من الأنبياء على سبيل التعجيز والعناد، لا طلبًا للدليل والاهتداء، وهو ما سارت عليه قريش مع النبي ﷺ.

٧٩٥٧ ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨]:

قد ينزل قضاء الله ليُهلِك الأمم وفيها أناس صالحون؟ والسبب: إذا كثر الخبث، أو غاب المُصلِحون، أو غُيِّبوا قهرًا.

٧٩٥٨ ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [غافر: ٧٩]:

سخَّر الله الأكوان لخدمتك، وجعل كل شيء طوع أمرك، فأنت خليفة الله في الأرض، وباقي المخلوقات -ولو كانت أكبر وأعظم وأقوى منك- تعمل في خدمتك.

٧٩٥٩ بعض الخلق أشد نفورًا من الحيوانات الأعاجم، فذكَّرهم الله بنعمته عليهم في تذليل هذه الأنعام لهم، ليستعطفهم بذلك إلى طاعته، وليرتقوا فوق مقام الأنعام في طاعة رب الأنام.

٧٩٦٠ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [غافر: ٨٠]:

كل يوم يكتشف العلم منافع جديدة للحيوانات، بل كل تجارب الأدوية تجرى على الحيوانات أولا، فإن نجحت جرى استعملها الإنسان.

٧٩٦١ ﴿وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾ [غافر: ٨٠]:

قال قتادة: «الرحلة من بلد إلى بلد».

٧٩٦٢ ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ [غافر: ٨١]:

ما أجمل قول القائل:

تأمَّل خطوب الكائنات فإنها ... من الملك الأعلى إليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت خطَّها ... ألا كل شيء ما خلا الله باطل
تشير بإثبات الصفات لربها ... فصامتها يهدي ومن هو قائل

٧٩٦٣ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [غافر: ٨٢]:

خاطبهم الله بكل وسيلة ليستميلهم إلى الحق!

إن لم يكونوا من أصحاب النفوس الكريمة، فتمنعهم النعم عن كفران مسديها، فليكن شأنهم شأن النفوس اللئيمة ممن يردعهم الخوف من البطش عن كفر النعم.

٧٩٦٤ ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣]:

قال مجاهد: «قالوا لرسلهم: نحن أعلم منكم، لن نُبعَث، ولن نُعَذَّب».

وإطلاق العلم على اعتقادهم الباطل تهكم، وإلا فهو قمة الجهل.

٧٩٦٥ احذر طغيان العلم!

كان عبد الله بن المبارك يقول: «إنَّ للعلم طغيانًا كطغيان المال»، وذلك حين يدفع العلم صاحبه إلى الكِبر والتعالي عن الحق وقبول النصح.

٧٩٦٦ أفرد ابن مفلح في (الآداب الشرعية) بابًا كاملًا تحت عنوان: «فصلٌ: في قول العالِم: لا أدري، واتقاء التهجم على الفتوى».

٧٩٦٧ عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أنه جاءه رجل، فسأله عن شيء، فقال القاسم: لا أحسنه، فجعل الرجل يقول: إني دُفِعْتُ إليك لا أعرف غيرك؟

فقال القاسم: «لا تنظر إلى طول لحيتي، وكثرة الناس حولي، والله ما أحْسِنُه»، فقال شيخٌ من قريش جالس إلى جنبه: «يا ابن أخي.. الزمها (أي كلمة: ما أُحسِنه)، فوالله ما رأيتك في مجلس أنبل منك اليوم»، فقال القاسم: «والله لأن يقطع لساني أحب إليَّ من أن أتكلم بما لا علم لي به».

٧٩٦٨ ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [غافر: ٨٣]:

ما استهزؤوا به من العذاب وقع بهم، وما استبعدوه من عقاب الله نزل، وهذه عاقبة السخرية والاستهزاء عمومًا ودائمًا.

٧٩٦٩ ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾ [غافر: ٨٤]:

دل على انهيار مقاومتهم وتبدد قواهم زيادة تصريحهم بقولهم: ﴿وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾، بعد أن نفوا ما كانوا فيه من الشرك بقولهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾.

٧٩٧٠ ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥]:

الكفر بالغيب سبب لعدم قبول الإيمان عند انقلاب الغيب إلى شهادة.

﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ٨٥]:

قال ابن كثير:

«فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ﴾ أي: هذا حكم الله في جميع من تاب عند معاينة العذاب: أنه لا يقبل؛ ولهذا جاء في الحديث: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**» أي: فإذا غرغر وبلغت الروح الحنجرة، وعاين الملك، فلا توبة حينئذٍ؛ ولهذا قال: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾».



سورة فصلت

٧٩٧٢ ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]:

الرحمن والرحيم من صيغ المبالغة من الرحمة، وبينهما فارق:

أنه رحمن الدنيا ورحيم الآخرة.

ورحمن الدنيا لكثرة من تشملهم رحمته فيها، وهي رحمة عامة، فرحمة الله في الدنيا تشمل المؤمن والعاصي والمسلم والكافر. يرزقهم الله ولا يؤاخذهم بذنوبهم؛ ولذا ورد اسم (الرحمن) مع الكافرين: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾.

لكنه سبحانه رحيمٌ بالمؤمنين فقط: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ، فهذه رحمة خاصة.

٧٩٧٣ ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [فصلت:٣]:

ومن تفصيل آياته معرفة معانيها وانتشار تفاسيره، وقد أحصاها البعض تفاسير القرآن فبلغت إلى اليوم ما أكثر من ٣٠٠ تفسير!

٧٩٧٤ ﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [فصلت:٤]:

يبشر من آمن بنعيم الجنة، وينذر الكافر والفاجر بعذاب النار، فالجنة والنار أساس الرسالة، والترغيب والترهيب جناحا السائر إلى الله.

٧٩٧٥ ﴿فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [فصلت:٤]:

تدل هذه الآية على أن الهادي من هداه الله، وأن الضال من أضله الله.

٧٩٧٦ ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ [فصلت:٥]:

اقتصر هنا على ذكر هذه الأعضاء الثلاثة؛ وذلك لأن القلب محل المعرفة، وله السلطان على البدن، والسمع والبصر هما وسيلتا تحصيل المعارف، فإذا كانت هذه الثلاثة محجوبة، كان ذلك أقصى درجات الضلال.

٧٩٧٧ ﴿فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت:٥]:

عمل أهل الباطل لباطلهم مذهل! قال مقاتل: «اعمل لإلهك الذي أرسلك، فإنا عاملون لآلهتنا التي نعبدها».

٧٩٧٨ ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [فصلت:٦]:

﴿إِلَيۡهِ﴾ تنبيه على الإخلاص، وأن العامل ينبغي أن يكون الله غايته ومقصوده، فبذلك يكون عمله نافعًا، وبغير ذلك يكون عمله باطلا.

٧٩٧٩ ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُوهُ﴾ [فصلت:٦]:

مهما حرص العبد على الاستقامة، فلا بد أن يحصل منه زلل، بتقصير عن مأمور، أو ارتكاب محظور؛ لذا أمره الله بدواء عظيم لذلك الداء، فقال: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُوهُ﴾

٧٩٨٠ قال ابن رجب: «إشارة إلى أنه لا بد من تقصير في الاستقامة المأمور بها، فيجبر ذلك بالاستغفار المقتضي للتوبة والرجوع إلى الاستقامة».

٧٩٨١ ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ٧]:

قال الزمخشري: «فإن قلتَ لم خَصَّ من بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة؟ قلت: لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله، وهو شقيق روحه، فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته».

٧٩٨٢ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ﴾ [فصلت:٨]:

أي غير مقطوع، من قولك: مننت الحبل، أي قطعته، ومنه قولهم: قد منَّه السفر، أي قطعه، وكل أجر منقطع إلا أجرك في الجنة، فإنه غير مقطوع.

٧٩٨٣ ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فصلت:٨]:

﴿تَكۡفُرُونَ﴾ بصيغة المضارع، فمهما تتابعت آيات الله على أصحاب القلوب القاسية، سيظل إصرارها على كفرها.

٧٩٨٤ قال سعيد بن جبير: «إن الله تعالى قادر على أن يخلق هذا الكون كله في لحظة، ولكنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، ليعلم خلقه التثبت والتأني في الأمور».

٧٩٨٥ ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [فصلت:٩]:

هو رب كل شيء، حتى الأشياء التي هي أحط من العقلاء كالحجارة والأخشاب التي صُنِعَت منها أصنامهم، فهو ربها، فكيف يُشرِكون؟!

٧٩٨٦ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا﴾ [فصلت:١٠]:

قد أخبرنا الله قبل أن يخبرنا العلم أن للجبال وظيفة لا غنى عنها، وهي تثبيت الأرض وعدم اضطرابها.

٧٩٨٧ ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت:١٠]:

خلق الله الأرض وما فيها من أقوات في أربعة أيام، وخلق السماوات في يومين، رغم أن خلق السماوات أعظم، وعجائبها أكثر، فما السبب في ذلك؟!

قال الجمل:

«للتنبيه على أن الأرض هي المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين، ومن كثرة المنافع، فزادت مدتها؛ ليكون ذلك أدخل في المِنَّة على ساكنيها، وللاعتناء بشأنهم وشأنها، وأيضًا زادت مدتها لما فيها من الابتلاء بالمعاصي والمجاهدات والمعالجات».

٧٩٨٨ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]:

الجمادات أطوع لله من بعض الأحياء!

٧٩٨٩ ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]:

بعضنا يخضع لله كرها، فليتنا نخضع له طوعًا كما خضعت السماوات والأرض في رضا وسرور.

٧٤٤٠ ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَا﴾ [فصلت:١٢]

خلق الله في كل سماء ما اقتضته حكمته من الملائكة، ومن خلائق لا يعلمها إلا هو سبحانه.

٧٤٤١ ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [فصلت:١٢]:

النجوم لها وظائف منها ما نعرفها ومنها ما لا نعرفها، فمما نعرف: تزيين السماء وإضاءتها وحفظها من الخلل والسقوط أو حفظها من الشياطين الذين يسترقون السمع، فأعِدَّ لكل شيطان نجمًا يرميه به ولا يخطئه، فمنها ما يُحرِق، ومنها ما يقتل.

٧٤٤٢ ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ [فصلت:١٣]:

رُوِي أن عتبة بن ربيعة ذهب إلى رسول الله ﷺ، ليعظِّم عليه أمر مخالفته لقومه، وليقبِّح عليه فيما بينه وبينه، وليبعد ما جاء به. فلما تكلم عتبة، قرأ رسول الله ﷺ:حم، ومرَّ في صدرها حتى انتهى إلى قوله: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾، فأرعد الشيخ ووقف شعره، فأمسك على فم رسول الله ﷺ بيده، وناشده بالرحم أن يمسك، وقال حين فارقه: والله لقد سمعت شيئًا ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، ولقد ظننت أن صاعقة العذاب على رأسي.

٧٤٤٣ ﴿إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت:١٤]:

تمثيل لحرص رسول غاية الحرص على هداية قومه، بحيث لم يترك وسيلة يتوسل بها إلى إبلاغهم الدين إلا توسل بها، ولا حيلة إلا استعملها، وحرص الدعاة المصلحين لابد أن يشابه حرص المرسلين!

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [فصلت:١٥]:

وهل يجوز الاستكبار بحق؟ كلا، لكن المقصود تشنيع استكبارهم في النفوس.

لا مبرر لاستكبار العبد بوجه من الوجوه؛ لأن كل ما يتكبر به العبد من علم ومال وسلطة وقوة وجمال وغير ذلك هو مما منحه الله له، وكل من كان لديه زيادة عطاء في جانب، فلا بد له من نقص في جانب آخر، ففيم التكبر؟!

﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥]:

لا سقف لطغيان الإنسان ولا لإضلال الشيطان، يوشك بعضهم أن يرى نفسه فوق أهل الأرض وأهل السماء، بل والرب جل في علاه.

من ركن إلى قوته، خانته أحوج ما يكون إليها.

﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت:١٥]:

المراد بالآيات معجزات هود عليه السلام، ولم يذكر القرآن لهود آيات سوى أنه أنذر قومه عذابًا يأتيهم من السماء، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: ٢٤].

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصلت:١٦]:

الجزاء من جنس العمل، قالوا: مَن أشدُّ منا قوة، فأرسل عليهم ألطف مخلوقاته: الريح، فعاقبهم بما هو مظنة اللين واللطف.

﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصلت:١٦]:

لم تهلكهم الريح في يوم واحد أو لحظات، بل سُلِّطَت عليهم سبع ليالي وثمانية أيام؛ ليكون هذا أشدَّ وأكثر إيلامًا في العقوبة؛ فكلما زاد قت العقوبة آلمت.

٨٠٠١ ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت:١٦]:

يعاقب الكافر مرتين: عقوبة دنيوية، وأشدَّ: أخروية، ولا يجمع الله على عبده المؤمن عقوبتين!

٨٠٠٢ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت: ١٧]:

«أي هداية بيان، وإنما نص عليهم، وإن كان جميع الأمم المهلكة، قد قامت عليهم الحجة، وحصل لهم البيان؛ لأن آية ثمود آية باهرة، قد رآها صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم، وكانت آية مبصرة، فلهذا خصهم بزيادة البيان والهدى».

٨٠٠٣ ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ [فصلت: ١٧]:

الجزاء من جنس العمل، فمن استحب الضلال على الهدى كالذي أحب العمى على البصر، فكان جزاؤهم بالصاعقة لأنها تُعْمي الأبصار قبل أن تهلكهم كما قال تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٠].

٨٠٠٤ ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [فصلت:١٨]:

الإيمان والتقوى سبب النجاة من العذاب الدنيوي والأخروي.

٨٠٠٥ ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت:١٩]:

يُحبَسون في يوم القيامة العصيب، ويُمنَعون عن الحركة بغلظة وزجر، حتى يلحق آخرهم بأولهم، فيقضي الله فيهم بقضائه العادل.

٨٠٠٦ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت:٢٠]:

خصَّ هذه الأعضاء الثلاثة؛ لأن أكثر الذنوب، إنما تقع بها، أو بسببها.

٨٠٠٧ ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت:٢١]:

اقتصروا في توجيه اللوم على جلودهم لأنها حاوية لجميع الحواس الأخرى، وأيضًا لأن الجلود مواجهة لهم يرونها، فيتوجهون إليها بالملامة، بعكس السمع والبصر.

٨٠٠٨ ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [فصلت:٢١]:

قدرة الله فوق حدود العقل، وكل ما خطر ببالك فقدرة الله فوق ذلك.

٨٠٠٩ في صحيح مسلم عن أنس بن مالك ﷺ: كنا عند رسول الله ﷺ، فضحك، فقال: «**هل تدرون مم أضحك؟**» قال قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا، وبالكرام الكاتبين شهودا، قال: فيُختَم على فيه (فمه)، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يُخَلَّى بينه وبين الكلام، قال فيقول: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كنتُ أناضل**». صحيح مسلم رقم: ٢٩٦٩.

٨٠١٠ ولم لا؟ وقد تحررتْ الجوارح من أسرِ الإرادة، وجاء الوقت لتشتكيك إلى الله، وتنطق بكلمة الحق التي كتَمْتَها تحت سطوة إرادتك وقهْرك.

٨٠١١ ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [فصلت:٢٢]:

سبب النزول! عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي، أو قرشيان وثقفي، كثيرة شحم بطونهم، قليلة فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول. قال الآخر: يسمع إن جَهَرنا، ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا، فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ﴾ الآية. صحيح البخاري رقم: ٧٥٢١.

٨٠١٢ ورحم الله من قال:

إذا ما خلوتَ الدهر يومًا فلا تَقُل ... خلوتُ، ولكن قل: عليَّ رقيب

لا تحسبنَّ الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تُخفيه عنك يغيب

٨٠١٣ ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ [فصلت: ٢٣]:

قال قتادة: «من استطاع منكم أن يموت وهو حسن الظن بربه فليفعل، فإن الظن اثنان؛ ظن ينجي، وظن يُردي».

٨٠١٤ ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ [فصلت: ٢٣]:

قال عمر بن الخطاب في هذه الآية: «هؤلاء قوم كانوا يدمنون المعاصي ولا يتوبون منها، ويتكلمون على المغفرة، حتى خرجوا من الدنيا مفاليس، ثم قرأ: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾».

٨٠١٥ ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت:٢٤]:

الصبر مفتاح الفرج في هذه الدار، وليس في النار!

٨٠١٦ يُقال: نوى فلان ، إذا أقام به إقامة دائمة، فهؤلاء إن صبروا واستسلموا فهم باقون في النار، وإن يستعتبوا أي يطلبوا العُتب والاعتذار لم ينفعهم ولم يُقبَل منهم، فهم أيضًا باقون في النار.

٨٠١٧ ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت:٢٤]:

قال الضحاك: المراد إن يعتذروا، فما هم من المعذورين.

٨٠١٨ قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لرجل: «يا أبا فلان.. هل أتت عليك حال أنت فيها مستعد للموت؟» قال: لا.

قال: «فهل أنت مُجْمِعٌ للتحول إلى حال ترضى بها؟».

قال: ما شخصت نفسي بذلك بعد.

قال: «فهل بعد الموت دار فيها مستعتب».

قال: لا.

قال: «فهل أنت تأمن الموت أن يأتيك؟».

قال: لا.

قال: «ما رأيتُ مثل هذه الحال رضي بها عاقل».

٨٠١٩ خطب رسول الله فقال: «**والذي نفسي بيده.. ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار**».

٨٠٢٠ ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [فصلت:٢٥]:

سلَّط الله الشياطين على المجرمين، بسبب إعراضهم عن ذكر الله وآياته، وجحودهم الحق، فأضلَّهم الله لضلالهم، ونسيهم بما نسوه.

٨٠٢١ إذا أراد الله بعبد خيرا قيَّض له قرناء خير يعينونه على الطاعات، ويحملونه عليها، وإذا أراد به غير ذلك سلَّط عليه شياطين الإنس والجن يوسوسون إليه بالسيئات والمنكرات.

٨٠٢٢ معنى تزيين الشياطين: تلقينهم الأدلة الباطلة التي تسوِّغ شركهم وانحرافهم في ناحيتين:

﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: أمور الدنيا، فزيَّنت لهم الشياطين ما كانوا يقعون فيه من ألوان الفساد والعصيان.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: الأمور الغيبية مثل صفات الله، فنسبوا لله الولد، وأمور الآخرة كإنكار البعث والحساب، وظنهم أن الله يخفى عليه ما ستروا من أعمالهم.

٨٠٢٣ ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [فصلت:٢٥]:

هذا أوضح دليل على تكليف الجن مع الإنس، فقد اعترفوا في الآخرة بأنهم كانوا كافرين، وشهدوا على أنفسهم بالكفر، مما يدل على تكليفهم وتوجه خطاب الشرع إليهم.

٨٠٢٤ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦]:

هذا من شأن دعاة الضلال إذا أعيتهم الحِيَل، ورأوا قوة حجة أصحاب الحق، فخافوا أن يهتدي الناس على أيديهم، فبادروا إلى لغو الكلمات وبث الشبهات، ليشوِّشوا على الحق.

٨٠٢٥ قال ابن عباس: «كان النبي ﷺ وهو بمكة إذا قرأ القرآن يرفع صوته، فكان أبو جهل وغيره يطردون الناس عنه، ويقولون لهم: لا تسمعوا له والغَوْا فيه، فكانوا يأتون بالمُكاء والصفير والصياح وإنشاد الشعر والأراجيز، وما يحضرهم من الأقوال التي يصخبون بها».

٨٠٢٦ قال الجمل: «وفي هذا تعريضٌ بمن لا يكون عند سماعه لكلام الله خاضعًا خاشعًا متفكرًا متدبِّرًا، وتهديد ووعيد شديد لمن يصدر عنه عند سماعه ما يشوش على القارئ ويخلط عليه القراءة».

٨٠٢٧ ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت:٢٧]:

وأسوأ الأعمال الشرك، وقيل: إنه سبحانه لا يجازيهم بمحاسن أعمالهم كإغاثة الملهوف، وصلة الأرحام، وإكرام الضيف؛ لأنها محبطة بالكفر.

٨٠٢٨ ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت:٢٨]:

ربط العقوبة بالسبب أسلوب قرآني، يهدف إلى تعميم الانتفاع بالآية بدلا من ربطها بحالة خاصة نزلت فيها هذه الآية.

٨٠٢٩ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت:٢٩]:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا تصاحِب الفاجر، فإنه يُزيِّن لك فعله، ويود لو أنك مثله».

٨٠٣٠ أخبر الحديث بأن جليس السوء كنافخ الكير، «**إمَّا أن يحرِق ثيابك، وإمَّا أن تَجِدَ رِيحًا خبيثة**»، وتشبيه صاحب السوء في الحديث بصاحب كير النار تذكير بنار الآخرة.

٨٠٣١ لا تغرَّنَّكم المودات بين الناس في الدنيا، فمن اجتمعوا في الدنيا على الفساد والضلال، يلعن بعضهم بعضًا في الآخرة.

٨٠٣٢ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]:

قال أبو بكر: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾: لم يشركوا بالله شيئًا. وقال عمر: استقاموا على الطريقة لطاعته ثم لم يروغوا روغان الثعالب. وقال عثمان: ثم أخلصوا العمل لله، وقال علي: ثم أدوا الفرائض.

٨٠٣٣ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]:

عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق ﷺ، وذلك أن المشركين قالوا ربنا الله والملائكة بناته وهؤلاء شفعاؤنا عند الله، فلم يستقيموا. وقال أبو بكر: ربنا الله وحده لا شريك له ومحمد ﷺ عبده ورسوله، فاستقام.

٨٠٣٤ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠]:

متى هذا التنزل؟! قال الزهري وقتادة: هي نزول الملائكة بالبشارة من الله تعالى عند الموت.

٨٠٣٥ ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]:

قال مجاهد: «لا تخافوا على ما تُقدِمون عليه من أمر الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلَّفتم من أهل وولد، فإنا نخلفكم في ذلك كله».

٨٠٣٦ ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣١]:

استدعوا الملائكة في الدنيا بصالح أعمالكم، تصحبكم الملائكة في رحلة الآخرة حتى قصور جناتكم. قال مجاهد: «أي نحن قرناؤكم الذين كنا معكم في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قالوا: لا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة».

ما وظائف الملائكة مع المؤمنين؟!

٨٠٣٧ قال ابن كثير:

«تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءكم، أي: قرناءكم في الحياة الدنيا، نسدِّدكم ونوفِّقكم، ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة، نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور،

ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم».

١٠٣٨ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ﴾ [فصلت:٣١]:

منعتم أنفسكم من شهوات الدنيا المحرمة قليلًا، فتمتعتم بأضعاف أضعافها طويلًا.

١٠٣٩ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت:٣١]:

قال الإمام الرازي:

«الأقرب عندي أن قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ﴾ إشارة إلى الجنة الجسمانية، وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ إشارة إلى الجنة الروحانية».

١٠٤٠ ﴿نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت:٣٢]:

سين: لماذا اقتران المغفرة بالرحمة؟!

جيم: لولا رحمته لما وصلوا إلى مغفرته.

١٠٤١ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]:

كان الحسن إذا تلا هذه الآية يقول: «هذا رسول الله، هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا والله أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب إليه».

١٠٤٢ ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]: قال الشاعر:

وما شيءٌ أَحَبُّ إلى سَفيهٍ ... إذا سَبَّ الكريمَ مِنَ الجوابِ

تاركة السفيه بلا جواب ... وأشد على السفيهِ مِنَ السِّبابِ

١٠٤٣ ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]:

قال أنس بن مالك: «هو الرجل يشتمه أخوه فيقول: إن كنت كاذبا فغفر الله لك، وإن كنت صادقا فغفر الله لي».

٨٠٤٤ كيف يخضع لك عدوك؟!

عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: «أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم».

٨٠٤٥ ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]:

قال ابن عباس في تفسير الآية: «ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك».

٨٠٤٦ روي عن ابن عباس قوله: «أمر المسلمين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم، كأنه ولي حميم».

٨٠٤٧ ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ [فصلت:٣٥]:

وما يُلقَّى هذه الخصلة من دفع السيئة بالتي هي أحسن إلا الصابرون، وهكذا كل خصال الخير.

٨٠٤٨ ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٥]:

لماذا كرر الله سبحانه قوله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ مرتين؟!

قال الإمام السيوطي في (الإتقان في علوم القرآن):

«وله – أي: التكرار – فوائد:

منها: التقرير، وقد قيل: (الكلام إذا تكرَّر تقرَّر).

ومنها: زيادة التنبيه.

ومنها: إذا طال الكلام وخُشِي تناسي الأول، أعيد ثانيها تطرية له وتجديدًا لعهده.

ومنها: التعظيم والتهويل».

٨٠٤٩ من المحظوظ؟!

قال الحسن: والله ما عظم حظ قط دون الجنة.

٨٠٥٠ ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦]:

إذا تسللت إلى قلبك نزغات شيطان فبادر إلى ذكر ربِّك، فإن لم تفعل تحولت النزغة إلى فكرة، والفكرة إلى عزم، فإن لم تتحصَّن بحصن الاستعاذة أوقعك العزم في الزلل.

٨٠٥١ قال الإمام القرطبي:

«حُكِي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سوَّل لك الخطايا؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده. قال: هذا يطول، أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها، ومنع من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده وأرُدُّه جهدي. قال: هذا يطول عليك، ولكن استغِث بصاحب الغنم يكفه عنك».

٨٠٥٢ هل تريد أن يرتعد الشيطان منك خوفا، ويفر منك رعبا؟! استعِذ بالله.

٨٠٥٣ الذي أعطى شيطانك القدرة على التغلغل فيك، والتسلل إلى خواطرك، هو وحده القادر على منعه: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾.

٨٠٥٤ ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧]:

ردٌّ على من عبد الشمس والقمر، فما هما -على عظمة خلقهما- إلا خلق من جموع المخلوقين.

٨٠٥٥ قدَّم الله ذكر الليل على ذكر النهار- كما قال الرازي والآلوسي- تنبيهًا على تقدمه، مع كون الظلمة عدمًا، وكون النور وجودًا، والعدم سابق على الوجود.

٨٠٥٦ قدَّم الشمس على القمر، لمناسبة ذكرها عقب ذكر النهار؛ لأنها آيته، وسبب نوره؛ ولأنها أصل نور القمر، فإن نوره مِنْ ضياء الشمس.

٨٠٥٧ ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت:٣٨]:

عن حكيم بن حزام قال:

«بينما رسول الله ﷺ في أصحابه إذ قال لهم: **أتسمعون ما أسمع**؟ قالوا: ما نسمع من شيء، قال: **إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تئط، ما فيها موضع شبر إلا عليه ملك ساجد أو قائم**». السلسلة الصحيحة رقم: ١٠٦٠.

٨٠٥٨ ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت:٣٩]:

الكون كله خاشع لله، أرضه وسماؤه وملائكته، فلم التمرد يا ابن آدم؟!

٨٠٥٩ لكل من تعجب وتساءل عن كيفية البعث بعد الموت! قال السُّدِّي: «كما يحيي الأرض بالمطر، كذلك يحيي الموتى بالماء يوم القيامة بين النفختين».

٨٠٦٠ ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠]:

لو لم يكن الفوز غدًا إلا النجاة من أهوال النار وفزع يوم القيامة، والشعور بالأمان، لكفى، فكيف لو كان مع هذا الفوز العظيم جنات النعيم؟!

٨٠٦١ ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١]:

ولأنه عزيز؛ لذا لا يعطيك أعز معانيه إلا بعد أن تُعطِيَه أعز أوقاتك، ولا يمنحك بعضه إلا بعد أن تمنحه كلك، فغلو السلعة يقتضي غلو الثمن!

٨٠٦٢ ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]:

قال ابن جرير: «وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: معناه: لا يستطيع ذو باطل بكيده تغييره بكيده، وتبديل شيء من معانيه عما هو به، وذلك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق ما ليس منه فيه، وذلك إتيانه من خلفه».

٨٠٦٣ هذا كتاب محفوظ!

قال صاحب الكشاف: «فإن قلت: أما طعن فيه الطاعنون وتأوله المبطلون؟ قلت: بلى، ولكن الله قد تكفل بحمايته عن تعلق الباطل به، بأن قيض قومًا عارضوهم بإبطال تأويلهم، وإفساد أقاويلهم. فلم يخلوا طعن طاعن إلا ممحوقًا، ولا قول مبطل إلا مضمحلا».

٨٠٦٤ ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣]:

التُّهَم واحدة على مر العصور، ومع سائر الأنبياء، فكاذب وساحر وكاهن ومجنون ومتآمر، ليس في الأمر جديد!

٨٠٦٥ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت:٤٣]:

لاحظ تقديم المغفرة على العذاب؛ لأن رحمته سبقت غضبه.

٨٠٦٦ قال ابن تيمية:«وينبغي للمؤمن أن يكون خوفه ورجاؤه واحدًا، فأيهما غلب هلك صاحبه، ونصَّ عليه الإمام أحمد؛ لأن من غلب خوفه وقع في نوع من اليأس، ومن غلب رجاؤه وقع في نوع من الأمن من مكر الله».

٨٠٦٧ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ۖ ءَاَعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ [فصلت:٤٤]:

كان المشركون لتعنتهم يقولون: هلا نزل القرآن بلغة العجم؟ ولو حدث ذلك لقالوا: أقرآن أعجميٌّ ورسول عربي؟ فهم جاحدون لآيات الله على أي طريقة جاءتهم؛ لأنهم غير طالبين للحق، وإنما يتبعون أهواءهم.

٨٠٦٨ ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:٤٤]:

كلما كنت أقوى إيمانًا، كنت أكثر انتفاعًا بهداية القرآن، وشفاء الوحي.

٨٠٦٩ هل القرآن شفاء الأبدان؟

قال ابن عجيبة في (البحر المديد): «﴿مِن﴾ للبيان، وقيل: للتبعيض، والمعنى: أن منه ما يشفي من المرض الحسي؛ كالفاتحة، وآيات الشفاء، ومن المرض المعنوي، كآيات كثيرة».

٨٠٧٠ قال ابن القيم:

«ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة، لرأى لها تأثيرًا عجيبًا في الشفاء، ومكثتُ بمكة مدّةً تعتريني أدواء، ولا أجد طبيبًا ولا دواء، فكنتُ أعالج نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيرًا عجيبًا، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألمًا، وكان كثير منهم يبرأ سريعًا».

٨٠٧١ ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًى﴾ [فصلت:٤٤]:

القرآن عند بعض الناس عمى!

بعض القلوب صنعت على أبوابها أقفالًا؛ منعت تسلل نور الوحي إليها، فالوقر والعمى هو ما حال بينهم وبين أن يكون القرآن لهم هدى وشفاء، فهم عُمْيٌ وصُمٌّ عن هدايات القرآن.

٨٠٧٢ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت:٤٤]

يا من تُنادَون للنجاة، فلا تستجيبون.

يا من تخوَّفون بالنار فلا ترتدعون.

وتشوَّقون للجنة فلا تبذلون.

ألا تفهمون؟!

أم أن دعاة الخير من مكان بعيد ينادون وبكم يهتفون، فلا تسمعون؟!

٨٠٧٣ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٤]:

أي أنهم لا يسمعون ولا يفهمون كما أن من دُعِي من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم.

٨٠٧٤ ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [فصلت:٤٥]:

هل تعلم أن موسى عليه السلام أكثر الأنبياء أتباعًا بعد النبي ﷺ؟! ففي رحلة المعراج كما في البخاري: «**فرأيتُ سوادًا كثيرًا سَدَّ الأفق، فرجوت أن يكون أمتي، فقيل: هذا موسى في قومه**».

٨٠٧٥ ﴿فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ﴾ [فصلت:٤٥]:

تسلية المصاب بعموم البلوى، فكل الأمم اختلفت على أنبيائها، ما بين مؤمن وكافر، ومصدِّق ومكذِّب، فكذلك حال الناس مع الوحي والقرآن.

٨٠٧٦ ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [فصلت:٤٥]:

الكلمة التي سبقت هي تأخير الجزاء الكامل إلى الآخرة، فالآخرة دار جزاء، بينما الدنيا دار عمل، والتأخير لحكمة بالغة: لعلهم يرجعون.

٨٠٧٧ كل ما جرى في الكون وسيجري فيه، ما هو إلا تنفيذ لما سبق في علم الله، وهذا دليل تمام قدرة الله وعظيم سلطانه.

٨٠٧٨ ﴿وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾ [فصلت:٤٥]:

الفارق بين الشك والريبة هو أن الريبة شك مع قلق واضطراب، وهكذا المكذِّب بالقرآن، ينبهر بآياته، ويصده كبره وهواه عن الإيمان به.

٨٠٧٩ ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ﴾ [فصلت:٤٦]:

ليس في الدين قيود، بل هي حدود، تضمن سلامتك، وتكفل حمايتك، وتقيك من كل ما يضرك في دينك أو دنياك.

٨٠٨٠ قال بعض السَّلف: «إن للحسنة نورًا في القلب، وَقُوَّة في البدن، وضياء في الوجه، وسعة فِي الرزق، ومحبة في قلوب الْخلق.

وإن للسيئة لظلمة في القلب، وسوادًا فِي الوجه، ووهنًا فِي الْبدن، ونقصًا في الرزق، وبغضًا في قلوب الخلق».

٨٠٨١ إحسانك إلى غيرك، هو في حقيقته إحسان إلى نفسك؛ لأنك تصلح به آخرتك، وهي الأغلى والأهم والأبقى.

٨٠٨٢ لم يأمر الله عباده بطاعته لحاجته إلى خدمتهم حاشاه، وإنما أمرهم بما فيه صلاحهم، ونهاهم عما فيه فسادهم، وفي الحديث القدسي:

«**يا عبادي.. إنكم لن تبلغوا ضُرّي فتضُرّوني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**».

٨٠٨٣ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦]:

لا يظلم الله محسنًا مثقال ذرة، فينقص من ثواب إحسانه، أو يجعله لغيره، ولا يظلم مسيئًا مثقال ذرة، فيجعل عليه سيئات غيره.



الجزء الخامس والعشرون

سورة فصلت آية ٤٧
إلى سورة الجاثية آية ٣٧

عدد الفوائد: ٤٤٢

قال ابن قدامة المقدسي:

«ينبغي لتالي القرآن أن يعلم أنه المقصود بخطاب القرآن ووعيده، وأن القصص لم يرد بها السَّمَر، بل العِبَر، فحينئذٍ يتلوه تلاوة عبدٍ كاتبه سيِّده بمقصود (أمر).

وليتأمل الكتاب ويعمل بمقتضاه، فإن مثل العاصي إذا قرأ القرآن وكرّره، كمثل من كرّر (دراسة) كتاب الملك، وأعرض عن عمارة مملكته وما أمر به في الكتاب، فَلَو ترك الدراسة مع المخالفة، كان أبعد من الاستهزاء واستحقاق المقت».

مختصر منهاج القاصدين ص ٥٤

الجزء الخامس والعشرون
سورة فصلت آية ٤٧
إلى سورة الجاثية آية ٣٧

﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٧]:

اتخذ الكفار عدم العلم بوقت الساعة حجة على التكذيب بالساعة، فساق الله لهم ثلاثة نظائر للساعة، لا يعلمها إلا الله، وهي تجري أمام أعينهم:

أولها: علم ما تخرجه أكمام الزرع من الثمار بكميته وجودته وموعد سقوطه.

وثانيها: حمل الإناث من إنسان أو حيوان، ولا يعلم الولود من العقيم منها قبل الزواج إلا الله.

وثالثها: وقت وضع الأجنة باليوم والساعة.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾ [فصلت: ٤٩]:

قال أبو السعود:

«أي كثيرٍ، مستعارٌ مما لَه عَرْضٌ متسعٌ للإشعارِ بكثرتِه واستمرارِه وهو أبلغُ من الطويل، إذ الطول أطولُ الامتدادين، فإذا كان عرضُه كذلكَ، فما ظنُّك بطولِه؟».

﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٧]:

الله يناديهم بنفسه ليشهدوا!

الشهيد يجوز أن يكون بمعنى المشاهَد، أي المبْصَر، أي ما منا أحدٌ يَرى الذين كنا ندعوهم شركاءك الآن، أو يكون الشهيد بمعنى الشاهد، أي ما منا أحد يشهد أنهم شركاؤك، فيكون هذا اعترافًا بكذبهم في ما مضى.

٨٠٨٧ ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [فصلت: ٤٨]:

أبشع الضلال من ظن صاحبه أنه يفيده، ويدفع عنه العذاب، فيخيب سعيه، ويبطل ظنه، ويجد عكس ما أمَّل.

٨٠٨٨ ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: ٤٩]:

هذا خُلُقٌ مرتكز في نفس الإنسان والفطرة البشرية، وهو حب الاستزادة من الخير، واليأس عند نزول الشر، واليأس من زواله، واليأس أن يعقبه الخير، لكن يتم تهذيبه بوازع الإيمان.

٨٠٨٩ عدَل عن إسناد إصابة الشر إلى الله تعليمًا للأدب مع الله.

٨٠٩٠ لا يملُّ العبد من سؤال الخير من ربه، غافلًا عن شكره، فتزداد حجة الله عليه، ويسُرُّه ما يضُرُّه.

٨٠٩١ ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى﴾ [فصلت: ٥٠]:

هذا بجهدي وذكائي وسعيي، فأنا الذي خطَّطت، وأنا الذي قدَّمت، وأنا، وأنا، وأنا حتى تُهلِكه (أنا).

٨٠٩٢ ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]:

من أعظم الاغترار والجرأة على الجبار: أن تزعم أن لك مكانة خاصة عنده، وأنت لست كذلك.

٨٠٩٣ أقل الناس عقلا من قدَّم السيئات، ورجا في المقابل المكافآت والحسنات، وبارز ربه بالعصيان، وانتظر المكافأة في الجنان.

٨٠٩٤ بعض الناس يظن خطأ أن إحسان الله له في الدنيا بالنِّعَم علامة رضا وقبول، وما درى المسكين أن مدار النجاة على صلاح الأعمال لا على كثرة الأملاك والأموال.

٨٠٩٥ ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾ [فصلت:٥١]:

كلما زادت نعم الله على العبد زاد نسيانه للشكر وإعراضه عن الذكر، والعكس عند نزل الضر، يكون إقباله على الذكر والاستعانة بالرب، وهنا تكون النعمة بلاء، والحرمان عطاء.

٨٠٩٦ شتَّان بين من يرجع إلى الله اختيارًا، ومن يرجع إليه اضطرارًا!

٨٠٩٧ ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت:٥٢]:

كأنه قال: ضعوا احتمالًا أن يكون هذا القرآن كلام الله، فإن كفرتم به دون تأمل، فقد حكمتم على أنفسكم بالضلال الشديد واستحقاق الوعيد، وهذا تنزلٌ للإقناع، وتلطُّف في الخطاب.

٨٠٩٨ لعل المقصود بهذا الخطاب التشكيكي عوام المشركين الذين لم ينظروا في آيات القرآن ولم يطيلوا التأمل فيه، فقد راعى القرآن اختلاف درجات الكافرين، فخاطب كل فريق بما يناسبه ليقنعه.

٨٠٩٩ ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾ [فصلت:٥٣]:

السين تفيد الاستقبال، ومَنْ نزل فيهم القرآن قرءوها هكذا، ونحن نقرؤها، وسيقرؤها من بعدنا، وستظهر كل يوم آيات جديدة تدلُّ الناس على ربهم حتى تقوم الساعة.

٨١٠٠ ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [فصلت:٥٣]:

هل تعلم أن القلب في السنة الواحدة:

- ينبض قرابة ٢٤ مليون مرة.
- يضخ مليونين ونصف مليون لتر.
- يعمل بلا توقف طيلة عمر الانسان، بطريقة غاية في الدقة والانتظام.

٨١٠١ ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣]:

قال الإمام البقاعي:

«وفي هذا تأديب لكل من كان على حق، ولا يجد من يساعده على ظهوره، فإن الله شاهده، فلا بد أن يظهر أمره، فتوكل على الله إنك على الحق المبين».

٨١٠٢ ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت:٥٤]:

صعد عمر بن عبد العزيز المنبر يومًا، ثم قال:

«أيها الناس.. فإني لم أجمعكم لأمر أحدثه فيكم، ولكن فكرت في هذا الأمر الذي أنتم إليه صائرون، فعلمت أن المصدِّق بهذا الأمر أحمق (لأنه لم يعمل له)، والمُكذِّب به هالك»، ثم نزل.



سورة الشورى

٨١٠٣ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى:٢]:

اشتهر تسميتها عند السلف «حم عسق»، وكذلك ترجمها البخاري في كتاب التفسير والترمذي في «جامعه»، وتُسمَّى «سورة عسق» بدون لفظ حم لقصد الاختصار، ولم يثبت عن النبي ﷺ شيء في تسميتها.

٨١٠٤ ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الشورى:٣]:

كيف قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ بلفظ المضارع، والوحي إليه وإلى من قبله فعلٌ ماضٍ؟

قال الزمخشري: «قصَد بلفظ المضارع كون ذلك عادة وسُنَّة لله تعالى».

٨١٠٥ الله سبحانه هو الذي أوحى بالرسالات جميعها للرسل جميعهم، والرسالة النبوية الخاتمة ما هي إلا امتدادٌ لأمر قديم مطَّرد، يقرِّر وحدة الدين، ووحدة المنهج، ووحدة الهدف والغاية.

٨١٠٦ ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الشورى:٤]:

وأنت ليس لك فيهما شيء، وكل ما معك اليوم فهو مُعار، ومادة اختبار، نجاحك في جنة، وسقوطك فيها نار!

٨١٠٧ كلُّ ما في السموات وما في الأرض هو خلق الله ومُلْكُه ومِلْكُه؛ لذا يتصرف فيه كيف شاء، و (ما) اسمٌ موصول يفيد العموم، أي لتشمل العاقل وغير العاقل.

٨١٠٨ ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الشورى:٤]:

هذا الخالق والمالك العظيم لا بد أن يكون مُنَزَّهًا، فهو العَلِيُّ أي المتعالي عن الأشباه والأنداد والأمثال والأضداد، وهو العظيم في ذاته، وصفاته، وأفعاله.

٨١٠٩ ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ [الشورى:٤]:

قال الطبري: «وهو ذو علوٍّ وارتفاع على كل شيء، والأشياء كلها دونه؛ لأنهم في سلطانه، جارية عليهم قدرته، ماضية فيهم مشيئته».

٨١١٠ ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ [الشورى:٤]:

إيمانك باسم الله العظيم يقتضي التعظيم.

قال الهروي:

«من تعظيم الحق سبحانه ألا ينازِع العبد له اختيارًا، فإذا اختار الله لك أمرًا؛ إما بأمرِه، وإما بقضائه وقدرِه، فارضَ ولا تتسخَّط».

٨١١١ ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورى:٥]:

أي، تنشق كل سماء فوق التي تليها فَرَقا من عظمة الله، ولولا أن الله أمسكها لتفطَّرت.

٨١١٢ ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى:٥]:

من أسباب تسبيح الملائكة؟! قال القرطبي: «قيل: يتعجَّبون من جرأة المشركين، فيذكر التسبيح في موضع التعجب، وعن علي ﷺ: أن تسبيحهم تعجب مما يرون من تعرُّضهم لسخط الله».

٨١١٣ ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٥]:

ما أرحم الله بنا، نقترف الذنوب ونبارز بها علام الغيوب، فيكلِّف ملائكته بالاستغفار لنا عسانا نتوب!

٨١١٤ قال مُطرَف: «وجَدْنا أنصح عباد الله لعباد الله: الملائكة، ووجَدْنا أغش عباد الله لعباد الله: الشياطين».

٨١١٥ ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٥]:

ما أجمل اقتران التسبيح بالحمد! فلنقلِّد الملائكة، ولنشارِكْهم هذا الشَّرَف، ولنردِّد كلمات هذا النشيد السماوي: سبحان الله وبحمده.

٨١١٦ هل تعلم ما أحب الكلام إلى الله؟!

قال رسول الله ﷺ: «**أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد: سبحان الله وبحمده**». صحيح الجامع رقم: ١٧٤ .

٨١١٧ قال ابن عاشور:

«وتقديم التسبيح على الحمد إشارة إلى أن تنزيه الله عمّا لا يليق به أهم من إثبات صفات الكمال له؛ لأن التنزيه تمهيد لإدراك كمالاته تعالى».

٨١١٨ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ [الشورى:٦]:

ما أجمل تسكين رب العالمين لحزن سيد المرسلين!

٨١١٩ لم يكلِّفك الله بأكثر من التبليغ والبيان، فلا تغرق -بسبب إعراضهم- في الأحزان.

٨١٢٠ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾ [الشورى:٧]:

لغتكم العربية أعظم اللغات!

لو راعي القرآن لغات جميع المخاطبين بدعوة الإسلام؛ لاقتضى ذلك أن ينزل بعددٍ يُحصى من اللغات؛ لذا اختار الله لكتابه أفضل اللغات، وهي العربية.

٨١٢١ ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ [الشورى:٧]:

هنا تشريف أم القرى: مكة، فهي أشرف البلاد وسُرَّة الأرض، ومن حولها: جميع بقاع الأرض.

٨١٢٢ ﴿وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ [الشورى:٧]:

من أسماء القيامة: يوم الجمع، يجمع الله فيه الأولين والآخرين في صعيد واحد للحساب ثم الجزاء، ويجمع فيه بين المرء وعمله، وبين الجسد وروحه، وبين المرء وشكله في الخير والشر، وكل هذا لا ريب فيه إلا عند المنافقين والمعاندين.

٨١٢٣ ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧]:

في هذه الآية تسلية للرسول ﷺ ولكل داعية على تمنيهم أن يكون الناس كلهم مهتدين ومن أهل الحق، وأن يكون جميعهم في الجنة.

٨١٢٤ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الشورى:٨]:

لو شاء لجعلهم جميعًا على الهدى وأدخلهم الجنة، فهو القادر الذي لا يمتنع عليه شيء، لكنه خلق الدنيا للاختبار؛ مِنّا من يختار الجنة، ومِنّا من يختار النار.

٨١٢٥ ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ [الشورى:٨]:

ليست المشيئة إجبارًا!

قال الآلوسي ما ملخصه:

«أي: أنه تعالى يُدخِل في رحمته من يشاء أن يُدخِله فيها، ويدخل في عذابه من يشاء أن يدخله فيه، ولا ريب في أن مشيئته تعالى لكل من الإدخالين، تابعة لاستحقاق كل فريق لعمله».

٨١٢٦ ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى:٨]:

ولم يقل: (ويدخل من يشاء في عذابه)، للإيذان بأن الإدخال في العذاب، سببه سوء اختيار الداخلين فيه.

٨١٢٧ ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٩]:

هذه مقوِّمات الولي الحق: يحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير، فمن اتخذ وليًّا من دون الله، فهو أعمى البصيرة، مشكوك في صحة عقله أو قوة إيمانه.

٨١٢٨ هذه ولاية عامة للخلق كلهم حتى الكافر والفاجر، فيرزقهم الله ويعافيهم ويدفع عنهم السوء، وولاية خاصة، وهذه لا تكون إلا للمؤمنين بالهداية والتأييد والنصرة.

٨١٢٩ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الشورى:٩]:

فلا تستصعب إجابة دعاء مهما ظَننته محالًا، ولا تستصعِب هداية أحد مهما عانى ضلالا، ولا تستصعِب مغفرة ذنب مهما يكن عظيمًا.

٨١٣٠ ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:١٠]:

إذا دبَّ الخلاف بينكم، فلا سبيل إلى الوفاق إلا بالرجوع إلى الشرع، وأحكام الوحي.

٨١٣١ الحُكْم إلى أربعة! إلى كتاب الله، وسُنَّة رسول الله ﷺ، وإجماع الأئمة، وشواهد القياس.

٨١٣٢ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى:١٠]:

قال ابن عاشور:

«وجيء في فعل: ﴿تَوَكَّلۡتُ﴾ بصيغة الماضي، وفي فعل: ﴿أُنِيبُ﴾ بصيغة المضارع؛ للإشارة إلى أن توكله على الله كان سابقًا من قبل أن يظهر له تنكر قومه له، فقد صادف تنكرهم منه عبدًا متوكِّلًا على ربه، وإذا كان توكله قد سبق تنكر قومه، فاستمراره بعد أن كشَّروا له عن أنياب العدوان محقَّق.

وأما فعل: ﴿أُنِيبُ﴾ ، فجيء فيه بصيغة المضارع، للإشارة إلى تجدد الإنابة وطلب المغفرة».

٨١٣٣ ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِ﴾ [الشورى:١١]:

الذرء هو التكاثر والبث، يقال: ذرأ فلان الشيء، إذا بثَّه وكثَّره، فهذا التزاوج بين الذكور والإناث آية بسببه يحصل التكاثر بين جميع المخلوقات، والخطاب للبشر والأنعام، وجاء الخطاب للعقلاء تغليبًا على غيرهم.

٨١٣٤ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]:

لا شبيه له في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله.

٨١٣٥ ما ألطف الله!

قال ابن القيم:

«فإن الله سبحانه يعامل عبده معاملة من ليس كمثله شيء في أفعاله، كما ليس كمثله شيء في صفاته، فإنه ما حرمه إلا ليُعطِيه، ولا أمرَضه إلا ليشفيه، ولا أفقره إلا ليغنيه، ولا أماته إلا ليحييه».

٨١٣٦ الله حي وأنت حي، لكن هل حياتك كحياته؟ والله سميع وأنت سميع، أسمعك كسمعه؟ والله بصير وأنت بصير، لكن شتان شتان! ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

٨١٣٧ إياك أن تُخضِع أفعال الله لقانون فعلك؛ ففعلك محتاج إلى معالجة أسباب وفترة محددة للوصول إلى هدفك، وهو يختلف باختلاف قوتك وقدرتك، والله عز وجل منزَّهٌ عن كل هذا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

٨١٣٨ وجودنا سبق بعدم، ويلحقه الفناء، وأما وجود الله، فلم يُسبَق بعدم، ولا يلحقه فناء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

٨١٣٩ إنْ وُجد مِثْلٌ لله -والمثل دائمًا أضعف من الأصل- فلن يوجد شبيهٌ لهذا المِثْل وهو الأضعف، فكيف يوجد مَثَلٌ للأقوى؟!

٨١٤٠ قال ابن القيم:

«وكما أنه سبحانه ليس كمثله شيء، فليس كمحبته وإجلاله محبة وإجلال ومخافة، فالمخلوق كلما خِفْتَه استوحشتَ منه، وهربْتَ منه، والله سبحانه كلما خفته أنست به وفررت إليه.

والمخلوق يُخافُ ظلمه وعدوانه، والرب سبحانه إنما يُخاف عدله وقسطه.

ومحبة المخلوق إذا لم تكن لله فهي عذابٌ للمُحِبِّ ووبال عليه، وما يحصل له بها من التألم أعظم مما يحصل له مَنْ اللذة، وأما محبة الرب سبحانه فشأنها غير هذا الشأن، فإنه لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها وفاطرها».

٨١٤١ ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:١٢]:

كم اسمًا لله تعالى في ثنايا كلمة (مقاليد)؟

الجـــواب: المعطي، المـانع، الضـار النـافع، الخـافض، الرافـع، المعـز، المـذل، القابض الباسط، الفتاح، الرزاق، الوهاب، فكل هذه أسماءٌ لله أرشدك إليها ودلك عليها.

٨١٤٢ ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ﴾ [الشورى:١٢]:

تقديم المجرور لإفادة الاختصاص، أي هي مُلكُه لا مُلْك غيره، لينزع بذلك أوهام المتكبرين بعطاء الله -الذي منحهم إياه- على غيرهم، ويفتح أبواب الأمل للراجين فضل ربهم.

٨١٤٣ ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى:١٢]:

يوسِّع رزقه على من يشاء من خلقه، فيُكثِر ماله، ويُقَتِّر على من يشاء منهم فيضيِّق عليه ويُفْقِره؛ لأنه عليم بمن يُصلِحه بسط الرزق، ومن يفسِده.

٨١٤٤ من لطف الله بعباده: أن مشيئته جارية على حسب علمه بما يناسب أحوال المرزوقين من بَسط وقَدْر، وعطاء ومنع.

٨١٤٥ ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ [الشورى:١٣]:

أوصانا الله بما أوصى به جميع هؤلاء الأنبياء؛ بوصية واحدة: إقامة الدين، فمن نفَّذَ الوصية؟!

٨١٤٦ ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣]:

تعلَّموا من هذه الآية أن الفرقة عذاب، والجماعة رحمة.

٨١٤٧ ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى:١٣]:

الهادي ليس فقط الذي يهدي الطائعين للطاعة، بل هو الذي يهدي كذلك العصاة للتوبة.

٨١٤٨ قال السعدي:

«هذه أكبر مِنَّة أنعم الله بها على عباده، أن شرع لهم من الدين خير الأديان وأفضلها، وأزكاها وأطهرها، دين الإسلام، الذي شرعه الله للمصطفين المختارين من عباده، بل شرعه الله لخيار الخيار، وصفوة الصفوة، وهم أولو العزم من المرسلين المذكورون في هذه الآية».

٨١٤٩ من أنواع الاجتماع على الدين وعدم التفرق فيه، ما أمر به الله من الاجتماعات العامة، كالاجتماع للحج، والأعياد، والجُمَع، والصلوات الخمس، وغير ذلك من العبادات التي لا تتم ولا تكتمل إلا بالاجتماع وعدم التفرق.

٨١٥٠ أصول الأديان لا يختلف فيها دين عن دين كإخلاص العبادة لله، والإيمان بكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر، والتحلي بمكارم الأخلاق، أما فروع الشرائع، كتحليل بعض الطيبات لقوم على سبيل التيسير، وتحريمها على قوم على سبيل العقوبة، فهذا لا يدخل في الأصول.

٨١٥١ ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى:١٤]:

لا تغتر بأنك مسلم أو أن الله آتاك القرآن، فقد حدث ذلك لغيرك، فاختلفوا، فمنهم من اهتدى، ومنهم من غوى.

٨١٥٢ أبغض الاختلاف ما كان بعد علم؛ لأن العلم في هذه الحالة حُجَّة على صاحبه.

٨١٥٣ اختلافهم لم يكن من أجل الوصول إلى الحق، بل الدافع إليه البغي والحسد والعناد.

٨١٥٤ ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى:١٤]:

هذه الكلمة التي سبقت كانت بتأخير الحساب والعذاب إلى الآخرة، وعدم تعجيله في الدنيا.

٨١٥٥ ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾ [الشورى:١٤]:

قال مجاهد: «معنى ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾: من قبلهم، يعني من قبل مشركي مكة، وهم اليهود والنصارى».

٨١٥٦ ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾ [الشورى:١٥]:

لابد مع الدعوة من استقامة، ومع الأمر بالمعروف من امتثالٍ للأمر، ومع النهي عن المنكر من اجتنابٍ له.

٨١٥٧ ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ﴾ [الشورى:١٥]:

قال ابن عاشور:

«وفي هذه الآية مع كونها نازلة في مكة في زمن ضعف المسلمين إعجاز بالغيب يدل على أن الرسول ﷺ، سيكون له الحكم على يهود بلاد العرب، مثل أهل خيبر وتيماء وقريظة والنضير وبني قينقاع، وقد عدَل فيهم، وأقرَّهم على أمرهم، حتى ظاهروا عليه الأحزاب».

٨١٥٨ ﴿لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ﴾ [الشورى:١٥]:

ليست هذه دعوة لعدم النقاش والجدال الحسن، لكن إذا وضحت الحجج مع خصمك وقامت البراهين، ولم يبقَ إلا العناد والمكابرة، فبعدهما لا حجة ولا جدال.

٨١٥٩ ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ [الشورى:١٦]:

مهما استجاب الناس لطريق الله، سيظل عليه دائمًا قُطّاع طرق، يُضِلّون الناس.

٨١٦٠ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾ [الشورى:١٧]:

عامِلوا الخلق بما عاملكم به الله، فالزموا الحق، واقضوا بين الناس بالعدل؛ قبل أن يفاجئكم يوم تُحاسبون فيه، وتوزَن فيه أعمالكم.

٨١٦١ ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ [الشورى:١٨]:

من العجيب أن يأمن المسيء ويخاف المحسن، أن يأمن ابن سلول وهو في الدرك الأسفل من النار، ويخاف ابن الخطاب وهو المبَشَّر بالجنة.

٨١٦٢ عن أنس ﷺ أن رجلًا سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: «**وماذا أعددت لها**». قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله، فقال: «**أنت مع من أحببت**». صحيح البخاري رقم: ٣٦٨٨.

٨١٦٣ ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: 19]:

قال السعدي: «ومن لطفه.. أن قيَّض لعبده كل سبب يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة ونحوها مما يتنافس فيه أهل الدنيا، تقطع عبده عن طاعته، أو تحمله على الغفلة عنه، أو على معصية صرفها عنه، وقدر عليه رزقه؛ ولهذا قال هنا: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ بحسب اقتضاء حكمته ولطفه».

٨١٦٤ ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩]:

أوصى ابن قدامة إخوانه: «واعلم أن مَن هو في البحرِ على اللوح، ليس بأحوَج إلى الله وإلى لطفه ممن هو في بيته بين أهله وماله، فإذا حققتَ هذا في قَلبك فاعتمد على الله اعتمادَ الغريقِ الذي لا يُعلَمُ له سببُ نجاةٍ غيرَ الله».

٨١٦٥ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٠]:

قال قتادة: «إن الله يعطي على نية الآخرة ما شاء من أمر الدنيا، ولا يعطي على نية الدنيا إلا الدنيا».

٨١٦٦ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٠]:

ولم يذكر أنه يعطيه الدنيا أم لا، تنبيهًا على أن الدنيا أخسُّ من أن يُقرَن ذكرُها بذِكْر الآخرة.

١١٦٧ ﴿نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦ﴾[الشورى: ٢٠]:

كل من عمل للآخرة وواظب على هذا العمل، كان ميل قلبه للآخرة أكبر، وبالتالي كان ابتهاجه وسعادته أعظم.

١١٦٨ ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ [الشورى:٢٠]:

قال في مريد حرث الدنيا: ﴿نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ ، و(مِنْ) للتبعيض، فالمعنى أنه يعطيه بعض ما يطلبه، لا كلَّه؛ لذا لا يشبع طالب دنيا أبدا.

١١٦٩ ﴿نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]:

إذا واظب طالب الدنيا على طلبها، ازداد حبه لها، واشتد ميله إليها، حتى يطرد حب الآخرة من قلبه، فلا يبقى لصاحبه في الآخرة أدنى نصيب.

١١٧٠ الآخرة ثوابٌ غائب مؤجَّل، والدنيا ثوابٌ حاضر معجَّل، والناس يرون الحاضر خيرا من الغائب، فبيَّن الله أن الآخرة وإن كانت غيبا إلا أنها تتجه نحو الزيادة والدوام، فكانت أفضل وأكمل، والدنيا وإن كانت حاضرة إلا أنها تتجه نحو النقصان والبطلان، فكانت أخس وأرذل، وعلى العاقل أن يختار.

١١٧١ لا بد في البابين من حرث، والحرث معناه مشقة البذر والسُّقيا والحصاد، وهذا مصداق حديث رسول الله ﷺ:

«**كل الناس يغدو، فبائعٌ نفسه فمعتقها أو موبقها**». صحيح الجامع رقم: ٩٢٥.

١١٧٢ ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]:

التحليل والتحريم حقٌّ لله وحده! قال ابن كثير: «أي هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس من تحريم ما حرَّموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل أكل الميتة والدم والقمار، إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والأقوال الفاسدة».

٨١٧٣ ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡ﴾ [الشورى:٢٢]:
الخوف عذاب نفسي يضاعِف الله به أثر العذاب البدني.

٨١٧٤ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الشورى:٢٢]:
الانقــلاب! اليوم ينقلب إشفاق المؤمنين من الساعة اطمئنانًا، وينقلب استعجال المشركين للساعة واطمئنانهم إشفاقًا، فشتان بين العاقبتين

٨١٧٥ ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]:
جاء في سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ كان له في كل بطن من قريش قرابة، فنزلت ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ أي إلا أن تصِلوا قرابة ما بيني وبينكم.

٨١٧٦ ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًا﴾ [الشورى:٢٣]:
بأن يشرح الله صدره، وييسر أمره، ويبارك له في وقته، ويوفِّقه لحسنة أخرى، ويرفع قدره عند الخلق، ويقذف محبته في قلوبهم، ويصلح له زوجه وذريته، وغير ذلك الكثير.

٨١٧٧ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ [الشورى:٢٣]:
سبحان من يغفر الذنوب العظيمة مهما كثرت، ويشكر على العمل القليل بالأجر الكثير مهما قلَّ.

٨١٧٨ قال ابن القيم:
«من علِم أن الرب شكور تنوَّع في معاملته، ومن عرف أنه واسع المغفرة تعلق بأذيال مغفرته».

٨١٧٩ ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ [الشورى:٢٤]:
إن يشأ الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذب، فإنه لا يفتري الكذب على الله إلا من ختم الله على قلبه، والمقصود بهذا الكلام المبالغة في استبعاد هذا الأمر.

٨١٨٠ لو افترى على الله الكذب، لختم على قلبه؛ وينسيه القرآن، ويقطع عنه الوحي. قاله قتادة.

٨١٨١ ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ [الشورى:٢٤]:

لم خلق الله الباطل؟!

قال السعدي:

«من جملة إحقاقه تعالى الحق، أن يُقَيِّض له الباطل ليقاومه، فإذا قاومه، صال عليه الحق ببراهينه وبيِّناته، فظهر من نوره وهداه ما به يضمحل الباطل وينقمع، ويتبين بطلانه لكل أحد، ويظهر الحق كل الظهور لكل أحد».

٨١٨٢ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى:٢٥]:

أربعُ مبالغات في الآية تستهدف ترغيبك في التوبة:

- استعمال الجملة الاسمية التي تفيد الثبات والتأكيد.
- واستعمال الاسم الموصول: ﴿ٱلَّذِى﴾.
- واستعمال الفعل المضارع (يقبل) الدال على الاستمرارية.
- واستعمال ﴿عَنْ﴾ بدلًا من (من).

٨١٨٣ ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى:٢٥]:

يمحوها من السجلات، ويمحو أثرها من العيوب والآفات، ويمحو ما اقتضته من العقوبات، فهذه ثلاثة من آثار عفوه.

٨١٨٤ قال همام بن الحارث:

أتينا عبد الله بن مسعود، فوجدنا عنده رجالًا يسألونه عن رجل أصاب من امرأة حرامًا، ثم تزوجها، فتلا هذه الآية:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

٨١٨٥ ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [الشورى:٢٦]:

الاستجابة لها وجهان:

الأول: أن الله يستجيب لهم ما يدْعُونه به.

والثاني: أنهم يستجيبون لله، فيطيعون أمره.

٨١٨٦ ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾[الشورى:٢٦]:

معناها على الوجه الأول: أنه يعطيهم أكثر مما دعوا به، ويمنحهم من الخير ما لم يسألوه إياه.

وعلى الوجه الثاني: أنه يعطيهم من ثواب استجابتهم أكثر مما عملوا من الصالحات إذ جعل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف.

٨١٨٧ **فضل الله واسع!**

قال إبراهيم النخعي في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: يشفعون في إخوانهم، وقال في قوله: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: يشفعون في إخوان إخوانهم.

٨١٨٨ ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧]:

قال خباب بن الأرت: «فينا نزلت هذه الآية، وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع، فتمنيناها، فأنزل الله عز وجل هذه الآية».

٨١٨٩ قال شقيق بن إبراهيم:

«إنَّ الله عز وجل لو رزقَ العباد مِنْ غير كسب، لَتَفَرَّغوا فتفاسدوا، ولَكِنْ شَغَلَهُم بِالكسْب حتَّى لا يَتَفَرَّغوا للفساد».

٨١٩٠ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الشورى: ٢٨]:

يا رب.. هذا فِعْلك باليائسين القانطين، فكيف بالموقنين الذين أحسنوا الظن بك يا رب العالمين!

٨١٩١ ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى:٢٨]:

إذا تولاك، فيا سَعْدك وهَناك، فاحمده على ما له من الكمال، وما أوصل إليك من ألوان الإفضال.

٨١٩٢ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [الشورى:٢٩]:

دواب في الأرض، لكن هل هناك دوابُّ في السماء؟! قيل: لعلها الملائكة أو الجن أو خلق مما لا نعلمه.

٨١٩٣ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٢٩]:

قل لمن يستبعد أمر البعث: كما لم يتعذر على الله خلقكم، فلن يتعذَّر عليه جمعكم بعد أن تبلى أجسامكم، وتتفرق في القبور أوصالكم.

٨١٩٤ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]:

قيل لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم؟ فقال: لأنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾.

٨١٩٥ قال الضحاك: «ما تعلَّم رجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب»، ثم قرأ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] »، ثم قال الضحاك: «وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن؟!».

٨١٩٦ دخلوا على عمران بن حصين في مرضه، فقال له رجل: والله إني لأيأس من بعض ما أراك. قال: «لا تفعل، فإن أحبَّه إلي أحبُّه إلى الله. قال الله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، هذا مما كسبت يداي، ويأتي عفو ربي فيما يبقى».

٨١٩٧ قال ابن تيمية: «وإذا رأيتَ العبد يقع في الناس إذا آذوه، ولا يرجع إلى نفسه باللوم والاستغفار، فاعلم أن مصيبته مصيبة حقيقية، وإذا تاب واستغفر وقال: هذا بذنوبي، صارت في حقه نعمة».

٨١٩٨ ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ [الشورى:٣١]:

لا يحسب ظالم أو مستبد أنه في منعة من أمر الله، فلو تحصَّن بالحُرَّاس والحصون في أي بقعة من الأرض، ثم أراده الله بعذاب أو بموت لأدركه.

٨١٩٩ ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾ [الشورى: ٣٢]:

جوارٍ جمع جارية وهي السفن، وسُمِّيَتْ جارية لجريانها.

٨٢٠٠ ﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓ﴾ [الشورى:٣٣]:

هنا يظهر أثر اسم الله (المقيت)، فهو الذي يمنح كل شيء قوته، ومن ذلك: الريح، فيجعل الله لها (قوت) الحركة، فتحرِّك السفن، ويسلب منها هذا القوت، فتسكن السفن على ظهر البحر لا تتحرك.

٨٢٠١ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ﴾ [الشورى:٣٣]:

لا ينبغي لمؤمن أن يكون غافلًا عن آيات الله في حالتي البلاء أو الآلاء، فإن كان في البلاء كان من الصابرين، وإن كان في الآلاء كان من الشاكرين.

٨٢٠٢ ﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ﴾ [الشورى:٣٤]:

كل رحلة بحرية تخوضها بسلام تستلزم منك الشكر على نعمتين: عدم سكون الريح فلم تركد سفينتك على ظهر البحر، وعدم إرسال ريح عاصفة تؤدي لإهلاكك غرقًا.

٨٢٠٣ ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى:٣٤]:

يقول الغزَّالي: «العَفُوُّ: هو الذي يمحو السيئات، ويتجاوز عن المعاصي، وهو قريب من الغفور ولكنه أبلغ منه، فإن الغفران ينبئ عن الستر، والعفو ينبئ عن المحو، والمحو أبلغ من الستر».

٨٢٠٤ قال محمد بن سليمان السمرقندي:

إلهي يا كثير العفو عفوًا ... لما أسلفت في زمن الشبابِ

قـد سـوَّدْتُ في الآثـام وجهًـا ذليلًا خاضعًا لـك في الـترابِ
بيِّضْـه بحسـن العفـو عنـي وسـامحني وخفِّـف مـن عـذابي

٨٢٠٥ ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [الشورى:٣٥]:

أعظم المجادلين في آيات الله، إذا توسَّطوا البحر، وغشيتهم ريح عاصف، أو بقيت سفنهم على ظهر البحر رواكد، علموا ألا ملجأ لهم سوى الله، فأخلصوا له العبادة والدعاء.

٨٢٠٦ ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الشورى:٣٦]:

نتيجة المقارنة بين الدنيا والآخرة محسومة؛ لذا حيرة البعض بينهما غير مفهومة!

٨٢٠٧ آيةٌ من أعظم آيات القرآن في التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة.

٨٢٠٨ استعمال ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ لوصف نعيم الدنيا للدلالة على الشمول مع التحقير، فلذة الدنيا منغَّصة ومنقطعة، وأما لذة الآخرة فلا تنغيص فيها ولا كدَر، وهي فوق ذلك لذة أبقى؛ لا زوال لها، ولا انتقال.

٨٢٠٩ ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى:٣٦]:

هل تتوكل على الله في طاعتك؟ أم تتكل فيها على نفسك؟ هل ترى أنك بطاعتك تستحق الثواب، غافلا عن نسبة الفضل فيها للكريم الوهاب؟!

٨٢١٠ ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الشورى:٣٧]:

ليس مدحُهم باجتناب الكبائر معناه فتح الباب أمام الصغائر، بل بيانٌ أن اجتناب الكبائر يؤدي -بفضل الله وكرمه- إلى غفران الصغائر، كما قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾.

٨٢١١ ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى:٣٧]:

قال ابن عباس: «شتم رجل من المشركين أبا بكر، فلم يرد عليه شيئًا، فنزلت الآية».

٨٢١٢ ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى: ٣٨]:

قيل لرجل من بني عبس: ما أكثر صوابكم! فقال: نحن ألف، وفينا حازم واحد، فكنا نشاوره ونطيعه، فصرنا ألف حازم.

٨٢١٣ ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى: ٣٨]:

قال علي رضي الله عنه: «نعم المؤازرة المشاورة، وبئس الاستعداد الاستبداد».

٨٢١٤ ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى: ٣٨]:

قال عمر بن عبد العزيز: «إن المشورة والمناظرة بابًا رحمة ومفتاحًا بركة، لا يضلُّ معهما رأي، ولا يُفقَد معهما حزم».

٨٢١٥ ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى: ٣٨]:

قال الحسن البصري: «والله.. ما استشار قوم قطُّ إلا هُدوا لأفضل ما بحضرتهم، ثم تلا: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى: ٣٨].

٨٢١٦ ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى: ٣٨]:

قال طلحة بن عبيد الله: «لا تشاوِر بخيلًا في صلة، ولا جبانًا في حرب، ولا شابًا في جارية». لماذا؟! لأن النتيجة معروفة مسبقا!

٨٢١٧ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى:٣٩]:

قال الشوكاني: «ذكر سبحانه المغفرة عند الغضب في معرض المدح،كما ذكر الانتصار على الباغي في معرض المدح أيضًا؛ لأن التذلل لمن بغى، ليس من صفات من جعل الله له العزة».

٨٢١٨ قال النخعي:

«كانوا يكرهون أن يُذِلوا أنفسهم، فيجترئ عليهم السفهاء».

٨٢١٩ ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى:٤٠]:

قال الشافعي وأبو حنيفة: «هذا في المجروح ينتقم من الجارح بالقصاص دون غيره من سَبٍّ أو شتم».

٨٢٢٠ تأول الشافعي بهذه الآية أن للإنسان أن يأخذ من مال من خانه مثل ما خانه من غير علمه.

٨٢٢١ ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠]:

العفو الممدوح هنا هو الذي يؤدي إلى الإصلاح، لكن إذا أساء إليك شخص مشهور بالإساءة، فالأفضل معاقبته لتردعه عن العدوان.

٨٢٢٢ قال علي بن أبي طالب ﷺ: «إذا قدرتَ على عدوك، فاجعل العفو عنه، شكرًا للقدرة عليه».

٨٢٢٣ ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى:٤٠]:

ذكر الله في هذه الآية مراتب العقوبات بأروع إيجاز، فهي على ثلاث مراتب: عدل وفضل وظلم.

فمرتبة العدل: جزاء السيئة بسيئة مثلها، بلا زيادة ولا نقصان.

ومرتبة الفضل: العفو عن المسيء.

ومرتبة الظلم، فهو بظلم الناس ابتداء، أو مقابلة الجاني بأكثر من جنايته.

٨٢٢٤ ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]:

قال ابن جزي: «هذا يدل على أن العفو عن الظلمة أفضل من الانتصار؛ لأنه ضمن الأجر في العفو، وذكر الانتصار بلفظ الإباحة في قوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾».

٨٢٢٥ يستحيل علينا بعقولنا القاصرة ومداركنا الضعيفة أن نتخيل عظمة هذا الأجر الذي على الله!! فمن يقدر الله قدره؟!

٨٢٢٦ كان الحسن البصرى يدعو ذات ليلة: اللّهم اعفُ عمن ظلمني، فأكثَر فى ذلك، فقال له رجل: يا أبا سعيد، لقد سمعتك الليلة تدعو لمن ظلمك حتى تمنيتُ أن أكون فيمن ظلمك، فما دعاك إلى ذلك؟ قال: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

٨٢٢٧ ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [الشورى: ٤٢]:

كتب عمر إلى عامل له: «فلتجفَّ يدك من دماء المسلمين، وبطنك من أموالهم، ولسانك عن أعراضهم! فإن فعلتَ فليس عليك سبيل، ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾».

٨٢٢٨ ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]:

يُحكى أن رجلًا سبَّ رجلًا في مجلس الحسن البصري، فكان المسبوب يكظم، ويعرق فيمسح العرق، ثم قام فتلا هذه الآية، فقال الحسن: «عقلها والله وفهمها إذ ضيَّعها الجاهلون».

٨٢٢٩ ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]:

متى يكون عدم العفو أوْلى؟! قال القرطبي: «وبالجملة العفو مندوب إليه، ثم قد ينعكس الأمر في بعض الأحوال فيرجع ترك العفو مندوبًا إليه، وذلك إذا احتيج إلى كفِّ زيادة البغي وقطع مادة الأذى، وعن النبي ﷺ ما يدل عليه، وهو أن زينب أسْمَعتَ عائشة رضي الله عنها بحضرته، فكان ينهاها فلا تنتهي، فقال لعائشة: (**دونك فانتصري**)».

٨٢٣٠ ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]:

لكنه قال في لقمان: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، فلم الصبر في الأولى ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ وفي الثانية: ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ ؟!

سِرُّ التوكيد باللام في الأولى أنه صبر مضاعف؛ لأنه صبر على عدوانٍ له فيه غريم، وهو مطالب فيه بأمرين: الصبر والمغفرة معًا، وهو أمرٌ على النفس من الصبر على القضاء الإلهي الذي لا حيلة فيه.

٨٢٣١ ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [الشورى: ٤٤]:

من يضلل الله فلا هادي له، ومن هداه فلا مُضِلُ له، وما شاء كان فلا رادَّ له، وما لم يشأ لم يكن فلا موجِد له.. جدِّدوا إيمانكم وراجعوا يقينكم.

٨٢٣٢ ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى:٤٤]:

يسألون الرجعة عند معاينة ملك الموت، فلا يُجابون، ثم يسألون الرجعة عند رؤية العذاب، فلا يجابون، ليس لأنهم لا يتعلمون، بل لأنهم غرقى، بأي قشة يتعلقون.

٨٢٣٣ ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الشورى: ٤٥]:

قال القرطبي: «خسروا أنفسهم لأنهم في العذاب المخلد، وخسروا أهليهم؛ لأن الأهل إن كانوا في النار فلا انتفاع بهم، وإن كانوا في الجنة فقد حيل بينه وبينهم».

٨٢٣٤ ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ [الشورى:٤٦]:

الهداية اصطفاء، وقد يكون الرجل أكثر علمًا أو ذكاء، ثم يضل مع الضالين.

٨٢٣٥ ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٧]:

قال الحسن: «إيَّاك والتسويف؛ فإنَّك بيومك ولست بغَدِك، فإن يكن لك غد، فكُنْ في غَدٍ كما كنتَ في اليوم، وإن لم يكن لك غدٌ، لم تندمْ على ما فرَّطت في اليوم».

٨٢٣٦ قال عبد اللَّهِ بن المبارك: «بلغني أَنَّ أكثر صراخِ أهل النَّار: أُفٍّ لِسَوْف، أُفٍّ لِسَوْف».

٨٢٣٧ ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [الشورى:٤٧]:

وهل لكم يوم القيامة ملجأ تلتجئون إليه من عذاب الله؟ أم هل لكم القدرة على إنكار شيء مما اجترحتموه في الدنيا من الجحود والعصيان؟! هيهات هيهات.

٨٢٣٨ ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨]:

ما أجمل وصف أحدهم للدُّعاة: يسترون القدرة، ويقبضون الأُجْرة.

٨٢٣٩ ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ﴾ [الشورى:٤٨]:

قال ابن كثير:

«وهذا حال أكثر الناس إلا من هداه الله وألهمه رشده، وكان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فالمؤمن كما قال رسول الله ﷺ: (**إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن**)».

٨٢٤٠ ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩]:

قدَّم الإناث اعتناء بهن وتأنيسا لمن وُهبَهُنَّ. قال واثلة بن الأسقع: «من يُمنِ المرأة تبكيرها بأنثى قبل الذكر؛ لأن الله بدأ بالإناث».

٨٢٤١ ما أجمل قول القائل:

إذا مَـا المَـرءُ موهُـوبٌ إنَاثًـا ... فخَـيْرُ الوُلْـدِ فـي الـبرِّ الإنَـاثُ

فهُـنَّ لآلِئٌ في الـدَّارِ بِـيْضٌ ... وهُـنَّ الضَّـوءُ فيهـا والأثـاثُ

٨٢٤٢ ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٥٠]:

الإنعام بالذرية أو الحرمان منها لحكمة بالغة يعلمها العليم سبحانه، وهو القادر على عطاء كل محروم؛ فهو على كل شيء قدير.

٨٢٤٣ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى:٥١]:

سين: ألم يكلِّم الله بعض الصحابة كفاحًا بغير حجاب؟!

جيم:

قال ابن كثير: «في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجابر بن عبد الله: «**ما كلَّم الله أحدًا إلا من وراء حجاب، وإنه كلَّم أباك كفاحًا**»، وكان أبوه قد قُتِل يوم أحد، ولكن هذا في عالم البرزخ، والآية إنما هي في الدار الدنيا».

٨٢٤٤ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾ [الشورى:٥٢]:

سمَّى القرآن روحًا؛ لأن الروح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح، وهي الحياة الأهم والأبقى.

٨٢٤٥ ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ [الشورى:٥٢]:

هل هذا نفيٌ للإيمان عن النبي ﷺ؟!

والجواب: الإيمان هنا هو الفرائض والأحكام، وقد سمَّى الله الصلاة إيمانًا، وكان قبلها مؤمنا بتوحيد الله، ثم نزلت الفرائض التى لم يكن يدري بها.

٨٢٤٦ قال الإمام أحمد: «من زعم أن النبي ﷺ كان على دين قومه، فهو قول سوء، أليس كان لايأكل ما ذُبِح على النُّصُب».

٨٢٤٧ ﴿وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢]:

والنور لا يراه العميان؛ لذا ربط الله الهداية بمشيئته؛ لأن أعمى القلب لن يرى نور القرآن، ولن يهتدي بهداه.

٨٢٤٨ كان مالك بن دينار يقول:

«يا أهل القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيع القلوب كما أن الغيث ربيع الأرض».

٨٢٤٩ ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى:٥٢]:

هذه هداية عامة، وهي هداية إرشاد كل الناس إلى الخير، وهي تخالف الهداية الخاصة بالمؤمنين في قوله تعالى: ﴿نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾.

٨٢٥٠ ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الشورى:٥٣]:

قال الطبري:

«فإن قال قائل: أو ليست أمورهم في الدنيا إليه؟ قيل: هي وإن كان إليه تدبير جميع ذلك، فإن لهم حكامًا وولاة ينظرون بينهم, وليس لهم يوم القيامة حاكم ولا سلطان غيره، فلذلك قيل: إليه تصير الأمور هنالك وإن كانت الأمور كلها إليه وبيده قضاؤها وتدبيرها في كلِّ حال».

سورة الزخرف

٨٢٥١ ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [الزخرف:٢]:

ولم يذكر ماذا يُبيِّن هذا الكتاب، ليدل على أنه مبيِّن لكل ما يحتاج إليه العباد من أمور الدنيا والآخرة.

٨٢٥٢ ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]:

مسؤولية العرب مضاعفة؛ لأن القرآن نزل بلغتهم، فسيحاسبون مرتين!

٨٢٥٣ ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]:

كلما زاد فهمك وتذوقك للغة العربية، زاد تدبرك وتعقلك لما جاء في القرآن.

٨٢٥٤ هل تعلم أن لغة أهل الجنة هي العربية؟!

٨٢٥٥ ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف:٤]:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن أول ما خلق الله من شيء القلم، فأمَرَه أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، والكتاب عنده، ثم قرأ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾».

٨٢٥٦ ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ﴾ [الزخرف:٥]:

قال قتادة: «والله لو أَنَّ هذا القرْآن رُفِع حين رَدَّتْه أَوَّائِلُ هذه الْأُمَّة لهلكوا، ولكن الله عاد بعائدته، ورحمته، فَكَرَّرَه عليهم، ودعاهم إليه».

٨٢٥٧ قال القشيري:

«وفي هذا إشارة لطيفة، وهو أنه لا يقطع الكلام اليوم عمّن تمادى في عصيانه، وأسرف في أكثر شانه، فأحرى أنَّ من لم يقصِّر في إيمانه -وإن تلطَّخ بعصيانه، ولم يدخل خلَلٌ في عرفانه- ألا يمنع عنه لطائف غفرانه».

٨٢٥٨ وقيل: الذكر التذكير، فكأنه قال: أنترك تذكيركم؛ لأنكم كنتم قوما مسرفين، فإياك أن تترك تذكير مسرف على نفسه، ولا تيأس من هدايته.

٨٢٥٩ ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝٧ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الزخرف:٧]:

﴿وَكَمْ﴾: اسم دال على العدد الكثير المبهم، وإخبارهم بهذا العدد الكثير المكذِّب له هدفان:

- زجرهم عن مثل هذا التكذيب والاستهزاء.
- تسلية رسول الله ﷺ وتقوية صبره، بأن كثرة وقوع التكذيب سُنَّة لا تتخلف.

٨٢٦٠ ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف:٨]:

انتقمنا من الأقوى والأكثر عددًا وبطشًا، ثم أوصلنا إليكم أخبار إهلاكهم، لتأخذوا العبرة، فاحذروا أن تسيروا في نفس الطريق، فتذوقوا نفس المصير.

٨٢٦١ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٩]:

الإقرار لله بالخلق لا يكفي للنجاة، فلا بد أن يتبعه التوحيد والإخلاص مع عمل الجوارح.

٨٢٦٢ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:١٠]:

هذا من كلام الله لعباده وامتنانه عليهم ليحبوه ويحمدوه عليه ويشكروه.

٨٢٦٣ ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف:١١]:

لا بد من جلسات تفكر وتدقيق في النِّعم المتناثرة حولنا لنحب ربنا، ونشكره على ما لا نستحق من نعمه وعطاياه.

٨٢٦٤ كما يحيي الله الأرض بماء المطر، يحيي القلوب الميتة بماء الوحي والتفكر وحسن النَّظر.

٨٢٦٥ لولا أن الله أنزل المطر بقَدَر لأغرقكم كما أغرق قوم نوح بالطوفان، أو أهلك زرعكم إن كان المطر زائدًا عن الحاجة.

٨٢٦٦ ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف:١٢]:

تأمل نعمة الله! ترى الطفل الصغير يقود الجمل الضخم وهو طائع له منقاد، لكنه يفزع من الثعبان الصغير، لماذا؟ لأن الله سخَّر لنا بعض مخلوقاته دون بعض.

٨٢٦٧ ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف:١٣]:

عن سليمان بن يسار أن قوما كانوا في سفر، فكانوا إذا ركبوا قالوا: سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وكان فيهم رجل له ناقة، فقال: أما أنا، فلهذه مقرن، فقَمَصَت به فصرعته، فاندَّقت عنقه.

٨٢٦٨ في الحديث:

«**على ظهر كل بعير شيطان، فإذا ركبتموها، فسَمّوا الله، ثم لا تقصروا عن حاجاتكم**». صحيح الجامع رقم: ٤٠٣١ .

قيل: معنى الجملة يحتمل إجراء اللفظ على حقيقته، فيكون على ظهر كل بعير شيطان حقيقة، يحمله على النفور ليوقع الأذى بصاحبه الآدمي الذى هو عدو الشيطان، ويحتمل أن النفور والشر من طبع الإبل، فهي إذا نفرت صارت، كأن على ظهرها شيطان.

٨٢٦٩ ولولا أن الله سخَّرها لنا ما كان لنا قدرة عليها، ولا طاقة بتسخير الدواب والسفن؛ لذلك نقول في الدعاء:

﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣].

٨٢٧٠ ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٤]:

أي راجعون، وفيه أن على كل راكب أن يتذكر بِسَفره السَّفرة العظمى التي هي الانقلاب إلى الله تعالى للمساءلة والمحاسبة.

٨٢٧١ ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ [الزخرف:١٥]:

سبحانه! فردٌ صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، ومع هذا قالوا عن الملائكة التي لا تفتر عن عبادته أنها بنات الله، وقال النصارى عن عبد الله عيسى بن مريم أنه ابن الله.

٨٢٧٢ ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ [الزخرف:١٦]:

ينسب أحدهم لربه ما يستنكف أن ينسبه لنفسه!

٨٢٧٣ لما ادَّعت سجاح بنت الحارث النبوة أيام الردة، وكان قد ادَّعى النبوة قبلها مسيلمة الحنفي، والأسود العنسي، وطليحة بن خويلد الأسدي، قال عُطارد ابن حاجب التميمي:

أضحَتْ نبيئتُنا أنثى نُطيف بها ... وأصبَحَتْ أنبياء الناس ذكرانا

٨٢٧٤ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزخرف:١٧]:

كل من بُشِّر اليوم بأنثى، فحزن أو غضب، ففيه أثر مِنْ آثار الجاهلية.

٨٢٧٥ ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨]:

ظاهر الآية يدل على أن النشوء في الزينة والنعومة مما يُعاب ويُذَمُّ، وأنه من صفات النساء، فعلى الرجل أن يجتنب ذلك، ويربأ بنفسه عنه.

٨٢٧٦ قال عمر رضي الله عنه:

«اخشوشِنوا في اللباس، واخشوشنوا في الطعام، وتمعْدَدوا»، أي اصبروا على عيش معد بن معدان في الحضر والسفر، وتشبهوا بلباسه، ولا تتشبهوا بزي الأعاجم.

٨٢٧٧ فيه دلالة على أن التحلي بالذهب مباح للنساء، وحرام على الرجال؛ لأنه تعالى جعل ذلك عنوانا للضعف والنقصان، وإنما زينة الرجال الصبر على طاعة الله، والتزين بزينة التقوى.

٨٢٧٨ ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:١٩]:

كل من ادَّعى باطلًا أو افترى كذبًا، سيؤتى به يوم القيامة للمواجهة وأداء الشهادة، وأطلق على افتراءاته شهادة تهكمًا.

٨٢٧٩ قال الكلبي ومقاتل: لما قالوا هذا القول سألهم النبي ﷺ، فقال: «**ما يدريكم أنهم إناث؟!**». قالوا: سمعنا من آبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا، فقال الله تعالى: ستُكتَب شهادتهم، ويُسأَلون عنها في الآخرة.

٨٢٨٠ ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف: ٢٠]:

الاعتذار بالقدَر لتبرير الضلالة مسلك قديم من مسالك المنحرفين.

٨٢٨١ ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [الزخرف:٢١]:

كل أمرٍ لا دليل عليه من عقل أو نقل، فهو باطل، كما ظهر هنا في أمر عبادة الملائكة.

٨٢٨٢ ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٢]:

﴿مُّهْتَدُونَ﴾: من المضحك أن يصدِّق الكاذب نفسه، فيجعل اتّباعه للباطل اهتداء؛ لشدة غروره بأحوال آبائه.

٨٢٨٣ ﴿قَٰلَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]:

التحرر من العقل الجَمْعي وسياسة القطيع ضرورةٌ إن أردت النجاة من العذاب غدًا؛ لأن الكثرة منحرفة، والمؤمنون قلة.

٨٢٨٤ ﴿قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الزخرف:٢٤]:

هنا أوضَحَ إبراهيم بأظهر دليل وأقصر سبيل أنهم ما أرادوا اتباع الحق والهدى، بل قصدوا اتباع الباطل والهوى.

٨٢٨٥ ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف:٢٥]:

هذا تهديد بالانتقام من كل من شابههم في أقوالهم وأفعالهم، فليست قصص القرآن للتسالي!

٨٢٨٦ ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ [الزخرف:٢٦]:

حكمتان لتخصيص والد إبراهيم بالذكر:

الأولى: أنها أدَلُّ على اجتناب عبادة الأصنام، بحيث لا يُتَسامَح فيها ولو مع أقرب الناس إليه.

الثانية: إبراهيم قدوة في إبطال قول المشركين عن آبائهم: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾ ، فقد خالف إبراهيم أباه لأنه على باطل، فخالِفوا أيها المشركون آباءكم المبطلين.

٨٢٨٧ ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ [الزخرف:٢٧]:

ما أجمل التوسل إلى الله بسابق إنعامه، فإني أرجوه أن يهديني لما فيه صلاح ديني وآخرتي، كما سبق أن خلقني في أحسن تقويم وصوَّرني.

٨٢٨٨ ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٨]:

أعظم ما تورِّث أبناءك: كلمة التوحيد، وعبادة الله وحده، فإنها مفتاح النجاة.

٨٢٨٩ ﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ﴾ [الزخرف:٢٩]:

أحيانًا يكون التمتع بألوان الشهوات والغرق في الملذات من أعظم العقوبات؛ لأنه يصد عن الحق، هروبا من البذل والتبعات.

٨٢٤٠ ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الزخرف:٣٠]:

أبوا إلا أن يضيفوا إلى وزر تكذيبهم بالحق وزر الصد عنه، وهؤلاء هم أعظم أنواع المجرمين.

٨٢٤١ **همم سافلة وأخرى عالية!**

التعبير بقوله: ﴿جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ يشعر بأن الحق وصل إليهم دون أن يتعبوا أنفسهم في البحث عنه، ومع هذا فقد استقبلوه بالجحود والإنكار.

٨٢٤٢ ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ﴾ [الزخرف: ٣١]:

والرجلان: الوليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود من الطائف.. هذا إيمان على مقاس القوم، ووِفْق ما يشتهون! أي إيمان هذا؟

٨٢٤٣ داء الحسد قديم، وكثيرًا ما صدَّ أناسًا عن الهداية رغم معرفتهم بالحق.

٨٢٤٤ قال عثمان بن عفان ﷺ: «يكفيك من الحاسد أن يغتمّ وقتَ سُرورك».

٨٢٤٥ إن محمدًا فقير ليس معه شيء، فكيف يصير نبيًا رسولًا!! إنها المقاييس المادية حين تكون سببًا في الضلالة وحرمان الهداية.

٨٢٤٦ ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢]:

قال ابن كثير: «ليس الأمر مردودا إليهم، بل إلى الله عز وجل، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فإنه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلبا ونفسا، وأشرفهم بيتا، وأطهرهم أصلا».

٨٢٤٧ ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢]: الرحمة هنا هي النبوة، ﴿وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [الزخرف:٣٢]، والرحمة هنا هي الجنة.

٨٢٤٨ ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الزخرف: ٣٢]:

قال حاتم الأصم: «نظرت إلى قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ ، فتركت الحسد، واجتنبت الخلق، وعلمت أن القسمة من عند الله تعالى، فتركتُ عداوة الخلق عني».

٨٢٩٩ ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف:٣٣]:

لو شاهد الناس سعة الرزق، ورفاهية العيش، بين جموع الكافرين، لأقبل الناس كلهم على الكفر طمعًا في المال، لكن الله لرحمته بعباده ما جعل هذه التوسعة ملازمة للكافرين، ولو فعل لافتتن الناس.

٨٣٠٠ ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾ [الزخرف:٣٤]:

الأبواب من فضة، والسرائر من فضة عليها يتكئون.

٨٣٠١ ﴿وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٣٥]:

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه ... فما فاته منها فليس بضائر
فلا تزن الدنيا جناح بعوضة ... ولا وزن رِقٍّ من جناح لطائر
فلم يرض بالدنيا ثوابا لمحسن ... ولا رضي الدنيا عقابًا لكافر

٨٣٠٢ أي كل ما ذُكِر من السُّقُف والمعارج والأبواب والسُّرر من الفضة والذهب هي متاع الدنيا، ولا يعود على صاحبه بالسعادة الأبدية، وإنما السعادة الأبدية فقد ادَّخَرها الله للمتقين.

٨٣٠٣ ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]:

من عرض الله عليه خير المواهب، وأعظم العطايا، فأعرض عنها، عاقبه الله أشد عقوبة، وقيَّض له شيطانًا يؤزه إلى المعاصي أزًّا، ويصرفه عن الطاعات.

٨٣٠٤ القرآن عزيز؛ لذا سخَّر الله شيطانًا لكل من أعرض عن كتابه، تلاوة أو عملًا.

٨٣٠٥ قال ابن القيم: «فمن لم يعذِّب شيطانه في هذه الدار بذكر الله تعالى وتوحيده واستغفاره وطاعته، عذَّبه شيطانه في الآخرة بعذاب النار، فلا بد لكل أحد أن يعذِّب شيطانه أو يعذِّبه شيطانه».

٨٣٠٦ ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٧]:
أشد أنواع الضلال أن تتمسَّك بالباطل وتدعو إليه، وتصدَّ غيرك عن الحق وتحذِّرهم منه، ثم تحسب نفسك من المهتدين!

٨٣٠٧ سين: هل لهؤلاء عذر؟!
جيم: لا، لا عذر لهم ولا لأمثالهم؛ لأنهم بدؤوا العدوان بإعراضهم عن ذكر الله، وزهدوا في الهداية مع القدرة عليها، ورغبوا في الباطل، فالذنب ذنبهم، والجرم جرمهم.

٨٣٠٨ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الزخرف:٣٨]:
قال أبو سعيد الخدري: «إذا بُعِث الكافر زُوِّج بقرينه من الشياطين، فلا يفارقه حتى يصير إلى النار».

٨٣٠٩ المراد بالمشرقين هنا المشرق والمغرب، كما يقال للشمس والقمر: القمران، ولأبي بكر وعمر: العمران، وللتمر والماء: الأسودان، وإنما استعمل هنا تغليبًا.

٨٣١٠ اقتران الكافر بالشيطان في قيد واحد غدًا من ألوان العذاب وسبب أشد الآلام؛ لذا يصرخ الكافر في شيطانه: يا ليت بيني وبينك ما بين المشرق والمغرب.

٨٣١١ ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٩]:
هذا قول يُلقى على أسماع أهل النار يوم القيامة، قال السعدي: «ولن ينفعكم أيضًا روح التسلي في المصيبة، فإن المصيبة إذا وقعت في الدنيا، واشترك فيها المعاقبون، هان عليهم بعض الهون، وتسلَّى بعضهم ببعض، وأما مصيبة الآخرة، فإنها جمعت كل عقاب، ما فيه أدنى راحة، حتى ولا هذه الراحة».

٨٣١٢ قالت الخنساء لما جاءها خبر قتل أخيها:

ولـــولا كثـــرة البـــاكين حـــولي عـــلى إخـــوانهم لقتلـــتُ نـــفسي

فلولا هذا التأسي لقتلت نفسها، لكن الله نفى عن أهل النار الانتفاع بمثل هذا التأسي.

٨٣١٣ ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزخرف: ٤٠]:

استفهام بمعنى النفي، فليس يمكنك هداية من سددنا بصيرته، ومن صببنا في مسامع فهمه رصاص الشقاء والحرمان، وفيه تسلية لقلب النبي ﷺ الحزين على إعراض قومه.

٨٣١٤ ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ [الزخرف: ٤١]:

يعنى: يا محمد.. إن انقضى أجلك ولم تشهد ما توعَّدناهم به، فلا تشكَّ في صدق كلامنا، فإنَّ ما أخبرناك عنه- لا محالة- كائن.

٨٣١٥ ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ [الزخرف:٤٢]:

لا يُعجِزنا تعجيل العذاب أو تأخيره، لكن ذلك متوقف على اقتضاء الحكمة.

٨٣١٦ قال ابن عاشور:

«والمعنى: أننا منتقمون منهم في الدنيا، سواء كنت حيًّا أو بعد موتك، أي فالانتقام منهم من شأننا وليس من شأنك؛ لأنه من أجل إعراضهم عن أمرنا وديننا.

ولعله لدفع استبطاء النبي ﷺ أو المسلمين تأخير الانتقام من المشركين.

ولأن المشركين كانوا يتربصون بالنبي الموت، فيستريحوا من دعوته، فأعلمه الله أنه لا يفلتهم من الانتقام على تقدير موته».

٨٣١٧ ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف:٤٣]:

الكلام للنبي ﷺ والمراد به أمته، أي استمسكوا بالقرآن، وإلا انحرفتم عن صراطه المستقيم.

٨٣١٨ وهذا تثبيت للرَّسول ﷺ وثناء عليه بأنه ما زاغ قِيد أنملة عمّا بعثه الله به، ويتبعه تثبيت قلوب المؤمنين على إيمانهم.

٨٣١٩ على قدر تمسكك بالوحي من كتاب وسنة تكون استقامتك على الصراط المستقيم في الدنيا، وعلى الصرط فوق النار يوم القيامة.

٨٣٢٠ ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف:٤٤]:

فخركم وشرفكم في هذا القرآن وليس في نسبكم أو أموالكم، فالعاقل من افتخر بالقرآن، والجاهل من افتخر بغير القرآن.

٨٣٢١ ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤]:

هذا الكتاب مادة اختباركم غدًا: هل عملتم به فارتفعتم، أم لم تعملوا به فانهزمتم وذللتم؟ هل شكرتم نعمة القرآن أم كفرتم بها؟!

٨٣٢٢ ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف:٤٥]:

قال ابن جرير الطبري ما ملخصه:

«وأوْلى القولين بالصواب في تأويل ذلك: قول من قال: عنى به: سل مؤمني أهل الكتابين، من أجل أن المؤمنين بهم وبكتبهم أهل بلاغ عنهم ما أتوهم به عن ربهم، وذلك نظير أمر الله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، ومعلوم أن معنى ذلك: فردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله؛ لأن الرد إلى ذلك ردٌّ إلى الله والرسول.

وكذلك معناه: فاسأل كتب الذين أرسلنا من قبلك من الرسل، فإنك تعلم صحة ذلك من قبلنا، فاستغنى بذكر الرسل من ذكر الكتب، إذ كان معلومًا ما معناه».

٨٣٢٣ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزخرف:٤٦]:

تكررت قصة موسى في سور البقرة، والأعراف، ويونس، وهود، والإسراء، وطه، والقصص، والصافات، وغافر، ولكن بأساليب متنوعة تفيد جميعًا سرد فصول الصراع بين الحق والباطل.

٨٣٢٤ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ [الزخرف:٤٧]:

تسلية من الله لنبيه عما كان يلقى من المشركين، وإعلامه أن قومه ليسوا إلا كسائر الأمم الذين كفروا بالله وكذبوا رسله، وحث منه لنبيه على الصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، وإخباره أن عاقبته النصر، وعاقبة هؤلاء الهلاك، كالذي فعل بموسى والذين آمنوا معه من إظهارهم على فرعون وملئه.

٨٣٢٥ ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الزخرف:٤٨]:

قال الإمام الرازي: «فإن قيل ظاهر اللفظ يقتضي كون كل واحد منها أفضل من التالي، وذلك محال، قلنا: إذن أريد المبالغة في كون كل واحد من تلك الأشياء بالغا إلى أقصى الدرجات في الفضيلة».

٨٣٢٦ ﴿وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:٤٨]:

وأخذناهم بالعذاب أي بالأشياء التي سلطها عليها كالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم.

٨٣٢٧ ﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٤٩]:

من سوء أدب اليهود أنهم قالوا: ادع لنا ربك، فكأن الله تعالى رب موسى وحده، وليس ربا لهم.

٨٣٢٨ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الزخرف:٥٠]:

أصحاب إيمان مصلحي، لا يؤمنون إلا بمقابل مادي، لا لثواب أخروي ولا عطاء غيبي.

٨٣٢٩ ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف:٥١]:

لما اغترَّ فرعون بما عنده، عاقبه الله بنفس ما اغتر به، وأغرقه في موج البحر.

٨٣٣٠ ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف:٥٢]:

قال ابن جرير: «يعني لا ملك له ولا سلطان ولا مال، ولا يكاد يبين: يعني لا يكاد يفصح عن كلامه، فهو عِيِيٌّ حصِر».

٨٣٣١ وقوله: ﴿مُّهِينٌ﴾ أي لا مال له ولا جاه، وما علم أن سبب الإهانة هو الكفر والجحود، فهو المهين الحقير خِلْقَة وخُلُقًا ودينًا، وموسى هو الشريف.

٨٣٣٢ قال ابن كثير: «وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ افتراء أيضًا، فإنه وإن كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة، فقد سأل الله عز وجل أن يحل عقدة من لسانه؛ ليفقهوا قوله، وقد استجاب الله له ذلك في قوله: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾».

٨٣٣٣ **منطق الجهلاء!**

قال ابن كثير: «فالأشياء الخَلْقية التي ليست من فعل العبد، لا يُعابُ بها ولا يذم عليها».

٨٣٣٤ ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف:٥٣]:

قال مجاهد: «كانوا إذا سوَّدوا رجلًا سوَّروه بسوارين، وطوَّقوه بطوق ذهب علامة لسؤدده».

٨٣٣٥ قال فرعون: هلا ألقى رب موسى عليه أساور من ذهب إن كان صادقا، وهذا لزعمه الفاسد أن الرئاسة من لوازم النبوة والرسالة؛ كما قال كفار قريش في عظيم القريتين: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾.

٨٣٣٦ ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف:٥٣]:

طلب محالا، وهو أن يأتي الملائكة مقرَّنين معه. قال الزجاج: «معناه يمشون معه، فيدلون على صحة نبوته».

٨٣٣٧ ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤]:

لم أطاعوه؟!

قال القشيري: «أطاعوه طاعة الرهبة، وطاعة الرهبة لا تكون مخلصة، وإنما تكون الطاعة صادقة إذا صدرت عن الرغبة».

لولا أنهم فاسقون ما استطاع الطاغية أن يستخفَّهم، فإن المؤمن لا يُستَخفُّ.

٨٣٣٨ ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]:

قال عمر بن ذر: «يا أهل المعاصي.. لا تغتروا بطول حلم الله عنكم، واحذروا أسَفَه، فإنه تعالى ذكره قال: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾.

٨٣٣٩ ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزخرف:٥٦]:

القرآن كتاب اعتبار! قال ابن تيمية: «أي مثلا يعتبر به ويقاس عليه غيره، فمن عمل بمثل عمله جوزي بجزائه؛ ليتعظ الناس به، فلا يعمل بمثل عمله».

٨٣٤٠ ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف:٥٧]:

ليست بالضم من الصدود؛ بل بكسر الصاد. قال ابن عباس: أي يضحكون، وهي الوحيدة في القرآن بالكسر.

٨٣٤١ ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:٥٨]:

قال السُّدِّي:

«خاصموه وقالوا: إن كل من عُبِد من دون الله في النار، فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى والملائكة وعزير، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]».

٨٣٤٢ ما أقبح الجدل وأخطر آثاره!

في الحديث: «**ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**». صحيح الجامع رقم: ٥٦٣٣.

٨٣٤٣ ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف:٥٩]:

جعل الله غاية عيسى هي العبودية، لا الألوهية كما زعم النصارى، كما وصف الله أكرم الخلق عليه، وأعلاهم منزلة لديه بالعبودية، خاصة عند أشرف مقاماته، وهو مقام استقبال الوحي، فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾

٨٣٤٤ ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ﴾ [الزخرف:٦٠]:

﴿مِنكُم﴾ يصح أن تكون:

- بدلية، أي لو نشاء إهلاككم لفعلنا، وجعلنا بدلا منكم ملائكة يعبدوننا.
- أو للتبعيض، أي لو نشاء لجعلنا منكم ملائكة، بطريق التوليد من غير واسطة نساء.

فمقصود الآية أن قدرة الله لا يعجزها شيء، وأن ما تعجَّبوا منه، فالله قادر على الإتيان بما هو أعجب منه.

٨٣٤٥ ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [الزخرف:٦١]:

الضمير في ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ عائد إلى عيسى، والمراد أن نزوله من السماء علامة وشرط من أشراط القيامة، كما تواتر في الأحاديث، ومنها: «**والذي نفسي بيده، ليوشِكَنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد**». صحيح البخاري رقم: ٢٢٢٢.

٨٣٤٦ ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [الزخرف:٦٢]:

عداوته لا تخفى، بدأت بإخراج أبيك من الجنة، ثم توعده بإضلالك، وسحبك معه إلى النار.

٨٣٤٧ ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ [الزخرف:٦٣]:

البينات هي المعجزات، وهي رحمة من الله لقبول الناس للرسالة والحكمة المتمثلة في النبوة، فلو لم يأت الأنبياء بالمعجزات لأعرض كثير من الناس عن الإيمان.

١٣٤٨ ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الزخرف:٦٣]:

سين: ماذا بعد التبيين؟!

جيم: العمل، فالتبيين فيه إقامة الحجة على من بلغه، فأصبح لزامًا عليه أن يعمل به، فيطيع أوامر النبوة، محققًا بذلك شرطًا من شروط التقوى.

١٣٤٩ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف:٦٤]:

قدَّم عيسى نفسه على قومه في إقراره لله بالربوبية، وأفاد ضمير الفصل القصر، أي الله ربي لا غيره، وذلك ليغلق باب الغلو في تقديسه، وهذا من معجزاته؛ فقد علم الله أنه سيغلو في عيسى بعض أتباعه، فيزعمون أنه ابن الله.

١٣٥٠ ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ [الزخرف:٦٥]:

اختلف اليهود والنصارى حول عيسى، وقيل: يعود إلى النصارى خاصة؛ لأنهم هم الذين اختلفوا في شأنه، فمنهم من قال: هو الله، ومنهم من قال: هو ابن الله، ومنهم من قال: ثالث ثلاثة.

١٣٥١ ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف:٦٥]:

توعَّد بالعذاب الأليم لكل من نسب إلى عيسى ما هو بريء منه.

١٣٥٢ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزخرف:٦٦]:

ليست الساعة فقط هي التي تأتي بغتة، بل الموت كذلك يقع فجأة، فإن قلتَ: لكن الموتَ فجأة بعيد، قلتُ لك: إذا وقع المرض، فالموت غير بعيد، فالبدار البدار، والجِدَّ والاجتهاد.

٨٣٥٣ ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]:

كل الصداقات ستنقلب غدًا عداوات، إلا أخوة زيَّنتْها التقوى!

٨٣٥٤ اختر إخوانك! قال عمر بن الخطاب ﷺ: لا تمشِ مع الفاجر فيُعلِّمك من فجوره.

٨٣٥٥ ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف:٦٨]:

من موجبات البهجة في هذه الآية: أن الله سبحانه يخاطبنا بنفسه بلا واسطة، وأنه تعالى وصفنا بالعبودية، وفي هذا غاية التشريف، فلما أراد الله أن يشرِّف محمدًا ﷺ ليلة المعراج، قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾.

٨٣٥٦ ولم يقل (ولا تحزنون) بل أكَّدها بإضافة: ﴿أَنتُمْ﴾ ، لإفادة تأكيد نفي الحزن عنهم، وتطمينًا لقلوبهم بانتفاء الحزن عنهم إلى الأبد، إن زارهم هاجِس: هل يدوم لنا ما نحن فيه من سعادة وفرح أم ينقطِع.

٨٣٥٧ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [الزخرف:٦٩]:

طمع بلا عمل!

قال مقاتل: «إذا وقع الخوف يوم القيامة، نادى منادٍ: يا عباد لا خوف عليكم اليوم، فإذا سمعوا النداء رفع الخلائق رؤوسهم، فيقال: الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين، فتُنكَّس أهل الأديان الباطلة رؤوسهم».

٨٣٥٨ ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠]:

أي تُسَرّون وتُكرَمون، فما العمل الذي جمعك بزوجتك اليوم، وترجو أن يجمعكما الله به في الجنة؟!

٨٣٥٩ ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: ٧٠]:

ذهب الجنة ليس المعدن الأصفر الذي نعرفه اليوم، بل شيء مختلف، ففي الحديث: «**ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء**». صحيح الجامع رقم: ٥٤١٠.

٨٣٦٠ ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]:

ماذا تبقى من النعيم لم تذكره هذه الآية؟! أطلِق لها خيالك!

٨٣٦١ قال ابن أبي الإصبع: «فألمح إلى كلِّ ما تميل النفوس إليه من الشهوات، وتلذّه الأعين من المرئيات، لتعلم أن هذا اللفظ القليل جدا عبّر عن معانٍ كثيرة لا تنحصر عدًّا».

٨٣٦٢ ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]:

ليس الإيمان بالتمني، ولا يصح شراء الجنة دون دفع الثمن، فليست الجنة بالمجان.

٨٣٦٣ ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف:٧٣]:

من النعيم الحسي: الطعام، ومن أشهى الطعام: الفاكهة، وهي كثيرة نوعًا كي لا تُمَلَّ، وكثيرة كَمًّا كي لا يخشى صاحبها النفاد.

٨٣٦٤ ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف:٧٤، ٧٥]:

ثلاثة عوامل تضاعِف عذاب النار:

اليقين بالخلود أي طول الإقامة فيها، وعدم تخفيف عذابها، واليأس وانقطاع أمل أهلها من أي خير.

٨٣٦٥ ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف:٧٥]:

الإبلاس هو اليأس والذل، ومن لوازم الإبلاس السكوت، فأهل النار يائسون ذليلون ساكتون.

٨٣٦٦ ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف:٧٦]:

كأن الله علم أن منا من سيستعظِم عذاب النار، أو يرِقُّ لحاله أهلها، فأخبرنا أن سبب العذاب ظلم هؤلاء لأنفسهم، لعلَّ هذا الإخبار يردعهم اليوم عن سيئاتهم التي تلقي بهم النار.

٨٣٦٧ ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]:

قال ابن عباس في تفسيرها: فأجابهم بعد ألف سنةٍ: ﴿إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾.

٨٣٦٨ قال الإمام الرازي: «فإن قيل كيف قال: ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالإبلاس؟ قلنا: تلك أزمنة متطاولة وأحقاب ممتدة، فتختلف بهم الأحوال، فيسكتون أوقاتًا لغلبة اليأس عليهم، ويستغيثون أوقاتًا لشدة ما بهم».

٨٣٦٩ ﴿لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ﴾ [الزخرف:٧٨]:

كرهوا الحق إما لفساد فطرتهم أو لأن اتباعه يؤدي إلى زوال سلطانهم وتعطيل مصالحهم.

٨٣٧٠ من الكلام ما هو أشد وقعًا من أعظم الآلام! هذا خطاب توبيخ وتقريع من الله تعالى أو من الملائكة، يبيِّن سبب مكثهم في النار، مما يضاعِف أثر النار.

٨٣٧١ ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ [الزخرف:٧٩]:

إذا أبرم الله أمرًا! قال مقاتل: «نزلت في تدبيرهم بالمكر بالنبي ﷺ في دار الندوة، حين استقر أمرهم على ما أشار به أبو جهل عليهم أن يبرز من كل قبيلة رجل؛ ليشتركوا في قتله، فتضعف المطالبة بدمه، فنزلت هذه الآية، وقتل الله جميعهم ببدر».

٨٣٧٢ ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:٨٠]:

قال يحيى بن معاذ: «من ستر من الناس ذنوبه، وأبداها للذي لا يخفى عليه شيء في السموات فقد جعله أهون الناظرين إليه، وهو من علامات النفاق».

٨٣٧٣ ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ﴾ [الزخرف:٨١]:

قل لهم يا محمد: لو عَلِمتُ أن لله ولدا، لسارعت إلى تقديسه، ولكن الرحمن ليس له ولد، فبَطَلت دعاوى المشركين بأن الملائكة بنات الله، ودعاوى النصارى بأن المسيح ابن الله.

٨٣٧٤ فهم البعض من الآية أن الله لو أراد أن يتخذ ولدًا لاصطفى أول العابدين، وأول العابدين هو محمد ﷺ، وهو ليس ابنًا للرحمن، فتكون النتيجة: ليس للرحمن ولد.

٨٣٧٥ سبب العدول عن التصريح بالامتناع عن الولد هو إيهامهم في بادىء الأمر أن فرض الولد لله محل نظر، وفيه إطماعٌ للخصم بمنطق لو تأمله لبان له وجه الحق؛ ليصل إلى نفي الولد عن الله بطريق الإقناع العقلي والمذهب الكلامي كما ثبت بالنَّصِّ القرآني.

٨٣٧٦ ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف:٨٢]:
وصف الله بربوبية أقوى المخلوقات وأعظمها على الإطلاق: السماوات والأرض والعرش، فيه إفادة انتفاء الحاجة إلى الولد.

٨٣٧٧ قال القشيري:
«وفي هذه الآيات وأمثالها دليل على جواز حكاية قول المبتدعة- فيما أخطأوا فيه من وصف المعبود- قصدًا للردِّ عليهم، وإخبارا بتقبيح أقوالهم، وبطلان مزاعمهم».

٨٣٧٨ ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف:٨٣]:
أخبرنا ربنا أن قضية البعض الأولى ستكون الهجوم على الإسلام وعداوة أهله، حتى لا نتعجَّب إذا التقيناهم في منتصف الطريق نحو الجنة.

٨٣٧٩ أيها الغافلون.. لا تغتروا بطول السلامة، فإن عواقب الذنوب غير مأمونة.

٨٣٨٠ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٨٤]:
الله.. المعبود في السماء، والمقصود -في طلب الحوائج- في الأرض، فأهل السماء لا يعبدون إلا الله، وأهل الأرض (حتى الكافرين منهم) لا يقضي حوائجهم إلا الله.

٨٣٨١ ظنَّ بعض الجاهلين باللغة، أن الآية قصَدت أن هناك إلهًا في السماء، وإلهًا آخر في الأرض، والنكرة إذا أعيدت دلَّت على اثنين، فظنوا أن ﴿إِلَٰهٌ﴾ نكرة مكررة، وأنها بذلك دلَّتْ على إلهين، وهؤلاء أخطأوا؛ لأن ﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول حوَّل النكرة إلى معرفة، فصار الحديث عن إله واحد في السماء والأرض.

٨٣٨٢ ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزخرف:٨٥]:

﴿تَبَارَكَ﴾ بصيغة الماضي، تدُلُّ على أن البركة ذاتية لله، فيقتضي استغناء الله عن أي زيادة باتخاذ الولد أو الشريك أو غيرهما.

٨٣٨٣ ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦]:

قال شيخ المفسِّرين الطبري:

«وأوْلى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لا يملك الذين يعبدهم المشركون من دون الله الشفاعة عنده لأحد، إلا من شهد بالحق، وشهادته بالحقِّ: هو إقراره بتوحيد الله».

٨٣٨٤ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف:٨٧]:

قال ابن كثير:

«يعترفون أنه الخالق للأشياء جميعها، وحده لا شريك له في ذلك، ومع هذا يعبدون معه غيره، ممن لا يملك شيئًا، ولا يقدر على شيء، فهم في ذلك في غاية الجهل والسفاهة وسخافة العقل، ولهذا قال: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ ».

٨٣٨٥ ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [الزخرف:٨٨]:

قال قتادة: «هذا قول نبيكم عليه الصلاة والسلام، يشكو قومه إلى ربه».

والتعبير بقوله: ﴿قَوْمٌ﴾ يشير إلى أن كفرهم كان كفرًا جماعيًّا، لا حالة فردية.

٨٣٨٦ ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٩]:

امتثل رسول الله ﷺ أمر ربه، وقابل أذى قومه بالعفو والصفح، ورد الإساءة بالإحسان واللسان الجميل، وهذا حال السائرين في طريق النبيين.



سورة الدخان

٨٣٨٧ ﴿حمٓ﴾ [الدخان:١]:

كانوا يحبون الحواميم! قال ابن مسعود: «إذا وقعتُ في آل ﴿حمٓ﴾ وقعت في روضات أتأنق فيهن».

٨٣٨٨ ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [الدخان:٢]:

أبان لكم كتاب ربكم كل خير لتعملوه، وكل شر لتجتنبوه.

٨٣٨٩ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان:٣]:

سئل ابن عباس عن قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾، كيف يصح ذلك مع أن الله تعالى أنزل القرآن في جميع الشهور؟ فقال: «نزل القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى البيت المعمور، وهو في السماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك في أنواع الوقائع حالًا فحالًا».

٨٣٩٠ ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]:

والأمر الحكيم هو أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم في ذلك العام. قال الإمام الرازي: «واعلم أن تقدير الله لا يحدث في تلك الليلة، فإنه تعالى قدَّر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض في الأزل، بل المراد إظهار تلك الليلة المقادير للملائكة في تلك الليلة بأن يكتبها في اللوح المحفوظ، وهذا القول اختيار عامة العلماء».

٨٣٩١ قال سعيد بن جبير: «يؤذَن للحُجّاج في ليلة القدر، فيُكتَبون بأسمائهم، وأسماء آبائهم، فلا يغادر منهم أحد، ولا يُزاد منهم، ولا يُنقَص منهم».

٨٣٩٢ ﴿أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾ [الدخان:٥]:

قال ابن عاشور:

«وبعض تلك الأمور الحكيمة ينفذ الأمر به إلى الملائكة الموكلين بأنواع الشؤون، وبعضها ينفذ الأمر به على لسان الرسول مدة حياته الدنيوية، وبعضا يلهم إليه من ألهمه الله أفعالا حكيمة، والله هو العالم بتفاصيل ذلك».

٨٣٩٣ ﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الدخان:٦]:

أعظم الرحمات حصلت بإرسال الرسل وإنزال الكتب، فما رحم الله عباده برحمة أعظم من هدايتهم، والهداية لا تكون إلا بالكتب والرسل.

٨٣٩٤ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الدخان:٦]:

لماذا هاتان الصفتان؟!

قال الإمام الرازي:

«يعني أن تلك الرحمة كانت رحمة في الحقيقة؛ لأن المحتاجين إما أن يذكروا بألسنتهم حاجاتهم، وإما أن لا يذكروها، فإن ذكروها فهو تعالى يسمع كلامهم فيعرف حاجاتهم، وإن لم يذكروها فهو تعالى عالم بها، فثبت أن كونه سميعا عليما، يقتضي أن ينزل رحمته عليهم».

٨٣٩٥ ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الدخان:٧]:

فضل اليقين!

قال رسول الله ﷺ: «**صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل**». صحيح الجامع رقم: ٣٨٤٥.

٨٣٩٦ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الدخان:٨]:

لا ينبغي لأحد أن ينازع الله ألوهيته؛ لأنه لا أحد يحيي ويميت إلا الله سبحانه.

١٣٩٧ أعظم أحوال المخلوقات هي حالة الحياة التي شرَّف الله بها الإنسان ابتداء، والحيوان لينتفع به الإنسان.

١٣٩٨ ذكر تفرُّد الله بالإحياء والإماتة للإشارة إلى أن الحياة ليست ذاتية، بل لا بد لها من موجِد، وهذا من أدلة وجود الله وألوهيته.

١٣٩٩ ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ [الدخان:٩]:

الشاكون المرتابون لاهون لاعبون.

والمؤمنون الموقنون عاملون مجتهدون.

١٤٠٠ كان صلة بن أشيم يخرج إلى الجبّانة فيتعبد فيها، فكان يمر على شباب يلهون ويلعبون فيقول لهم: أخبروني عن قوم أرادوا سفرًا، فحادوا النهار عن الطريق، وناموا بالليل متى يقطعون سفرهم. قال: فكان كذلك يمر بهم ويعظهم، فمر بهم ذات يوم فقال لهم هذه المقالة، فانتبه شاب منهم فقال: يا قوم.. إنه لا يعني بهذا غيرنا، نحن بالنهار نلهو، وبالليل ننام، ثم اتَّبَع صِلة، فلم يزل يختلف معه إلى الجبانة، فيتعبد معه حتى مات.

١٤٠١ ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان:١٠-١١]:

روى البخاري عن ابن مسعود قال: إن قريشًا لما أبطأت عن الإسلام، واستعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم بسنين كسنى يوسف، فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان، فقيل: يا رسول الله، استسق الله لمضر فإنها قد هلكت، فاستسقى لهم فسُقوا، وعلى هذا الرأى يكون الدخان قد وقع فعلا، ثم كشفه الله عنهم ببركة دعاء النبي ﷺ.

١٤٠٢ ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]:

ورآى آخرون أنه من أشراط الساعة، ولم يجئ بعد، وأن الدخان يمكث في الأرض أربعين يومًا يملأ ما بين السماء والأرض، فأما المؤمن فيصيبه مثل

الزكام، وأما الكافر والفاجر فيدخل في أنوفهم فيثقب مسامعهم، ويضيق أنفاسهم، وهو من آثار جهنم يوم القيامة، والأصح: الرأي الأول.

١٤٠٣ ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان:١٢]:

كم عاهدنا الله في شدة إن كشفها عنا أن يرى منا ما يسُرُّه، فلما كشفها نسينا العهد وأخلفنا الوعد، وكان منا ما يضرُّنا لا ما يضرُّه!

١٤٠٤ ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان:١٣]:

جاء الرسول، واستفاض البلاغ، وقامت الحجة، وانتفت الأعذار، فلم يبقَ لأحد مبرر لتقصير إلا اتباع هواه أو إيثار العاجلة على الآخرة.

١٤٠٥ ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ [الدخان:١٤]:

لم يكتفوا بالإعراض والصدود، بل شنوا عليه حملة إعلامية مضادة ليصدوا الناس عنه، واتهموا فيها بأنه مُعَلَّمٌ يعلِّمه غيره من البشر، وأنه مجنون.

١٤٠٦ فريق وصفه بأن غيره يعلِّمه إياه، وفريق آخر وصفه بالجنون، أو نفس الفريق مرة وصفوه بهذا، ومرة أخرى وصفوه بذاك.

١٤٠٧ ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان:١٥]:

كشف العذاب عنهم، فقابلوا هذه النعمة بالعودة إلى الكفر!

١٤٠٨ ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۚ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان:١٦]:

الانتقام الحقيقي في الآخرة وليس في الدنيا!

قال ابن عباس: «قال ابن مسعود: البطشة الكبرى يوم بدر، وأنا أقول: هي يوم القيامة».

١٤٠٩ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان:١٧]:

كل الناس مختبرون، وكل الأمم مرَّت بالفتنة، وهذه هي طبيعة الدنيا والمهمة التي خلق الله لأجلها الحياة.

١٤١٠ وصفه ربه بالكرم؛ لأنه كان كريمًا عليه، والفائدة: من أثنى عليه الله، فهل يضُرُّه ذم الخلق؟!

٨٤١١ قال الفراء: «كريمٌ على ربه إذ اختصَّه بالنبوة وإسماع الكلام».

٨٤١٢ كرامة العبد على ربه هي اصطفاؤه لصالح الأعمال والأحوال لا اختصاصه بالكنوز والأموال.

٨٤١٣ ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الدخان:١٨]:

قال موسى لفرعون: علامَ تحبس هؤلاء القوم، قوم أحرار اتخذتهم عبيدًا، فخَلِّ سبيلهم.

والدرس المستفاد: تحرير الأمم ورفع الظلم من أهم وظائف المرسلين.

٨٤١٤ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الدخان: ١٨]:

قال السعدي: «أي رسول من رب العالمين أمين على ما أرسلني به، لا أكتمكم منه شيئًا، ولا أزيد فيه، ولا أنقص، وهذا يوجب تمام الانقياد له»، وكل داعية عليه أن يكون أمينا على رسالته.

٨٤١٥ ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان:١٩]:

أقبح العلو ما كان على الله، وأشد الكِبر ما كان عن عبادة الله، وأفظع الكِبر ما كان مع وجود الآية البيِّنة والحجة الساطعة.

٨٤١٦ ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان:٢٠]:

أي جعلتُ ربي عوذًا أي مَلْجَأ، فالاستعاذة بالله أقوى حصن يضمن السلامة، ويكفل الأمان.

٨٤١٧ ﴿عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ [الدخان:٢٠]:

ليذكروا أن موسى لجأ إلى الله ربهم؛ ولذا فهم لا يخرجون عن قدرته، وخاضعون لمشيئته.

٨٤١٨ هناك طائفة من الناس لا يطيقون كلمة الحق، ويودون لو رجموا أصحابها بالحجارة رجما إسكاتا لأصواتهم.

٨٤١٩ الاعتصام بالله يمنحك قوة هائلة تعينك على السير في طريق الحق، ويمنعك من التراجع عن تبليغ دعوة الله بحال من الأحوال.

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ﴾ [الدخان:٢١]:

لن أتراجع عن دعوتي، ولن أتأخر عن تبليغ رسالتي، مهما وضعتم في طريقي من عقبات.

إن لم تؤمنوا بي، فذروني أبلِّغ رسالة ربي.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ [الدخان:٢٢]:

قال ابن عاشور:

«الإخبار عن كونهم قومًا مجرمين مستعمل في طلب المجازاة على الإجرام أو في الشكاية من اعتدائهم، أو في التخوف من شرهم إذا استمرّوا على عدم تسريح بني إسرائيل، وكل ذلك يقتضي الدعاء لكف شرِّهم».

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [الدخان:٢٣]:

لماذا السير ليلًا؟!

سير الليل في الغالب إنما يكون عن خوف، والخوف يكون بوجهين: إما من العدو فيتخذ الليل سترًا، وإما من خوف المشقة على الدواب والأبدان بحر الشمس.

﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ [الدخان:٢٤]:

وذلك أن موسى عليه السلام، لما جاوز هو وبنو إسرائيل البحر، أراد موسى أن يضربه بعصاه حتى يعود كما كان، فأمره الله أن يتركه على حاله ساكنًا، وبشره بأنهم جند مغرقون فيه، وألا يخاف دركًا ولا يخشى.

﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدخان:٢٥-٢٨]:

ذكر ابن خلدون في مقدمته فصلًا بعنوان:

(الظلم مؤذن بخراب العمران)،وبيَّن فيه أن الظلم إذا انتشر، خربت البلاد، وفسد حال العباد.

٨٤٦ تنبه العلماء إلى أنه ربما بدا أن واقع بعض الدول الظالمة لا يخضع لهذه السنة الإلهية، ومن ذلك ما ذكره الشيخ رشيد رضا:

إن أسباب هلاك الأمم بالظلم والفساد والانغماس في حمأة الرذائل والفسق قد بلغ من أمم أوربا مبلغًا عظيمًا، فما بالها تزداد قوة وعزة وعظمة. حتى صارت الأمم المغلوبة على أمرها، ولا سيما المستذَلَّة لها، تعتقد أن تقليدها في مدنيتها المادية وحرية الفسق المطلقة من كل قيد هو الذي يجعلها عزيزة سعيدة مثلها؟

فأجاب: إن لدى هذه الدول كثير من القوى المعنوية والمادية التي تقاوم بها سرعة تأثير هذه الأدواء الاجتماعية، ومن أعظم هذه القوى الواقية للأمم، هو النظام ومراعاة سنن الاجتماع.

٨٤٧ سئل الشيخ محمد عبده: ما بال باطل هؤلاء الإفرنج في شئونهم السياسية والدينية ثابتًا ناميًا لا يدمغه الحق؟

فأجاب: إنه ثابت بالتبع للنظام الذي هو أقوى، أي فهو يزول إذا قذف عليه بحق مؤيد بنظام مثله أو خير منه، فهذا ما ينبغي أن يعمل له المستعبدون لهم في الشرق، مع مباراتهم في العلوم والفنون دون الترف والفسق.

٨٤٨ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩]:

قال مجاهد: إن السماء والأرض يبكيان على المؤمن أربعين صباحًا. قال أبو يحيى: فعجبت من قوله فقال: «أتعجب! وما للأرض لا تبكي على عبد يعمرها بالركوع والسجود! وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دويٌّ كدوي النحل».

٨٤٩ ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝٣٠ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان:٣١]:

قال ابن عاشور: «والمقصود من ذكر هذا الإشارة إلى أن الله تعالى ينجي الذين آمنوا بمحمد ﷺ من عذاب أهل الشرك بمكة، كما نجى الذين اتبعوا

موسى من عذاب فرعون، وجعل طغيان فرعون وإسرافه في الشر مثلا لطغيان أبي جهل وملئه».

١٤٣٠ ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان:٣٢]:

اختار الله مؤمني بني إسرائيل مع علمه بكونهم أحقاء بأن يُختاروا من بين أهل زمانهم، فالهداية توفيق واصطفاء واختيار.

١٤٣١ ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞا مُّبِينٌ﴾ [الدخان:٣٣]:.

اختبار الله لعباده بالسراء والضراء، فاختبار السراء اختبار لمقدار الشكر، واختبار الضراء اختبار لمقدار الصبر.

١٤٣٢ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ۝ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ﴾ [الدخان:٣٥]:

قالوها بالأمس بألسنتهم، وكثيرون يقولونها اليوم بلسان أحوالهم وفساد أعمالهم.

١٤٣٣ ﴿فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الدخان:٣٦]:

قال القرطبي:

«قيل: إن قائل هذا من كفار قريش أبو جهل، قال: يا محمد، إن كنت صادقًا في قولك، فابعث لنا رجلين من آبائنا: أحدهما: قُصَيُّ بن كلاب، فإنه كان رجلًا صادقًا، لنسأله عما يكون بعد الموت».

١٤٣٤ ﴿أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ [الدخان:٣٧]:

تُبَّع هو أبو كريب أسعد بن مليك، وهو أحد ملوك حِمْيَر، وكان مؤمنًا، وقومه كانوا كافرين فأهلكهم الله.

ولفظ تُبَّع لقب لكل ملك من ملوك اليمن، كما أن لقب فرعون لقب لكل ملك من ملوك مصر كان كافرًا.

١٤٣٥ ما يستحق المدح والذم في العبد على الحقيقة هو الإيمان؛ ولذا جاء في الحديث: «**لا تسُبوا تُبَّعًا، فإنه كان قد أسلم**». صحيح الجامع رقم: ٧٣١٩ .

١٤٣٦ ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [الدخان:٣٧]:

إذا اشتركتم مع الهالكين في أعمالهم، فقد تساويتم معهم في عاقبتهم! فلتخافوا ولتحذروا.

١٤٣٧ بيَّن الله سبب إهلاك القوم وهو الإجرام والتمادي في العدوان، حتى يوقن الناس بعدل الله وحكمته في كل ما قضاه.

١٤٣٨ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدخان:٣٨]:

ليس شيء خلقه الله في السماوات والأرض إلا لحكمة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها.

١٤٣٩ ﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان:٣٩]:

ما خلق الله السماوات والأرض إلا لتكون مرايا يظهر فيها الحق، لكن أكثر الناس عميان البصيرة، لا يرون فيهما دلائل القدرة وآثار الإعجاز.

١٤٤٠ ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠]:

يومٌ يجتمع فيه كل ظالم مع المظلوم، والقاتل والمقتول، فيقتص الله لهذا من هذا.

١٤٤١ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الدخان:٤١]:

تنكير كلمة مولى لإفادة العموم، أي لا يغني مولى كائنًا من كان عن أحد من مواليه كائنًا من كان، فأنت يومئذٍ وحيد لا يصحبك إلا عملك.

١٤٤٢ ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ [الدخان:٤٢]:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يريد المؤمن، فإنه تشفع له الأنبياء والملائكة».

١٤٤٣ ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ [الدخان: ٤٣]:

هذا هو الموضع الوحيد في القرآن الذي كُتِبتْ فيه (شجرة) بالتاء المبسوطة والأصل أن تكتب مربوطة.

١٤٤٤ **قاعدة في بسط التاء وقبضها!** التاء المقبوضة تدل على أن الشيء مجهول كله أو بعضه، والتاء المبسوطة يدل بسطها على أن الشيء معلوم وبين واضح غير مجهول، ولما كانت شجرة الزقوم مجهولة في الدنيا، فكُتِبتْ التاء مقبوضة، ولما أكلوا منها في النار، وأصبحت معروفة لديهم، بُسِطتْ تاؤها في الرسم، وهذا من أسرار الرسم العثماني وملامح إعجازه.

١٤٤٥ ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان:٤٤]:

كل الطعام يعالج الجوع إلا طعام أهل النار، فلا يغني من جوع، بل وربما زاده.

١٤٤٦ ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾ [الدخان:٤٥]:

المهل هو النحاس أو الرصاص المذاب، يشوي وجوههم في الظاهر، قبل أن يحرق أمعاءهم في الباطن.

١٤٤٧ ﴿كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان:٤٦]:

يغلي داخل البطن تمامًا كما يغلي خارجها، فما ظنك بأثَر غليانه في بطن صاحبه؟!

١٤٤٨ ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان:٤٧]:

يقال للزبانية خذوه وجُرّوه وسوقوه، والعتل هو أن تأخذ بتلابيب الرجل، فتجذبه إليك وتجرَّه إلى حبس أو مصيبة.

١٤٤٩ ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان:٤٨]:

قال مقاتل: «يضرب مالكٌ خازن النار ضربة على رأس أبي جهل بمقمع من حديد، فيتفتت رأسه عن دماغه، فيجري دماغه عل جسده، ثم يصب الملك فيه ماء حميمًا قد انتهى حرُّه، فيقع في بطنه، فيقول الملَك: ذُقْ العذاب».

١٤٥٠ ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]:

يقال على سبيل التوبيخ والتهكم، أي كنت العزيز الكريم عند نفسك، وقد رُوِي أن أبا جهل قال: «ما بين جبليها أعز مني ولا أكرم»، فنزلت هذه الآية.

١٤٥١ كم من سيدٍ مطاع في الدنيا، ذليل مهانٍ في الآخرة، ففي صحيح البخاري: «**إنه ليأتي الرَّجل العظيمُ السَّمين يوم القيامة؛ لا يزنُ عندَ الله جناح بعوضة**».

١٤٥٢ ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ [الدخان:٥٠]:

جاء أن أبا جهل قال للنبي ﷺ: ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء، لقد علمتَ أنني أمنع أهل بطحاء، وأنا العزيز الكريم، فقتله الله تعالى يوم بدر، وأذله وعيَّره بكلمته: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾.

١٤٥٣ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان:٥١]:

قال ابن القيم: «﴿ٱلْأَمِينِ﴾: الآمن من كل سوء وآفة ومكروه، وهو الذي قد جمع صفات الأمن كلها، فهو آمن من الزوال والخراب، وأنواع النقص، وأهله آمنون فيه من الخروج والنقص والنَّكَد، والبلد الأمين الذي قد أمن أهله فيه مما يخاف منه سواهم».

١٤٥٤ ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان:٥٢]:

سين:

هل كل واحد من هؤلاء المتقين يختص بعيون، أم تجري تلك العيون من بعضهم لبعض؟!

جيم:

قال الإمام الرازي: «لا يمتنع كل واحد من الوجهين، فيجوز أن يختص كل أحد بعين، وينتفع به كل من في خدمته من الحور والولدان، ويكون ذلك على قدر حاجتهم وعلى حسب شهواتهم، ويُحتَمل أن يكون يجري من بعضهم إلى بعض؛ لأنهم مطهَّرون عن الحقد والحسد».

١٤٥٥ ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الدخان: ٥٣]:

كيف يجلس أهل الجنة؟ قال ابن كثير: «متقابلين أي على السُّرُر، لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره».

١٤٥٦ نعيم الجنة في كل شيء حتى في نظرة العين!

١٤٥٧ ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان:٥٤]:

قال مجاهد: «الحوراء التي يحار فيها الطرف»، فهنيئًا لزوجها، ومن دفع ثمنها، وبذل مهرَها.

١٤٥٨ زوَّجناهم بحور عين أي قرنّاهم بالحور العين، وليس من عقد التزويج، فالعرب لا تقول لمن تزوج: تزوجْتُ بها، وإنما تقول: تزوجتها.

١٤٥٩ كم زوجة للمؤمن في الجنة؟!

في الحديث: «**ولكل واحدٍ منهم زوجتان، يُرى مُخُّ سوقها من وراء اللحم من الحُسْن**» صحيح الجامع رقم: ٢٥٦٦.

١٤٦٠ ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥]:

آمنين من انقطاع هذا النعيم، أو آمنين من أن ينالهم من أكلها أذى أو ملل أو مكروه.

١٤٦١ ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾ [الدخان: ٥٦]:

في الحديث: «**يؤتى بالموت كأنه كبش أملح حتى يوقَف على السور بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة! فيشرئبون ويقال: يا أهل النار! فيشرئبون فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم.. هذا الموت، فيضجع ويُذبَح، فلولا أن الله قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحًا، ولولا أن الله قضى لأهل النار الحياة فيها لماتوا ترحًا**». صحيح الجامع رقم: ٧٩٩٨.

١٤٦٢ ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ [الدخان: ٥٧]:

الجنة محض فضلٍ من الله؛ ولذا هتف الشافعي عند الموت:

فلولاكَ لم يَنْجُ من إبليس عابدٌ ... وكيف وقد أغوى صفِيَّك آدما!

١٤٦٣ ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥٧]:

قال ابن السماك :

سمعتُ امرأة تسكن البادية تقول: «لو تطالعت قلوب المؤمنين بفكرها إلى ما ادُّخِر لها في حُجُب الغيوب من خير الأجر، لم يصْفُ لهم في الدنيا عيشٌ، ولم تقَرَّ لهم في الدنيا عين!».

١٤٦٤ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان:٥٨]:

هنا أخبر الله بتيسيره لفهم القرآن؛ لأن الغرض من القرآن التذكرة، وبذا تقوم الحجة على من كل من بلَغَه القرآن.

١٤٦٥ ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ [الدخان: ٥٩]:

قال ابن جزي: «أي ارتقِب نصرَنا لك وإهلاكَهم، فإنهم مرتقبون ضدَّ ذلك، ففيه وعدٌ له، ووعيد لهم».



سورة الجاثية

١٤٦٦ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجاثية:٢]:

سبحان من أعزَّ عباده المؤمنين بإنزال الكتاب عليهم وعملهم به، والمحكم لكتابه عن التبديل والتغيير.

١٤٦٧ ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الجاثية:٣]:

تأملوا في هذا الحديث وأنتم تقرؤون هذه الآية:

«**تَفَكَّرُوا فِي آلَاء الله، ولا تفكَّروا في الله**». صحيح الجامع رقم: ٢٩٧٥ .

١٤٦٨ ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية:٤]:

خلقك الله من نطفة مهينة، ثم صوَّرك من هذه النطفة في أحسن صورة، وخلق من قطرة ماء إنسانًا في أحسن تقويم.

١٤٦٩ ما أجمل قول القائل:

وتَحْسَبُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيرٌ ... وفيكَ انطوى العالم الأكبر

١٤٧٠ ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ [الجاثية:٥]:

إن شاء جعلها رحمة، وإن شاء جعلها عذابًا، ومنها ما هو للمطر، ومنها ما هو للقاح، ومنها الرياح الباردة والساخنة، ولكل نوع منها خصائص وآثار تختلف بحسب اختلاف نوع الريح.

١٤٧١ ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية:٥]:

قال ابن الجوزي:

«إن أعظم النعم على الإنسان العقل؛ لأنه الآلة في معرفة الإله سبحانه، والسبب الذي يتوصل به إلى تصديق الرسل؛ إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد، بعث الرسل وأنزلت الكتب؛ فمثال الشرع: الشمس، ومثال العقل: العين؛ فإذا فتحت وكانت سليمة، رأت الشمس».

١٤٧٢ ﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية:٦]:

لم يكن فى علمك ولا فى وسعك معرفة هذه الغيبيات، ولا الوقوف على قدرة الله في هذه الكائنات، ولولا أن الله عرَّفك بها ما عرفت.

١٤٧٣ من لا يؤمن بهذه الآيات فبأي حديث يؤمن؟ ومن أي أصل غير القرآن يستمد؟ ومن أي بحر معرفة غير الوحي يغترف؟

١٤٧٤ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية:٨]:

قال صاحب الكشاف:

«فإن قلتَ: ما معنى ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾ ؟

قلتُ: كمعناه في قول القائل: يرى غمرات الموت، ثم يزورها.

وذلك أن غمرات الموت خليقة بأن ينجو رائيها بنفسه، ويطلب الفرار عنها.

وأما زيارتها والإقدام على مزاولتها، فأمر مستبعد، وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق، من تليت عليه وسمعها: كان مستبعدًا في العقول إصراره على الضلالة عندها، واستكباره عن الإيمان بها».

١٤٧٥ ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الجاثية:٩]:

عاقبة الاستهزاء والسخرية: العذاب والإهانة.

كقول أبي جهل عن شجرة الزقوم مستهزئًا: زقِّمونا، وقوله لما سمع قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾: أنا ألقاهم وحدي.

١٤٧٦ ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الجاثية:١٠]:

أمامهم وخلفهم النار، فلا مفرَّ منها ولا قيمة لأنصار، ومن يتولاك إن خذلك الله، ومن يرفع قدرك إن وضعك الله؟

١٤٧٧ ﴿هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [الجاثية:١١]:

القرآن هو أصل الهداية، وأعلى درجات تجدها في القرآن، والهداية أهم صفاته وسماته، فمن لم يسترشد بالقرآن ضَلَّ واحتار، وتقدم نحو النار!

١٤٧٨ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [الجاثية:١١]:

يدخل في هذا التهديد: النضر بن الحارث، الذي كان يشتري أحاديث الأعاجم؛ ليشغل بها الناس عن سماع القرآن، وقيل: إن هذه الآيات نزلت فيه.

١٤٧٩ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجاثية:١٢]:

هذا البحر العظيم الهائج الذي يبلع أضخم السفن فيُغرِقها، ويثور في الأعاصير فيمحو قرى كاملة من الوجود، قد سخَّره الله لخدمتكم، بالسفن تارة، والصيد منه تارة، والتنزه تارة.

١٤٨٠ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجاثية:١٢]:

فهل العاريات على شاطئ البحر شكروه أم كفروه؟

هل الناظرين على الساحل إلى العورات شكروه أم كفروه؟

ألا ما أقبح سلوك عبدٍ بدَّل نعمة الله كفرًا، وقابل إحسان الرحمن بالعصيان.

١٤٨١ ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣]:

قد يرسل السيد رسولا منه بهدية، فيتناولها العبد وينشغل بها، بينما عبدٌ آخر يأخذها، ويكون أول ما يقوم به: أن يشكر سيده ويظهر امتنانه له.

١٤٨٢ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:١٣]:

قال ابن القيم: «فهذا الباب يدخُل منه كلُّ أحدٍ إلى محبَّته سبحانه وتعالى؛ فإنَّ نعمته على عباده مَشهودة لهم، يتقلَّبون فيها على عدد الأنفاس واللَّحظات، وهذه محبَّةٌ تَنشأ من مطالعَة المنَن ورؤيةِ النِّعَم والآلاء، وكلَّما سافَر القلبُ فيها

ازدادت محبَّتُه وتأكَّدَت، ولا نهاية لها، فيقف سفَرُ القلب عندها، بل كلَّما ازداد فيها نظرًا ازداد فيها اعتبارًا وعجزًا عن ضبط القليل منها، فيستدل بما عرفَه على ما لم يعرِفْه».

١٤٨٣ ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية:١٤]:

قال مقاتل: «شتم رجل من كفار قريش عمر بمكة، فهَمَّ أن يبطش به، فأمر الله بالعفو والتجاوز، وأنزل هذه الآية».

١٤٨٤ دعاهم إلى حسن الخلق، وجميل العشرة، والتجاوز عن الجهل، والعفو عن الجاهلين، والسمو فوق حظ النفس ودواعي الشُّحِّ.

١٤٨٥ ﴿لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الجاثية:١٤]:

مدحٌ للمؤمنين بما صبروا على أذى أعدائهم، واحتمالهم المكروه منهم، ثقةً منهم بحسن ثواب ربهم.

١٤٨٦ الجزاء من جنس العمل. أمرَهم الله أن يغفروا، ووعدهم بأن يغفر لهم، فهذا أقصر طريق للمغفرة.

١٤٨٧ ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦ﴾ [الجاثية:١٥]:

قال ابن الجوزي: «مرض نظام الملك رحمه الله فكان يداوي نفسه بالصدقة، فيجتمع عنده خلق من الضعفاء فيتصدق عليهم، فعوفي!».

١٤٨٨ ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَا﴾ [الجاثية:١٥]:

العمل الصالح يعود بالنفع على صاحبه أولًا، والسيئات تعود بالضرر على فاعلها، والله أمر بهذا ونهى عن ذلك لصالح العبد، لا لنفع يعود إليه، وهو أعظم ترغيب رباني في العمل الصالح وزجر عن العمل الباطل.

١٤٨٩ ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية:١٦]:

فضَّل الله بني إسرائيل على غيرهم من الأمم السابقة، فلم يقابلوا هذه النعم بالشكر، فسلبهم الله ما حباهم من النعم، وهذا مصير كل أمة بدلت نعمة الله كفرًا.

١٤٩٠ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية:١٧]:

قال الرازي:

«والمقصود من ذكر هذا الكلام التعجب من هذه الحالة؛ لأن حصول العلم يوجب ارتفاع الخلاف، وها هنا صار مجيء العلم سببًا لحصول الاختلاف، وذلك لأنهم لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم، وإنما المقصود منه طلب الرياسة والتقدم».

١٤٩١ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الجاثية:١٧]:

لا ينبغي أن يغتر أحَدٌ بكثرة النعم، فقد تنقلب عليه وبالًا في الآخرة إن حصَّلها من حرام.

١٤٩٢ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ [الجاثية: ١٨]:

سُمِّيت سورة الجاثية بسورة الشريعة لأنه قال الله عز وجل قال فيها: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾.

١٤٩٣ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]:

لا يُعرِض أحد عن التحاكم إلى شريعة الله إلا لهوى في قلبه.

١٤٩٤ ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الجاثية: ١٩]:

إن أراد الله بك نعمة فلن يمنعها عنك أحد، وإن أراد أن يصرف عنك نعمة، فلن يجلبها لك العالم بأسره، فلا تعلِّق قلبك بغير الله، وثق بربِّك، وتوكَّل عليه.

١٤٩٥ ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٩]:

لا تغتروا بولاية الظالمين لبعضهم في الدنيا، فسرعان ما تنقلب الولاية في الآخرة إلى عداوة.

١٤٩٦ قال ابن عباس: «يريد أن المنافقين أولياء اليهود». أقرب الناس إلى اليهود هم المنافقون، وكلما ازداد نفاق العبد زاد قربًا من اليهود.

١٤٩٧ ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية:٢٠]:

البصائر: الحُجج القاطعة، والبينات الواضحة، والتي لا تترك في الحق لبسًا ولا غموضا، وهذه يمتلئ بها القرآن، وبها يزيد الإيمان.

١٤٩٨ ﴿وَهُدًى﴾ [الجاثية:٢٠]:

الهدى نوعان:

- **الهدى العام**: معناه بيان الطريق، وإظهار الحق من الباطل، والنافع من الضار، والحسن والقبيح.
- **الهدى الخاص**: معناه توفيق الله لعبده لما يرضيه، ويكون سببًا في دخوله الجنة.

١٤٩٩ ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]:

قال إبراهيم بن الأشعث: كثيرًا ما رأيت الفضيل بن عياض يردد من أول الليل إلى آخره هذه الآية ونظيرها، ثم يقول: ليت شعري! من أي الفريقين أنت؟ وكانت هذه الآية تُسمَّى مبكاة العابدين.

١٥٠٠ ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية:٢٢]:

هل يدع الله المظلوم فريسة للظالم، ثم لا ينتقم له؟! لو فعل هذا لكان ظالما -حاشاه سبحانه-؛ لذا أخبر أنه خلق السموات والأرض بالحق، فلا بد من حساب معجَّل في الدنيا، أو مؤجَّل إلى الآخرة.

١٥٠١ ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]:

قال سهل بن عبد الله التستري: «هواك داؤك، فإن خالفتَه فدواؤك».

٨٥٠٢ ما أجمل قول عبد الله بن المبارك:

ومن البلاء وللبلاء علام ... ألا يُرَى لك عن هواك نزوع

العبد عبد النفس في شهواتها ... والحُرُّ يشبع تارةً ويجوع

٨٥٠٣ ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الجاثية: ٢٤]:

هذا شعار الحياة البهيمية التي يحياها اليوم كل من لا يؤمن بالبعث، ويكذِّب بالجزاء.

٨٥٠٤ ما السبب في تقديم ذكر الموت على الحياة في قوله: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ ؟

قال الإمام الرازي:

«فيه وجوه:

- **الأول**: المراد بقوله ﴿نَمُوتُ﴾: حال كونهم نطفا في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، وبقوله ﴿وَنَحْيَا﴾: ما حصل بعد ذلك في الدنيا.
- **الثاني**: نموت نحن ونحيا بسبب بقاء أولادنا.
- **الثالث**: يموت بعض ويحيا بعض.
- **الرابع**: يعني أن تلك الحياة منها ما يطرأ عليها الموت، وذلك في حق الذين ماتوا، ومنها ما لم يطرأ الموت عليها، وذلك في حق الأحياء الذين لم يموتوا بعد.

٨٥٠٥ ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤]:

لوم الدهر عادة أهل الجاهلية!

قال أبو علي الثقفي:

يا عاتبَ الدهر إذا نابَه ... لا تَلُمْ الدهر على غدره

الدهر مأمورٌ له آمر ... وينتهي الدهر إلى أمره

كم كافرٍ أمواله جَمَّةٌ ... تزداد أضعافًا على كُفْرِه

ومؤمنٌ ليس له درهمٌ ... ويزداد إيمانًا على فقره!

٨٥٠٦ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الجاثية: ٢٥]:

قال البِقاعيُّ: «لم يجبهم إلى إحياء آبائهم إكرامًا لهذه الأمة لشرف نبيها عليه أفضل الصلاة والسلام؛ لأن سنته الإلهية جرت بأن من لم يؤمن بعد كشف الأمر بإيجاد الآيات المقترحات، أهلكه كما فعل بالأمم الماضية».

٨٥٠٧ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:٢٦]:

يقين الصحابة بيوم القيامة! عن أنس ﷺ قال: سألتُ رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة. قال: **أنا فاعل إن شاء الله**. قال: فأين أطلبك؟

قال: **أول ما تطلبني على الصراط**.

قلت: فإن لم ألقك؟

قال: **فاطلبني عند الميزان**.

قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟

قال: «**فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاث مواطن**». صحيح سنن الترمذي رقم: ٢٤٣.

٨٥٠٨ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٧]:

قدِم سفيان الثوري المدينة، فسمِع المعافري يتكلم ببعض ما يضحك به الناس، فقال له: يا شيخ، أما علمت أن لله يومًا يخسر فيه المبطلون؟ قال: فما زالت تُعرَف في المعافري حتى لحق بالله عز وجل.

٨٥٠٩ ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية:٢٨]:

الجثو هو الجلوس على الرُّكَب، فكل أمة تترقب مصيرها، وظهور نتيجة امتحانها، ومعرفة ثمرة سعيها.

٨٥١٠ قال الرازي:

«فإن قيل: الجثو على الركبة إنما يليق بالخائف، والمؤمنون لا خوف عليهم يوم القيامة، قلنا: إن المُحِقَّ الآمِن قد يشارك المبطل في مثل هذه الحالة إلى أن يظهر كونه محِقًّا».

٨٥١١ ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الجاثية:٢٩]:

قال ابن عباس وغيره:

«تكتب الملائكة أعمال العباد، ثم تصعد بها إلى السماء، فيقابلون الملائكة الذين في ديوان الأعمال على ما بأيديهم مما قد أبرز لهم من اللوح المحفوظ في كل ليلة قدر، مما كتبه الله في القِدَم على العباد قبل أن يخلقهم، فلا يزيد حرفًا ولا ينقص حرفًا، ثم قرأ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾».

٨٥١٢ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الجاثية:٣٠]:

فوز مبين، وسهلٌ يسير!

في الحديث:

«**إن الله خلق مائة رحمة، رحمة منها قسمها بين الخلائق، وتسعة وتسعين إلى يوم القيامة**». صحيح الجامع رقم: ١٧٦٥.

٨٥١٣ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾ [الجاثية:٣١]:

تدل الآية على أن استحقاق العقوبة لا يكون إلا بعد مجيء الشرع وحصول البلاغ، وهذا من مطلق عدل الله مع عباده.

٨٥١٤ أكبر ما يصد الناس عن الانتفاع بالآيات والاعتبار: الاستكبار، وهو ما يقود صاحبه حتما إلى الإجرام.

٨٥١٥ ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية:٣٢]:

قال الآلوسي: «الكفرة صنفان: صنف جازمون بنفيها كأئمتهم، وصنف مترددون متحيرون فيها، فإذا سمعوا ما يؤثر عن آبائهم أنكروها، وإذا سمعوا الآيات المتلوة تقهقر إنكارهم فترددوا.

ويحتمل اتحاد قائل ذاك وقائل هذا إلا أن كل قول في وقت وحال، فهو مضطرب مختلف الحالات، تارة يجزم بالنفي فيقول: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾، وأخرى يظن فيقول: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾».

٨٥١٦ ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية:٣٢]:

الظن وعدم اليقين يورد صاحبه موارد الهالكين ومصاير الكافرين.

٨٥١٧ قال أبو العلاء المعري:

قال المنجّمُ والطَّبيبُ كِلاهما ... لا تُحشَرُ الأجسادُ؛ قلتُ: إليكما

ن صَحَّ قولُكما، فلستُ بخاسرٍ ... أو صَحَّ قولي، فالخَسارُ عليكما

٨٥١٨ ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [الجاثية: ٣٢]:

قال السعدي: «وهذا مما يعين على الصبر، فإن العبد إذا علم أنَّ عمله غير ضائع، بل سيجده كاملًا هان عليه ما يلقاه من المكاره، ويسَّر عليه كل عسير، واستقلَّ من عمله كل كثير».

٨٥١٩ ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الجاثية:٣٣]:

كانت العقوبات تنهمر عليهم في الدنيا كمحق البركات وتبديد الأوقات وعدم التوفيق للطاعات وتعسير الحاجات، لكنهم ما انتبهوا إلا اليوم لشدة ما هم فيه من الغفلات.

٨٥٢٠ كل من استهزأ بشعائر الدين سيعاين عقوبته بعينه يوم الدين.

هذا ما توعد به رب العالمين، فيا وَيْل المستهزئين!

٨٥٢١ ﴿وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾ [الجاثية:٣٤]:

الجزاء من جنس العمل!

ثبت في الصحيح:

«**يؤتى بالعبد يوم القيامة، فيقال له: ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا ومالًا وولدًا، وسخَّرتُ لك الأنعام والحرث، وتركتك ترأس وتربع، فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟ فيقول: لا، فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني**». صحيح الجامع رقم: ٧٩٩٧.

٨٥٢٢ ﴿وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الجاثية:٣٤]:

ولم يقُلْ: وما لكم من دون الله؛ لأن الكلام في الآخرة حيث لا فرصة لتوبة أو رجوع.

٨٥٢٣ ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ [الجاثية:٣٥]:

لا أمل لأهل النار في الخروج منها، ولا أمل لهم في أن يرضوا ربهم بالتوبة، وفقدان هذا الأمل عذاب فوق العذاب.

٨٥٢٤ ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية:٣٦]:

كان ابن الأنباري -الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون- يقول: «الرب على ثلاثة أقسام: يكون الرب بمعنى المالك، ويكون الرب بمعنى السيد المطاع، ويكون الرب بمعنى المصلح».

٨٥٢٥ ﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الجاثية:٣٧]:

قال ابن كثير: أي: هو العظيم الممجد الذي كل شيء خاضع لديه، فقير إليه، وفي الحديث الصحيح يقول الله تعالى: «**العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحدًا منهما أسكنته ناري**».



الجزء السادس والعشرون

سورة الأحقاف آية ١
إلى سورة الذاريات آية ٣٠

عدد الفوائد: ٣٩٢

القرآن سلاح معطل!

قال مصطفى السباعي:

«القرآن في أيدي المسلمين كالسلاح في أيدي الجاهلين، سلاح معطَّل لا يستعملونه للدفاع ولا للهجوم، ولا للهدم ولا للبناء، ولا للأخذ ولا للعطاء، وهو صالح لذلك كله وأكثر لو كانوا يعلمون».

هكذا علمتني الحياة ص ٥٧

الجزء السادس والعشرون
سورة الأحقاف آية ١
إلى سورة الذاريات آية ٣٠

سورة الأحقاف

٨٥٢٦ ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأحقاف:٤]:

أي: لا عبثًا ولا سدى بل ليعرف العباد عظمة خالق االسماوات والأرض، ويستدلوا بهما على كماله.

٨٥٢٧ ﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الأحقاف:٣]:

هذه السماوات ستتشقق، والأرض ستزلزل، فبقاؤهما مقدر إلى أجل مسمى، تتبدل فيه الأرض غير الأرض والسماوات.

٨٥٢٨ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف:٤]:

أفحمهم بالأدلة العقلية المتمثلة في شهادة هذا الكون المفتوح، وبالأدلة النقلية المتمثلة في أنه لا يوجد عندهم كتاب أو ما يشبه الكتاب، يستندون إليه في استحقاق هذه الأصنام للعبادة.

٨٥٢٩ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف:٥]:

الحمد لله الذي عافانا من أن نعبد صنما من حجارة أو أخشاب، فأنقذنا من الضلال، فهل أدينا شكر نعمة الهداية؟!

٨٥٣٠ ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف:٦]:

كم من صداقات اليوم ستنقلب يوم القيامة إلى عداوات، وصلات ستنقطع وتكون سببًا في توالي اللعنات، والعاقل من ميَّز ما ينفعه مما يضره قبل الممات.

٨٥٣١ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف:٧]:

لما عجزوا عن الإتيان بمثله، اتهموه بأنه ساحر، وأن ما جاء به سحر، وتلمح في الآية سرعة ردهم دون تفكر أو تأمل أو انتظار.

٨٥٣٢ ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الأحقاف:٨]:

لست بمنأى من عذاب الله إن افتريت عليه كذبا، ولن يشفع لي مقام النبوة بين يديه، ولن يقدر أحد من أهل الأرض، لا أنتم ولا غيركم أن يجيرني منه في هذه الحال.

٨٥٣٣ ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الأحقاف:٨]:

الله أعلم بكل ما تندفعون فيه من الطعن في الحق ومعاداته، وقد شهد لي بتليغ دعوته ، وشهد عليكم بالتجزئ، ومع كل هذا الإجرام إلا أنهم عاملكم بالحلم والإنعام، فوعدكم بالرحمة والغفران إن رجعتم عن الكفر والعصيان، ولم يعاجلكم بالعقوبة.

٨٥٣٤ ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف:٩]:

سيد المرسلين وخاتم النبيين، لا يعلم ما سيحدث له، ولا قدرة له على التنبؤ بالغيب لنفسه أو لغيره، فكيف يدَّعي هذا اليوم منجِّم أو كاهن؟

٨٥٣٥ تعلَّموا أدب النبوة وفن تفويض الأمر لله. قال الحسن: «وما أدري ما يصير إليه أمري وأمركم في الدنيا، أأُخرَج كما أُخرِجَت الأنبياء قبلي؟ أم أُقتَل كما قُتِلوا، ومن الغالب منا والمغلوب؟».

٨٥٣٦ هذا في الدنيا، أما بالنسبة للآخرة، فالله قد بشَّره ومن تبعه بالثواب العظيم، وتوعَّد من عصاه وخالفه بالعذاب الأليم.

٨٥٣٧ ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأحقاف:٩]:

سِر على خطى نبيك، وأعلنها في من حولك: إني لا أقول قولا، ولا أعمل عملا إلا بمقتضى الوحي الإلهي.

٨٥٣٨ ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الأحقاف:٩]:

كم طالبوه بمعجزات عجيبة وإخبار عن الغيوب، فقال له ربه: قل لهم: ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾، والقادر على تلك الأعمال الخارجة عن قدرة البشر ليس إلا الله رب العالمين.

٨٥٣٩ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠]:

تكررت هذه العبارة في القرآن بهذه الصيغة المؤكدة ٤ مرات، فالظالم محروم من الهداية الربانية كعقوبة مستحقة على ظلمه، وهي أشد العقوبات.

٨٥٤٠ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِ﴾ [الأحقاف:١١]:

قال ابن كثير: «وأما أهل السنة والجماعة، فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة: هو بدعة؛ لأنه لو كان خيرًا لسبقونا إليه؛ لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها».

٨٥٤١ لو كان القرآن خيرًا ما سبقنا إليه هؤلاء الفقراء: بلال وعمار وصهيب وخباب وأشباههم من المستضعفين والعبيد والإماء، فقد ظنوا أن المال والوجاهة مما يقرِّب إلى الله، وهي نظرة طبقية جاهلية حاربها الإسلام.

٨٥٤٢ ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗ﴾ [الأحقاف:١٢]:

أنزل الله كتابه ليكون إمامًا للناس، يقودهم في سائر شؤون حيلتهم، لا ليتخذوه وراءهم ظهريًا، ويقدِّموا عليه غيره.

٨٥٤٣ ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الأحقاف:١٢]:

هذه الآية تكريم لكل عربي، وتذكير له بنعمة الله عليه، حيث جعل القرآن الذي هو أجمع الكتب السماوية وآخرها بلسانه، فالأحرى أن يكون العرب أكثر فهمًا له، وأكثر عملا به.

٨٥٤٤ ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف:١٢]:

بيان موجز لوظيفة هذا الكتاب، ففيه ترهيب وترغيب، وخوف ورجاء، وجحيم ونعيم.

٨٥٤٥ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [الأحقاف:١٣]:

الإيمان قول وعمل، قول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان. قال ابن القيم: «إن الإيمان قول وعمل؛ والقول قول القلب واللسان، والعمل عمل القلب والجوارح».

٨٥٤٦ قال ابن القيم:

«قال بعض العارفين: كن صاحب الاستقامة، لا طالب الكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطالبك بالاستقامة، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدَّس الله روحه - يقول: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة».

٨٥٤٧ في حديث ثوبان ﷺ: «**استقيموا ولن تحصوا**».

أي لن تقدروا على الاستقامة كلها، فسدِّدوا وقاربوا. قال أبو علي القاري: «ولن تطيقوا أن تستقيموا حق الاستقامة، ولكن اجتهدوا في الطاعة حق الإطاعة، فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله، وفيه تنبيه نبيه على أن أحدًا لا يظن بنفسه الاستقامة، ولا يتوهم أنه خرج بالكلية من صفة النفس اللوامة، فيقع في العجب والغرور اللذين هما أقبح من كل ما يترتب عليه الملامة، نسأل الله السلامة».

٨٥٤٨ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأحقاف:١٤]:

العمل الصالح سبب لدخول الجنة، ولكنه ليس ثمنا لدخول الجنة.

٨٥٤٩ ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗا﴾ [الأحقاف: ١٥]:

في القرآن كُره بالضم وأحيانًا بالفتح (كَره)، والنطق بالضم أقوى وأشد لذا جاء مع الثقل النفسي والبدني مثل: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ﴾، وأما بالفتح فمع الثقل النفسي فحسب مثل: ﴿قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾، فجاء التعبير الأثقل مع الأثقل، والأخف مع الأخف.

٨٥٥٠ ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥]:

التوبة خير ما يتقدَّم الدعاء، ومن أراد صلاح ذريته، فليتب من ذنوبه أولًا.

٨٥٥١ ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ﴾ [الأحقاف: ١٥]:

أي ألهمني ووفِّقني، فلولا توفيق الله ما شكره أحد، ولولا عونه ما أطاعه منهم أحد.

٨٥٥٢ ﴿قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ [الأحقاف: ١٥]:

من برِّ الوالدين أن تشكر الله على النعم التي أنعم بها على والديك!

٨٥٥٣ قال مالك بن مغول: اشتكى أبو معشر ابنه إلى طلحة بن مصرف، فقال: استعِن عليه بهذه الآية، وتلا: ﴿قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾.

٨٥٥٤ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ [الأحقاف:١٦]:

لم يكن أهل الجنة معصومين، لكن كانوا يذنبون، فتجاوز الله عن سيئاتهم؛ ولذا كان من وصية أبي بكر ﷺ قبل موته:

«ألم تر أن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم، فيقول قائل: أين يبلغ عملي من

عمل هؤلاء؟! وذلك أن الله عز وجل تجاوز عن أسوأ أعمالهم، فلم يُبدِه، ألم تر أن الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم حتى يقول قائل: أنا خير عملا من هؤلاء، وذلك بأن الله ردَّ عليهم أحسن أعمالهم».

١٨٥٥٥ ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف:١٧]:

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: «وهذا عام في كل من قال هذا، ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر، فقوله ضعيف؛ لأن عبد الرحمن أسلم بعد ذلك، وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه».

١٨٥٥٦ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [الأحقاف:١٨]:

الجن والإنس لا يموتون، بل في النار يعذبون!

قال الحسن قال: الجنُّ لا يموتون، فقال قتادة معقِّبًا: فقلت: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾.

١٨٥٥٧ ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف:١٩]:

درجات النار تزداد سفولًا، ودرجات الجنة تزداد علوًّا، ولن يُظلم أحد، فلن يزاد في سيئات المسيئين وعذابهم، ولن ينقص من حسنات المحسنين ونعيمهم.

١٨٥٥٨ ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف:٢٠]:

لما قدم عمر الشام صُنِع له طعام لم ير قط مثله، قال: هذا لنا! فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وما شبعوا من خبز الشعير، فقال خالد بن الوليد: لهم الجنة، فاغرورقت عينا عمر بالدموع وقال: لئن كان حظنا من الدنيا هذا الحطام، وذهبوا هم في حظهم بالجنة، فلقد باينونا بونًا بعيدًا.

٨٥٥٩ قال قتادة: ذُكِر لنا أن عمر ﷺ قال: لو شئتُ كنت أطيبكم طعاما، وألينكم لباسًا، ولكني أستبقي طيباتي للآخرة.

٨٥٦٠ قال جابر: اشتهى أهلي لحمًا فاشتريته لهم فمررت بعمر بن الخطاب ﷺ، فقال: ما هذا يا جابر؟ فأخبرته، فقال: أو كلما اشتهى أحدكم شيئًا جعله في بطنه، أما يخشى أن يكون من أهل هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾.

قال القرطبي معلِّقا على قول عمر: «إن التوبيخ واقع على ترك الشكر لا على تناول الطيبات المحللة، وهو حسن، فإن تناول الطيب الحلال مأذونٌ فيه، فإذا ترك الشكر عليه، واستعان به على ما لا يحل له، فقد أذهبه».

٨٥٦١ ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحقاف:٢٠]:

الجزاء من جنس العمل.

عاقبهم الله بالهوان لما استكبروا على عباده.

٨٥٦٢ الاستكبار على الخلق بالحق غير جائز، فكيف لو كان بغير حق؟!

٨٥٦٣ ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ [الأحقاف:٢١]:

كان هودٌ مؤمنًا، وكانوا كفارًا، ومع هذا وصفه ربه بأنه أخوهم، فالأخوة أنواع، وليس فقط أخوة الدين.

٨٥٦٤ ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف:٢١]:

الإنذار والتخويف هو الأسلوب الأنجع مع الكثيرين، خاصة مع من جاءتهم النُّذُر والآيات، وتوالت عليهم العبر والعظات.

٨٥٦٥ ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ [الأحقاف:٢٢]:

اتهموه أنه جاءهم ليصرفهم عن آلهتهم بالإفك! هكذا يتحكم الشيطان في عقول البعض، فيصوِّر لهم أوضح الحق باطلًا.

٨٥٦٦ وصفوه بما هم أهل له، فهم أهل الإفك والإفتراء،وليس هو عليه الصلاة والسلام، وصدق القائل: رمتني بدائها وانسلَّت.

٨٥٦٧ ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ [الأحقاف:٢٣]:

أنا مجرد رسول عن الله، فلن أتجاوز قدري، فلا علم لي إلا بمقدار ما علَّمني ربي، ولا تقدم لي ولا تأخر إلا بإذنه.

٨٥٦٨ ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [الأحقاف:٢٣]:

وعلامة هذا الجهل: استعجال العذاب، وهب أنه لم يظهر لكم أني صادق، لكن لم يظهر أيضًا لكم أني كاذب، فإصراركم على طلب العذاب الشديد يدل على جهل عظيم.

٨٥٦٩ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف:٢٤]:

هذا يُسمَّى (اليأس بعد الإطماع)، وهو أبلغ من العذاب والإيلام، حين تتوقع الخير فيُفاجئك الشر.

٨٥٧٠ في صحيح البخاري:

«**نُصِرتُ بالصَّبا، وأُهلِكَت عاد بالدَّبور**» صحيح البخاري رقم: ١٠٣٥ .

والدَّبور ريح الجنوب، وتكون عادة ريحًا عقيمًا مدمرة، أما الصَّبا فهي عادةً ريح خير ومطر، فرأوا الريح جاءتهم من الجنوب، لكنهم لم ينتظروا ليميِّزوها، فكان فيها هلاكهم.

٨٥٧١ ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٥]:

دمَّرتهم لإجرامهم، وتدمِّر مِنْ ورائهم كلَّ مجرم، فسبب التدمير الإجرام، وهو تحذير باقٍ لأصحاب العقول والأفهام.

٨٥٧٢ ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الأحقاف:٢٦]:

فتحنا عليهم أبواب المعارف، فأعطيناهم سمعًا فما استعملوه في سماع الآيات، وأبصارًا فما نظروا بها في تأمل العبر والعظات، وأفئدة فما استعملوها في الوصول إلى معرفة الله.

٨٥٧٣ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأحقاف:٢٧]:

الأفعال تتحدث بصوت أعلى من الأقوال، ورؤية مصرع من مصارع الظالمين أبلغ من ألف خطبة في نفوس المخاطَبين.

٨٥٧٤ ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأحقاف:٢٨]:

تعريضٌ بكل سامع مشابه لهؤلاء في عبادة غير الله أو الاستعانة بغير مولاه، وذلك بضرب المثال المستقى من الواقع، لاستكمال الموعظة وشدة التوبيخ.

٨٥٧٥ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]:

جلسة قرآنية واحدة مع إصغاء كانت سبب تحطيم سنوات طويلة من الضلالة والإغواء، فعليكم بمجالس القرآن!

٨٥٧٦ ﴿قَالُوا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]:

حين تأدَّبوا مع كلام ربهم بالإنصات، كافأهم بأن وفَّقهم لأشرف المهام، وهي الدعوة إلى الله؛ لأن الحسنات ولود.

٨٥٧٧ ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟﴾ [الأحقاف: ٢٩]:

فيه فضل التذكير بالخير، والتواصي بالحق بين الإخوان.

٨٥٧٨ ﴿وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]:

أوْلى الناس بدعوتك هم أهلك وعشيرتك.

٨٥٧٩ زكاة العلم تبليغه، وشكر نعمة الهداية أن تُهدِيَ منها إلى غيرك.

٨٥٨٠ ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا﴾ [الأحقاف: ٢٩]:

لا تأخير في البلاغ، ولا كسل في نشر الخير، ألا تغار من الجن أيها الإنسي!

٨٥٨١ ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]:

هل انتفعت بما سمعت اليوم من كتاب الله؟! من علامات انتفاعك ابتداؤك فورًا في تبليغ ما سمعت.

٨٥٨٢ ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأحقاف: ٣٠]:

قال الآلوسي:

«قوله: ﴿أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ ذكروه دون عيسى- عليهما السلام-لأنه متَّفَق عليه عند أهل الكتابين، ولأن الكتاب المنزل عليه أجل الكتب قبل القرآن، وكان عيسى مأمورًا بالعمل بمعظم ما فيه أو بكله».

٨٥٨٣ ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف:٣١]:

ما أحسن أدب الجن مع الله حين قالوا: ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾، ففوَّضوا المغفرة إلى ربهم، إن شاء غفرها جميعًا، وإن شاء غفر بعضها.

٨٥٨٤ ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف:٣١]:

الجن أمة مثل الإنس، معذَّبون إن أعرضوا عن نداء الله، ومُنَعَّمون إن أجابوه، تمامًا مثل المؤمنين.

٨٥٨٥ ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف:٣٢]:

كل دعوة لأمر الله لا تُجاب يتبعها وعيد وتهديد، لكن المؤمن يردعه إيمانه عن العصيان، والغافل يخدعه شيطانه فيوقعه في العصيان.

٨٥٨٦ ما أروع بيان الجن لما بلغهم من أمر الله، وما أشد حرصهم على هذا البلاغ، فالله يسخر لهذا الدين من يحمله، إن لم يكن إنسيا فمن الجن.

٨٥٨٧ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف:٣٣]:

مخاطبة العقول!

من قدر على الشيء الأعظم، فهو على ما دونه أقدر، ولا شك أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق الإنسان.

٨٥٨٨ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأحقاف:٣٤]:

مؤسف أن يزول الإنكار على عتبات النار، وأن يكون الاعتذار عن الأوزار في دار القرار.

٨٥٨٩ ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]:

نحتاج دائمًا إلى مثالٍ للاقتداء؛ ولذا فحين أمر الله رسوله بالصبر أرشده أن يصبر كما صبر هؤلاء العظماء.

٨٥٩٠ ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]:

الصبر ضد الاستعجال، فبالصبر تتحقق الغايات، وبالاستعجال تيأس القلوب وتنقطع عن المواصلة.

٨٥٩١ ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]:

فإنهم لا بد أن يصيبهم ما توعدناهم به من العذاب، إما في الدنيا فتقر به عينك، أو في الآخرة بعد الوفاة، ففي الآية وعيد للكافرين، وتسلية لسيد المرسلين.

٨٥٩٢ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف:٣٥]:

عمركم من مبتداه إلى منتهاه مثل لحظة بالنسبة إلى دار الخلود، بل أقلّ، إذ الخلود لا ابتداء له ولا انتهاء، فما قَدْر ما حصل في لحظة؟! مهما كان عظيمًا أو خطيرًا؟!

١٥٤٣ لحظة عذاب تنسي كل متع الدنيا مهما زادت وطالت.

١٥٤٤ ﴿ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف:٣٥]:

قال الثعلبي عن هذه الآية: أرجى آية في كتاب الله للمؤمنين، فلا يهلك مع رحمة الله وفضله إلا القوم الفاسقون، فمن لم يفسق لم يُهلَك.



سورة محمد



﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ١]:

لا قيمة لأعمال البر والمعروف من غير إيمان.



﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ﴾ [محمد: ٢]:

مغفرة الذنوب هي الطريق إلى إصلاح البال، وإصلاح البال نعمة عظمى لا يحس بها إلا المحرومون منها.



﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٣]:

قال القشيري: «ويكون اتباع الحقِّ بموافقة السُّنَّة، ورعاية حقوق الله، وإيثار رضاه، والقيام بطاعته، ويكون اتباع الباطل بالابتداع، والعمل بالهوى، وإيثار الحظوظ، وارتكاب المعصية».



﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]:

قدَّم (المن) على (الفداء)، إشارة إلى ترجيح حرمة النفس على طلب المال، فالمجاهد في سبيل الله يقاتل لإعلاء كلمة الله، لا لمغنم دنيوي.



﴿ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖ﴾ [محمد: ٤]:

للظالم دور مرسوم: يختبر الله به المظلوم؛ ليرى صبره، فإن نجح في الاختبار كافأه الله على صبره بالنصر المحتوم.



﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٥]:

قال الإمام الرازي: «القتل ليس بإهلاك بالنسبة إلى المؤمن، فإنه يورث الحياة الأبدية».

٨٦٠١ ﴿وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ﴾ [محمد: ٥]:

راحة بال الشهداء!

قال البقاعي: «أي موضع فكرهم، فيجعله مهيَّأً لكل خير، بعيدًا عن كل شر، آمنًا من المخاوف، مطمئنًا بالإيمان بما فيه من السكينة، فإذا قُتِل أحد في سبيله تولى سبحانه وتعالى ورثته بأحسن مِنْ تولي المقتول لو كان حيًا».

٨٦٠٢ ﴿وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ﴾ [محمد: ٦]:

في صحيح البخاري:

«**فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان له في الدنيا**».

٨٦٠٣ ﴿وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ﴾ [محمد: ٦]:

قال مجاهد:

«يمشي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، وما قسم الله عز وجل لهم فيها، لا يخطئون شيئًا منها، كأنهم ساكنوها منذ خُلِقوا، لا يستدِلون عليها أحدا».

٨٦٠٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]:

لا يتأخر نصر الله إلا إن تأخر نصر العبد لربه على نفسه، وذلك بطاعة أوامره واجتناب نواهيه.

٨٦٠٥ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٨]:

أضلَّ أعمالهم بعكس شهداء المسلمين، حيث قال في حق الشهداء: ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾، بينما قال في موتى الكفار: ﴿وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾.

٨٦٠٦ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٩]:

كراهية بعض ما أنزل الله من أحكام كفيل بإحباط الأعمال، وهنا تبرز خطورة عمل القلب!

٨١٦٠٧ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [محمد: ١٠]:

قال ابن القيم: «وكذلك كل موضع أمر الله سبحانه فيه بالسير في الأرض، سواء كان السير الحسي على الأقدام والدواب، أو السير المعنوي بالتفكر والاعتبار».

٨١٦٠٨ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]:

قال صاحب الظلال:

«ومن كان الله مولاه وناصره فحسبه، وفيه الكفاية والغناء، وكل ما قد يصيبه إنما هو ابتلاء وراءه الخير، لا تخليًا من الله عن ولايته له، ولا تخلفا لوعد الله بنصر من يتولاهم من عباده».

٨١٦٠٩ قال القشيري:

«ويصح أن يقال إنَّ هذه أرجى آية في القرآن، ذلك بأنه سبحانه يقول: ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، ولم يقل: مولى الزهَّاد والعبّاد وأصحاب الأوراد والاجتهاد، فالمؤمن- وإن كان عاصيًا- من جملة الذين آمنوا».

٨١٦١٠ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [محمد: ١٢]:

قال البقاعي: «فأنساهم دخولهم (الجنة) غصص ما كانوا فيه في الدنيا من نكد العيش ومعاناة الشدائد، وضَموا نعيمها إلى ما كانوا فيه في الدنيا من نعيم الوصلة بالله، ثم لا يحصل لهم كدرٌ ما أصلًا، وهي مأواهم لا يبغون عنها حولًا، وهذا في نظير ما زُوِي عنهم من الدنيا، وضيَّق فيها عيشهم نفاسة منهم عنها حتى فرَّغهم لخدمته، وألزمهم حضرته حُبًّا لهم، وتشريفًا لمقاديرهم».

٨١٦١١ قال الإمام الرازي: «كثيرًا ما يقتصر الله على ذكر الأنهار في وصف الجنة؛ لأن الأنهار يتبعها الأشجار، والأشجار تتبعها الثمار، ولأنه سبب حياة العالم».

٨٦١٢ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [محمد: ١٢]:

لم كان الكفار أسوأ حالًا من الأنعام؟! لأنهم تساوَوا مع الأنعام في الطعام، لكن زادوا عليهم في العذاب، فإن الأنعام غدًا تتحول إلى تراب وهم يعذَّبون.

٨٦١٣ قال الإمام الرازي: «الدنيا للمؤمن سجن كيف كان، ومن يأكل في السجن لا يقال إنه يتمتع».

٨٦١٤ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ [محمد: ١٢]:

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني لغلامه: «ياغلام: لا يكن همك ما تأكل وما تشرب، وما تلبس وما تنكح، وما تسكن وما تجمع، كلُّ هذا همُّ النفس والطبع، فأين همُّ القلب، همُّك ما أهمك، فليكن همك ربك عز وجل وما عنده».

٨٦١٥ ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ﴾ [محمد: ١٣]:

عن ابن عباس «أنّ النبي ﷺ لما خرج من مكة إلى الغار التفت إلى مكة، وقال: أنت أحبُّ بلاد الله إليَّ، ولولا أن أهلك أخرجوني لم أخرج منك، وأعدى الأعداء من عدا على الله فى حرمه، أو قتل غير قاتله، أو قتل بذحول (ثارات) الجاهلية، فأنزل الله سبحانه على نبيّه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ﴾».

٨٦١٦ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [محمد: ١٤]:

البيِّنة من الرب، بمعنى أن الهداية لا تكون إلا من الله وحده.

٨٦١٧ العمل السيئ هو في عين أصحابه عمل حسن جميل، والسبب: تزيين الشيطان لهم سيئ الأعمال.

٨٦١٨ ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [محمد: ١٥]:

هذا ليس وصف الجنة كما هي، ولكنه مثَل يقرِّب الله به الصورة إلى الأذهان بأشياء معروفة في حياتنا، فلا يمكن لعقول البشر أن تستوعب عن الجنة أكثر من المذكور، ولا توجد أسماء في الحياة تعبِّر عن حقيقة ما في الجنة.

٨٦١٩ عَجَزت اللغة عن التعبير عَمَّا في الجنة، فلما أراد الله أن يُعبِّر عَمَّا فيها؛ استعمل المثَل لا الوصف، فلا توجد ألفاظ في لغتنا تُؤدِّي معاني ما في الجنة.

٨٦٢٠ ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥]:

خاطبنا الله بما اعتدناه، فالماء يأسن أي يتغير، وماء الجنة غير آسِن، ويراد بذلك المستقبل أي لا يتغير أبدًا، واللبن في الدنيا يتغير طعمه، أي يحمض بطول المقام، وليس هذا في لبن الجنة.

وأنهار من خمر لذة للشاربين، لم تدنِّسها يد، ولا تكرهها نفس، وأنهار من عسل مصفى قال عنها ابن عباس: أي لم يخرج من بطون النحل.

٨٦٢١ ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]:

أنت على الخيار، بين نعيم الجنة أو لهيب النار، وليس لك غيرهما قرار، ولا منهما فرار، واختيارك يظهر اليوم بحسب ما تقضي به الأعمار من أعمال الأبرار أو أعمال الفجار.

٨٦٢٢ ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا﴾ [محمد: ١٥]:

ليسوا في هذا على الخيار بل يسقون بالإجبار، ومن يسقيهم هم ملائكة العذاب في النار، فهنا القهر النفسي مع الألم البدني.

٨٦٢٣ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [محمد: ١٦]:

قال قتادة في هؤلاء المنافقين: «الناس رجلان: رجل عقل عن الله فانتفع بما سمع، ورجل لم يعقل ولم ينتفع بما سمع».

٨٦٢٤ كان يقال: «الناس ثلاثة: فسامع عامل، وسامع عاقل، وسامع غافل تارك»، فانظر حالك مع القرآن لتعرف من أي الطوائف أنت.

٨٦٢٥ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ [محمد: ١٦]:

الاستماع هو أشد السمع وأقواه، أي يستمعون باهتمام، ويُظهِرون أنهم حريصون على فهم ما يقوله رسول الله ﷺ، لكن مع أنه سماع باهتمام لكنه مع إصرار على الإعراض وتعمد عدم الإيمان.

٨٦٢٦ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]:

من ثواب الهدى الهدى بعده؛ ولذا جاء في بعض الآثار: «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم».

٨٦٢٧ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]:

الربُّ شكور، طلبوا الهدىٰ فأعطاهم الله ما طلبوا وزيادة.

٨٦٢٨ ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٨]:

قرب الساعة له صورتان:

الأولى: أن وقت الساعة قريب قربًا نسبيًا بالنسبة إلى عمر هذا العالم، وهذه أشراطها الحوادث التي أخبر النبي ﷺ أنها تقع بين يدي الساعة.

والثانية: قرب الساعة بوقوع الموت، وهذه أشراطها الأمراض والشيخوخة.

٨٦٢٩ ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]:

سئل سفيان بن عيينة عن فضل العلم فقال:

ألم تسمع قوله حين بدأ به: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾، فأمر بالعمل بعد العلم، وقال: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ إلى

قوله: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾ [الحديد: ٢١ - ٢٠].

وقال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [الأنفال: ٢٨]، ثم قال بعدها: ﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾ [التغابن: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١]، ثم أمر بالعمل بعد».

٨٦٣٠ ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]:

ذكر القرطبي وجوها خمسة في استغفار النبي ﷺ:

الأول: يعني استغفر الله أن يقع منك ذنب.

الثاني: استغفر الله ليعصمك من الذنوب.

الثالث: أمره بالثبات على الإيمان، أي اثبت على ما أنت عليه من التوحيد والإخلاص والحذر عما تحتاج معه إلى استغفار.

الرابع: الخطاب له والمراد به الأمة.

الخامس: كان عليه السلام يضيق صدره من كفر الكفار والمنافقين، فنزلت هذه الآية.

٨٦٣١ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُۙ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٠]:

المؤمن شوق إلى الوحي، وحرص على الجهاد، والمنافق كراهية للوحي، وجبن عن اللقاء.

٨٦٣٢ ﴿فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾ [محمد: ٢١]:

الصدق لا يأتي إلا بخير.

٨٦٣٣ قال ابن القيم: «وَمن صدق الله فِي جَمِيع أُمُوره صنع الله له فَوق مَا يصنع لغيره».

٨٦٣٤ ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٢٢]:
قال ابن عاشور: «وفي الآية إشعار بأن الفساد في الأرض وقطيعة الأرحام من شعار أهل الكفر، فهما جُرْمان كبيران يجب على المؤمنين اجتنابهما».

٨٦٣٥ إن توليتم عن الجهاد ولم تقوموا به عمَّ الفساد الأرض وقُطِّعت الأرحام.

٨٦٣٦ قال قتادة: «كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله؟! ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطعوا الأرحام، وعصوا الرحمن؟».

٨٦٣٧ قال البقاعي: «وقد عُلِم من هذا أن من أمر بالمعروف وجاهد أهل المنكر أمِن الإفساد في الأرض وقطيعة الرحم، ومن تركه وقع فيهما».

٨٦٣٨ الخطاب هنا للمنافقين: إن كنتم توليتم عن الجهاد بذريعة أن فيه إفسادًا وقطع أرحام، لكون الكفار أقاربكم، فلا يُتوقَّع منكم إلا أن تفسدوا في الأرض بعدم معونة أهل الإسلام، فإن لم تعينوهم قطعتم ما بينكم وبينهم من أرحام.

٨٦٣٩ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٣]:
صمم الآذان عن الخير وعمى البصائر عن الحق ليست إلا عقوبات ربانية على السيئات كالإفساد وقطع الأرحام.

٨٦٤٠ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]:
قال ابن القيم:
«فلو رُفِعَت الأقفال عن القلوب لباشرتها حقائق القرآن، واستنارت فيها مصابيح الإيمان».

٨٦٤١ كان عبد الله بن مسعود ﷺ يقول: «ثَوِّروا القرآن». أي: استخرجوا منه كنوزه بالتدبُّر.

٨٦٤٢ قرأها قارئ عند عمر ﷺ، فقال شاب عنده: اللَّهم عليها أقفالها، وبيدك مفاتيحها لا يفتحها سواك، فأُعجب به عمر واستعان به.

٨٦٤٣ ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]:

ولم يقل: (أم على قلوبهم)، وأراد بذلك العموم، والمعنى: أي قلوب هؤلاء وقلوب أمثالهم، فأي عبد لا يستمع لكتاب الله، ولا يعيه، ولا يتدبره، فعلى قلب صاحبه قفل.

٨٦٤٤ ولم يقل: (أقفال)، وكأن كل قلب من قلوب هؤلاء المنافقين عليه قفل خاصٌّ يناسبه ويحكم إغلاقه.

٨٦٤٥ قيل لحكيم: ألا تعظ فلانًا، فقال: ذلك على قلبه قفل ضاع مفتاحه، فلا سبيل إلى معالجة فتحه.

٨٦٤٦ ما الفارق بين الران والطبع والقفل؟

قال مجاهد: «الران أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الإقفال، والإقفال أشد ذلك كله».

٨٦٤٧ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥]:

يزيِّن الشيطان للمتنكسين سوء أعمالهم، ويمدُّ في آجالهم وآمالهم، فلا يعاجَلون بعقوبة، فيستمرون في ضلالتهم.

٨٦٤٨ **من علامات الانتكاس!**

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

«من أحب أن يعلَم أصابتْه الفتنة أو لا: فلينظر، فإن رأى حلالًا كان يراه حراما، أو يرى حراما كان يراه حلالا، فليعلم أن قد أصابته».

٨٦٤٩ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٦]:

قال المنافقون ذلك لليهود، فالمنافقون دائمًا طابور خامس لأعداء الله ومنهم اليهود، ويطيعون أوامر اليهود في الكيد والتآمر على الإسلام وأهله.

٨٦٥٠ ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧]:

قال ابن عباس:

«لا يُتوَفَّى أحد على معصية إلا بضرب شديد لوجهه وقفاه».

٨٦٥١ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨]:

تضرب الملائكة وجوههم عقوبةً لهم على إقبالهم على ما يسخِط الله، ويضربون أدبارهم عقوبة لهم على إدبارهم عن رضوان الله، فالكاره للشيء هو في حقيقته مدبِرٌ عنه.

٨٦٥٢ من كراهية المنافقين لما أنزل الله:

- أنهم يكرهون انتشار الإسلام وعلوه.
- ويكرهون التزام الناس بتعاليمه وأحكامه.
- ويكرهون انتصار أتباعه؛ لأن انتصارهم انتصار للدين.

٨٦٥٣ كم من مُصَلٍّ صائم وهو كاره لبعض أحكام الشريعة، ولا يشعر أن ذلك محبط لعمله؛ مورد لهلاكه، فالحذر الحذر.

٨٦٥٤ ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ [محمد: ٢٩]:

قال عثمان رضي الله عنه: «ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله عز وجل على صفحات وجهه وفلتات لسانه»، وقال ابن عقيل في الفنون: وقلَّ أن يضمر مضمِرٌ شيئًا إلا وظهر مع الزمان على فلتات لسانه وصفحات وجهه».

٨٦٥٥ قال عثمان رضي الله عنه: «لو أنَّ عبدًا دخل بيتًا في جوف بيتٍ فأدمن هناك عملًا، أوشك الناس أن يتحدَّثوا به، وما من عاملٍ يعمل إلا كساه الله رداء عمله؛ إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًا فشرٌّ».

٨٦٥٦ ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]:

المنافق مفضوح بفلتات لسانه وزلات قلمه.

١٦٥٧ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]:

قال إبراهيم بن الأشعث: كان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية بكى وقال: اللّٰهم لا تبتلينا، فإنك إذا بلوتنا فضحتنا، وهتكت أستارنا.

١٦٥٨ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ [محمد: ٣١]:

لا بد للمحبوب من اختبار المحب، ولا بد مع كل قول من تمحيص الصدق، وإلا كثر المدَّعون، وتزاحم على الغنيمة المنافقون!

١٦٥٩ ﴿وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [محمد: ٣٢]:

جادِل من تشاء، وخالِف من تشاء، لكن حذارِ أن تخالف أمرًا ثابتًا عن رسول الله ﷺ، أو أن تسلك طريقًا حذَّرك منه، فلا أحد يسعى للنار بقدمه، أو يشتري حتفه بيده.

١٦٦٠ ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٣٢]:

أعداء الإسلام يحاربون الله لا المسلمين، فاطمئنوا، لن يضروا الله شيئًا؛ سيبطل كيدهم، ويحبط تدبيرهم.

١٦٦١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [محمد: ٣٣]:

ما حدود طاعة الرسول؟!

قال ابن عاشور: «فطاعة الرسول ﷺ التي أُمِروا بها هي امتثال ما أمر به ونهى عنه من أحكام الدين. وأما ما ليس داخلا تحت التشريع، فطاعة أمر الرسول ﷺ فيه طاعة انتصاح وأدب، ألا ترى أن بريرة لم تطع رسول الله ﷺ في مراجعة زوجها مغيث، لما علمت أنَّ أمره إياها ليس بعزم».

١٦٦٢ ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]:

سين: هل السيئات والكبائر تمحو الحسنات؟!

جيم: لا، بل الحسنات تمحو السيئات، وليس العكس، إلا أن تكون سيئة رياء أو مَنٍّ، فإنها تحبِط العمل، وتضيع أجره.

٨٦٦٣ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [محمد: ٣٤]:

بيان صريح أن الموت على الكفر يوجِب الخلود في النار.

٨٦٦٤ ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ [محمد: ٣٥]:

قال السيوطي: «قال الكيا: فيه دليل على منع مهادنة الكفار إلا عند الضرورة وتحريم ترك الجهاد إلا عند العجز».

٨٦٦٥ ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [محمد: ٣٥]:

قال ابن كثير:

«أي في حال علوكم على عدوكم، فأما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين، ورأى الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحة، فله أن يفعل ذلك، كما فعل رسول الله ﷺ حين صده كفار قريش عن مكة ودعوه إلى الصلح، ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين، فأجابهم ﷺ إلى ذلك».

٨٦٦٦ ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥]:

سبب علوكم هو استجلابكم معية ربكم، بطاعتكم له، وعدم مخالفة أمر نبيكم.

٨٦٦٧ ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥]:

قال صاحب الظلال:

«والله معكم، فلستم وحدكم، إنكم في صحبة العلي الجبار القادر القهار، وهو لكم نصير حاضر معكم، يدافع عنكم، فما يكون أعداؤكم هؤلاء والله معكم؟»

٨٦٦٨ ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥]:

وعدٌ من الله بتسديد أعمال عباده وتوفيقهم للنجاح فيها، فتعبير عدم وتر الأعمال أي عدم نقصانها فيه كناية عن التوفيق فيها.

٨٦٦٩ ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٦]:

الحياة الدنيا لعب ولهو حين لا يكون وراءها غاية سامية، وحين تعاش لمحض اللذة المنقطعة عن منهج الله، والإيمان والتقوى وحدهما يخرجان الدنيا عن هذا الوصف وهذا العبث.

٨٦٧٠ قال ابن عاشور:

«هذا تحذير من أن يحملهم حب لذائذ العيش على الزهادة في مقابلة العدو، ويتلو إلى مسالمته، فإن ذلك يغري العدو بهم».

٨٦٧١ ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكْكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ [محمد: ٣٧]:

لو سألكم كل أموالكم، لبخلتم بها، وظهرت أضغان قلوبكم بكراهية ما أمر الله به؛ لذا كان من لطفه ورحمته بعباده أن راعى الطبيعة البشرية وسايرها حين فرض التكاليف، وهو الأعلم بمن خلق، وهو اللطيف الخبير.

٨٦٧٢ ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ [محمد: ٣٨]:

كم مرة دُعيتَ فيها للإنفاق؟ فمرة أجبت، ومرات بخلت؟! وحينًا أقبلت، وأحيانًا كثيرة أعرضت، وما زال العرض ساريًا، والإعراض قائمًا.

٨٦٧٣ ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [محمد: ٣٨]:

ما تبذله اليوم إن هو إلا رصيد مدَّخر لك، ستجده في يوم أحوج ما تكون فيه إلى رصيد، يوم تُجَرَّد من كل ما تملك، فلا تجد إلا هذها الرصيد المذخور، فإذا بخلت اليوم بالبذل، فإنما تبخل عن نفسك، وتخصم من رصيدك، وتضن بالمال عن ذاتك، وتغلق باب العطاء في وجهك!

٨٦٧٤ ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]:

الفقير الصادق من شهد افتقاره إلى الله، ومن افتقر إلى الله استغنى بالله، ومن افتقر إلى غير الله وقع في الذُّلِّ والهوان.

٨٦٧٥ الله غنيٌّ عن طاعتكم، وأنتم الفقراء إلى رحمته، والله غنيٌّ لا يحتاج إليكم، وأنتم الفقراء ولا بديل لكم عنه.

٨٦٧٦ وبسبب فقركم يُحْسِن بعضُكم إلى بعض، وحتى الغني منكم فقير، ويحتاج لانتفاع بإحسانه عاجلًا أو آجلًا، فعاجلًا بتشوفه إلى الشكر والثناء، وآجلًا بطمعه في نيل ثواب الله وحسن الجزاء.

٨٦٧٧ ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨]:
سنة الاستبدال تنتظر كل من لم يبذل غاية ما يستطيع لإقامة الدين ونصرة رب العالمين.

٨٦٧٨ قال صاحب الظلال:
«إن الإيمان هبة ضخمة، لا يعدلها في هذا الوجود شيء، والحياة رخيصة، والمال زهيد زهيد، حين يوضع الإيمان في كفة، ويوضع في الكفة الأخرى كل ما عداه.. ومن ثم كان هذا الإنذار أهول ما يواجهه المؤمن، وهو يتلقاه من الله».



سورة الفتح

٨١٧٩ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]:

قال الزهري: «لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام في قلوبهم، أسلم في ثلاث سنين خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام».

٨١٨٠ الصلح هنا لون من ألوان الفتح. قال ابن كثير: «هو صلح الحديبية، فإنه حصل بسببه خير جزيل، وأمِن الناس، واجتمع بعضهم ببعض، وتكلم المؤمن مع الكافر، وانتشر العلم النافع والإيمان».

٨١٨١ **فتح مكة مكافأة!**

قال صاحب الظلال: «إنها جزاء الطمأنينة التامة لإلهام الله وتوجيهه، والاستسلام الراضي لإيحائه وإشارته، والتجرد المطلق من كل إرادة ذاتية، والثقة العميقة بالرعاية الحانية».

٨١٨٢ الفتح هنا باعتبار ما سيكون. قال الطاهر بن عاشور: «والجمهور على أن المراد في سورة الفتح هو صلح الحديبية، وجعلوا إطلاق اسم الفتح عليه مجازًا مرسلًا باعتبار أنه آل إلى فتح خيبر وفتح مكة، أو كان سببًا فيهما».

٨١٨٣ ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢]:

قال ابن كثير: «هذا من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه التي لا يشاركه فيها غيره، وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ، وهو صلوات الله وسلامه عليه في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو أكمل البشر على الإطلاق وسيدهم في الدنيا والآخرة».

١٦٨٤ ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح:٢]:

يثبتك على الصراط المستقيم حتى يقبضك عليه، ويزيدك كل يوم هداية على هداية، ويهدي بك الخلق إلى الحق.

١٦٨٥ ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح:٣]:

قال الرازي:

«بيَّن وجه النصر، وذلك لأن الله تعالى قد ينصر رسله بصيحة يهلك بها أعداءهم، أو رجفة تحكم عليهم بالفناء، أو جند يرسله من السماء، أو نصر وقوة وثبات قلب يرزق المؤمنين به، ليكون لهم بذلك الثواب الجزيل، فقال: هو الذي أنزل السكينة أي تحقيقًا للنصر».

١٦٨٦ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤]:

قال الرازي: «والسكينة: الثقة بوعد الله، والصبر على حكم الله، بل السكينة معين يجمع فوزًا وقوة وروحًا، يسكن إليه الخائف، ويتسلى به الحزين، وأثر هذه السكينة الوقار والخشوع وظهور الحزم في الأمور».

١٦٨٧ ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]:

أخذ العلماء من هذه الآية وأمثالها أن الإيمان يزيد وينقص. قال الإمام النووي وغيره: «إن الايمان بمعنى التصديق القلبي، يزيد وينقص أيضًا بكثرة النظر، ووضوح الأدلة».

١٦٨٨ ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:٥]:

قم بإعادة ضبط إعدادات روحك على الوضع الذي خلقها الله عليه، ليكون الفوز العظيم الوحيد الذي تعتد به: دخول الجنات ومغفرة السيئات.

١٦٨٩ ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [الفتح: ٦]:

قال ابن عاشور: «والابتداء بذكر المنافقين في التعذيب قبل المشركين لتنبيه المسلمين بأن كفر المنافقين خفي، فربما غفل المسلمون عن هذا الفريق أو نسوه».

٨١٤٠ **سر تقديم المنافقين على الكافرين!**

قال الرازي:

«واعلم أنه قدم المنافقين على المشركين في الذكر في كثير من المواضع، لأمور، **أحدها**: أنهم كانوا أشد على المؤمنين من الكافر المجاهر؛ لأن المؤمن كان يتوقى المشرك المجاهر، وكان يخالط المنافق لظنه بإيمانه، والمنافق على صورة الشيطان، فإنه لا يأتي الإنسان على أني عدوك، وإنما يأتيه على أني صديقك».

٨١٤١ ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ [الفتح: ٦]:

من ظن أن الله لن ينصر دينه ولن يكتب لجنده العاقبة وأنهم يُستأصلون، فهو داخل تحت مظلة هذه الآية، وقد توعَّده الله بأن ما ظنَّ وقوعه بالمؤمنين سيقع به ودائرٌ عليه.

٨١٤٢ وهذا عكس حال المؤمن! قال سيد قطب: «فالقلب المؤمن حسن الظن بربه، يتوقع منه الخير دائمًا، يتوقع منه الخير في السراء والضراء، ويؤمن بأن الله يريد به الخير في الحالين».

٨١٤٣ ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧]:

ينصركم بجنوده التي تملأ أرجاء السماوات والأرض، والتي لا يعلمها إلا هو، وهذا تهديدٌ لأعدائه وإيناسٌ لأوليائه.

٨١٤٤ لم كرَّر الله ذكر جنود السماوات والأرض؟! لأن الآية السابقة كانت عقب ذكر المشركين، وهذه الآية عقب ذكر المنافقين وسائر المشركين، والمراد في الموضعين التهديد الشديد، فلو أراد إهلاك المنافقين والمشركين لما أعجزه ذلك.

٨١٤٥ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الفتح:٨]:

شاهدًا على الخلق، ومبشرًا للمؤمنين، ونذيرًا للكافرين، وهي وظيفة أتباع الأنبياء؛ يقيمون الشهادة على الخلق، ويبشرونهم بالجنة، وينذرونهم من النار.

٨٦٩٦ ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩]:

قال سهل التستري: «أي تعظِّموه غاية التعظيم في قلوبكم، وتطيعوه بأبدانكم، ولهذا سُمِّي التعزير تعزيرًا لأنه أكبر التأديب».

٨٦٩٧ ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفتح: ٩]:

الهاء في قوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ للنبي ﷺ، وهنا وقف تام، ثم ابتدأ بقوله: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي: تسبِّحوا الله بكرة وأصيلا.

ولذا استحسن بعض القراء هذا الوقف، ومنهم ابن الجزري الذي قال: «لئلا يوهم اشتراك عود الضمائر على شيء واحد، فإن الضميرين الأول والثاني، عائدان على النبي ﷺ، والضمير الثالث عائد على الله عز وجل».

٨٦٩٨ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]:

محظوظون ومحروم واحد! روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله أنه سئل: كم كان عددكم يوم الحديبية؟ قال: كنا أربع عشرة مائة، فبايعنا الرسول ﷺ على أن لا نفر سوى الجد بن قيس فإنه اختفى تحت بطن بعيره، ولم يُسرِع مع القوم.

٨٦٩٩ ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]:

الضَّم في كلمة ﴿عَلَيْهِ﴾ أنسب مع أن الكسر هو ما يناسب السياق؛ لأنه يؤدي لتفخيم لفظ الجلالة؛ المناسب لتفخيم العهد مع الله، والهاء مرفوعة لرفع شأن هذه البيعة، وسبب ثانٍ أن الضمة هي أثقل الحركات، وهذا العهد أثقل العهود؛ لأنه عهد على الموت وعدم الفرار؛ فجاء أثقل الحركات مع أثقل العهود.

٨٧٠٠ ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفتح: ١١]:

مهما كانت ارتباطاتك، فلا يشغلك عن ذكر الله شيء، فإن هذا علامة شؤم وحرمان وطرد وخذلان!

٨٧٠١ ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفتح:١٢]:

قال ابن القيم: «وقد فُسِّر هذا الظن الذي لا يليق بالله سبحانه بأنه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وأنّه يُسْلِمُه للقتل، وقد فُسِّرَ بظنِّهم أن ما أصابهم لم يكن بقضاء الله وقدره ولا حكمة له فيه».

٨٧٠٢ ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح:١٣]:

عدم الإيمان برسول الله سبب دخول النار!

عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، لا يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسِلْتُ به، إلا كان من أصحاب النار».

صحيح الجامع رقم: ٧٠٦٣.

٨٧٠٣ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفتح:١٤]:

سبحانه! متفرِّد بملك السماوات والأرض، يتصرف فيهما بما يشاء من الأحكام القدرية، فلا يقع فيهما إلا ما قدَّر، والأحكام الشرعية بتقرير الحلال والحرام، ثم الأحكام الجزائية المترتبة على أحكامه الشرعية بالثواب والعذاب.

٨٧٠٤ أي هو غني عن عباده، فما خلقهم ليستكثر بهم من قلة، ولا ليستغني بهم من حاجة، وإنما ابتلاهم بالتكليف؛ ليثيب من آمن، ويعاقب من عصى.

٨٧٠٥ ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]:

قال ابن جزي:

«أي يريدون أن يبدِّلوا وعد الله لأهل الحديبية، وذلك أن الله وعدهم أن يعوِّضهم من غنيمة مكة غنيمةَ خيبر وفتحها، وأن يكون ذلك مختصًا بهم

دون غيرهم، وأراد المخلَّفون أن يشاركوهم في ذلك، فهذا هو ما أرادوا من التبديل».

﴿٨٧٠٦﴾ ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح: ١٥]:

فسيقولون بعد أن منعتهم من الخروج معك إلى خيبر، تنفيذا لحكم الله: إنما تمنعوننا من الخروج لأنكم تحسدوننا، وتريدون حرماننا من نصيبنا في الغنيمة، والله لم يأمركم بهذا.

﴿٨٧٠٧﴾ ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦]:

والقوم هم قبائل هوازن وثقيف الذين التقى بهم المسلمون في حنين بعد فتح مكة، وهذه الآية طمأنة للمخلَّفين بأنهم سينالون مغانم في غزوات آتية ليعلموا أن حرمانهم من الخروج إلى خيبر حرمان خاص بواقعة معينة، ووعدهم الله بالعوِض ليزيل عنهم آلام الانكسار من جراء الحرمان، وقد تحقق ذلك العوض حين خرجوا إلى حنين، وحسن إسلام كثير منهم.

﴿٨٧٠٨﴾ ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الفتح:١٧]:

هذه الأعذار مقبولة للتخلف عن الجهاد في سبيل الله، يبسطها الله رحمة بعباده وتخفيفًا عنهم.

﴿٨٧٠٩﴾ ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح:١٧]:

السعادة كل السعادة في الدنيا والآخرة طاعة الله، والشقاء كل الشقاء في عصيانه ومخالفة أمره.

﴿٨٧١٠﴾ ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ١٨]:

لو علم الله في قلبك رضا وتسليمًا ويقينًا، لأفاض عليك من وابل سكينته ما يكفيك، ويفيض على من حولك.

١١٧ إذا رضي الله عما في قلبك، فكل عسير إلى يسر، وكل عدو سيُهزم، وما ظاهره الشر سينقلب حتمًا -عاجلًا أو آجلًا- إلى خير.

١١٨ ﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٩]:

قال ابن جزي: «يعني: فتح خيبر، وقيل: فتح مكة، والأول أشهر، أي جعل الله ذلك ثوابا لهم على بيعة الرضوان، زيادة على ثواب الآخرة».

١١٩ ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ [الفتح: ٢٠]:

كفَّ عنكم مشركي قريش ومنعهم من حربكم، بأن قذف في قلوبهم الرعب منكم، وكان هذا نصرًا وفتحًا بدليل قول رسول الله ﷺ: «**أي والذي نفسي بيده، إنه لفتح**».

١٢٠ ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح: ٢١]:

أرجح الأقوال أنه فتح مكة؛ لأنه ترتب على نقض المشركين لصلح الحديبية، وتمَّ دون قتال يُذكَر، وسلَّم الله مكة للمسلمين بأقل أنواع القتال، وهذا دليل قدرته سبحانه.

١٢١ ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الفتح:٢٢]:

كان مقتضى السياق الإتيان بضمير الناس بأن يقال: ولو قاتلوكم، لكنه عدل عنه إلى (الذين كفروا)، للإشارة إلى أن الكفر هو سبب تولية الأدبار في قتالهم للمسلمين، وتمهيدًا لقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾.

١٢٢ دفع الضرر عن الشخص إما أن يكون بولي ينفع باللطف، أو بنصير يدفع بالعنف، وليس للذين كفروا شيء من هذا ولا ذاك.

١٢٣ ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح:٢٣]:

كمال النصر بحسب الأخذ بالأسباب المادية، والأسباب الإيمانية؛ ولذلك كان هذا الوعد غالبًا لرسول الله ومن معه، فكان النصر تامًا كما كان يوم

بدر، ويكون سجالا كما في غزوة أحد، ويكون لمن بعد رسول الله ﷺ من جيوش المسلمين على حسب تمسكهم بوصايا الرسول ﷺ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح:٢٤]:

أخرج الإمام مسلم وغيره عن أنس قال: «لما كان يوم الحديبية، هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلًا من أهل مكة في السلاح، من قبل جبل التنعيم، يريدون غرة رسول الله ﷺ فدعا عليهم، فأخذوا فعفا عنهم، فنزلت هذه الآية».

﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ ، ولم يقل: (من بعد أن نصركم عليهم)؛ لأن الظَّفَر هو الفوز بالمطلوب، فلا يقتضي وجود قتال، فالظَّفَر أعم من النصر، أي من بعد أن أنالكم ما فيه نفعكم، وهو هدنة الصلح، وأن تعودوا إلى العمرة في العام القابل.

﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ [الفتح: ٢٥]:

أي الهدي محبوسًا أن يبلغ مكان نحره، وكان الهدي سبعين بَدَنة، وجعل الله الحديبية محل النحر، ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله: «نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة».

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الفتح: ٢٥]:

كانوا تسعة نفر: سبعة رجال وامرأتين، كانوا في مكة بين كفارها يكتمون إسلامهم، والوطء الدَّوس، والمراد به الإهلاك، والمعرَّة هي المكروه والأذى، والمراد بالمعرَّة هنا: تعيير الكفار للمؤمنين بقولهم: لقد قتلتم من على دينكم، والمعنى: لولا كراهة أن تقتلوا أناسًا مؤمنين موجودين في مكة بين كفارها، لسلَّطكم الله على مشركي مكة فقتلتموهم.

﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥]:

لو تميز هؤلاء المؤمنون والمؤمنات الذين يعيشون في مكة عن كفارها وفارقوهم وخرجوا منها، لعذَّبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما، فالمؤمنون هم سبب وقاية أهل مكة من العذاب.

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦]:

وكانت حميتهم أنهم لم يقرّوا أنه نبيّ، ولم يقرّوا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بين المسلمين وبين البيت.

كل حمية بغير حجة هي حمية جاهلية، ومحض تعصب، وقد برزت هنا؛ فقد كان المشركون يقولون: قتل محمد آباءنا وإخواننا، ثم يدخل علينا في منازلنا! والنبي ﷺ جاء معظِّمًا للبيت لا محاربًا.

شرح الشاعر القديم حمية الجاهلية في قوله:

وهل أنا إلا من غزية إن غوَتْ غويتُ وإنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦]:

لا سلطان لأحد على القلوب إلا الله، فهو وحده من يملك أن يُنزِل في قلبك السكينة أو ينزعها، وأن يبث فيه الطمأنينة أو يحرِمك.

الله وحده هو الذي عصم عباده من مقابلة الحمية بالغضب والانتقام، فكان التعقل منهم والتثبت، وجاء من ورائه الخير العميم.

الآية دليل على فضل السكينة على الحمية؛ وشرف التثبت على التسرع، ولاحظ إضافة الحمية إلى الجاهلية مع ما فيه من الحط والتحقير، وإضافة السكينة إلى الله (سكينته) مع ما فيه من الشرف العظيم.

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح:٢٦]:

كان الصحابة أحق بكلمة التوحيد من كفار مكة؛ لأن الله اختارهم لدينه وصحبة نبيه، وكان الله بكل شيء عليمًا.

٨٧٣٠ ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ٢٧]:

قال الآلوسي: «وفيه تعريض بأن وقوع الدخول من مشيئته تعالى لا من جلادتهم وتدبيرهم».

٨٧٣١ ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الفتح:٢٨]:

قال الحسن: «شهد على نفسه أنه سيظهر دينك».

٨٧٣٢ قال ابن القيم: «فيظهره ظهورين: ظهورًا بالحجة والبيان والدلالة، وظهورًا بالنظر والغلبة والتأييد، حتى يظهر على مخالفيه ويكون منصورًا».

٨٧٣٣ ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾[الفتح: ٢٩]:

قال أبو عروة: كنا عند مالك، فذكروا رجلًا ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ، فقرأ مالك هذه الآية: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح: ٢٩] حتى بلغ: ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]، فقال مالك: «من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته الآية».

٨٧٣٤ ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]:

السيما العلامة، فأثر الخشوع واضح في نور الوجه وحسن السمت، وهذا لا يكون إلا بالإخلاص والمداومة والكثرة.

٨٧٣٥ متى تطيل السجود؟

قال أبو سليمان الداراني: «إذا لذَّت لك القراءة، فلا تركع ولا تسجد، وإذا لذَّ لك السجود فلا تركع ولا تقرأ، الأمر الذي يُفتَح لك فيه فالزمْه».

٨٧٣٦ ﴿وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩]:

قال قتادة: «هذا مثل أصحاب محمد ﷺ في الإنجيل، قيل لهم: إنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، منهم قوم يأمرون بالمعروف، وينهوْن عن المنكر».

﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾[الفتح: ٢٩]:

بشارة إلهية!

قال ابن عاشور: «وهذا يتضمن نماء الإيمان في قلوبهم وبأنهم يدعون الناس إلى الدين حتى يكثر المؤمنون كما تنبت الحبة مائة سنبلة وكما تنبت من النواة الشجرة العظيمة».



سورة الحجرات

٨٧٣٨ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]:

قال السعدي: «وفي هذا النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول ﷺ، على قوله، فإنه متى استبانت سنة رسول الله ﷺ، وجب اتباعها، وتقديمها على غيرها، كائنا ما كان».

٨٧٣٩ قال الإمام الفخر الرازي:«واعلم أن بقدر تقديمك للنبي عليه الصلاة والسلام على نفسك في الدنيا، يكون تقديم النبي عليه الصلاة والسلام إياك في العقبى».

٨٧٤٠ ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]:

قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمِّر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمِّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فأنزل الله هذه الآية.

٨٧٤١ ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]:

نزلت في أبي بكر وعمر وهما المبشَّران بالجنة، فكيف بمن سواهما؟!

٨٧٤٢ ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]:

لما نزلت هذه الآية بكى ثابت بن قيس، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أنا صيِّت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فيَّ، فقال له ﷺ: «**أما ترضى أن تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا وتدخل الجنة؟**» قال: رضيت، ولا أرفع صوتي أبدًا على صوت رسول الله ﷺ، ومات بعدها شهيدًا.

٨٧٤٣ قيل: نزلت في الأقرع بن حابس، حين نادى رسول الله ﷺ يومًا من وراء الحجرات، فلم يجبه رسول الله ﷺ، فقال الأقرع:
«إنَّ حَمدي زَيْنٌ، وإنَّ ذَمِّي شَيْنٌ»، فقال له ﷺ: «**ذاك اللهُ عز وجل**»، وفي رواية: «**كذَبتَ.. ذاك الله**»، أي: هو سبحانه الذي مدحه جميل وذمُّه قبيح، فإذا مدحك الله ارتفع قدرك، ولو سخط عليك الناس، وإذا ذمَّك الله، فلست جميلًا ولو أثنى عليك كل الخلق.

٨٧٤٤ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات: ٣]:
الامتحان: التجربة والاختبار، أي مرَّن الله قلوبهم للتقوى، وهي كناية عن صبرهم على التقوى وثباتهم عليها.

٨٧٤٥ قال الآلوسي: «أو المراد ضرَب الله تعالى قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الشاقة لأجل التقوى، أي لتظهر ويُعلَم أنهم متقون، إذ لا تُعلَم حقيقة التقوى إلا عند المحن، والاصطبار عليها، وعلى هذا فالامتحان هو الضَّرْب بالمحن».

٨٧٤٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤]:
قال السعدي: « أدب العبد عنوان عقله، وأن الله مريدٌ به خيرا».

٨٧٤٧ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:٥]:
أدب مع النبوة وورثة النبوة! قال صاحب الكشاف: «يحكى عن أبي عبيد – العالم الزاهد الثقة– أنه قال: ما دققت باب عالم قط، حتى يخرج في وقت خروجه».

٨٧٤٨ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]:
نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعثه النبي ﷺ ليقبض الزكاة من الحارث بن أبي ضرار الخزاعي، فرجع من منتصف الطريق وأتى رسول الله

ﷺ قائلًا له: إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي، وكان كاذبا، فنزل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ..﴾.

٨٧٤٩ ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]:

وفي قراءة (فتثبَّتوا)، فلا يترك أحدٌ التثبت من الأخبار إلا نَدِم.

٨٧٥٠ في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**كفى بالمرء كذبًا أن يُحدِّث بكل ما سمع**»، وفي حديث المغيرة بن شعبة المتفق عليه: «**وكرِه لكم قيل وقال**،... ».

٨٧٥١ ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ [الحجرات: ٧]:

لنالكم عنت، أي شدَّة ومشقة في كثير من الأمور بطاعته إياكم لو أطاعكم، كما لو قبل من الوليد بن عقبة قوله في بني المصطلق: إنهم قد ارتدّوا، ومنعوا الصدقة، وجمعوا الجموع لغزو المسلمين، فغزاهم فقتل منهم، وأصاب من دمائهم وأموالهم، لكان قد قتل وقتلتم منهم من لا يحل له ولا لكم قتله، فنالكم من الله بذلك عنت.

٨٧٥٢ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ [الحجرات: ٧]:

تعريضٌ لطيف بأن الذين لا يطيعون الرسول ﷺ فيهم بقية من الكفر والفسوق والعصيان.

٨٧٥٣ ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الحجرات:٨]:

حب الإيمان وكراهية العصيان فضلٌ من الله لا فضلٌ منكم، ونعمة منه سبحانه غير متعلقة بتقواكم أو صلاحكم.

٨٧٥٤ قال صاحب الظلال:

«واختيار الله لفريق من عباده، ليشرح صدورهم للإيمان، ويحرِّك قلوبهم إليه، ويزيِّنه لهم فتهفو إليه أرواحهم، وتدرك ما فيه من جمال وخير..هذا

الاختيار فضل من الله ونعمة، دونها كل فضل وكل نعمة، حتى نعمة الوجود والحياة أصلًا، تبدو في حقيقتها أقل من نعمة الإيمان وأدنى».

٨٧٥٥ ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾[الحجرات:٩]:

التعبير بقوله: ﴿وَإِن﴾ للإشعار بأنه لا يصح أن يقع قتال بين المؤمنين، فإن وقع فعلى سبيل الندرة، فعلى المسلمين أن يعملوا بكل وسيلة على إزالته.

٨٧٥٦ سئل الحسن البصري عن القتال بين الصحابة فقال: «شهد أصحاب محمد وغِبْنا، وعلِموا وجَهِلْنا».

٨٧٥٧ ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾[الحجرات:٩]:

في هذه الآية والتي قبلها دليل على أن البغي لا يزيل اسم الإيمان؛ لأن الله تعالى سماهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين. قال الحارث الأعور: «سئل علي ابن أبي طالب ﷺ عن قتال أهل البغي من أهل الجمل وصفين: أمشركون هم؟ قال: لا، من الشرك فروا. فقيل: أمنافقون؟ قال: لا؛ لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا. قيل له: فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا».

٨٧٥٨ ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩]:

عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «**المقسِطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور على يمين العرش، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما وُلُّوا**». صحيح الجامع رقم: ١٩٥٣.

٨٧٥٩ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:٩]:

قال أبو عثمان البصري: «أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب».

٨٧٦٠ على قدر الإيمان تكون الأخوة؛ ولذا قال ﷺ: «**ما تحاب اثنان في الله تعالى إلا كان أفضلهما أشدهما حبًّا لصاحبه**». صحيح الجامع رقم: ٥٥٩٤.

٨٧٦١ ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠]:

ما أجمل هذا الحديث:

«**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ إصلاح ذات البَيْن، فإن فساد ذات البَيْن هي الحالقة**». صحيح الجامع رقم: ٢٥٩٥.

٨٧٦٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١]:

قال عبد الله بن مسعود: «البلاء موكَّل بالقول، لو سَخِرْتُ من كلب لخشيتُ أن أُحوَّل كلبًا».

٨٧٦٣ قال ابن زيد: «لا يسخر من سَتَر الله عليه ذنوبه ممن كشفه الله، فلعل إظهار ذنوبه في الدنيا خيرٌ له في الآخرة».

٨٧٦٤ قال القرطبي: «وبالجملة، فينبغي ألا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن يقتحمه بعينه إذا رآه رثَّ الحال، أو ذا عاهة في بدنه، أو غير لبِق في محادثته، فلعله أخلص ضميرًا، وأنقى قلبًا ممن هو على ضد صفته، فيظلم نفسه بتحقير من وقَّره الله، والاستهزاء بمن عظَّمه الله».

٨٧٦٥ ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]:

الناس بموجب هذه الآية فريقان: تائب وظالم، ولا ثالث لهما.

٨٧٦٦ ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات:١١]

ولم يقل: (ولا تلمزوا إخوانكم)؛ لبيان أن الإنسان إذا لمز أخاه فقد لمز نفسه، ولأن الصفة التي يلمز بها غيره يمكن أن تكون فيه صفة مثلها أو أشد، فعندك عورات وللناس ألسن.

٨٧٦٧ ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات: ١١]:

قال ابن عباس: «التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب منها وراجع الحق، فنهى الله تعالى أن يُعيَّر بما سلف من عمله».

٨٧٦٨ ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢]:

قال الآلوسي: «ويُشترَط في حرمة هذا أن يكون المظنون به ممن شوهد منه التستر والصلاح وأونِست منه الأمانة، وأما من يتعاطى الرِّيَب والمجاهرة بالخبائث، كالدخول والخروج إلى حانات الخمر وصحبة الغواني الفاجرات وإدمان النظر إلى المُرْد، فلا يحرم ظن السوء فيه».

٨٧٦٩ قال حجة الإسلام الغزالي في (الإحياء) في بيان تحريم الغيبة بالقلب:

«اعلم أن سوء الظن حرام، مثل سوء القول، فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوئ الغير، فليس لك أن تحدِّث نفسك، وتسيء الظن بأخيك، وسبب تحريمه: أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب، فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءا إلا إذا انكشفت لك بعيان لا يقبل التأويل».

٨٧٧٠ ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحجرات: ١٢]:

وقرأ الحسن وابن سيرين ﴿ولا تَحَسَّسُوا﴾، قيل: التجسس بالجيم: تتبع الظواهر، وبالحاء تتبع البواطن.

٨٧٧١ ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]:

قال ﷺ: «**أتدرون ما الغيبة؟**

قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **ذكرك أخاك بما يكره** قيل: أفرأيت لو كان في أخي ما أقول، قال: **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتَّه**».

٨٧٧٢ مرَّ النبي ﷺ بقبرين، فقال: «**إنهما ليعذَّبان وما يعذَّبان في كبير؛ أما أحدهما فيعذَّب في البول، وأما الآخر فيعذَّب في الغيبة**»؛ ولذا قال قتادة: «ذُكِر لنا أنَّ عذاب القبر ثلاثة أثلاث: ثلث من الغيبة، وثلث من النميمة، وثلث من البول».

٨٧٧٣ قال الغزالي: «والغيبة هي الصاعقة المهلكة للطاعات، ومَثَل من يغتاب كمن ينصب منجنيقًا، فهو يرمي به حسناته شرقًا وغربًا ويمينًا وشمالًا!».

٨٧٧٤ كان عمر بن عبد العزيز إذا ذُكِرَ عنده رجل بفضل أو صلاح. قال: كيف هو إذا ذُكِرَ عنده إخوانه؟ فإن قالوا: إنَّه يتنقَّصُهم، وينال منهم، قال عمر: ليس هو كما تقولون.

٨٧٧٥ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا، فقال ﷺ: «**لقد قلتِ كلمة لو مُزِجَتْ بماء البحر لمزجته**».

ومعنى مزَجَتْه أي خالطته مخالطةً يتغيَّر بها طعم البحر كله أو ريحه لشدة قُبحِها!

٨٧٧٦ ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]:

قال الآلوسي: «جاء الأمر أولًا باجتناب الطريق التي لا تؤدي إلى العلم وهو الظن، ثم نهى ثانيًا عن طلب تحقيق ذلك الظن ليصير علما بقوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾، ثم نهى ثالثًا عن ذِكْر ذلك إذا عُلِم، فهذه أمور ثلاثة مترتبة، ظنٌّ، فعلم بالتجسس، فاغتياب».

٨٧٧٧ ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]:

قال مقاتل: «فيه وجهان: أحدهما: يعني ظن السوء. الثاني: أن يتكلم بما ظنه فيكون إثمًا، فإن لم يتكلم به لم يكن إثمًا».

٨٧٧٨ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣]:

قال الآلوسي: «أي خلقناكم من آدم وحواء، فالكل سواء في ذلك، فلا وجه للتفاخر بالنسب، كما قال الشاعر:

الناس في عالم التمثيل أكفاء ... أبوهم آدم والأم حواء»

٨٧٧٩ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣]:

روى البخاري عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أكرم؟ قال:

«أكرمهم أتقاهم».

قالوا: ليس عن هذا نسألك.

قال: «فأكرم الناس يوسف نبي الله، ابن خليل الله».

قالوا: ليس عن هذا نسألك.

قال: «فعن معادن العرب تسألوني؟».

قالوا: نعم.

قال: «**فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا**». صحيح البخاري رقم: ٣٣٧٤.

٨٧٨٠ أكرمكم عند الله ليس أجملكم!

قال ابن القيم:

«يوسف عليه السلام حُبس بسبب حُسن وجهه وجمال صورته، ولما ظهر حسن صورة علمه وجمال معرفته أُطلِق من الحبس، ومُكِّن في الأرض، فدلّ على أن صورة العلم عند بني آدم أبهى وأحسن من الصورة الحسية، ولو كانت أجمل صورة».

٨٧٨١ انظر كيف دافعت الصحفية الشهيرة المهتدية إلى الإسلام (إيفون ريدلي) عن الحجاب:

«التفوق في الإسلام يتحقَّق بالتقوى، لا الجمال، ولا الثروة، ولا القوة، ولا المقام، ولا الجنس، قولي لي الآن: أيهما أكثر نزوعا للتحرير؛ أن يحكم عليك تبعًا لطول تنورتك وحجم صدرك الذي كبَّرتَه بعملية تجميل، أو أن يُحكَم عليك تبعًا لشخصيتك وعقلك وذكائك؟ تخبرنا المجلات الناعمة نحن كنساء أننا إن لم نكن طويلات ونحيلات وجميلات، فسنكون غير محبوبات ولا مرغوب فينا».

٨٧٨٢ ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحجرات:١٤]:

قال القرطبي:

«نزلت في أعراب من بني أسد بن خزيمة، قدموا على رسول الله ﷺ في سنة جدبة، وأظهروا الشهادتين، ولم يكونوا مؤمنين في السر، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات، وأغلوا أسعارها، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أتيناك بالأثقال والعيال، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأعطِنا من الصدقة، وجعلوا يمنون عليه، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية».

٨٧٨٣ قال ابن كثير:

«وقد استفيد من هذه الآية الكريمة: أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويدل عليه حديث جبريل عليه السلام، حين سأل عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص، ثم للأخص منه».

٨٧٨٤ ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٤]:

أي لا ينقصكم من أجور أعمالكم شيئًا، والرسالة: إن أتيتم بما يليق بضعفكم وتقصيركم من الطاعات، فالله سيؤتيكم ما يليق بجوده وكرمه من الحسنات.

٨٧٨٥ ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥]:

للإيمان شروط وعلامات، ويترتب عليه تبعات وتكليفات، فليس الإيمان بالتمنيات، ولا بالادعاءات.

٨٧٨٦ علامة صدق الإيمان وعدم الارتياب: الإقدام على الجهاد والأعمال الصالحة، فما علامة إيمانك؟!

٨٧٨٧ ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١٦]:

والتعليم مبالغة في إيصال العلم إلى المعلَّم؛ يقال: أعْلَمَه وعلَّمه كما يقال: أنباء ونَبَّأه، وهذا يفيد أنهم تكلفوا في الاستدلال على صدق إيمانهم ليقنعوا به رسول الله ﷺ الذي أبلغهم أن الله نفى عنهم رسوخ الإيمان.

٨٧٨٨ ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم﴾ [الحجرات:١٧]:

سمع محمد بن سيرين رجلًا يقول لرجل: وفعَلتُ إليك وفعَلتُ! فقال له: اسْكُتْ.. فلَا خير في المعروف، إذا أُحصِي.

٨٧٨٩ ممن يقع المَنُّ بالعمل؟! قال القرطبي: «المنُّ يقع غالبًا من البخيل والمعجَب، فالبخيل تعظم في نفسه العطية، وإن كانت حقيرة في نفسها، والمُعجَب يحمله العُجْب على النظر لنفسه بعين العظمة، وأنه مُنعِم بماله على المُعْطَى، وموجب ذلك كله الجهل، ونسيان نعمة الله فيما أنعم به عليه».

٨٧٩٠ **مَنُّ العبد بعمله عقبة في طريق الجنة!**

في الحديث: «**لا يدخل الجنة مَنّان، ولا عاقٌّ، ولا مُدمِن خمر**». صحيح الجامع رقم: ٧٦٧٦.

٨٧٩١ قال ابن القيم: «فإن المعطي قد تولى الله ثوابه، وردَّ عليه أضعاف ما أعطَى، فبقي عِوَض ما أعطى عند الله، فأيُّ حقٍّ بقي له عند الآخذ؟ فإذا امتَنَّ عليه، فقد ظَلَمه ظلمًا بيِّنًا».

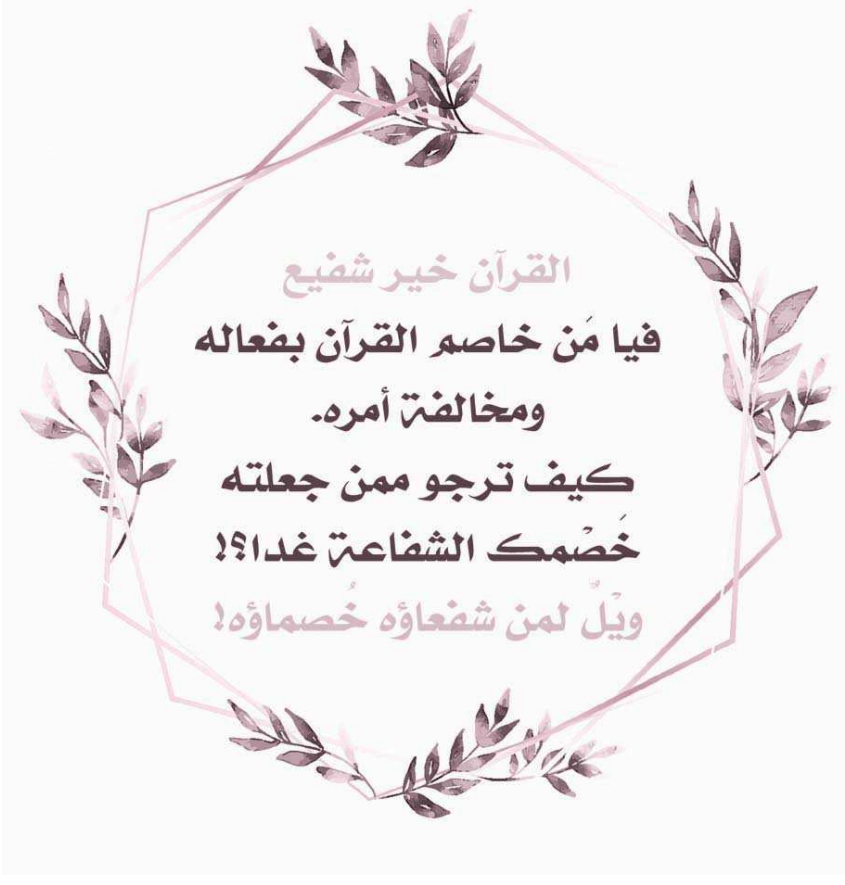
٨٧٩٢ ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧]:

عن أنس رضي الله عنه أنَّه كان مع رسول الله ﷺ جالسًا ورجل يصلِّي، ثم دعا: اللَّهم إني أسألك بأنَّ لك الحمد، لا إله إلا أنت المنَّان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: «**لقد دعا اللهَ باسمِه العظيم، الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أَعطى**». صحيح سنن أبي داود رقم: ١٣٤٢.

١٧٤٣ اختص الله لنفسه بالمَنِّ، وجعله صفة لنفسه (المنّان)، فامتنان العباد تكدير وتعيير، وامتنان الله إنعام وتذكير.

١٧٤٤ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحجرات:١٨]:

الله لا يخفى عليه أسراركم، ولا أعمال قلوبكم، ومستقبلكم لديه مثل ماضيكم، ونياتكم كتاب مفتوح أمام علمه.



سورة ق

﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق: ١]:

عن أم هشام بنت حارثة قالت: ما أخذت ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ إلا على لسان رسول الله ﷺ، كان يقرؤها كل يوم جمعة إذا خطب الناس. قال ابن كثير: «والقصد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار، كالعيد والجمع، لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور، والمعاد والقيام، والحساب، والجنة والنار، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب».

قال الرازي:

«هذه السورة تُقرأ في صلاة العيد، لقوله تعالى فيها ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾ [ق: ١١]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ﴾ [ق: ٤٤]، فإن العيد يوم الزينة، فينبغي أن لا ينسى الإنسان خروجه إلى عرصات الحساب، ولا يكون في ذلك اليوم فرحًا فخورًا، ولا يرتكب فسقا ولا فجورا».

﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: ٢]:

جُبِلُوا عَلَى الْكُفْرِ؛ فلذا تعَجَّبوا مما لا عجب منه، ولا شك أن الكفر يطمس فطرة العبد، فيحوِّل الطبيعي شاذًّا، ويقلب الشاذَّ طبيعيًّا!

﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ [ق: ٣]:

من الغباء أن يقارن أحدٌ عجزه بالعظمة الإلهية!

﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾ [ق: ٤]:

هل تعلم أن الله يعلم ما تأكل الأرض من أجساد الأموات كل يوم، وأن هذا العلم الإلهي مسجَّل في بيانات كتاب محفوظ، حفظ الله ما فيه مما يعتري كتب البشر من المحو والتغيير والزيادة والشطب، فعلم الله أسمى من كل علم.

٨٨٠٠ ﴿فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٖ﴾ [ق: ٥]:
قال قتادة: «في هذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره، والتبس عليه دينه».

٨٨٠١ ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ﴾ [ق:٦]:
سائل نفسك: كم مرة نظرت إلى السماء متأملاً؟ وفي عظمتها متفكِّرًا؟ هل وجدت فيها يومًا عيبًا أو خللًا؟ هل رأيت فيها صدعًا أو شقًا؟!.

٨٨٠٢ يتفاوت الناس في إدراك ما في خلق الكواكب والشمس والقمر ونظامها من دلائل وآيات على مقدار تفاوت علومهم وعقولهم، ويتفاوتون كذلك بحسب قوة إيمانهم ويقينهم.

٨٨٠٣ ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ [ق:٧]:
ولولا الأرض الممتدة ما سار على سطحها أحد من الخلق، ولولا الجبال لاضطربت الأرض، ولولا النبات من كل زوج لما ابتهج القلب، ولولا الله ما كان شيء من هذا.

٨٨٠٤ ﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ [ق:٨]:
كلما أبصرها العبد تذكر بها ما ينفعه في دينه ودنياه.

٨٨٠٥ توجيه إلى التفكر في بدائع صنع الله سبحانه؟ ليقودك هذا الفكر في المصنوعات إلى خالق الكائنات.

٨٨٠٦ لست معصوما، بل قد تنحرف أو تنشغل، لكن سرعان ما تنتبه، لترجع إلى ما كنت عليه من الاستقامة، فهذا المذنب التائب سيبصر ويتذكر إذا ما ذُكِّر.

٨٨٠٧ ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ [ق:٩]:
قال صاحب الظلال:
«والماء النازل من السماء آية تحيي موات القلوب قبل أن تحيي موات الأرض. فهل أحيت قلبك كما أحيت الأرض الميتة؟!».

٨٨٠٨ ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ [ق:١٠]:

خاطب الناس بما يشاهدون حولهم ويعاينون، ولفت أنظارهم إلى ما اعتادوه من آيات، فقد غفلوا عما فيها من المعجزات.

٨٨٠٩ ﴿رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾ [ق:١١]:

رزقا مطلقا لأن الرزق حصل لكل أحد، غير أن المنيب يأكل ذاكرا شاكرا للإنعام، وغيره يأكل كما تأكل الأنعام.

٨٨١٠ ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ [ق:١٢]:

قال أبو جعفر: «والصواب من القول في ذلك، قول من قال: هم قوم كانوا على بئر، وذلك أن الرَّسَّ في كلام العرب: كلُّ محفور مثل البئر والقبر ونحو ذلك».

٨٨١١ ﴿وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ١٣ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق:١٣-١٤]:

تُبَّع كل ملك ملك اليمن في الزمان السابق قبل الإسلام، فقوم تبع كذبوا الرسول، الذي أرسله الله إليهم، ولم يخبرنا الله من هو ذلك الرسول، وأي تبع من التبابعة؛ لأنه -والله أعلم- كان مشهورًا عند العرب لكونهم من العرب العرباء، الذين لا تخفى ماجرياتهم على العرب خصوصًا مثل هذه الحادثة العظيمة. ذكره السعدي

٨٨١٢ لستم أيها المكذبون لمحمد ﷺ، خيرًا من هذه الأمم، ولا رسلهم أكرم على الله من رسولكم، فأنتم جميعًا في اختبار واحد، وتحكمكم سنة واحدة.

٨٨١٣ ﴿كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق:١٤]:

مرتكب نفس الذنب يستحق نفس العقوبة! احذروا أن تصيبوا نفس جرمهم، لئلا يصيبكم ما أصابهم.

٨٨١٤ من كذَّب رسولًا واحدًا، فكأنما كذَّب جميع الرسل؛ لأن رسالتهم واحدة.

٨٨١٥ ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾: فحق وعيدي على كل من كذَّب رسلي وخالف أمري، فليحذر من بلغته هذه الأخبار من عاقبة هذا الإنذار، فعقوبتي حرمان من جنة مع تصلية نار.

٨٨١٦ ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق:١٥]:
ويح المكذبين! أفعجزنا عن ابتداء الخلق حتى نعجز عن الإعادة؟

٨٨١٧ في الحديث:
«قال الله تعالى: شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني، وكذَّبَني وما ينبغي له أن يُكذِّبَني أما شتمه إياي، فقوله: إن لي ولدا وأنا الله الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفوا أحد، وأما تكذيبه إياي فقوله: ليس يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته». صحيح الجامع رقم: ٤٣٢٣.

٨٨١٨ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق:١٦]:
إشارة إلى أن الله لا يخفى عليه خافية، ويعلم ذوات الصدور وخفايا الضمائر.

٨٨١٩ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]:
هذه الآية وحدها كافية لأن يعيش بها الإنسان في حذر دائم وخشية دائمة، وكفيلة أن تورث العبد يقظة توقفه على أبواب المحاسبة.

٨٨٢٠ قربه يدفعك إلى مراقبته، ومراقبته تدفعك إلى الحياء منه، ومن استحيا من الله حقًّا ارتدع عن معاصيه.

٨٨٢١ قال يحيى بن معاذ: «من استحيا من اللَّه مطيعًا، استحيا اللَّه تعالى منه وهو مذنب».

٨٨٢٢ ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق:١٧]:
الله سبحانه يعلم كل شيء، وليس في حاجة إلى كتابة هذين الملكين لما يصدر عن كل إنسان، إلا أنه قضى بذلك لحِكَم، منها إقامة الحجة على العبد يوم القيامة.

٨٨٢٣ المراد بالقعيد هنا: الملازم الثابت، لا القاعد الذي هو ضد القائم؛ ولذا قالوا لامرأة الرجل: قعيدته؛ لأنها تلازمه طوال حياته.

٨٨٢٤ **استغفروه إن عصيتموه!**

قال الأحنف بن قيس:

«صاحب اليمين يكتب الخير، وهو أمير على صاحب الشمال، فإن أصاب العبد خطيئة قال له: أمسك، فإن استغفر الله تعالى نهاه أن يكتبها، وإن أبى كتبها».

فمن يأبى الاستغفار؟!

٨٨٢٥ ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]:

قال ابن عمر: «إن أَحَقَّ ما طهَّر الرَّجلُ لسانَه».

٨٨٢٦ قال ابن القيم: «وفي اللسان آفتان عظيمتان، إن خلص العبد من إحداهما لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كل منهما أعظم إثما من الأخرى في وقتها، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، عاصٍ لله، مُراءٍ مداهن إذا لم يخف على نفسه، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق، عاص لله».

٨٨٢٧ قال ابن تيمية: «ومن لم يكن لسانه وراء قلبه، كان كلامه كثير التقلب والتناقض».

٨٨٢٨ قال ابن كثير:«وقد اختلف العلماء: هل يكتب الملك كل شيء من الكلام؟ وهو قول الحسن وقتادة.

أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب، كما هو قول ابن عباس.

وظاهر الآية الأول؛ لعموم قوله: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾».

٨٨٢٩ قال عبد الله بن مسعود ﷺ: « والله الذي لا إله غيره، ما على ظهر الأرض شيء أحق بطول السجن من اللسان».

٨٨٣٠ الرقيب والعتيد صفتان لملكي الحسنات والسيئات، فالرقيب هو الحافظ الشاهد على الأعمال، والعتيد هو المعد والمهيَّأ للحفظ وللشهادة، بحيث يكون حاضرًا عند صاحبه لا يفارقه لحظة.

٨٨٣١ قال علي ﷺ: «إن لله ملائكة معهم صُحُف بيض، فأمْلوا في أولها وفي آخرها خيرًا، يُغفَر لكم ما بين ذلك».

٨٨٣٢ ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]:

في الصحيح أن النبي ﷺ لما تغشّاه الموت كان يمسح العرق عن جبينه ﷺ ويقول: «**إن للموت لسكرات**».

٨٨٣٣ والصديق ﷺ لما رأت عائشة سكرات الموت عليه، أرادت أن تسلِّيَه، فامتثلت قول حاتم:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشجرت يومًا وضاق بها الصدر.

فقال لها الصديق وهو في السكرات: يا بنية.. لا تقولي هذا، ولكن قولي كما قال الله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

٨٨٣٤ ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩]:

نظرة المؤمن للموت! قال النورسي: «الموت تبديل مكان، وتحويل موضع، وخروج من سجن إلى بستان، فليطلب الشهادة من كان يريد الحياة».

٨٨٣٥ ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]:

استُعيرت السكرة للشدة، ووجه الشبه بينهما أن كليهما يُذهِب العقل، ويجوز أن يُشبَّه الموت بالشراب كما قال الشاعر:

الموت كأس وكلُّ الناس شاربه

٨٨٣٦ ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ [ق: ٢٠]:

كيف النفخ في الصور؟! قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنتم وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنا الجبهة وأصغى السمع، ينتظر متى يؤمر بالنفخ فينفخ.**

قالوا: كيف نصنع؟ قال قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا».

صحيح الجامع رقم: ٤٥٩٢.

٨٨٣٧ ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ [ق:٢٠]:

سماه يوم الوعيد لا يوم الوعد مع أنه يشمل كل مؤمن بحسن الجزاء، لتهويل هذا اليوم، وتغليبًا لجانب الترهيب، وتحذيرًا العصاة مما يكون فيه.

٨٨٣٨ ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]:

قال ابن كثير: «ملَك يسوقه إلى المحشر، ومَلَك يشهد عليه بأعماله».

٨٨٣٩ ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق:٢٢]:

المراد بذلك كل بَرٍّ وفاجر؛ لأن الآخرة بالنسبة إلى الدنيا كاليقظة، والدنيا كالمنام.

٨٨٤٠ ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ [ق:٢٣]:

يقول الملك: هذا الذي وكلتني به من ابن آدم، حاضر بين يديَّ، قد أحضرت، وأحضرت معه ديوان أعماله. قال قتادة: «قرينه: الملك الموكل بسوقه وبكتابة سيئاته، يقول مشيرًا إلى ما في صحيفته وما فيها من سيئات: هذا الذي في صحيفته من سيئات مكتوب عندي، وحاضر للعرض».

٨٨٤١ ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾ [ق:٢٤، ٢٥]:

كانوا يمنعون أبناءهم وذويهم من الإيمان واتباع النبي ﷺ، ومن هؤلاء: الوليد بن المغيرة كان يقول لبني أخيه: «من دخل منكم في الإسلام، لا أنفعه بشيء ما عِشت».

٨٨٤٢ بعض الخلق مغاليق الخير ومفاتيح شر، احذرهم وحذِّر الناس منهم.

٨٨٤٣ المريب هو الذي أراب غيره، أي جعله مرتابا وشاكًّا، وذلك بما يلقي إلى الناس من مغالطات وشبهات تنال من عقيدتهم، كم ينتشرون اليوم حولنا، ويطِلّون علينا من الشاشات في حجرات نومنا؟!

٨٨٤٤ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ [ق:٢٦]:

في الحديث:

«يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان يسمعان ولسان ينطق، يقول: إني وُكِّلتُ بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر، وبالمصورين». صحيح الجامع رقم: ٨٠٥١.

٨٨٤٥ ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [ق:٢٧]:

أخبرك الله أن من أغواك اليوم سيتبرأ منك غدًا، حتى تنفض يديك منه اليوم!

٨٨٤٦ ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ [ق:٢٨]:

قال ابن عباس: «إنهم اعتذروا بغير عذر، فأبطل الله حجتهم، وردَّ عليهم قولهم».

٨٨٤٧ لا جدوى من الخصام، لاستواء الفريقين في العذاب، فالداعي إلى الضلال باء بإثم ترويج الباطل والدعوة إليه، ومتلقّي هذا الباطل باء بإثم اتباع أئمة الضلال، فاستويا في الجزاء لاستوائهما في الضلال.

٨٨٤٨ ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [ق:٢٩]:

لا خلف لوعده، ولا معقِّب لحكمه، بل هو كائن لا محالة، ومن كان شاكًا فيه في دنياه، فسيراه واقعًا حاضرًا بين يديه في أخراه.

٨٨٤٩ ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق:٢٩]:

لا يعذِّب الله أحدًا بغير سبب.

ولا يعذِّب أحدًا إلا بعد إقامة الحجة.

ولا يعذِّب أحدًا بذنب غيره.

ولا يعذِّب أحدًا فوق ما يستحق من العذاب.

٨٨٥٠ ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:٣٠]:

سين: ما فائدة سؤال الله لجهنم، وقد عَلِم هل امتلأتْ أم لا؟!

جيم: الفائدة: توبيخ من أُدْخِلها، وزيادة عذابه وتنغيصه، وإشارة إلى تحقق وعيده في قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾.

٨٨٥١ ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق:٣١]:

قال ابن عاشور: «والجنة موجودة من قبل وُرود المتَّقين إليها، فإزلافها قد يكون بحشرهم للحساب بمقربة منها، كرامة لهم عن كُلْفة المسير إليها، وقد يكون عبارة عن تيسير وصولهم إليها بوسائل غير معروفة في عادة أهل الدنيا».

٨٨٥٢ ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ [ق:٣٢]:

هو من لا ينسى ذنوبه! سئل ابن عباس عن الأوّاب الحفيظ، فقال: «حفِظ ذنوبه حتى رجع عنها».

٨٨٥٣ ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٢-٣٣]:

ما الفارق بين التائب والمنيب والأواب؟ قال ابن علان: «من رجع عن المخالفات خوفًا من عذاب الله فهو تائب، ومن رجع حياء فهو منيب، ومن رجع تعظيمًا لجلال الله سبحانه فهو أوَّاب».

٨٨٥٤ ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [ق: ٣٣]:

لا تغتر بسعة رحمة الله، واجمع في قلبك مع رجاء الرحمة جرعة خشية.

٨٨٥٥ ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ [ق:٣٤]:

حتى لا يدخل قلوب المؤمنين أدنى خوف أو قلق من دوام هذا النعيم الرائع، فالجنة منزَّهة عن أي مشاعر سلبية.

٨٨٥٦ قال الإمام الرازي:

«فإن قيل: المؤمن قد علم أنه إذا دخل الجنة خُلِّد فيها، فما الفائدة في التذكير؟

والجواب عنه من وجهين:

أحـــدهما: أن قولـه: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾ قـول قالـه الله في الـدنيا إعلامـا وإخبارا، وليس ذلك قولا يقوله عند قوله: ﴿ٱدۡخُلُوهَا﴾ ، فكأنه تعالى أخبرنا في يومنا أن ذلك اليوم يوم الخلود.

ثانيهما: اطمئنان القلب بالقول أكثر».

٨٨٥٧ ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥]:

آية من ست كلمات تغني عن مجلدات تصف نعيم الجنة، فكل ما خطر ببالك فالجنة أعلى وأشرف من ذلك.

٨٨٥٨ ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ﴾ [ق:٣٦]:

شرِّق وغرِّب.. هل من الموت مهرب.. وهل من ملك الموت مفر؟!

٨٨٥٩ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق:٣٧]:

قسَّم ابن القيم أن الناس من حيث تدبر القرآن في ضوء هذه الآية إلى أقسام ثلاثة:

الأول: رجل قلبه ميِّت، وهذا لا تخاطبه الآية، وهو بمنزلة الأعمى الذي لا يبصر.

الثّاني: رجل له قلب حيٌّ لكن لا يصغي لآيات الله، ولا يتأملها أو يتدبرها؛ لأن ذهنه مشغولٌ بغيرها على الدوام، وهو بمنزلة البصير الطامح ببصره إلى غير جهة المنظور إليه، فلا يراه.

الثالث: رجلٌ قلبه حي ومستعد، يصغي للآيات ويتدبر فيها، وهذا وحده الذي ينتفع بالآيات، وهو بمنزلة البصير الذي حدَّق إلى جهة المنظور إليه، حتى رآه وتبيَّن له طريق الحق.

٨٨٦٠ ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾ [ق:٣٨]:

قال سعيد بن جبير: «الله تعالى قادر على أن يخلق السموات والأرض وما بينهما في لمحة ولحظة، ولكنه سبحانه خلقهن في ستة أيام؛ ليعلم عباده التثبت في الأمور والتأني فيها».

٨٨٦١ هذه الآية رَدٌّ على اليهود!

كان بعض اليهود بمكة يقولون: إن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام واستراح في اليوم السابع، وهذا مكتوب في سفر التكوين من «التوراة».

٨٨٦٢ ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:٣٨]:

المسُّ: اللَّمس، فعبَّر عن نفي أقل إصابة بالتعب، بنفي المسِّ، فتأمل قدرة الله وعظمته في خلق السماوات والأرض.

٨٨٦٣ ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩]:

زاد الصبر لا يتم تحصيله إلا بالاتصال بالله، وأعظم أسبابه: الصلاة، وأشار إليها هنا بالتسبيح، ثم ذكر أعظم الصلوات بركة: ما كان قبل طلوع الشمس، وهو صلاة (الفجر)، وقبل غروبها، وهو صلاة (العصر).

٨٨٦٤ ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق:٤٠]:

صلاة الليل زاد الصابرين، ومستراح المكروبين، وعدة السائرين في طريق رب العالمين.

٨٨٦٥ الليل: وقت الخلوة بمناجاة الله، وصفاء القلب وراحته في الخلوة أتمُّ وأحلى.

٨٨٦٦ ﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق:٤٠]:

فيها قولان:

- قال ابن عباس ومجاهد: «هو التسبيح باللسان في أدبر الصلوات المكتوبات».
- وقال الإمام ابن جرير: «وأَوْلى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال: هما الركعتان بعد المغرب».

٨٨٦٧ ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾ [ق:٤١]:

قال قتادة: «قال كعب الأحبار: يأمر الله ملكًا أن ينادي على صخرة بيت المقدس: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء».

٨٨٦٨ ﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾ [ق:٤٢]:

في حديث أبي هريرة: «**ما بين النفختين أربعون**» صحيح الجامع رقم: ٥٥٨٥.

ولم يصح في تحديدها شيء، وقد مال النووي والطبري والقرطبي والشوكاني والآلوسي إلى أن ما بينهما أربعون سنة.

٨٨٦٩ ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ﴾ [ق:٤٣]:

بعد الموت ستعرف مصيرك، وترى نتيجة سعيك وثمرة كدِّك في هذه الحياة.

٨٨٧٠ ليس إسرافيل بنفخه في الصور إلا سببًا لإحياء الخلق، ولو شئنا لأحييناهم بدونه وبدون سبب.

٨٨٧١ ﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗا﴾

من أول من تنشق الأرض عنه؟!

قال رسول الله ﷺ:

«**لا تخيِّروا بين الأنبياء، فإن الناس يُصعَقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري كان فيمن صُعِق أم حوسب بصعقته الأولى؟**». صحيح الجامع رقم: ٧٢٥٧.

٨٨٧٢ من ملامح قدرة الله! يأمر الله إسرافيل بنفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل تملأ ما بين السماء والأرض، وتُرسل كل روح إلى جسدها، لا تخطئه، لترجع الحياة إلى العظام الرميم، ثم تنشق الأرض عنهم سراعا.

٨٨٧٣ ﴿ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ﴾ [ق:٤٤]:

كل ما استصْعَبْتَه من شيء عسير، ففوِّض الأمر فيه إلى الله القدير.

٨٨٧٤ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [ق:٤٥]:

قال الإمام الرازي: «تسلية لقلب النبي ﷺ والمؤمنين، وتحريض لهم على ما أُمِر به النبي ﷺ من الصبر والتسبيح، أي اشتغل بما قلناه، ولا يشغلك الشكوى إلينا، فإنا نعلم أقوالهم ونرى أعمالهم».

٨٨٧٥ ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق:٤٥]:

لا تستطيع أن تجبر أحدًا على الإيمان، فالإيمان قرار، وللبشر حرية الاختيار، وبحسب هذا يكون الفوز بالجنة أو دخول النار.

٨٨٧٦ الإيمان لا يحتاج جبارًا يلوي الأعناق على الإيمان، لكن سورة «ق» فيها من القوة والسلطان ما لا يملكه الجبارون، ووقعها على القلب أشد من سياط الجلادين!

٨٨٧٧ ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥]:

إنما يؤثِّر إنذار القرآن في الخائفين؛ لذا ليس كل من تُلِي عليه القرآن اتعظ.

٨٨٧٨ من لا يخاف الوعيد لأنه لا يؤمن به لا يُذَكَّر، فمثل هذا لا تنفع فيه الذكرى.



سورة الذاريات

٨٨٧٩ ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾ [الذاريات:١-٤]:

عن أبي الطفيل أنه سمع عليا ﷺ يقول- وهو على منبر الكوفة-: لا تسألوني عن آية في كتاب الله، ولا عن سنة رسول الله، إلا أنبأتكم بذلك، فقام إليه ابن الكواء فقال:

يا أمير المؤمنين. ما معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾ قال: الريح.

﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾

قال: السحاب.

﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا﴾

قال: السفن.

﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾

قال: الملائكة.

٨٨٨٠ أقسم الله بأربع آيات بديعة خارقة لعادات الناس فوق ما تطيقه قدراتهم، فمن قدَرَ عليها، فهُو قادرٌ عَلى بعثِ الناس بعد الموت؛ لإنفاذ وعده ووعيده.

٨٨٨١ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ﴾ [الذاريات:٥]:

هذا جواب القسم: كل ما وعد الله به الأبرار من الخير والثواب، ووعيد توعد به الفجار بالشر والعقاب، هو صادق صادق لا ريب فيه.

٨٨٨٢ ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ﴾ [الذاريات:٦]:

كما تدين تدان، وكما تعمل ستُجازى، ومهما كان زرعك ستحصده، وسعيك ستلقاه.

٨٨٨٣ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ [الذاريات:٧]:

المحبوك في اللغة ما أُجِيد عمله، فهل رأيتم أحسن من السماء في استوائها، وقيامها بغير عمد، وانعدام خللها، وتزينها بالنجوم والكواكب.

٨٨٨٤ ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ [الذاريات:٨]:

اختلافكم دليل افترائكم، فمن قائل عن محمد: ساحر، وآخر يقول: مجنون، وثالث: شاعر، ولو كنتم على حق، لاتفقتم على رأي.

٨٨٨٥ ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٩]:

أي يُصرَف عن القرآن من صرفه الله عقوبةً له على ذنوبه، وبسبب إعراضه عن ربه.

٨٨٨٦ ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات:١٠]:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أي لُعِن المرتابون، وهكذا كان معاذ رضي الله عنه يقول في خطبته: هلك المرتابون.

٨٨٨٧ دعاءٌ عليهم يُراد به لعنهم، إذ من لعنه الله فهو بمنزلة الهالك المقتول، فليحذر كل عاقل من التعرُّض لما يستحق به لعنة الله.

٨٨٨٨ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذاريات:١١]:

بعض البشر مغمورون بالأوهام، غافلون عما ينفعهم على الدوام، لا يستقبلون رسائل الله ولا نداءات الآخرة، كأنهم سكارى مذهولون!

٨٨٨٩ ﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الذاريات:١٢]:

ليس المهم: متى يوم الحساب؟ متى يوم الدين؟ الأهم: ماذا أعددتَ له؟!

٨٨٩٠ قال ابن عرفة: «السؤال على قسمين: سؤال استرشاد، وسؤال استهزاء، فالأول: يستدعي الجواب، والثاني: لَا يستدعيه، وهذه الآية من الثاني، فلذلك عدل عن الجواب».

٨٨٩١ ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات:١٣]:

أي يُحْرَقون، وهو من قولهم: فتنتُ الذهب أي أحرقتُه لأختبره، وأصل الفتنة الاختبار، فكما فتنوا المؤمنين بنار الابتلاء والإيذاء، فتنهم الله بنار العذاب.

٨٨٩٢ ﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذاريات:١٤]:

يقال لهم هذا وهم يعذَّبون، لزيادة آلامهم، ومضاعفة عذابهم.

٨٨٩٣ قال الرازي: «ويحتمل أن يكون المراد الاستعجال بالفعل، وهو الإصرار على العناد، وإظهار الفساد، فإنه يعجّل العقوبة».

٨٨٩٤ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات:١٥]:

للمتقي مقامات، أدناها أن يتقي الشرك، وأوسطها أن يتقي المحرمات، وأعلاها أن المكروهات وما سوى الله، وبحسب درجة التقوى تكون درجة صاحبها في الجنة.

٨٨٩٥ ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الذاريات:١٦]:

خذ ما آتاك ربك حتى يُكرِمَك؟!

قال ابن عباس: «آخذين: أي في دنياهم، ما آتاهم ربهم من أوامره ونواهيه وشرعه».

٨٨٩٦ ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات:١٦]:

يشمل إحسانين:

إحسان بعبادة ربهم، بأن يعبدوه كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه، فإنه يراهم.

وإحسان إلى عباد الله ببذل مال، أو علم، أو جاه، أو نصح، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو غيرها من وجوه الإحسان.

٨٨٩٧ ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]:

قال الحسن: كابدوا قيام الليل لا ينامون منه إلا قليلا، وعن عبد الله بن رواحة: هجعوا قليلا ثم قاموا.

١٨٩٩٨ قال الإمام الرازي:
«سيرة الكريم (أن) يأتي بأبلغ وجوه الكرم ويَسْتَقِلُّه ويعتذر من التقصير، واللئيم يأتي بالقليل ويستكثره ويَمُنُّ به».

١٨٩٩٩ لم مدحهم بقلة الهجوع مع أن السَّهَر هو محل الاجتهاد؟! قال الإمام الرازي:
«وهذا إشارة إلى أن نومَهم عبادة حيث مدحهم الله بكونهم هاجعين قليلا، وذلك الهجوع أورثهم الاشتغال بعبادة أخرى، والاستغفار بالأسحار، ومنعهم من الإعجاب بأنفسهم».

١٩٠٠ ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:١٨]:
قال القشيري:
«أخبر عنهم أنهم- مع تهجدهم ودعائهم- يُنزِلون أنفسهم في الأسحار منزلة العاصين، فيستغفرون استصغارا لقدرهم، واستحقارا لفعلهم».

١٩٠١ نالوا شرف عبادتين: القيام والاستغفار!
قال الحسن: «مدوا الصلاة من أول الليل إلى السحر، ثم استغفروا في السَّحَر».

١٩٠٢ ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات:١٩]:
المراد بالحق هنا غير الزكاة من الصدقات، وهذا يناسب وصف حال المحسنين الذين بذلوا بعد الزكاة الصدقات، ولأن السورة مكية، والزكاة إنما فُرِضَتْ في السنة الثانية من الهجرة.

١٩٠٣ ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات:٢٠]:
لا يستقبل الآيات، ولا يتفكر في هذا إعجاز الله في المخلوقات، إلا قلب عامر باليقين، فكنز اليقين هو الذي يحيي القلوب فترى وتدرك، ومن حُرِم اليقين كان أعمى البصيرة ولو كان من أشهر العلماء، فهؤلاء يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا، أما حقيقتها فتظل محجوبة عن قلوبهم.

١٩٠٤ ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١]:

هل تعلم أن نقطة الدم الواحدة تحتوي على خمسة ملايين من كرات الدم الحمراء؟ وكل كرة من هذه الكرات لها عمر يبلغ في المتوسط ١٢٠ يومًا، وتقطع في دورة حياتها مسافة ١١٥٠ كيلو مترًا في المتوسط.

١٩٠٥ ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ [الذاريات: ٢٢]:

أي لا يشغلك طلب الرزق عن عبادتي، وفي الحديث القدسي: «**يقول الله تعالى: يا ابن آدم.. تفرَّغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسُدَّ فقرك، وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلا، ولم أسدَّ فقرك**». صحيح الجامع رقم: ١٩١٤.

١٩٠٦ ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]:

قال البغوي: «كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره، فكذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسِم له، ولا يقدر أن يأكل رزق غيره».

١٩٠٧ ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [الذاريات:٢٤]:

إشارة إلى الملائكة المكرمين لأنهم كذلك عند الله، أو إشارة إلى إكرام إبراهيم لهم.

١٩٠٨ ﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات:٢٥]:

قال صاحب الكشاف: «أنكرهم للسلام الذي هو علم الإسلام، أو أراد أنهم ليسوا من معارفه، أو من جنس الناس الذين عهدهم، أو رأى لهم حالًا وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم، أو كان هذا سؤالًا لهم، كأنه قال: أنتم قوم منكرون فعرِّفوني من أنتم».

١٩٠٩ ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ﴾ [الذاريات:٢٦]:

من آداب الضيافة!

قال القاسمي: «ذهب إليهم خفية من ضيوفه، ومن أدب المضيف أن يُخفِي

أمره، وأن يبادر بالقِرى من غير أن يشعر به الضيف؛ حذرًا من أن يكفَّه ويعذره».

١٩١٠ ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات:٢٦]:

بعجلٍ سمين لا هزيل، يعلِّمك أن تقدِّم لضيوفك أغلى ما تملك.

١٩١١ ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات:٢٧]:

خمسة من آداب الضيافة! قال ابن كثير: «وهذه الآيات انتظمت آداب الضيافة:

- فإنه جاء بطعامه من حيث لا يشعرون بسرعة.
- ولم يمتن عليهم أولا فقال: نأتيكم بطعام؟ بل جاء به بسرعة وخفاء.
- وأتى بأفضل ما وجد من ماله، وهو عجل سمين مشوي.
- فقرَّبه إليهم، لم يضعه وقال: اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم.
- ولم يأمرهم أمرًا يشق على سامعه بصيغة الجزم، بل قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق، فافعل».

١٩١٢ ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات:٢٨]:

قال القرطبي: «والجمهور على أن المبشَّر به هو إسحاق».

١٩١٣ ما أسرع فرج الله! سرعان ما انقلب الخوف إلى بُشْرى!

١٩١٤ ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات:٢٩]:

في صَرة أي صوت وضجة، ومنه صرير الباب أي صوته، وليس المراد صُرَّة بضم الصاد، وهي كيس المتاع.

١٩١٥ قال الإمام القرطبي:

«وكانت سارة لم تلد قبل ذلك، فولدت وهي بنت تسع وتسعين سنة، وإبراهيم يومئذٍ ابن مائة سنة».

٨٩١٦ ﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الذاريات:٣٠]:

قال صاحب الظلال: «وكل شيء يكون إذا قيل له: كن، وقد قال الله، فماذا بعد قوله؟

إن الألفة والعادة تقيِّدان الإدراك البشري، وتحُدّان من تصوراته، فيُدهَش إذ يرى ما يخالف المألوف له، ويعجب كيف يكون، وقد يتبجَّح فينكر أن يكون! والمشيئة المطلقة ماضية في طريقها، لا تتقيد بمألوف البشر الصغير المحدود، تُبدِع ما تشاء، بغير ما حدود أو قيود!».



الجزء السابع والعشرون

سورة الذاريات آية ٣١
إلى سورة الحديد آية ٢٩

عدد الفوائد: ٥٠٩

قال الحارث المحاسبي:

«إذا عظم في صدرك تعظيم المتكلم بالقرآن، لم يكن عندك شيء أرفع، ولا أشرف، ولا أنفع، ولا ألذ، ولا أحلى من استماع كلام الله جل وعز ، وفهم معاني قوله تعظيمًا وحبًا له، وإجلالاً؛ إذ كان الله تعالى قائله، فحب القول على قدر حب قائله».

فقه القرآن ص ٣٠٢

الجزء السابع والعشرون
سورة الذاريات آية ٣١
إلى سورة الحديد آية ٢٩


﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [الذاريات:٣١]:

انظر كيف شغله الاهتمام بقومه عن الفرح ببشارته بولده، وهكذا الدعاة الصادقون، آثارَ الأنبياء يقتفون.


علم إبراهيم أن نزول الملائكة بتلك الصورة لا تكون لمجرد بشارته بالولد، إذ كانت مثل هذه البشارة تحصل بالوحي، فكان إرسال الملائكة إلى الأرض بتلك الصورة لا يكون إلا لحدثٍ عظيم.


﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [الذاريات:٣٢]:

الإجرام يستدعي التدخل الإلهي، بعذاب عاجل أو آخر آجل.


﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [الذاريات:٣٤]:

أي: معلَّمة، على كل حجر منها سمة صاحبه وبياناته، حتى تصل إليه فلا تخطئه؛ لأنهم أسرفوا بالعصيان، وتجاوزوا الحد.


﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٣٥]:

بركة المحسنين تمنع العذاب عن المسيئين، فإذا خرج المؤمنون منها، نزل العذاب بها.


﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات:٣٦]:

أنجى الله ثلاثة! لوطا وابنتاه.

٨٩٢٣ ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [الذاريات:٣٧]:

من خاف نفعته الآيات، ومن لا يخاف، فهذا قلبه قد مات.

٨٩٢٤ ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [الذاريات:٣٨]:

قصة موسى آية، وجاءت عقب قصة قوم لوط، لما بينهما من تناسب في أن العذاب الذي عُذِّب به الأُمّتان:

- عذابُ أرضي عُذِّب به قوم لوط بالحجارة التي هي من طين، وعُذِّب قوم فرعون بالغرق في البحر.
- وعذاب سماوي عُذِّبت به عاد وثمود، إذ عُذِّبت عاد بالريح، وثمود بالصاعقة. ذكره ابن عاشور.

٨٩٢٥ ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات:٣٩]:

التولي بالركن كناية عن الإعراض، وقيل: تولى بقوته وسلطانه، فالركن يُستَعار للقوة، فالنعمة تُحوِّلها النفوس الخبيثة إلى نقمة.

٨٩٢٦ ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الذاريات: ٤٠]:

قال ابن عباس: المليم أي المسيء المذنب، واستشهد بقول أمية بن أبي الصلت:

بريء من الآفات ليس لها بأهل ولكن المسيء هو المليم

٨٩٢٧ ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الذاريات: ٤٠]:

قال صاحب الكشاف: «فإن قلت: كيف وصف نبي الله يونس عليه السلام بما وصف به فرعون في قوله- تعالى-: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾؟

قلت: موجبات اللوم تختلف، وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم، فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها، وكذلك مقترف الصغيرة. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾، وقوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ لأن الكبيرة والصغيرة يجمعها اسم العصيان، كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة».

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ﴾ [الذاريات: ٤٠]:

من جنود الفرعون؟! جاء رجل خياط إلى سفيان الثَّوْري، فقال: إِنِّي رجل أخيط ثياب السُّلطان، هل أنا من أعوان الظلمة؟! فقال سفيان: بل أنت من الظَّلَمة أنفسهم، ولكن أعوان الظلمَة من يبيع منك الإبرة والخيوط.

﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ [الذاريات:٤١]:

الريح العقيم أي التي لا خير فيها من إرسال مطر، أو تلقيح شجر، وشبَّه الله الريح التي أهلكتهم بالمرأة التي انقطع نسلها، وكان العرب يكرهون العقم في مواشيهم، ويتشاءمون بها، فخاطبهم الله بما يفهمون.

الريح من جند الله، يرسلها في الوقت المقدر على من يريد، بالهلاك والدمار، أو بالحياة والإعمار، ولا مجال للاعتراض السطحي الساذج، والاكتفاء بالقول أن الريح تجري وفق حسابات دقيقة، وتهب تبعًا لتنبؤات بعوامل جوية طبيعية، فمن وراء كل هذا إله قدير، يُسلِّطها على من يشاء، وفق تقدير وحكمة بالغين.

﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ [الذاريات:٤٢]:

صفة ثانية تفيد الارتقاء في المضرة، فهذه الريح ليس فقط غير نافعة، بل تجلب الضرر العظيم.

﴿وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الذاريات:٤٣]:

هذا الحين ينتهي بالموت أو العذاب، وكل متاع الدنيا هو إلى حين، ولا أحد يعلم متى ينتهي الأجل، وبمن يبدأ ملك الموت.

﴿فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الذاريات:٤٤]:

إما ينظرون إليها لأنها نزلت بهم نهارا، فيكون ذلك أشد إيلامًا وعذابًا.

أو ينظرون بمعنى ينتظرون، وذلك أن ثمود وُعِدت بالعذاب قبل نزوله بهم بثلاثة أيام، فأصبحوا في اليوم الرابع موقنين أن العذاب بهم نازل، ينتظرونه.

١٩٣٤ ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ﴾ [الذاريات:٤٥]:

قال ابن عاشور: «فالقيام مجاز للدفاع، كما يقال: هذا أمر لا يقوم له أحد، أي لا يدفعه أحد، وفي الحديث: (**غَضِب غضبًا لا يقوم له أحد**)».

١٩٣٥ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الذاريات:٤٦]:

دائمًا ما يبين الله سبب عذاب السابقين حتى نجتنبه، فليست قصص القرآن للتسلية، بل للعبرة والموعظة.

١٩٣٦ ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىٍ۟ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات:٤٧]:

اكتشفت ناسا عام ٢٠١٧ ثقبًا أسود على بعد ١٣ مليار سنة ضوئية، وتقدِّر أنه تشكل بعد الانفجار الكبير بقرابة ٦٩٠ مليون عام، وتتضاعف كتلته على كتلة الشمس بـ ٨٠٠ مليون مرة!

١٩٣٧ ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ [الذاريات:٤٨]:

مراد الآية تلقين العباد الثناء على رب العالمين في ما أنعم علينا في الأرض من نعم لنشكره عليها، وننطق بالحمد والثناء عليه إلى يوم الدين.

١٩٣٨ ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات:٤٩]:

ثمانية ملايين نوع من الكائنات فيها الزوجان: الذكر والأنثى، وحتى التي لا عقل لها مثل الذباب، يميل الذكر فيها للأنثى.

١٩٣٩ ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠]:

فرار السعداء إليه، وفرار الأشقياء منه.

١٩٤٠ ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]:

قال السعدي: «سمى الله الرجوع إليه فرارًا لأن في الرجوع لغيره أنواع المخاوف والمكاره، وفي الرجوع إليه أنواع المحاب والأمن».

١٩٤١ لم أمرنا بالفرار؟ لأن المخاوف كثيرة، أهواء وشهوات، وفتن ومغريات، وشياطين إنس وجن، وصوارف عن الله وعقبات، فكلما تكالبت علينا وجب الإسراع بالفرار إليه.

١٩٤٢ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات:٥١]:

هذا من الفرار إلى الله، بل هو أصل الفرار إليه: أن يفِرَّ العبد من عبادة غير الله، ولا يتوجه لغير الله بالخوف والرجاء والذل والافتقار.

١٩٤٣ ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات:٥٢]:

ملة الكفر واحدة، وحجج أهل الباطل تتكرر ولا تتغير، مهما تغيرت العصور وتقدمت البشرية.

١٩٤٤ جينات الضلال واحدة! وكأن كل جيل يلقِّن الجيل الذي يليه نفس التُّهَم: السِّحْر والجنون.

١٩٤٥ هنا تسلية لسيد المرسلين وورثته من المصلحين، أن ما تتعرَّضون له من اتهامات شنيعة، ليست أمرًا جديدًا، بل هو دأب المجرمين في كل عصر ومصر.

١٩٤٦ ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣]:

تآخي المنافقين على اختلاف مواقعهم في الدول المختلفة مذهل، وتطابق مواقفهم عجيب، وكأنهم يستقون من نبع واحد، واردهم الشيطان وبضاعتهم العصيان ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ﴾

١٩٤٧ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات:٥٤]:

أعرض عنهم بقلبك، ولا يستغرقك الحزن عليهم، وما دمتَ قد أديتَ ما عليك، فلا لوم عليك.

١٩٤٨ توجيه رباني ألا نحمل أنفسنا ما لا نطيق، وألا نستسلم للمشاعر السلبية، ولا نحيط أنفسنا بأسباب الأحزان ومصادر الآلام، وأن نحذر من جلد الذات واستنزاف طاقاتنا في ما لا عائد من ورائه إلا الأوهام.

١٩٤٩ ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]:

الانتفاع بالتذكرة مؤشِّر على قوة إيمانك.

١٩٥٠ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]:

اعرف رسالتك في الحياة، والمهمة التي خلقك الله من أجلها، بل وخلق لك ما يعينك عليها، ففي الحديث: «**إن الله قال: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة**». صحيح الجامع رقم: ١٧٨١.

١٩٥١ يقول صاحب الظلال ما ملخصه:

«ومن مقتضيات العبادة أن تصبح قيمة الأعمال في النفس مستمدة من بواعثها لا من نتائجها، فلتكن النتائج ما تكون، فالإنسان غير مُعلَّق بهذه النتائج، إنما هو مُعلَّق بأداء العبادة، ولأن جزاءه ليس في نتائجها، إنما جزاؤه في العبادة التي أداها، ولتكن النتائج ما تكون، فهذه النتائج ليست داخلة في واجبه ولا في حسابه، وليست من شأنه، إنما هو قدر الله ومشيئته».

١٩٥٢ ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٧]:

في الآية نفيان متدرِّجان يفيدان تمام غناه عز وجل كأنه قال: لا أطلب منهم رزقًا، ولا ما هو دون ذلك وهو تقديم الطعام بين يدي السيد.

١٩٥٣ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨]:

في الحديث القدُسي: «**إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم.. تفرَّغ لعبادتي، أملأ صدرك غنى، وأسُدَّ فقرك، وإن لا تفعل، ملأتُ يديك شغلًا، ولم أسُدَّ فقرك**». صحيح الجامع رقم: ١٩١٤.

١٩٥٤ عدَّ العلماء اسم (المتين) من أسماء الله الحسنى. قال الإمام الغزالي: وذلك يرجع إلى معاني القدرة، وفي «معارج النور» شرح الأسماء: «المتينُ: كمال في قوته بحيث لا يعارض ولا يُدانَى».

١٩٥٥ ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ [الذاريات:٥٩]:

عاقبة الظالمين واحدة!

قال سعيد بن جبير: «ذنوبًا: سِجِلًا من العذاب»، أي: نصيبًا وقسطًا، مثل ما لقي أصحابهم من أهل الظلم والتكذيب.

١٩٥٦ ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الذاريات:٥٩]:

أي بالعذاب، فإنه واقع بهم لا محالة، دنيا أو آخرة، وسنة الله في الأمم واحدة، فكل مكذِّب مستمر على تكذيبه، لا بد أن يقع عليه العذاب، ولو تأخر لمدة.

١٩٥٧ ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٦٠]:

توعدهم الله بعذاب دنيوي كما حدث معهم في بدر، وأخَّر بعضهم إلى يوم القيامة.

سورة الطور

١٩٥٨ ﴿وَٱلطُّورِ﴾ [الطور:١]:

أخرج الشيخان عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه: «سمعتُ النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعتُ أحدًا أحسن صوتًا أو قراءة منه».

١٩٥٩ أقسم الله بجبل الطور، والذي سمع فيه موسى عليه كلام الله تعالى؛ وهذا يتضمن تعظيم مهبط الوحي، والوحي أَوْلى بالتعظيم، وتعظيم الوحي يشمل تعظيم الاهتمام بالعمل به.

١٩٦٠ ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور: ٢]:

الأظهر أن المقصود به القرآن، وقيل: اللوح المحفوظ.

١٩٦١ ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور: ٣]:

والرَّقُّ: ما يُكْتَبُ فيه، وهو جِلْدٌ رَقِيقٌ، فليس المهم فخامة الأوراق بل ما فيها من كلمات.

١٩٦٢ فهل ساهمت في نشره لتنال هذا الشرف؟!

٨٩٦٣ ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾ [الطور: ٤]:

في الحديث الصحيح: «**البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة**». صحيح الجامع رقم: ٢٨٩١.

٨٩٦٤ ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ﴾ [الطور:٥]:

هي السماء المرفوعة، وسُمِّيَت سقفًا لكونها بمثابة السقف بالنسبة للأرض، لكنها سقف بغير أعمدة، فتبارك الله أحسن الخالقين.

٨٩٦٥ ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ [الطور:٦]:

قال ابن عباس: «تملأ البحار كلها يوم القيامة بالنار، فيزاد بها في نار جهنم».

٨٩٦٦ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الطور: 7]:

سمع عمر قارئًا يقرأ:

﴿وَٱلطُّورِ﴾ إلى ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ ، فاستند إلى جدار،ثم عاد إلى بيته يعوده الناس شهرًا مما ألمَّ به.

٨٩٦٧ ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ٨]:

قال جبير بن مطعم رضي الله عنه: قدمت المدينة على رسول الله ﷺ لأكلِّمه في أسارى بدر (وكان كافرًا)، فجئت إليه وهو يصلي بأصحابه صلاة المغرب، فسمعته يقرأ وَالطُّورِ إلى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾، ما لَهُ مِنْ دافِعٍ فكأنما صدع قلبي، فأسلمت خوفا من نزول العذاب».

٨٩٦٨ ﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا﴾ [الطور: ٩، ١٠]:

أحداث هائلة وأهوال مفزعة حرَّكت هذه الأجرام العظيمة من مكانها، فكيف بأثرها على الإنسان الضعيف؟!

٨٩٦٩ والإتيان بالمصدرين هدفه توضيح غرابتهما وخروجهما عن الحدود المعروفة، أي مورًا عجيبًا وسيرًا غريبًا، لا يعرف أحد كنههما.

٨٩٧٠ ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور:١٠]:

من أضخم ما خلق الله الجبال، ومع هذا تزول يوم القيامة عن أماكنها، وتتطاير كالسحب، ثم تتفتت كالرمال، ثم تصير كالصوف المنفوش، فأي هول ينتظر العبد الهزيل إذا كان هذا ما يحدث للجبل العظيم؟

٨٩٧١ ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الطور:١١]:

أي عذاب وخزي لمن كذَّب بالله واليوم الفصل، وويلهم على قدر تكذيبهم، ولكل مكذِّب عذاب بحسب ما كذَّب به، ورُبَّ شيء كُذِّب به هو أعظم جرما من تكذيبه بغيره، فيقسم الله له من الويل على قدر ذلك.

٨٩٧٢ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ [الطور:١٢]:

أصل الخوض:

المشي في الماء، ثم غلب استعماله في الاندفاع في كل باطل.

وتنكير الخوض للتكثير أي في خوض كامل عظيم.

٨٩٧٣ ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور:١٣]:

تعوَّذوا بالله من هذا المصير!

٨٩٧٤ قال الإمام البغوي:

«دفعًا بعنف وجفوة، وذلك أن خزنة جهنم يغلّون أيديهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعون بهم إلى النار دفعًا على وجوههم، وزجًّا في أقفيتهم حتى يردوا النار».

٨٩٧٥ الدَّعُّ هنا يتناسب مع قوة الملائكة الغلاظ الشداد، فتخيَّل كيف تكون قسوته وكم تبلغ شدته؟!

٨٩٧٦ ﴿هَـٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [الطور:١٤]:

أي تقول لهم زبانية جهنم ذلك تقريعًا وتوبيخًا، فيتبين لهم عندها فساد رأيهم وبطلان معتقدهم.

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور:١٥]:

كانوا ينسبون بعض معجزات النبي ﷺ إلى السِّحر، فيقولون عن انشقاق القمر وأمثاله: إنه سحر، فاليوم مع ما يشاهدون من عذاب النار، ويحسون بآلامها، هل يمكنهم الاستمرار في مثل هذا الادعاء؟!

﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الطور:١٦]:

هنا بيان عدم الخلاص واستحالة المناص، فلا خلاص بالموت من العذاب؛ لأن النار ليس فيها موت، ولا خلاص كذلك بنصرة أحد، فكان الصبر في النار كعدمه، فمن يصبر يدوم في العذاب، ومن لا يصبر يدوم فيه كذلك.

في الآية بيان لاختلاف عذاب الآخرة عن عذاب الدنيا، فإن المعذَّب في الدنيا إن صبر انتفع بصبره، إما بالثواب عليه في الآخرة، أو بأن يمدحه الناس عليه في الدنيا، وأما في الآخرة، فلا ثواب ولا مدح على الصبر في النار.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾ [الطور:١٧]:

لما كانت الجنات ربما يشقى داخلها أو صاحبها، فقد نفى الله هذا الشقاء بقوله: ﴿وَنَعِيمٍ﴾ أي نعيم الروح وسعادة الباطن، بعد نعيم وسعادة الظاهر.

﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الطور: ١٨]:

أي متلذذين بما في أيدينا من خيرات، مأخوذ من الفَكاهة-بفتح الفاء- وهي طيب العيش والسرور مع النشاط، وسُمِّيت الفاكهة بهذا الاسم لتلذذ الإنسان بها.

﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٩]:

قال الإمام الرازي:

«﴿هَنِيٓـًٔا﴾ إشارة إلى خلوهما عما يكون فيها من المفاسد في الدنيا، منها أن الآكل يخاف من المرض فلا يهنأ له الطعام.

ومنها أنه يخاف النفاد، فلا يسخو بالأكل.

وكل هذا مُنْتَفٍ في الجنة، فلا مرض ولا انقطاع، فإن كل أحد عنده ما يفضل عنه، ولا إثم ولا تعب في تحصيله».

١٩٨١٣ ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطور: ٢٠]:

الجنة: الراحة بعد التعب، والنعيم بعد الشقاء، وانتهاء التعب والشقاء إلى غير رجعة.

١٩٨١٤ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]:

عاطفة ممتدة! قال الإمام الرزاي: «شفقة الأبوة كما هي في الدنيا متوفرة كذلك في الآخرة، ولهذا طيَّب الله تعالى قلوب عباده بأنه لا يولِّههم بأولادهم بل يجمع بينهم».

١٩٨١٥ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور: ٢١]:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن الله يرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة، وإن كانوا دونه في العمل»، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم﴾، يقول: «وما نقصناهم».

١٩٨١٦ ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]:

قال الزمخشري:

«كأن نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به، كما يرهن الرجل عبدَه بِدَيْن عليه، فإن عمل صالحًا فكَّها وخلَّصها، وإلا أوبقها».

١٩٨١٧ ﴿وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور:٢٢]:

إشارة لأشهى أنواع الطعام، وهو الفاكهة واللحم فإنهما طعام المتنعِّمين، ووصفهم الله بأنهم يشتهونه؛ لأن بعض أنواع الطعام غير مشتهى عند البعض، فنفى أن يحدث ذلك في الجنة.

١٩٨٨٨ ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا﴾ [الطور: ٢٣]:

أي يتناولها بعضهم من بعض، وهو المؤمن وزوجاته وخدمه في الجنة، والكأس: إناء الخمر وكل إناء مملوء من شراب وغيره، فإذا فرغ لم يُسمَّ كأسًا.

١٩٨٨٩ ﴿لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ﴾ [الطور: ٢٣]:

قال ابن عطاء: «أي لغو يكون في مجلس محله جنة عدن، وسقاتهم الملائكة، وشربهم على ذكر الله، وريحانهم وتحيتهم من عند الله، والقوم أضياف الله».

١٩٨٩٠ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ﴾ [الطور: ٢٤]:

إذا كان الخادم كاللؤلؤ، فكيف يكون المخدوم؟!

١٩٨٩١ ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الطور:٢٥]:

ما أجمل تزاور أهل الجنة، وتجاذب أطراف الحديث في قصورهم بينما يتنازعون كؤوس الشراب! فأي نعيم ينتظرنا هناك؟!

١٩٨٩٢ ﴿إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾ [الطور:٢٦]:

الخوف الذي يعتري قلبك في الدنيا هو سبب نجاتك في الآخرة.

١٩٨٩٣ ﴿إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾ [الطور:٢٦]:

قال إبراهيم التيمي: «ينبغي لمن لا يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾».

١٩٨٩٤ ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور:٢٧]:

عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وهو الريح الحارة المعروفة، وهو أبلغ في الألم؛ لأن كل خلية في الجسد ستتعذَّب!

١٩٨٩٥ ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُ﴾ [الطور: ٢٧-٢٨]:

دعاؤهم كان سبب نجاتهم من كربات يوم القيامة، فكيف لا يكون سببًا في كشف كُرَب الدنيا؟!

٨٩٩٦ ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]:

استرجاع ذكرياتنا مع الصالحين في الدنيا هي بعض نعيم الجنة

٨٩٩٧ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]:

قال ابن عباس: الصادق في ما وعد، وهذا لائق بما دعا به أهل الجنة، فقد نادوا الله بهذا الاسم بعد أن رأوا ما وعدهم الله به واقعًا في الجنة.

٨٩٩٨ ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور:٢٩]:

انتفى كونك كاهنا أو مجنونا، بسبب إنعام الله عليك، فقم بشكر هذه النعمة بتذكير غيرك والدعوة إلى ربك.

٨٩٩٩ ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]:

كل (رَيْب) في القرآن فهو شكٌّ؛ إلا مكانًا واحدًا في سورة الطور ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ يعني حوادث الدهر.

٩٠٠٠ ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطور:٣١]:

أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي، فأنا واثق من وعد ربي الحق، بنفس درجة اغتراركم بوعود شياطينكم الباطلة.

٩٠٠١ ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الطور:٣٢]:

قيل لعمرو بن العاص: ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله بالعقل؟ فقال: «تلك عقول كادها الله»، أي لم يصحبها بالتوفيق.

٩٠٠٢ ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [الطور:٣٣]:

غياب الإيمان هو الذي أنطقهم بمثل هذا الافتراء، فإذا غاب الإيمان حجب صاحبه عن حقائق القرآن، وأورده أسوأ الأوهام.

٩٠٠٣ ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور:٣٤]:

إن كانوا صادقين في قولهم تقوله وافتراه، فليأتوا بمثل هذا الافتراء! ولن يستطيعوا ولو اجتمعوا هم وأهل الأرض جميعًا من الجن والإنس.

٩٠٠٤ ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾

تشمل الآية معنيين:

أحدهما: من غير خالق لا يتم الخلق إلا به.

الثاني: من غير مادة أو سبب من أب أو أم.

٩٠٠٥ هنا تقرير حقيقة فطرية وبداهة أولية: استحالة وجود شيء من غير سبب، وامتناع الانتقال من العدم إلى الوجود إلا عن طريق موجِد، والموجِد هو الخالق سبحانه؛ لذا فالخلق يدل على الخالق.

٩٠٠٦ ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور:٣٥]:

هذا تحدٍّ أكبر واستحالة عظمى، وهي عجز العجز عن الخلق والإيجاد من العدم، فهذه لا يقدر عليها إلا الله سبحانه.

٩٠٠٧ ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور:٣٦]:

ما أجمل قول ابن عطاء:

«كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء، أم كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو الذي ظهر في كل شيء؟!».

٩٠٠٨ ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور:٣٧]:

اغرس في قلبك التعلق بالله وحده! فلا أحد من الخلق يمتلك ذرة مما معه، ولا أحد يستطيع التصرف خارج إرادة الله أو بعيدا عن قهره وسلطانه.

٩٠٠٩ كان أبو حفص النيسابوري يقول: «أحسن ما يتوسل به العبد إلى مولاه: دوام الفقر إليه على جميع الأحوال، وملازمة السنة في جميع الأفعال، وطلب القوت من وجهٍ حلال».

٩٠١٠ ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [الطور:٣٨]:

لماذا السلطان المبين؟

والجواب: لو طلب منهم أن يقولوا ما سمعوه، لكان لواحد منهم أن يقول: أنا سمعت كذا وكذا، فيفتري كذبا، فقال: لا بل الواجب أن يأتي بالدليل على ما سمِع.

٩٠١١ ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الطور:٣٩]:

خلق البنات والبنين إنما يكون لجواز الفناء على الشخص، ولولا التوالد لانقطع النسل؛ لذا قدَّر الله التوالد على الخلق؛ ولذا لا يكون في الجنة ولادة؛ لأنها دار بقاء، لا موت فيها للآباء، فلا حاجة لوجود الأبناء (إلا لو أراد أهلها ذلك).

٩٠١٢ ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [الطور:٤٠]:

دعوة مجانية لا تكلِّفهم شيئًا، وتضمن لهم جنت النعيم، فكيف التأخر عن دعوة كهذه؟!

٩٠١٣ هنا إعلاءٌ لقدر الداعية، فأجره لا يقدر عليه إلا الله، ولا يُجازي عليه إلا الذي لا حدود لقدرته، ولا منتهى لفضله ومعونته.

٩٠١٤ ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور:٤١]:

ليس عندهم شيء من الغيب، ولا قدرة لهم عليه، ولم يكتبوا في سجلات الغيب شيئًا، إنما كتب الله في اللوح المحفوظ ما قدَّرَه لخلقه.

٩٠١٥ ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ [الطور:٤٢]:

من كاد أولياء الله عاد عليه وبال كيده، وحاق به سيئ مكره.

٩٠١٦ ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور:٤٣]:

ليس لنا إلا الله! يرزقنا، ويهدينا، وينصرنا، فهل هناك إله غيره تلجؤون إليه لطلب الرزق والهداية والنصر؟! سبحانه!

٩٠١٧ ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور:٤٤]:

لو نزل عليهم العذاب الذي استعجلوه، لكذَّبوه وقالوا: هو سحاب متراكم، وهكذا تفعل الضلالة بعقول أصحابها، ويتلاعب الشيطان بهم.

٩٠١٨ ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور:٤٥]:

لا تكترث بهم، وامض في دعوتك أيها النبي، ويا أتباع النبي، فعما قريب يلقون اليوم الذي لا ينفعهم فيه مكرهم السَّيِّئ، إما في الدنيا بهزيمة، أو في الآخرة بعذاب.

٩٠١٩ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الطور:٤٦]:

وما كيدهم أمام كيد الله، وما تدبيرهم أمام تدابير القدَر؟! أمهلهم الله في الدنيا فاغتروا، ثم أحضرهم يوم القيامة ليُعذَّبوا.

٩٠٢٠ ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور:٤٧]:

قد يعذِّب الله الظالم بمصائب الدنيا من الأوجاع والأسقام والبلايا، وقد يستدرجه، فيؤخِّر عذابه إلى الآخرة.

٩٠٢١ ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]:

قال ابن عطية: «هذه الآية يجب أن يقرِّرها كل مؤمن في نفسه، فإنها تُفسِح مضايق الدنيا».

٩٠٢٢ ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]:

أنت بمرأى ومسمع منا، فنحن نرى ونسمع كل ما نزل بك، لست وحدك!

٩٠٢٣ وقالوا في جمع العين هنا، وإفراده في سورة «طه» ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ مع موسى عليه السلام إلى أن فائدة الجمع الدلالة على المبالغة في الحفظ كأن معه من الله تعالى حُفّاظًا يكلؤونه بأعينهم، وذلك لتصبير الحبيب على المكائد ومشاق التكاليف والطاعات، فناسب الجمع لأنها أفعال كثيرة كل منها يحتاج إلى حراسة منه عز وجل.

٩٠٢٤ ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور:٤٩]:

إشارة إلى أهمية الذكر، فقد أمر الله عباده بالذكر في كلِّ وقت، بحيث لا يخلو وقت من ذكره.

٩٠٢٥ ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور:٤٩]:

قال ابن كثير: «إنهما الركعتان اللتان قبيل صلاة الفجر، فإنهما مشروعتان عند إدبار النجوم أي عند جنوحها للغيبوبة».

***

سورة النجم

٩٠٢٦ ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم:١]:

أقسم الله بالنجم إذا غرب وغاب عن الأبصار، أو انتثر يوم القيامة، تنبيهًا على عبادة التفكر في عظيم خلقه، وعدم العمى عن الآيات المنتشرة حولنا.

٩٠٢٧ هل تعلم أن عدد نجوم مجرتنا (درب التبانة) هو قرابة مئتي ألف مليون نجم، وتُصنَّف الشمس من بينها كنجم واحد فحسب!

٩٠٢٨ ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ٢]:

ذَبَّ الله عن نبيه، فمتى نذبُّ عنه نحن؟!

٩٠٢٩ قال ابن عطية:

«والضلال أبدا يكون من غير قصد من الإنسان إليه. والغي كأنه شيء يكتسبه الإنسان ويريده، نفى الله تعالى عن نبيه هذين الحالين».

٩٠٣٠ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣]:

اتهِم عقلك قبل أن تعترض على نَصٍّ شرعي قطعي.

٩٠٣١ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]:

تعريف الهوى باختصار هو مخالفة الوحي.

٩٠٣٢ ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]:

ملَك شديد القوى، والذي بلغ من قوته، أنه اقتلع قرية قوم لوط عليه السلام، ثم رفعها إلى السماء، ثم قلبها، فجَعَل أعلاها أسفلها.

٩٠٣٣ ﴿ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ﴾ [النجم: ٦]:

هي صفة من صفات جبريل عليه السلام، والمِرَّة- بكسر الميم- تطلق على قوة الذات، وحصافة العقل ورجاحته، وهذه لابد أن تكون صفات كل داعية.

٩٠٣٤ ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النجم:٧]:

استوى جبريل بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية، سادًّا ما بين المشرق والمغرب، فخرَّ النبي ﷺ مغشيًا عليه من عظمة ما رأى.

٩٠٣٥ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم:٩]:

الذي دنا وتدلى هو جبريل، أي اقترب من النبي ﷺ ليوحي إليه، ثم كنى الله عن قرب جبريل من نبينا ﷺ بقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم:٩]، والمعنى أن جبريل كان على مسافة قوسين من النبي ﷺ.

٩٠٣٦ ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم:١٠]:

أوحى الله إلى جبريل ما أوحى به جبريل إلى كل رسول، وفيه بيان أن جبريل أمين لم يخن في شيء مما أوحي إليه به؛ لذا فهو أمين الوحي.

٩٠٣٧ ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم:١١]:

ردٌّ على المشركين، وتكذيب لهم، في ما زعموه من أن الرسول ﷺ لم يتلقَّ الوحى عن جبريل، ولم يشاهده، فقد رآه بقلبه قبل عينه، ورؤية القلب أصدق.

٩٠٣٨ ما رآه النبي رآه ببصره وبصيرته، بعينه وبقلبه، وأصدق الرؤى ما تطابقت فيه رؤية العين مع رؤية القلب.

٩٠٣٩ ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم:١٢]:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لم يرَ جبريل في صورته إلا مرتين، أما واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته، فسَدَّ الأفق، وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد.

٩٠٤٠ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]:

رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته الملائكية التي خلقه الله عليها في رحلة المعراج.

٩٠٤١ ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٤]:

رأى النبي ﷺ جبريل عند هذا المكان المُسمَّى سدرة المنتهى؛ لانتهاء علوم الخلائق عنده، وهو مكان في السماء السابعة، لا يعلم ما وراءه إلا الله.

٩٠٤٢ يكفي سدرة المنتهى شرفا أن النبي ﷺ تلقى الوحي عندها من الله دون واسطة، ففي حديث الإسراء: «**حتى ظهَرتُ بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام، ففَرَض الله على أمتي خمسين صلاة...**».

٩٠٤٣ ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم:١٥]:

عند هذه السدرة جنة المأوى، وهي عن يمين العرش، والجنة والسدرة فوق السماء السابعة.

٩٠٤٤ ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم:١٦]:

ما الذي يغشاها؟ هذا إبهام غرضه التعظيم، فلعل الذي يغشاها: الملائكة، يزورونها كما يزور الناس الكعبة، أو يغشاها نور الله تعالى؛ لأن الله تجلى لنبيه ﷺ عند سدرة المنتهى.

٩٠٤٥ ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم:١٧]:

ما زاغ، أي لم ير الشيء على خلاف ما هو عليه، بخلاف من ينظر إلى الشمس مثلا، ثم ينظر إلى شيء أبيض، فإنه يراه مصفرا، فيزيغ بصره.

وما طغى، أي ما تخيل شيئًا ليس موجودا.

٩٠٤٦ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨]:

ليس من رأى كمن سمع، وقد رأى النبي ﷺ ولم نر، وأبصر ثم أخبرنا، فكان نبع يقين يتدفق، يحيى القلوب برؤيته، ويبعث الحياة في كل مِنْ لقيه.

٩٠٤٧ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم:١٩-٢١]:

هذه أصنام كانت العرب تعبدها، فاللات صنم لثقيف، والعُزَّى شجرة

لغطفان، ومناة صخرة لهذيل وخزاعة، وهذه الأصنام كلها مؤنثة، وكانوا يقولون: الملائكة وهذه الأصنام بنات الله!

٩٠٤٨ ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٢]:

أي جائرة، وكلمة (ضيزى) أغرب كلمة في القرآن، وجاءت غريبة لتعبِّر عن القسمة الغريبة التي قسمها الكفار بينهم وبين الله في شأن الملائكة: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾، وهذا تناظر جميل في اللغة كما قال الرافعي في إعجاز القرآن: «هذه الكلمة غريبة في لفظها، وغريبة في معناها، وغريبة في نطقها، وغريبة في صوتها، فجمعت أربع غرائب في أربعة حروف».

٩٠٤٩ ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: ٢٣]:

الأسماء والأوصاف والألقاب الكاذبة لا تغيِّر الحقائق، ولا تجعل الحرام حلالا، وفي الحديث: «**ليشربن أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها**».

صحيح الجامع: ٥٤٥٣.

٩٠٥٠ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [النجم: ٢٣]:

قال الرازي:

«الاعتقاد ينبغي أن يكون مبناه على اليقين، وكيف يجوز اتباع الظن في الأمر العظيم، وكلما كان الأمر أشرف وأخطر كان الاحتياط فيه أوجب وأحذر».

٩٠٥١ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]:

عجيب أن يكون مستند البعض في الدين حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا المسلك الباطل قبلهم، أو ما تشتهيه أنفسهم الأمارة بالسوء، فلا يأخذون دينهم عن وحي ولا رسول.

٩٠٥٢ ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ [النجم:٢٤]:

ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، فلو كان الأمر بيده لتمنى الخلود مع العافية والرفاهية، وهذا لا يكون؛ لأن الأمور بيد الله لا بيد العبد.

٩٠٥٣ والتمني هنا هو تمني المشركين شفاعة الأصنام لهم يوم القيامة، وهذا ما لا يكون.

٩٠٥٤ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٢٥]:

إذا تمنيتَ شيئًا من خيري الدنيا والآخرة، فسَل الذي يملكهما.

٩٠٥٥ ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦]:

الملائكة التي هي أعبد المخلوقات وأقربها إلى الله لا يقبل الله شفاعتها إلا بشروط، فكيف يقبل شفاعة أصنامكم؟! أفلا تعقلون؟!

٩٠٥٦ في الإبهام بقبول الشفاعة تحريض للمؤمنين بالاجتهاد في التعرض لرضا الله بأعمالهم الصالحة، ليكونوا أهلا لعفو الله، فتمحو حسناتهم سيئاتهم، بدلا من التقصير ثم التعلق بذيل الشفاعة التي قد تقبل وقد تُردُّ.

٩٠٥٧ شرط الشفاعة المقبولة: إذن الله للشافع، ورضاه عن المشفوع له.

٩٠٥٨ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ [النجم:٢٨]:

اعتقدوا أن الملائكة إناث، وأنهم بنات الله، وما لهم به من علم، فلم يشاهدوا خلق الملائكة، ولم يخبرهم به رسول، ولم يقرأوه في كتاب.

٩٠٥٩ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم:٢٨]:

من القواعد الفقهية: اليقين لا يزول بالشك، ومن تطبيقاتها قول النبي ﷺ: «**إذا وجد أحدكم في بطنه شيئًا، فأشكِل عليه أخَرَج منه شيء أم لا، فلا يخرجن من المسجد حتى يسمع صوتا، أو يجد ريحا**». صحيح مسلم رقم: ٣٦٢.

قال النووي: «وهذا الحديث أصل من أصول الإسلام، وقاعدة عظيمة من قواعد الفقه، وهي أن الأشياء يُحكَم ببقائها على أصولها، حتى يتيقن خلاف ذلك، ولا يضر الشك الطارئ عليها».

٩٠٦٠ ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ [النجم:٢٩]:

أعْرِض عمّن أعرَض عن ذكرنا، قبل أن نعرض عنك.

٩٠٦١ لأن من لا يصغي إلى قولنا، كيف سيفهم معنى ذكرنا؟!

٩٠٦٢ ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [النجم:٢٩]:

أعظم أسباب التولي عن الذكر: حصر إرادة العبد في تحصيل دنياه.

٩٠٦٣ ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٢٩ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النجم:٢٩، ٣٠]:

اجعل في قائمة أدعيتك: الدعاء المأثور الذي كان رسول الله ﷺ قلَّما يقوم من مجلس حتى يدعو به: « ولا تجعل الدنيا أكبر همِّنا، ولا مبلغ علمنا».

٩٠٦٤ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم:٣٠]:

هذا سبب إعراضك عنهم وإهمال شأنهم، وهي بمثابة تسلية للنبي ﷺ، فالله يعلم من سيعرض، ومن سيقبل عليه، وما يترتب على ذلك من ثواب وعقاب، وكرر قوله ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ مع ضمير (هو) لتأكيد علم الله وقصره عليه؛ لأنه وحده الذي يعلم خفايا القلوب ودخائل النفوس، وغيره لا يعلم.

٩٠٦٥ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم:٣١]:

سين:

لم عدل عن المطابقة، فلم يقل: (ليجزي الذي أساءوا بإساءتهم) كما قال: ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ ؟!

جيم:

لأن السيئات مذمومة شرعا، فكره مجرد إعادة لفظها، وأعيدت باللفظ الأعم وهو العمل، وأما الحسنات فمستحبة ومندوب إليها، فاستُعمِلت بأخص لفظها.

٩٠٦٦ ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢]:

قال ابن عباس: هو الرجل يُلِمُّ بذنب ثم يتوب. ألم تسمع النبي ﷺ كان يقول:

إن يغفر الله يغفر جمًّا وأيُّ عبدٍ لك ما ألمّا؟

٩٠٦٧ ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢]:

ليس المقصود هنا فتح الباب لارتكاب الصغائر، بل فتح باب التوبة منها، حتى لا ييأس مرتكب الصغائر من رحمة الله، فيمضي قدما في ارتكابها، فتجره إلى الكبائر، وحتى لا يعامَل مرتكب الصغيرة معاملة مرتكب الكبائر.

٩٠٦٨ ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢]:

حذارِ من الصغائر! قال ابن عطاء: «وأضرُّ ما يُخاف عليك: محقِّرات الذنوب؛ لأن الكبائر ربما استعظمتها فتُبتَ منها، واستحقرت الصغائر فلم تتُب منها!».

٩٠٦٩ الفارق بين الكبيرة والصغيرة؟ الكبيرة ما رتَّب الشارع على فعله حدًّا شرعيًّا من ضرب أو سجن أو نحوه، أو ما لُعِن فاعله، أو ما توعَّدهم عليه، والصغيرة ما عدا ذلك.

٩٠٧٠ ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[النجم: ٣٢]:

لا تتكلم عن نفسك، فليست العبرة بما (تقول)، وإنما بما (تعمل).

٩٠٧١ في الحديث:

«**لا تزكّوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البرِّ منكم، سموها زينب**». صحيح الجامع رقم: ٧٢٩٧. قال ذلك ينهى عن اسم (بَرَّة)، وأوصى أن تُسَمّى بدلا منه باسم زينب.

٩٠٧٢ قال ابن عباس:

«ما من أحد من هذه الأمة أزكيه غير رسول الله ﷺ».

٩٠٧٣ ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ وَأَعْطَىٰ ﴿٣٣﴾ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾[النجم: ٣٣، ٣٤]:

نزلت في الوليد بن المغيرة، كان قد سمع قراءة النبي ﷺ، فهمَّ أن يسلِم، فعاتبه رجل من المشركين، وقال له: أتترك ملة آبائك؟ ارجع إلى دينك، وأنا أتحمل عنك كل شيء تخافه في الآخرة، لكن على أن تعطيني كذا وكذا من المال، فوافقه الوليد على ذلك، ورجع عن الإسلام، وأعطى بعض ماله لذلك الرجل، ثم أمسك عن الباقي، وبخل به، فأنزل الله تعالى هذه الآيات.

٩٠٧٤ ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٤]:

قال ابن عباس:

وَأَكْدى: كدَّره بمنِّه.

٩٠٧٥ ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٤]:

إشارة إلى البخل وقطع العطاء، يقال: أكدى الذي يحفر، إذا اعترضته كدية، أي: حجر لا يستطيع إزالته.

٩٠٧٦ ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [النجم:٣٥]:

فهو يرى أن عذاب غد يتلقاه عنه غيره، أو يرى ألا بعث غدًا ولا جزاء؛ لذا فهو مطمئن لضلاله، مستريح لكفره.

٩٠٧٧ ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ [النجم:٣٦]:

وهي التوراة، وكان اليهود يعرفونها، وكان العرب يسألون اليهود عما خفي عليهم من صحف موسى؛ ولذا استشهد الله بها لشهرتها.

٩٠٧٨ قدَّم الله صحف موسى، لاشتهارها بكثرة الأحكام التي اشتملت عليها، بالنسبة لما وصل إليهم من صحف إبراهيم.

وأما في سورة الأعلى، فقدَّم صحف إبراهيم على صحف موسى لوقوعها بدلا من الصحف الأولى، وصحف إبراهيم أقدم من صحف موسى، فكان الإتيان بها على الترتيب الزمني أنسب.

٩٠٧٩ ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم:٣٧]:

من الذي يمدح هنا؟! ومن يطيق هذا المدح، وفَّى في كل ما أمره الله به، فإبراهيم عليه السلام قدوتنا في إتقان العمل وإتمامه، على أكمل وجه، حتى مدحه الله عليه.

٩٠٨٠ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم:٣٨]:

القرآن يعلمنا الإنصاف.

٩٠٨١ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم:٣٨]:

دخل رجل على الحجاج مقيَّدا يشكو أنه يُعاقب بعصيان عاص من عشيرته، فأجابه الحجاج مبررًا الفعل شعرًا:

ولَـرُبَّ مـأخوذ بـذنب عَشـيرة ونَجا المقارِفُ صاحب الذنبِ!

ال الرجل: أصلح الله الأمير، ولكني سمعت الله عز وجل يقول: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف:٧٩]، فقال الحجاج: فكوا قيده، وأعيدوا له ما أخذتموه منه، ومُر مناديًا ينادي: صدق الله، وكذب الشاعر.

٩٠٨٢ في كتاب الأذكياء لابن الجوزي:

أخذ زياد بن معاوية رجلًا من الخوارج، فأفلَتَ منه، فأخذ خاله، فقال: إن جِئْتَ بأخيك وإلا ضربت عُنُقك.

قال: أرأيتَ إن جِئْتُ بِكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي؟!

قال: نعم.

قال: فأنا آتِيك بكتاب من العزيز الرَّحيم، وأقيم عليه شاهدين: إبراهيم وموسى عليهما السلام: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾.

قال زياد: خلوا سبيله، هذا رجلٌ لُقِّن حجَّته.

٩٠/١٣ ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم:٣٩]:

بعض العلماء يرى أن القربات لا يجوز إهداؤها للأحياء ولا للأموات استدلالا بهذه الآية.

قال السعدي:

«وفي هذا الاستدلال نظر، فإن الآية إنما تدل على أنه ليس للإنسان إلا ما سعى بنفسه، وهذا حق لا خلاف فيه، وليس فيها ما يدل على أنه لا ينتفع بسعي غيره، إذا أهداه ذلك الغير له، كما أنه ليس للإنسان من المال إلا ما هو في ملكه وتحت يده، ولا يلزم من ذلك، أن لا يملك ما وهبه له الغير من ماله الذي يملكه».

٩٠/١٤ قال شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية:

«من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله، فقد خرق الإجماع.

وذلك باطل من وجوه كثيرة:

أحدها: أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره، وهو انتفاع بعمل الغير.

ثانيها: أن النبي ﷺ يشفع لأهل الموقف في الحساب، ثم لأهل الجنة في دخولها.

ثالثها: أنه ﷺ يشفع لأهل الكبائر في الخروج من النار، وهذا انتفاع بسعي الغير.

رابعها: أن الملائكة يستغفرون ويدعون لمن في الأرض، وذلك منفعة بعمل الغير.

خامسها: أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط- أي من المؤمنين- بمحض رحمته، وهذا انتفاع بغير عملهم.

سادسها: أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم، وذلك انتفاع بمحض عمل الغير.

سابعهـــا: قال الله تعالى في قصة الغلامين اليتيمين: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَلِحًا﴾ فانتفعا بصلاح أبيهما، وليس من سعيهما.

ثامنهـــا: أن الميت ينتفع بالصدقة عنه، وبالعتق، بنص السنة والإجماع، وهو من عمل الغير.

تاسعهـــا: أن الحج المفروض يسقط عن الميت، بحج وليه بنص السنة، وهو انتفاع بعمل الغير.

عاشرهـا: أن الحج المنذور أو الصوم المنذور، يسقط عن الميت بعمل غيره، وهو انتفاع بعمل الغير.

حادي عشر: المدين قد امتنع ﷺ من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة، وقضى دين الآخر علي بن أبي طالب، وانتفع بصلاة النبي ﷺ، وهو من عمل الغير.

ثانى عشر: أن النبي ﷺ قال لمن صلى وحده: «ألا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه»، فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير.

ثالـث عشر: أن الإنسان تبرأ ذمته من ديون الغير، إذا قضاها عنه قاض، وذلك انتفاع بعمل الغير.

رابـع عشر: أن من عليه تبعات ومظالم، إذا حلل منها سقطت عنه، وهذا انتفاع بعمل الغير.

خامس عشر: أن الجار الصالح ينفع في المحيا وفي الممات- كما جاء في الأثر- وهذا انتفاع بعمل الغير.

سادس عشر: أن جليس أهل الذكر يرحم بهم، وهو لم يكن معهم، ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له، والأعمال بالنيات، فقد انتفع بعمل غيره.

سابع عشر: الصلاة على الميت، والدعاء له في الصلاة، انتفاع للميت بصلاة الحي عليه، وهو عمل غيره.

ثامن عشر: أن الجمعة تحصل باجتماع العدد، وكذا الجماعة بكثرة العدد، وهو انتفاع للبعض بالبعض.

تاسع عشر: أن الله تعالى قال لنبيه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾، فقد رفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض، وذلك انتفاع بعمل الغير.

تمام العشرين: أن صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره ممن يموِّنه الرجل، فإنه ينتفع بذلك من يخرج عنه، ولا سعى له فيها.

ومن تأمل العلم وجد انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى، فكيف يجوز أن تتأول الآية الكريمة، على خلاف صريح الكتاب والسنة، وإجماع الأمة».

٨٥-٩٠ ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ [النجم:٤٠]:

سعيك سوف يُرى في الغد، فما الداعي للرياء اليوم؟!

٨٦-٩٠ ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ [النجم:٤١]:

﴿ثُمَّ﴾ للتراخي؛ لأن حصول الجزاء أهم من إظهاره، والأوفى: يفيد تمام وكمال الجزاء على الفعل الحسن أو السيئ دون زيادة أو نقصان.

٨٧-٩٠ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:٤٢]:

الموت ليس نهاية، بل مجرد بداية.

٨٨-٩٠ قال ابن القيم:

«وليس المنتهى إلا إلى الذي انتهت إليه الأمور كلها، فانتهت إلى خلقه ومشيئته، وحكمته وعلمه، فهو غاية كل مطلوب، وكل محبوب لا يحب لأجله فمحبته عناء وعذاب، وكل عمل لا يراد لأجله فهو ضائع وباطل، وكل قلب لا يصل إليه، فهو شقي محجوب عن سعادته وفلاحه».

٩٠٣٩ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾ [النجم:٤٣]:

الضحك والبكاء مسائل قَسْرية لا دخلَ لأحد من البشر فيها، هم فقط أسباب، والله هو مسبِّب الأسباب.

٩٠٤٠ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا﴾ [النجم:٤٤]:

أماته في الدنيا، وأحياه في القبر للنعيم أو الجحيم، ثم أحياه مرة ثانية في الحشر للجنة أو النار.

٩٠٤١ الله وحده يملك أسباب الموت والحياة المادية والروحية، فالمادية معروفة، وأما الإيمانية، فقد أمات الكافر بالكفر، وأحيا المؤمن بالإيمان.

٩٠٤٢ ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ﴾ [النجم:٤٦]:

ورد في الحديث الصحيح: « **وأما شبه الولد أباه وأمه، فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع إليه الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع إليها**». صحيح الجامع رقم: ١٣٤٩.

٩٠٤٣ أي إنسان يغضب من زوجته، إن أنجبت بنتا، فهو جاهل، أو غافل، فالذي يحدِّد نوع الجنين هو الحيوان المنوي للرجل لا بويضة المرأة؛ ولذا قالت المرأة الجاهلية تعاتب زوجها:

ما لي لأبي حمزة لا يأتينا ... غضبان ألا نلِد البنينا

والله ما هذا بأيدينا ... وإنما نعطي الذي أُعْطينا

٩٠٤٤ ﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ [النجم:٤٧]:

النشأة الأخرى هي إعادة الأجسام بعد البلى، وجاء بلفظ: ﴿عَلَيۡهِ﴾ المشعر بحتمية حدوثها؛ لأنها نشأة يُنكِرها الكفار والملحِدون، فبولغ في تأكيدها بقوله: ﴿عَلَيۡهِ﴾، وكأن الله أوجب ذلك على نفسه.

٩٠٤٥ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ﴾ [النجم:٤٨]:

القنية هي أشرف الممتلكات وأنفسها، من أراضٍ وعقارات ومزارع وأثاث.

ومن معاني أقنى: أرضى، أي أعطى الذي أغناه لحَدِّ الرضا، فيؤدي إلى زيادة الامتنان.

٩٠٩٦ الفقر عدم، والغنى وجود، والعدم سابق على الوجود، فلم أُخِّر في اللفظ؟
أجيب بأن الغنى حالة يدعي البعض تحصيلها وينسبها لنفسه، وأما الفقر فلم يدَّع أحد أنه من فعله.

٩٠٩٧ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ [النجم:٤٩]:
قال القرطبي: «لأن العرب كانت تعبده، فأعلمهم الله عز وجل أن الشعرى مربوب وليس برب».

٩٠٩٨ ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ [النجم:٥٠]:
وسيهلك عادا الثانية والثالثة، وكل من سلك سلوك عاد في الظلم والإجرام، سيهلكه الله كما أهلك عادا الأولى.

٩٠٩٩ ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ [النجم:٥١]:
أهلك الله ثمود قومَ صالح، وهم أصحاب الحجر، وكان هلاكهم بالصيحة.

٩١٠٠ ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ﴾ [النجم:٥٢]:
قوم نوح كانوا أظلم من غيرهم وأغوى لطول أعمارهم. قال القرطبي:
«كان الرجل فيهم يأخذ بيد ابنه، فينطلق إلى نوح عليه السلام، فيقول: احذر هذا، فإنه كذاب، وإن أبي قد مشى بي إلى هذا، وقال لي مثل ما قلت لك».

٩١٠١ ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ﴾ [النجم:٥٣]:
المؤتفكة هي قرى قوم لوط، وأهوى بمعنى أنزل، أي أهوى بها من فوق إلى أسفل، بأن رفع قراها إلى الأعلى ثم قلبها.
أو المعنى أنه أسقط عليها الحجارة حتى تهدَّم البناء، فصار أعلى البناء أسفله.

٩١٠٢ ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم:٥٤]:
إبهامٌ يراد به التعظيم والتفخيم، ليذهب بك الخيال إلى أبعد حدود العذاب والإهلاك.

٩١٠٣ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ [النجم:٥٥]:

سمى الله ما مرَّ في آيات السورة نِعَما، مع أن فيها النعم والنقم؛ لأن في النقم عبرا للمعتبرين، فهي نعم بهذا الاعتبار.

٩١٠٤ ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النجم:٥٦]:

محمد ﷺ نذير في سلسلة المنذرين من المرسلين، وقد هلك السابقون فلم ينفعهم الإنذار، وأنتم بهم لاحقون مع هذا العناد والإصرار.

٩١٠٥ ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾ [النجم:٥٧]:

اقتربت القيامة، ودنا وقتها، وبانت علاماتها، والغرض: الحث على المبادرة بالصالحات قبل أن تبادَر بالموت وتلحق بالأموات، فكل قريب آتٍ.

٩١٠٦ ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم:٥٨]:

قال الطبري والزجاج: أي نفس كاشفة تكشف وقت القيامة وتعلمه، وقال القاضي المنذر بن سعيد: هو من كشْفِ الضر ودفعه، أي ليس لها من يكشف خطبها.

٩١٠٧ ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ [النجم:٥٩]:

تتعجبون وتنكرون إنزال القرآن، وما فيه من أخبار البعث بعد الموت، وأنباء إرسال الرسل، بدلًا من الإيمان والعمل.

٩١٠٨ ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ [النجم:٦٠]:

رُوِي أن النبي ﷺ ما رئي ضاحكًا إلا تبسمًا بعد نزول هذه الآية.

٩١٠٩ **ضحك النبي ﷺ!**

قال ابن حجر: «وقيل كان ﷺ لا يضحك إلا في أمر يتعلق بالآخرة، فإن كان في أمر الدنيا لم يزد على التبسُّم».

٩١١٠ ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم: ٦١]:

قال ابن عباس: السمود: اللهو والباطل، وقيل السُّمود: الغناء بلغة حِميَر، ومنه قول بعضهم لجاريته: اسمدي لنا، أي: غني لنا.

٩١١١ ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ﴾ [النجم:٦٢]:

هذه سجدة تلاوة، وقد أخرج الشيخان عن ابن مسعود قال:

«أول سورة أنزلت فيها سجدة: سورة النجم، فسجد الرسول ﷺ، وسجد الناس كلهم إلا رجلًا».

سورة القمر

٩١١٢ ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]:

إنذار إلهي! قال ابن جرير: «وهذا من الله تعالى إنذار لعباده بدنو القيامة، وقرب فناء الدنيا، وأمرٌ لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم، وهم عنها في غفلة ساهون».

٩١١٣ أكَّد هذا النبي عليه الصلاة والسلام هذه الآية بقوله: «**بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين**» صحيح البخاري رقم: ٦٥٠٤، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى، وهما إصبعان متقاربان ليس بينهما إلا مقدار الظفر، وهذا يدل على قرب الساعة.

٩١١٤ نحن اليوم في القرن الخامس عشر الهجري، ومع هذا فما زالت الدنيا قائمة، مما يدل على أن ما مضى قبل بعثة النبي ﷺ زمن طويل جدًّا، وقد قال رسول الله ﷺ يومًا عند غروب الشمس: «**ألا إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه**». صحيح البخاري رقم: ٥٥٧.

٩١١٥ ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر:٢]:

جمعوا بين إعراض القلب وإنكار باللسان، فردوا الدعوة ورفضوا الآيات بقلوبهم وأبدانهم.

٩١١٦ ﴿وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القمر:٣]:

تكذيب آيات الله سببه اتباع أهواء البشر.

٩١١٧ ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر:٣]:

رغم كل موجات التكذيب والتعذيب، إلا أن أمر النبي ﷺ وأتباعه صائر إلى الانتصار وتزايد الأتباع والانتشار، ومصير المعرضين عنه ممن اتبعوا أهواءهم إلى الانخذال وقلة الأتباع والانحسار.

٩١١٨ كل أمر مستقر على سنن ثابتة، تتأخر لكن لا تتخلف، فالحق منتصر، والباطل منخذل، وهو تهديد لأصحاب الباطل، وتسلية للنبي ﷺ ومن اتبعه من أصحاب الحق.

٩١١٩ ﴿جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ [القمر:٤]:

جاء هؤلاء من أنباء الأمم الخالية التي أهلكها الله ما فيه مزدجر، يزجرهم عن الكفر والتكذيب، ويردهم إلى بستان الإيمان الرحيب.

٩١٢٠ ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر:٥]:

قال ابن كثير:

«﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾: أي في هدايته تعالى لمن هداه وإضلاله لمن أضله، ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾، يعني أي شيء تغني النذر عمن كتب الله عليه الشقاوة، وختم على قلبه؟ فمن الذي يهديه من بعد الله».

٩١٢١ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [القمر:٦]:

أعرضوا عن رسول الله ﷺ حين دعاهم، فكان جزاؤهم أن يُعرِض عنهم يوم حاجتهم إليه؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فاحذر أن تقلِّد المعرضين، فتكون مثلهم من المحرومين.

٩١٢٢ ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر:٦]:

يوم القيامة يوم منكَر، أنكروه لأنهم لم يشاهدوا له نظيرًا من قبل، ولن يشاهدوا له مثيلًا من بعد، فلا شيء أنكر على النفوس من هذا اليوم الفظيع الهائل.

٩١٢٣ ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ [القمر:٧]:

أكثر ما تظهر ذلة الذليل وعزة العزيز في عيونهما، وخشوع الأبصار: كناية عن الذلة والانخذال.

٩١٢٤ ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر:٧]:

لم شبَّههم مرة بالفراش، ومرة بالجراد؟!

قال الآلوسي:

«يكونون أولًا كالفراش حين يموجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون؛ لأن الفراش لا جهة لها تقصدها، ثم كالجراد المنتشر إذا توجهوا إلى المحشر، فهما تشبيهان باعتبار وقتين».

٩١٢٥ ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر:٨]:

أي: مديمي النظر إلى الداعي- وهو إسرافيل.

٩١٢٦ ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر:٨]:

لم يمروا بأهوال القيامة بعد، ومع ذلك وصفوه باليوم العسير؛ لأن فحوى الجواب تبدو من عنوانه!

٩١٢٧ بشارة للمؤمنين! مفهوم هذا أنه يوم سهل يسير على المؤمنين، فأبشِروا!

٩١٢٨ يقال: هطع الرجل، إذا أقبل على الشيء ببصره، لا يُقلِع عنه، وأهطع: إذا مدَّ عنقه وصوَّب رأسه نحو الشيء، وهذا الشيء هو الداعي إسرافيل.

٩١٢٩ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾ [القمر:٩]:

ضع في حساباتك أخي الداعية أن تتعرَّض للهجوم والتهديد والوعيد ممن أزعجهم تأثير دعوتك.

قال ابن كثير:

«﴿وَٱزْدُجِرَ﴾: أي انتهروه وزجروه وتواعدوه: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشُّعَرَاءِ: ١١٦]»

٩١٣٠ ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [القمر:١١]:

أبشِر بلحظة انقطاع قدرتك، فهي أقرب اللحظات إلى الإجابة.

٩١٣١ ﴿أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَآ﴾ [القمر:١١]:

الفارق بين الغلبة والفتح: دعوة واحدة!

٩١٣٢ غيَّر الله معالم الكون كله نُصرةً لمظلوم!

٩١٣٣ لا تقل: علمه بحالي يغنيه عن سؤالي، فهذه عبارة شائعة لكنها خاطئة، فالله يحب أن يُسأَل، فأظهر لله ضعفك راجيًا، واهتف داعيًا.

٩١٣٤ ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر:١٢]:

ولم يقل فجرنا عيون الأرض، كأن الأرض كلها صارت عيونا متفجِّرة، حتى التنور المشتعل نارًا، صار يفور بالماء.

٩١٣٥ ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر:١٣]:

لماذا لم يقل: حملناهم في السفينة؟!

والجواب: لعله أراد أن يبين بساطة مكونات هذه السفينة في مواجهة الطوفان المدمِّر، حتى تعلم القلوب أن الألواح والمسامير (الدُّسُر) مجرد أسباب، ولولا حفظ الله ما قاومت أمواجًا كالجبال، والرسالة هنا: خاب من تعلَّق بالأسباب، وأفلح من تعلق برب الأرباب.

٩١٣٦ ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر:١٤]:

قلت لك: تعلَّق برب الأسباب، فما جرت السفينة إلا برعاية الله وحفظه، ولولاه لغرقت بمن عليها.

٩١٣٧ ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٥]:

أمَرْنا بالاعتبار بسفينة نوح، وما حدث لنوح في رحلته مع قومه، فكم درسا خرجت به من هذه الآية؟!

٩١٣٨ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر:١٦]:

العذاب دائمًا تسبقه النُذُر، فمن رحمة الله بعباده ألا يوقع العذاب إلا بعد الإنذار.

٩١٣٩ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧]:

سهَّلناه للحفظ، وهذا معلوم بالمشاهدة؛ فإنه يحفظه الأطفال حفظًا بالغًا بخلاف غيره من كتب البشر.

٩١٤٠ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ [القمر:١٨]:

الحكم على عاد بالتكذيب عام، ذلك أن معظمهم كذبوا هودا، وما آمن معه إلا قليل.

٩١٤١ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر:١٨]:

هذا سؤال جوابه: كان عذابا شديدًا أليمًا، فالاستفهام للتفخيم والتعظيم، وكذلك كانت النُذُر عظيمة.

٩١٤٢ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ [القمر:١٩]:

أهلكهم الله بأهون الأسباب وألطف المخلوقات: الريح التي تجوب الآفاق، فلما افتخروا بقوتهم أذلهم الله بأضعف خلقه.

٩١٤٣ ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر:٢٠]:

قال ابن كثير: «وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم، فترفعه حتى تغيِّبه عن الأبصار، ثم تُنكِّسه على أُمِّ رأسه، فيسقط على الأرض، فتنخلع رأسه، فيبقى جثة بلا رأس، ولهذا قال: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾».

٩١٤٤ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر:٢١]:

كرر السؤال لاختلاف أنواع العذاب وألوان الإنذار.

٩١٤٥ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:٢٢]:

قال القشيري:

«يسَّرنا قراءته على ألسنة الناس، ويسَّرنا علمه على قلوب قوم، ويسَّرنا فهمه على قلوب قوم، ويسَّرنا حفظه على قلوب قوم، وكلُّهم أهل القرآن، وكلُّهم أهل الله وخاصته».

٩١٤٦ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر:٢٤]:

عجيبٌ أمر هؤلاء! لا يتصورون الحق مع الأقلية، مع أنه القانون الإلهي: أن المؤمنين دائمًا قلة.

٩١٤٧ ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [القمر:٢٥]:

قال صاحب الظلال: «أشِر: شديد الطمع في اختصاص نفسه بالمكانة! وهو الاتهام الذي يواجَه به كل داعية؛ اتهامه بأنه يتخذ الدعوة ستارًا لتحقيق مآرب ومصالح، وهي دعوى المطموسين الذين لا يدركون دوافع النفوس ومحركات القلوب».

٩١٤٨ ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ [القمر:٢٦]:

شبَّه يوم القيامة بيوم غد، فما أقرب القيامة؛ إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته.

٩١٤٩ ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ [القمر:٢٧]:

قال الإمام الرازي: «المعجزة فتنة؛ لأن بها يتميز حال من يُثاب ممن يُعذَّب، فالمعجزة ابتلاء؛ لأنها تصديق، وبعد التصديق يتميز المُصدِّق عن المُكذِّب».

٩١٥٠ ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ﴾ [القمر:٢٧]:

الصبر عدة كل داعية! لا يرتقب ذواتهم وإنما يرتقب أحوالهم وما يحصل لهم من الفتنة عند ظهور الناقة، واصطبر أي اصبر صبرًا لا يعتريه ملل ولا ضجر، صبرًا على تكذيبهم، وصبرًا عدوانهم، وصبرًا على تأخر النصر عليهم.

٩١٥١ ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [القمر:٢٨]:

يوم تشرب فيه الناقة، ويوم يشرب فيه القوم، والمحتضر من الحضور، وهذا من جملة ما أمر الله رسولهم بأن ينبِّئهم به، أي لا يحضر القوم في يوم شرب الناقة، وهي بإلهام الله لن تحضر في أيام شربهم.

٩١٥٢ ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [القمر:٢٩]:

كانوا قوم سوء، فكان يتدافعون ويتنافسون على هذا الفعل العظيم، فأخذ عاقر الناقة المبادرة بعد هذا التدافع، وكأن القوم جعلوا له على قتل الناقة أجرًا، فتعاطاه وعقر الناقة.

٩١٥٣ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر:٣٤]:

نبي يُبعَث إلى قومه، فلا يتبعه إلا آل بيته، وليسوا جميعًا، بل كانت امرأته كافرة، فمفتاح الهداية بيد الله وحده، والنتائج ليست عليك!

٩١٥٤ ﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [القمر:٣٥]:

امتن اله على آل لوط بنعمتين: النجاة من العذاب، وإهلاك العدو.

٩١٥٥ ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾ [القمر:٣٥]:

هذه قاعدة عامة، وسُنة جارية، فلو أحسنتم كما أحسنوا، وشكرتم كما شكروا، لجازيناكم خير الجزاء كما جازيناهم.

٩١٥٦ الشُّكر على نعم الدفع أخفى من الشكر على نعم النفع، فقليلٌ من يشكر الله على أن عافاهم الله من المرض والفقر والإصابة، ولا يعرف هذا اللون من الشكر إلا المتقون الموفَّقون.

٩١٥٧ ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ﴾ [القمر:٣٦]:

لم ينزل عذاب الله حتى توالت الإنذارات، فقابلوها بالشك، فأهلكهم الله.

٩١٥٨ ﴿بَطْشَتَنَا﴾ [القمر:٣٦]:

إشارة إلى أنها بطشة معروفة لديهم، وعذابا كان يخوِّفهم به، فالتخويف بما يعرفون أجدى نفعا وأعظم أثرا مما يجهلون.

٩١٥٩ ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر:٣٧]:

طمس العيون لأنها آلة العصيان التي استعملوها في النظر بشهوة إلى الرجال والمردان.

٩١٦٠ ﴿وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٌ مُّسۡتَقِرٌّ﴾ [القمر:٣٨]:

عذابٌ في الدنيا إلى أن استقر بهم في الآخرة، فهو لا ينقطع.

٩١٦١ ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر:٣٩]:

فائدة تكرير هذه العبارة عبر السورة تكرار الإنذار، وقرع الأسماع للاعتبار؛ لئلا يغلبنا السهو، وتستولي عليهم الغفلة، فتظل العبر حاضرة للقلوب، مصورة للأذهان، مذكورة غير منسية في كل أوان.

٩١٦٢ ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:٤٠]:

صرَّفنا لكم في القرآن أنواع المواعظ وألوان العبر، فمن منكم اتعظ؟ وأيكم اعتبر؟!

٩١٦٣ ﴿وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ۝٤١ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٍ مُّقۡتَدِرٍ﴾ [القمر:٤١، ٤٢]:

هنا اختصار قصة فرعون من البداية إلى النهاية في آيتين اثنتين! إنذار فتكذيب فهلاك.

٩١٦٤ ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٍ مُّقۡتَدِرٍ﴾ [القمر:٤٢]:

في الآية تعريضٌ بعزة فرعون واقتداره على البغي والظلم، فقد ضاعت العزة الباطلة، وأسقط الله هذا الاقتدار المزعوم.

٩١٦٥ ﴿أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٌ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ﴾ [القمر:٤٣]:

لستم خيرا من أولئك الذين أُهلِكوا، حتى تعيشوا هذا الأمان العجيب من العذاب!

٩١٦٦ ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ [القمر:٤٣]:

بعض الناس يتبجح بالعصيان وكأنه استلم صكًّا بالبراءة من العذاب! قال ابن عباس: «أم لكم في اللوح المحفوظ براءة من العذاب؟!».

٩١٦٧ ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [القمر:٤٤]:

الاجتماع وعدم التفرق والكثرة من أهم أسباب الفخر والاعتداد بالنفس، لكن.. ماذا تساوي أمام قوة الله؟!

٩١٦٨ ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر:٤٥]:

قال الآلوسي: «والآية من دلائل النبوة؛ لأن الآية مكية، وقد نزلت حيث لم يفرض جهاد، ولا كان قتال؛ ولذا قال عمر يوم نزلت: أى جمع يهزم؟! أي من جموع الكفار، فلما كان يوم بدر، رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ فعرفت تأويلها يومئذٍ».

٩١٦٩ ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر:٤٦]:

ما يلقاه الكافر من عذاب دنيوي هو قطرة في بحر ما ينتظره غدًا من عذاب أخروي، وما لحق المشركين من هزيمة يوم بدر لا يُعدُّ شيئًا أمام عذاب النار.

٩١٧٠ الدنيا بأسرها هي جولة في صراع الحق مع الباطل، لكن الفصل الختامي والجولة الأخيرة لن تكون إلا في الآخرة.

٩١٧١ عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر: «أنشُدُك عهدَك ووعدَك، اللّهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا»، فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده وقال: حسبك يا رسول الله، فقد ألححْتَ على ربك، وهو في الدرع، فخرج وهو يقول: سيُهزَم الجمع ويولون الدبر، بل الساعة موعدهم، يريد القيامة.

٩١٧٢ ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر:٤٧]:

كانوا في ضلال عن العلم النافع، وضلال عن العمل الذي ينجيهم من عذاب يوم القيامة، وهذا هو أهم أنواع العلوم، والجهل به أفدح جريمة في حق نفسك.

٩١٧٣ ما هم فيه اليوم من باطل وضلال هو الإجرام التي استحقوا عليها أن يساقوا إلى النار في الأغلال.

٩١٧٤ ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر:٤٨]:

يُسحَبون على وجوههم، وهي أشرف الأعضاء، وألمها أشد الآلام، فيجمعون بين عذاب الخزي والمهانة، وعذاب الإيلام.

٩١٧٥ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]:

قال صاحب الظلال:

«وأحيانًا يتطاول الزمن بين المبدأ والمصير في عمرهم القصير، فتخفى عليهم حكمة التدبير، فيستعجلون ويقترحون، وقد يسخطون، أو يتطاولون! والله يُعلِّمهم في هذا القرآن أن كل شيء بقدر؛ ليُسلِّموا الأمر لصاحب الأمر، وتطمئن قلوبهم وتستريح ويسيروا مع قدر الله في توافق وفي تناسق وفي أنس، بصحبة القدَر في خطوه المطمئن الثابت الوثيق».

٩١٧٦ القدر يشمل المخلوقات كلها، والعوالم العلوية والسفلية، فالله وحده خلقها، وخلقها بقضاء سبق به علمه، وجرى به قلمه، بوقتها ومقدارها وأنواعها، وجميع ما اشتملت عليه من أوصاف، وكل ذلك على الله يسير.

٩١٧٧ أخرج مسلم عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل شيء بقدَر حتى العجز وَالْكَيْس**». صحيح الجامع رقم: ٤٥٣١ .

والعجز هو عدم القدرة ويشمل أمور الدنيا والآخرة، والكَيْس ضد العجز، وهو النشاط.

٩١٧٨ حقيقة القدَر أن جميع الأشياء علِمَها الله، وسطرها عنده في اللوح المحفوظ، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وهذا سر طمأنينة المؤمن وعدم تعلق قلبه إلا بربه.

٩١٧٩ قال ابن عباس: «كل شيء بقدَر، حتى وضعك يدك على خدِّك».

٩١٨٠ ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ [القمر:٥٠]:

ليس للزمن عندنا حساب، فما يستغرق في قوانينكم آلاف الأعوام نمضيه في لمح البصر من غير ممانعة ولا صعوبة.

٩١٨١ ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر:٥١]:

داء العصر الغفلة! ما أكثر الهالكين وأقل المعتبِرين!

٩١٨٢ ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ [القمر:٥٢]:

عن عوف بن الحارث وهو ابن أخي عائشة لأمها عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**يا عائشة.. إياك ومحقَّرات الذنوب، فإن لها من الله طالبا**».

السلسلة الصحيحة رقم: ٢٧٣١ .

٩١٨٣ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٞ﴾ [القمر:٥٣]:

روى الحافظ ابن عساكر الحديث السابق في ترجمة سعيد بن مسلم، ثم قال سعيد: فحدَّثتُ بهذا الحديث عامر بن هشام، فقال لي: ويحك يا سعيد بن مسلم! لقد حدثني سليمان بن المغيرة أنه عمل ذنبا، فاستصغره، فأتاه آتٍ في منامه، فقال له: يا سليمان:

لا تحقِرنَّ من الذنوب صغيرًا ... إن الصغير غدًا يعود كبيرًا

إن الصغير ولو تقادم عهده ... عند الإله مُسطَّرٌ تسطيرا

فازجر هواك على البطالة لا تكن ... صعب القياد وشمِّرَنْ تشميرا

إن المحب إذا أحب إلهه ... طار الفؤاد وأُلهِم التفكيرا

فاسأل هدايتَك الإلهَ بنيَّةٍ ... فكفى بربِّك هاديا ونصيرا

٩١٨٤ ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ﴾ [القمر:٥٤]:

قال ابن كثير: «قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ﴾: أي بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال، والسعر، والسحب على النار على وجوههم مع التوبيخ والتقريع والتهديد».

٩١٨٥ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «التقوى هي فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه».

٩١٨٦ ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٥]:

قال القرطبي: «﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾: أي مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم، وهو الجنة كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا ۝٢٥ قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦]».

٩١٨٧ ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٥]:

مبهَمٌ أمره في الملك والاقتدار، فلا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته، فأي منزلة أكرم من تلك المنزلة؟! وأي نعيم وسعادة أعظم من هذا؟! فأطلِق خيالك لأصناف المُلْك وعظمة قدرة المضيف.

سورة الرحمن

٩١٨٨ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمن:١-٢]:

إلى كل مربٍّي أو معلِّم: لن تكون ناجحًا حتى تكون رحيمًا، وتأمل كيف قدَّم الله الرحمة على التعليم!

٩١٨٩ ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن:٢-٣]:

النعم قسمان: نعمة خلق وإيجاد، ونعمة هداية وإرشاد، ونعمة الهداية والإرشاد أعظم من نعمة الخلق والإيجاد؛ لذا بدأ بها.

٩١٩٠ ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن:٤]:

قال السدي: «علَّم كلَّ قومٍ لسانهم الذي يتكلمون به».

٩١٩١ في إطار الاحتفالات العالمية بـ«اليوم الدولي للغة الأم»، والموافق ٢١ فبراير من كل عام، كشفت اليونسكو أن عدد اللغات التي يتحدث بها البشر بلغ نحو ستة آلاف

لغة، بينها حوالي ٢٥٠٠ لغة مهددة بالاندثار، ومنها ٩٩ لغة ينطق بها أقل من عشرة أشخاص في العالم، و١٧٨ لغة أخرى ينطق بها ما بين ١٠ و٥٠ شخصًا.

٩١٤٢ ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن:٥]:

لماذا لم يقل حسابًا بدلًا من حسبان؟

لأن الأمر يقتضي مبالغة في الدقة، فهذا ليس مجرد حساب، لكنه حسبان.

٩١٤٣ وطالما أن الخالق سبحانه خلقها بحساب دقيق لا يختل، فاجعلوها مواقيت لحساباتكم ومواعيدكم.

٩١٤٤ سيحدث كسوف مثلًا أو خسوف يوم كذا الساعة كذا، وفي نفس الوقت يحدث فعلًا كسوف للشمس أو خسوف للقمر، مما يدلُّ على أنهما خُلِقا بحساب بديع دقيق، ويكفي أننا نضبط على الشمس مثلًا ساعاتنا.

٩١٤٥ ولولا الدقة فيهما ما أخذناهما ميزانا للوقت، فبالشمس نعرف الليل والنهار، وبالقمر نعرف بداية الشهور.

٩١٤٦ ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾ [الرحمن:٦]:

قال ابن جرير: «اختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ بعد إجماعهم على أن الشجر ما قام على ساق، وقال مجاهد: النجم- المراد به هنا- الذي يكون في السماء، وهذا القول هو الأظهر».

٩١٤٧ أخبرك عن كمال افتقار كل المخلوقات إليه، لتفتقر إليه وتذل بين يديه.

٩١٤٨ كم من المسلمين اليوم لا يسجد لله في الصلاة، والنجم والشجر يسجدان، وصدق رسول الله ﷺ: «**ليس شيء إلا وهو أطوع لله تعالى من ابن آدم**». صحيح الجامع رقم: ٥٣٩٣.

٩١٤٩ ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٧]:

قال الآلوسي ما ملخصه: «قوله: ﴿وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ أي: شرع العدل وأمر به، لينتظم أمر العالم ويستقيم، كما قال ﷺ: «بالعدل قامت السموات

والأرض» أي: بقيتا على أتقن نظام، وتفسير الميزان بالعدل، هو المروي عن مجاهد والطبري والأكثرين».

٩٢٠٠ كان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة ﷺ إلى خيبر، فيخرص بينه وبين يهود خيبر، فجمعوا له حُلِيًّا من حلي نسائهم، فقالوا: هذا لك، وخفِّف عنا، وتجاوز في القسم، فقال عبد الله بن رواحة: يا معشر يهود، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلي، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم، فأما ما عرضتم من الرشوة، فإنها سحت، وإنا لا نأكلها، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض (أي بالعدل). موطأ مالك رقم: ٢٥٩٥.

٩٢٠١ ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ [الرحمن:٨] ثم قال: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٩]: والطغيان: الزيادة إذا كان الكيل لهم، والخسران: النقصان إذا كان الكيل لغيرهم، عدالة الإسلام مطلقة.

٩٢٠٢ ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٩]:
قال قتادة في هذه الآية: «اعدل يا ابن آدم كما تحب أن يُعدَل لك، وأوْفِ كما تحب أن يُوَفّى لك، فإن العدل صلاح الناس».

٩٢٠٣ كرر الله لفظ «الميزان» للتنبيه على شدة عناية الله بإقامة العدل بين الناس، إذ بدونه لا يستقيم لهم حال، ولا يصلح لهم بال.

٩٢٠٤ **العدل في كل شيء!** قال رسول الله ﷺ: «**من كانت له امرأتان، فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل**». صحيح الجامع رقم: ٦٥١٥.

٩٢٠٥ ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن:١٠]:
مَنْ ضاقت به الأرض أن يعبد الله فيها، فليهاجر إلى غيرها.

٩٢٠٦ ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝١١ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن:١٢]:
ذُو الْعَصْفِ أي: ذو القشر الذي يكون على الحب، وسُمِّي بذلك لأن الريح تعصف به، أي: تطيِّره لخِفَّته، أو المراد به الورق بعد أن ييبس ومنه قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾.

٩٢٠٧ والريحان: هو النبات ذو الرائحة الطيبة، وفي الحديث: «**من عُرِضَ عليه ريحان، فلا يرده فإنه خفيف المحمل طيب الريح**». صحيح الجامع رقم: ٦٣٩٢.

٩٢٠٨ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:١٣]:

تكرارها ٣١ مرة في السورة نفسها من باب تقرير النعم والتذكير بها، قال ﷺ: «**لقد قرأتها - يعني سورة الرحمن - على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نُكذِّب، فلك الحمد**». صحيح الجامع رقم: ٥١٣٨.

٩٢٠٩ ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن:١٤]:

قال ابن الجوزي في كتاب (المدهِش):

«الإنسان يُذكَر وَيُرَاد به..

- أبو حذيفة بن عبد الله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ﴾.
- ويُراد به عتبَة بن ربيعَة: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾.
- ويُراد به النَّضر بن الْحَارِث ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾.
- ويُراد به آدم ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ﴾.
- ويُراد به سعد بن أبي وَقاص ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا﴾.
- ويُراد به عَيَّاش بن أبي ربيعَة ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ﴾.
- ويُراد به أَبُو بكر الصّديق ﷺ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾.
- ويُراد به عقبَة بن أبي معيط ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾.
- ويُراد به بَنو آدم ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ﴾.
- ويُراد به برصيصا ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾.

- ويُراد به الْأَخْنَس بن شريق ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾.
- ويُراد به عدي بن أبي ربيعَة ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾.
- ويُراد به أُميَّة بن خلف ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾.
- ويُراد به الْحَارِث بن عَمْرو ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾.
- ويُراد به الْأسود بن عبد الْأسد ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾
- ويُراد به كلدة بن أسيد ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ﴾
- ويُراد به الْوَلِيد بن الْمُغيرَة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾
- ويُراد به أَبُو طَالب بن عبد المطلب ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾
- ويُراد به عتبة بن أبي لَهب ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾
- ويُراد به قرط بن عبد الله ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾
- ويُراد به أَبُو جهل ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾
- ويُراد به أَبُو لَهب ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾
- ويُراد به الْكَافِر ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا﴾ ».

٩٢١٠ ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن:١٥]:

روى مسلم عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خُلِقَت الملائكة من نور، وخُلِق الجان من مارج من نار، وخُلِقَ آدم مما وُصِفَ لكم**». صحيح الجامع رقم: ٣٢٣٨.

٩٢١١ ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن:١٧]:

قال مجاهد: «مشرق الشتاء ومغربه، ومشرق الصيف ومغربه».

٩٢١٢ ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن:١٩، ٢٠]:

خلق الله البحرين العذب والمالح، ومع هذا لم يختلطا، بل يبقى المالح على ملوحته، والعذب على عذوبته، وهذا من أكبر أدلة قدرة الله ورحمته بعباده.

٩٢١٣ ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٢٢]:

هل تعلم أن صدفة واحدة فقط من بين كل ٢٠٠٠٠ صدفة هي التي تحتوي على اللؤلؤ الطبيعي؟!

٩٢١٤ ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ [الرحمن:٢٤]:

يمثل النقل البحري ٩٠٪ من حجم التجارة العالمية، ولولا أن الله سخَّر لنا السُّفُن، لتعطَّلت لنا مصالح كثيرة.

٩٢١٥ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]:

قرىء بين يدي ابن الجوزي يومًا: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، فقال: «هذا والله توقيعٌ بخراب البيوت».

٩٢١٦ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦، ٢٧]:

قال ابن كثير:

«قال الإمام الشعبي: إذا قرأت كل من عليها فان، فلا تسكت حتى تقرأ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ ، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]».

٩٢١٧ ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرحمن:٢٩]:

كلهم يسألونه، إما بلسان حالهم أو مقالهم، وهذا إخبار عن غنى الله عما سواه، وافتقار كل الخلق إليه في جميع الأوقات.

٩٢١٨ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩]:

اليوم شأن، وغدا شأنٌ آخر.

٩٢١٩ قال عبيد بن عمير: «يجيب داعيا، ويعطي سائلا، أو يفكّ عانيا، أو يشفي سقيما».

٩٢٢٠ ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ﴾ [الرحمن:٣٣]:

يرى ابن كثير أن هذه الآية تتحدث عن يوم الحشر، فيقول:

«أي لا تستطيعون هربًا من أمر الله وقدره، بل هو محيط بكم، لا تقدرون على التخلص من حكمه، ولا النفوذ عن حكمه فيكم، أينما ذهبتم أحيط بكم، وهذا في مقام الحشر، الملائكة محدقة بالخلائق سبعة صفوف من كل جانب، فلا يقدر أحد على الذهاب إلا بسلطان أي إلا بأمر الله».

٩٢٢١ جميعكم لا يقدر على خلاف ما أراد الله، فلا مفر من القضاء، ولا مهرب من القدر.

٩٢٢٢ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن:٣١]:

سين: الفراغ لا يكون إلا عن شغل، والله تعالى لا يشغله شأن عن شأن!

جيم: هذا وعيد من الله لعباده، وليس بالله شغل يشغله، حاشاه.

٩٢٢٣ ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥]:

الشواظ هو اللهب الذي لا يخالطه دخان، والنحاس هو الدخان الذي لا لهب معه، والمعنى: أنتم لا تستطيعون الهرب من قبضتنا بحال من الأحوال، ولو حاولتم الهروب لأرسلنا عليكم لهبا يحرقكم، ودخانا يخنقكم، وفي هذه الحالة لا تنتصران.

٩٢٢٤ ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن:٣٧]:

تُبدَّل الأرض غير الأرض والسماوات، فتنشق السماء حتى تصير من كثرة شقوقها كأوراق الورد، ويتغير لونها الأزرق إلى اللون الأحمر للورد، وأما تماسكها، ففي ذوبانها وسيلانها تشبه الدِّهان.

٩٢٢٥ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن:٣٩]:

وأثبت في موطن آخر: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات:٢٤].

كيف نفى السؤال وأثبته؟! السؤال قسمان: قسم أثبته الله، وقسم نفاه الله، فالذي أثبته الله هو سؤال التقريع والتوبيخ، أي: لم فعلتم هذا؟ والذي نفاه كما في سورة الرحمن هو سؤال الاستعلام والاستفهام.

٩٢٢٦ ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الرحمن:٤١]:

المجرم يعرفه كل أحد يوم القيامة بسيماه، فلا يحتاج إلى تمييز أو تعريف.

٩٢٢٧ ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن:٤١]:

قال ابن عباس: «تأخذ الزبانية بناصيته وقدميه، ويُجمَع فيُكسَر كما يُكسَر الحطب في التنور».

٩٢٢٨ ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٤٣ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن:٤٣-٤٤]:

هذا النداء على الملأ، ويسمعه كل الخلائق يوم القيامة، فيزداد به المؤمنون سرورًا أن نجّاهم الله من هذا المصير، ويزداد المجرمون غمًّا ونكالًا بهذا التقريع على أبواب السعير.

٩٢٢٩ قال قتادة: «الحميم يغلي منذ خلق الله تعالى جهنم».

٩٢٣٠ ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦]:

قال سهل التستري: «هَمَّ بمعصية، ثم ذكر مقامه بين يدي الله تعالى يوم الحساب، فانتهى عنها».

٩٢٣١ قال النبي ﷺ: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله إلا رداء الكبرياء على وجهه سبحانه وتعالى» صحيح الجامع رقم: ٣١٠١.

٩٢٣٢ ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن:٤٨]:

جمع فنَن- بفتحتين- وهو الغصن، أي: جنتان صاحبتا أغصان عظيمة.

٩٢٣٣ إن قيل: كيف تمدح بالأفنان، وجميع جنات الدنيا ذوات أفنان كذلك؟

جنة الآخرة ذات فنن، لكنه ليس بالضرورة أن يكون قائمًا على أصل وساق، بل لعلها أغصان معلَّقة في الهواء، وأهلها يقفون من تحتها، فليست أغصان الجنة كأغصان الجنة.

٩٢٣٤ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن:٥٠]:

قال الحسن: «تجريان بالماء الزلال، إحداهما التسنيم، والأخرى السلسبيل».

٩٢٣٥ ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن:٥٢]:

قال ابن عباس: «فما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة، حتى الحنظل،، إلا أنه حلو»، لكن شتان بين الفاكهتين في الشكل والطعم والرائحة وفي كل شيء.

٩٢٣٦ ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن:٥٤]:

والإستبرق: الحرير السميك، وبطائنها من إستبرق فكيف بظاهرها؟!

٩٢٣٧ قيل لسعيد بن جبير: البطائن من إستبرق فما الظواهر؟ قال: هذا مما قال الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

٩٢٣٨ قال الرازي:

«الاتكاء من الهيئات الدالة على صحة الجسم وفراغ القلب، فالمتكئ تكون أمور جسمه على ما ينبغي، وأحوال قلبه على ما ينبغي؛ لأن العليل يضطجع ولا يستلقي أو يستند إلى شيء على حسب ما يقدر عليه للاستراحة، وأما الاتكاء بحيث يضع كفه تحت رأسه ومرفقه على الأرض، ويجافي جنبيه عن الأرض، فذاك أمر لا يقدر عليه، وأما مشغول القلب في طلب شيء، فتحرُّكه تحرك مستَفِزٌّ».

٩٢٣٩ ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن:٥٤]:

اتكاء أهل الجنة لا يباعدهم عن ثمر شجرها الداني إليهم ليلتقطوه بأفواههم دون الحاجة إلى الاعتدال من جلستهم!

٩٢٤٠ ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن:٥٦]:

[الرحمن:٥٧-٥٨]:

قدَّم صفة العفاف على صفة الجمال؛ فلا قيمة لجمال المرأة بغير عفاف.

٩٢٤١ ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الرحمن:٥٦]:

أي غاضات الأبصار عن غير أزواجهن، فمن قصَر طرفه في الدنيا عن الحرام، أعطاه الله قاصرات الطرف -كما وعد- في الجنان.

٩٢٤٢ ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٥٨]:

المرجان هو صغار اللؤلؤ وهي أشد بياضًا من الكبار بكثير، وتشبيه الحور هنا بحسن بياض اللؤلؤ إشارة لشدة بياض البشرة، مع حمرة الياقوت، إشارة إلى حمرة الوجنة والوجه أدبًا وحياء.

٩٢٤٣ ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠]:

عمِلوا خيرًا، فجوزوا خيرًا، لكن شتان ما بين الخيرين! قال القشيري: «وهل جزاء من رفع لنا خطوة إلا أن نكافئه بكل خطوة ألف حظوة».

٩٢٤٤ قال الرازي: «في هذه الآية وجوه كثيرة حتى قيل: إن في القرآن ثلاث آيات في كل واحدة منها مائة قول، إحداها قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾، وثانيها: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾، وثالثها: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾».

٩٢٤٥ قال محمد بن الحنفية: «هي للبَرِّ والفاجر: البَرِّ في الآخرة، والفاجر في الدنيا».

٩٢٤٦ ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٦٢]:

تتفاوت درجات العباد في الجنة بحسب تفاوت هممهم في الدنيا.

٩٢٤٧ يعني: أقل منهما، لكن لأنه ليس في الجنة ما يُسمَّى (أقل)، فاستعاض عن ذلك بقوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾.

٩٢٤٨ ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمن:٦٤]:

وصف مشتق من الدُّهْمة، وهي لون السواد؛ لأن الشجر كلما ازداد ريُّه اشتدت خضرة أوراقه، حتى تقترب من السواد.

٩٢٤٩ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن:٦٦]:

أي فوارتان بالماء، والجري أقوى من النضخ، فهذه مرتبة أقل من الجنتين السابقتين.

٩٢٥٠ نعيمٌ فوق الخيال! قال الحسن ومجاهد: « تنضخ على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور في دور أهل الجنة كما ينضخ رش المطر»، وقال سعيد بن جبير: «إنها تنضخ بأنواع الفواكه والماء».

٩٢٥١ ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن:٦٨]:

الأسماء واحدة، لكن الحقائق مختلفة.

٩٢٥٢ في الأولى قال: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن:٥٢]، وفي الثانية قال: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن:٦٨]، ففي الأولى أطلق خيالك، وفي الثانية قيَّده، وبينهما من فارق النعيم ما لا يخفى.

٩٢٥٣ ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن:٧٠]:

في باطنهن الخير، وفي ظاهرهن الحُسْن، فجمعن بين جمال الباطن والظاهر، وروعة الأخلاق والأشكال.

٩٢٥٤ ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢]:

قال الرازي: «إشارة إلى معنى في غاية اللطف، وهو أن المؤمن في الجنة لا يحتاج إلى التحرك لشيء، وإنما الأشياء تتحرك إليه، فالمأكول والمشروب يصل إليه من غير حركة منه، ويطاف عليهم بما يشتهونه، فالحور يكُنَّ في بيوت، وعند الانتقال إلى المؤمنين -في وقت إرادتهم- تسير بهن للارتحال إلى المؤمنين خيام، وللمؤمنين قصور تنزل الحور من الخيام إلى القصور».

٩٢٥٥ قال في الأوليين: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ ، وقال في الأخريين: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾ ، وبينهما من التفاوت ما بينهما.

٩٢٥٦ ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن:٧٤]:

وهل يجامع الجنُّ الإنس؟

قال مجاهد: «إذا جامع ولم يُسَمِّ، انطوى الجان على إحليله، فجامع معه، فذلك قوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ ».

٩٣٥٧ ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الرحمن:٧٦]:

الاتكاء على الرفرف، وهي وسائد الجنة، هي خير ما يقابل ما قاسوه من تعب السنين، ليكافأوا عليه بالخلد في جنات النعيم.

٩٣٥٨ قال ابن القيم:

«النعيم لا يُدْرَك بالنعيم، وَإِن من آثر الرَّاحَة فَاتَتْهُ الرَّاحَة، وإِن بِحَسب ركوب الْأَهْوَال وإحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فَلَا فرحة لمن لَا هم له، وَلَا لَذَّة لمن لَا صَبر له، وَلَا نعيم لمن لَا شقاء لَه، وَلَا رَاحَة لمن لا تَعب له، بل إِذا تَعب العَبْد قَلِيلًا استراح طويلًا، وإذا تحمل مشقة الصَّبْر ساعة قَادَهُ لحياة الْأَبَد».

٩٣٥٩ ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن:٧٦]:

العبقري:

وصفٌ لكل ما كان ممتازًا ونادر الوجود، والمراد به هنا الثوب المنقوش الموشَّى بالذهب، وإذا قال خالق النقوش:

إنها حسان، فما ظنك بها؟!

٩٣٦٠ سئل الحسن البصري عن قوله تعالى: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ ، فقال: هي بُسُط أهل الجنة، لا أبا لكم، فاطلبوها.

٩٣٦١ ﴿تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨]:

ذِكْر (اسم ربك) مع قوله (تبارك) إشارة إلى كثرة نعم الله تعالى وإفضاله بما لا تحيط به العبارة، فعبَّر عن ذلك بهذه المبالغة (اسم ربك)؛ إذ هي أقصى ما تسمح به اللغة في التعبير، ليعلم الناس أنهم عليهم واجبات تجاه ربهم لا يطيقون شكرها، وذلك لعظيم نعمه عليهم.



سورة الواقعة

٩٢٦٢ ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة:١]:

قال رسول الله ﷺ: «**شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت**». صحيح الجامع رقم: ٣٧٢٣.

٩٢٦٣ قال جابر بن عبد الله: «كان رسولُ اللهِ ﷺ يصلِّي الصلواتِ كنحوٍ من صلاتِكم التي تصلُّونَ اليومَ ولكنه كان يخفِّفُ، كانت صلاتهُ أخفَّ من صلاتِكم، وكان يقرأُ في الفجر الواقعةَ ونحوَها من السُّوَرِ».

٩٢٦٤ قال مسروق: «من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة، ونبأ أهل النار، ونبأ أهل الدنيا، ونبأ أهل الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة».

٩٢٦٥ ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة:٢]:

لا بد أن تكون، والإيمان بها أحد أركان الإيمان، ويوم القيامة لا تكذِّبها نفس ممن كانت تجحدها في الدنيا، بل كل نفس حينئذٍ تكون مصدقة لها.

٩٢٦٦ من أخبَر عن القيامة كان قوله أصدق الأنباء على الإطلاق.

٩٢٦٧ ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة:٣]:

قال محمد بن كعب: «تخفض رجالًا كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع رجالًا كانوا في الدنيا مخفوضين».

٩٢٦٨ ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة:٦]:

وزلزلت زلزالًا شديدًا، وفتت الجبال تفتيتًا، كالهباء الذي نراه حينما تنعكس أنوار الشمس، والهباء: ما يلوح في خيوط شعاع الشمس من دقيق الغبار، فكيف حال العبد الضعيف؟!

٩٢٦٩ ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝٩ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة:٧-١٠]:

قال ابن كثير:

«ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف: قوم عن يمين العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن، ويؤتون كتبهم بأيمانهم، ويؤخذ بهم ذات اليمين، وهم جمهور أهل الجنة.

وآخرون عن يسار العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر، ويؤتون كتبهم بشمائلهم، ويؤخذ بهم ذات الشمال، وهم عامة أهل النار.

وطائفة سابقون بين يديه، وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء، وهم أقل عددًا من أصحاب اليمين».

٩٢٧٠ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:١٠-١١]:

أيّ السابقون إلى الخيرات مقربون في الدرجات.. السرعة هنا = ارتقاء هناك.

٩٢٧١ ﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:١١]:

ولم يقل: المتقرَّبون، حتى يفهم أن ما هم فيه فضل من الله تعالى، وليس شيئًا حَصَلوا عليه بأنفسهم.

٩٢٧٢ ﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي ۝١٢ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة:١٢]:

المقرَّبون في الآخرة من ملك الملوك، غير المقرَّبين من ملوك الدنيا.

فيه إشارة إلى أن قربهم من الله محض لذة وراحة، لا أمر يرِد عليهم ولا نهي، بعكس قرب خواص الملك القائمين بأشغاله، فإنهم غارقون في الأعباء وإجابة رغبات ملكهم؛ ولذا قيل ﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ بدلا من (جنات الخلود) ونحوه.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ ۝١٣ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة:١٤]:

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي من صدر هذه الأمة من صحابة رسول الله ﷺ، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾. قال القاسمي: «أي الذين جاءوا من بعدهم في الأزمنة التي حدثت فيها الغِيَر، وتبرَّجت الدنيا لخُطَّابها، ونسي معها سر البعثة، وحكمة الدعوة؛ فما أقلَّ الماشين على قدم النبي ﷺ وأصحابه! لا جرم أنهم وقتئذٍ الغرباء، لقلتهم».

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ [الواقعة:١٥]:

مجالسهم في الجنة على سُرُر جمع سرير، لكنها ليست أي سُرُر، بل سرر منسوجة بالذهب، ومشبَّكة باللؤلؤ والياقوت.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا﴾ [الواقعة:١٦]:

يتكرر لفظ الاتكاء مع ذكر نعيم الجنة، إشارة إلى تعب أهلها في الدنيا وتكبدهم المشاق، فاليوم يستريحون راحة الأبد، وينعمون بالسعادة في دار الخلود.

﴿مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الواقعة:١٦]:

من ألوان النعيم: لقاء المحبين، وتبادل الحديث مع الأصحاب، والنظر في وجوه الفائزين المسرورين، وهذا من مُتَع الجنة البصرية.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة:١٧]:

قال القرطبي: « مخلدون أي باقون على ما هم عليه من الشباب والغضاضة والحسن، لا يهرمون ولا يتغيَّرون، ويكونون على سن واحدة على مرِّ الأزمنة».

ألـيس كل من في الجنة موصوفًا بالخلد؟! فما الجديد في وصف الولدان بالخلود؟!

قال أبو حيان: «وُصِفوا بالخُلد، وإن كان كل من في الجنة مخلدًا، ليدل على أنهم يبقون دائمًا في سن الولدان، لا يكبرون، ولا يتحوَّلون عن شكل الوصافة».

٩٢٧٩ ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة:١٨]:

وكأس من معين هي من خمر جارية، فكيف تجري الخمر في الكأس؟! هذا ما لا يعلمه إلا من شاهده، ولن نشاهده إلا في الجنة!

٩٢٨٠ ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة:١٩]:

قال ابن عباس: «في الخمر أربع خصال: السُّكر، والصُّداع، والقيء، والبول، فذكر الله تعالى خمر الجنة، ونزَّهَها عن هذه الخصال».

٩٢٨١ ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة:٢١]:

لا يأكل أهل الجنة عن جوع ولا عن حاجة، بل للتلذذ والمتعة فحسب.

٩٢٨٢ ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة:٢٢]:

قال مجاهد في معنى الحور: «يحار فيهن الطرف».

٩٢٨٣ ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة:٢٣]:

شكل الحور غير معلوم، لكنها أقرب ما تكون شبهًا باللؤلؤ المكنون.

٩٢٨٤ الحور العين للرجال في الجنة فماذا للنساء؟

الاستثارة البصرية عند الرجال هي أعلى ما يكون، بخلاف المرأة التي لا تثيرها الأشكال بقدر ما تؤثِّر فيها الكلمات والمعاملات والسلوكيات؛ ولذا ذكر الله من نعيم الجنة ما هو أعظم تأثيرا في النفوس بموجب الفطرة.

٩٢٨٥ ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة:٢٤]:

دخول الجنة برحمة الله، واقتسام درجات الجنة بالأعمال.

٩٢٨٦ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [الواقعة:٢٥]:

هذه متعة روحية رائعة: ألّا تسمع ما يُكرَه سماعه، وألّا تسمع إلا ما تحب، فإن هذا مما يُتَمِّم نعيم الأجساد.

٩٢٨٧ ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة:٢٦]:

تكرار لفظ السلام بهذه الصورة القصد منه الإشعار بكثرة تحيتهم بلفظ

السلام الدال على المحبة والوئام، يحيي أهل الجنة بعضهم بعضًا بالسلام، وتحييهم الملائكة بالسلام، ,يحييهم الله بالسلام.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة:٢٧]:

القرآن يشوِّقنا، فأي شيء أصحاب اليمين؟ وما مصيرهم؟ وما صفة نعيمهم؟ وهي جملة استفهامية مُشْعِرة بتفخيمهم، والتعجب من أحوالهم.

﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة:٢٨]:

قال ابن عاشور: «ولما كان السدر من شجر البادية، وكان محبوبًا للعرب، ولم يكونوا مستطيعين أن يجعلوا منه في جناتهم وحوائطهم؛ لأنه لا يعيش إلا في البادية، فلا ينبت في جناتهم، فخص بالذكر من بين شجر الجنة إغرابًا به وبمحاسنه التي كان محرومًا منها من لا يسكن البوادي، وبوفرة ظله، وتهدل أغصانه، ونكهة ثمره، ووصف بالمخضود، أي المزال شوكه، فقد كملت محاسنه بانتفاء ما فيه من أذى».

﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة:٢٩]:

قالوا هو شجر الموز، والمنضود: المتراكب بعضه فوق بعض على هيئة تسر الناظرين.

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة:٣٠]:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة، واقرءوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾** [الواقعة: ٣٠]». صحيح البخاري رقم: ٣٢٥٢.

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ [الواقعة:٣١]:

ماء الجنة جارٍ، ولقوة جريانه، فكأنه مسكوب.

﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٣]:

لا مقطوعة: فلا تنقطع زمانًا بانقطاع فواكه الشتاء في الصيف، وفواكه الصيف في الشتاء.

ولا ممنوعة: فلا تُمنَع مكانًا ببعد مكان، أو بعلو ثمن، بل إذا اشتهاها العبد دنت منه، ثم دنت حتى تبلغ فاه فيأكلها.

٩٢٩٤ كان الحجاج بن فرافصة واقفًا في سوق الفاكهة، فقيل له: ما تصنع هنا؟! قال: «أنظر إلى هذه المقطوعة الممنوعة».

٩٢٩٥ ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٤]:

فرش أهل الجنة مرفوعة على الأسرة، وليست مفروشة في الأرض، لكن كم ارتفاعها؟! لا أحد يعلم، ويجتمع مع ارتفاع المكان، رفعة القدر.

٩٢٩٦ ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ [الواقعة:٣٥]:

الحديث عن نساء الجنة، والإنشاء يشمل إعادة ما كان موجودًا من نساء المؤمنين، أو الإنشاء من العدم كما في الحور العين، فكلهن أنشأهن الله خصيصا لأهل الجنة.

٩٢٩٧ ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة:٣٦]:

عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قيل لرسول الله ﷺ: هل نصل إلى نسائنا في الجنة؟ قال: «**نعم، والذي نفسي بيده دحمًا دحمًا، إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء، فإذا قام عنها، رجعت مطهرة بكرًا**». السلسلة الصحيحة رقم: ٣٦٧ / ٣٣٥١.

٩٢٩٨ ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة:٣٧]:

عُرُبًا أي محببات إلى أزواجهن. قال المبرِّد: هي العاشقة لزوجها، وأترابًا: يعني: كلُّهُن على سن واحدة.

٩٢٩٩ ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة:٣٧]:

غاية البشاعة والرعب أن يكون الظل الذي يأوي إليه المتعبون لهيبا يشوي الوجوه!

٩٣٠٠ ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٣٨ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الواقعة:٣٨-٤٠]:

أصحاب اليمين جماعة منهم من الأمم السابقة، وجماعة من هذه الأمة.

قال رسول الله ﷺ: «**إني لأرجو أن يكون من تبعني من أمتي ربع أهل الجنة**» قال: فكبَّرنا، ثم قال: «**إني لأرجو أن يكونوا الثلث**». قال: فكبَّرنا ثم قال: «**إني لأرجو أن يكونوا الشطر**» قال: فكبَّرنا، فتلا نبي الله ﷺ: «﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩ - ٤٠]». صحيح ابن حبان رقم: ٦٣٩٧.

٩٣٠١ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ [الواقعة:٤١]:

تشويق للحديث عن أخبارهم، أي ما قصة هؤلاء؟ لتحدِث الآية دورها في تنبيه الغافلين، بما نزل بأصحاب الشمال من بلاء وعذاب أليم.

٩٣٠٢ ﴿فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ [الواقعة:٤٢]:

السموم هي الريح شديدة الحرارة التي تنفذ إلى المسام لتشوي الأجسام، فكأنها سُمٌّ قاتل، والحميم هو الماء الذى بلغ النهاية فى الغليان، حتى ينفذ من الجلد إلى الأمعاء، فيقطِّعها.

٩٣٠٣ ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة:٤٣]:

دخان النار يخنق أنفاسهم، ويُعمي أبصارهم، فيضاعف الله به عذابهم، والعرب يقولون لكل شديد السواد: أسود يحموم.

٩٣٠٤ ما يُفترَض أنه ظل يستريحون تحته، يعذَّبون به، وهذه من مفاجآت النار الكثيرة التي تنتظر أهلها.

٩٣٠٥ قال القرطبي: «أي يفزعون من السَّموم إلى الظلِّ كما يفزع أهل الدنيا، فيجدونه ظلا من يحموم، أي من دخان جهنم أسود شديد السواد».

٩٣٠٦ كل نعيم لأهل الجنة ينقلب جحيمًا على أهل النار، فلما ذكر الظل الممدود في الجنة أتبعه بذكر ظل النار الذي هو من يحموم.

٩٣٠٧ ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة:٤٤]:

برد الظلِّ لا وجود له مع ظل النار، وكرمُ الظلِّ بما فيه من راحة وسلامة من أسباب التعب ليس له وجود في ظل النار.

٩٣٠٨ نفْي محاسن الظلال هو في حقيقته تذكيرٌ للسامعين بما حُرم منه أصحاب النار، وتخويفٌ لهم من الوقوع في أسباب هذا العذاب.

٩٣٠٩ قال قتادة: «لا بارد المنزل، ولا كريم المنظر».

٩٣١٠ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ [الواقعة:٤٥]:

ليس المراد بالترف هنا الغنى، بل بطر النعمة وعدم شكر الله عليها.

٩٣١١ ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٤٦]:

لا يتوبون ولا يستغفرون، ويصِرّون على الذنب، ولا يُقلِعون عن الحنث العظيم أي الذنب الكبير، والمعصية الشديدة.

٩٣١٢ ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝٤٧ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الواقعة:٤٧، ٤٨]:

قال البهوتي: «وإذا جحد البعث كفَر، لتكذيبه للكتاب والسنة وإجماع الأمة».

٩٣١٣ ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة:٤٩، ٥٠]:

كل الخلق غدًا مجموعون، لن يُفلِت منا أحد، فلا مجال لتخلف أو فرار، والموعد مجهول، لكن وقته محدَّد بدقة، لا يتقدم لحظة ولا يتأخر.

٩٣١٤ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٥١]:

قال هنا: الضالون المكذِّبون بتقديم الضالين، وقال في آخر السورة: ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ [الواقعة: ٩٢] بتقديم المكذِّبين، فهل بينهما فرق؟

في هذه الآية مراعاة لترتيب الحصول؛ لأنهم ضلّوا أولا عن الحق، فكذَّبوا بالبعث، لكن في آخر السورة فالكلام عن مصائر الناس عند الموت، ومنهم الذين كذَّبوا بالحشر، فضلوا طريق الجنة.

٩٣١٥ ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝٥٢ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [الواقعة:٥٢، ٥٣]:

والذي أوجب لهم أكلها -مع ما هي عليه من البشاعة- الجوع الشديد، لكن الطعام الذي أرادوا أن يدفعوا به الجوع، لا يسمن ولا يغني من جوع.

٤٣١٦ ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ۝٥٤ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٤، ٥٥]:

الهيم: الإبل تصاب بداء تشرب منه فلا ترتوي، وتتعذب فلا تموت وتستريح، فشُبِّه أهل النار بها وهو أحطُّ تشبيه.

٤٣١٧ قال خالد بن معدان: «كان يُكرَه أن يشرب شرب الهيم عبة واحدة، من غير أن يتنفس ثلاثا».

٤٣١٨ ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الواقعة:٥٦]:

أي رزقهم الذي أُعِدَّ لهم، كالنُّزُل الذي يُعدُّ للأضياف إكراما لهم، وهو غاية التهكم بهم.

٤٣١٩ ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ [الواقعة:٥٧]:

قال صاحب الظلال: «دور البشر في أمر هذا الخلق لا يزيد على أن يودِع الرجل ما يُمني رحم امرأة، ثم ينقطع عمله وعملها، وتأخذ يد القدرة في العمل وحدها في هذا الماء المهين».

٤٣٢٠ يحضهم الله على التصديق بكل وجه! نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالإعادة وتقِرّون بها، كما أقررتم بالنشأة الأولى، وهي خلقكم، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾.

٤٣٢١ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الواقعة:٥٨، ٥٩]:

هل تعلم أن الحد الأدنى المطلوب من الحيوانات المنوية لحدوث الحمل يقدَّر بنحو ١٥ مليون حيوان منوي فى السنتيمتر المكعَّب، وفيما يتعلق بحجم السائل المنوي فيجب أن يكون على الأقل ما بين ٢ إلى ٦ سنتيمتر مكعب، أإله مع الله؟!

٤٣٢٢ ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة:٦٠،٦١]:

نحن لسنا بعاجزين ولا بمغلوبين على إهلاككم وإبدالكم بأمثالكم، ولسنا أيضًا بعاجزين على تبديل صوركم إن أردنا مسخكم، فقد مسخ الله أقواما قردة وخنازير، عقوبة لهم على عدوانهم.

٩٣٢٣ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة:٦٢]:

يا من تستبعِدون البعث بعد الموت، ألا ترون الحياة تدب حولكم بالمطر في البذرة اليابسة والأرض الميتة؟!

٩٣٢٤ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣،٦٤]:

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يقولن أحدكم: زرعت، وليقل: حرثت**». السلسلة الصحيحة رقم: ٢٨٠١.

قال أبو هريرة: ألم تسمع إلى قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾.

وقال القرطبي عن ذلك: «نهي إرشاد وأدب، لا نهي حظر وإيجاب».

٩٣٢٥ ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة:٦٥]:

تتعجَّبون من إهلاك الله لزرعكم، وهذا التعجب منكم يستحق كل تعجب، فماذا تنتظرون جزاءَ كفرهم إلا هذا؟!

٩٣٢٦ ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة:٦٦،٦٧]:

كم غرمنا وأصابتنا المصائب من جراء معصيتنا، وكم حُرِمنا بسبب ذنوبنا، لكن قليلين من ينتبهون إلى أن الله يأخذ بالذنب ويعاقِب به. صحيح البخاري رقم: ٧٥٠٧، وصحيح مسلم رقم: ٢٧٥٨، إن الله تعالى يقول: «**أذنب عبدي ذنبا، فعلم أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب**».

٩٣٢٧ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة:٦٨،٦٩]:

لو منع الله المطر من السماء، فمن يستطيع من البشر أن يُنزِل منه قطرة واحدة؟!

٩٣٢٨ من كثرة ارتباط العرب بالماء، كان يقال للعرب: بنو ماء السماء، فهي أحد أهم النعم التي يرفل فيها العباد، ويغفلون عن شكرها.

٤٣٢٩ لذا شرع الله لنا صلاة الاستسقاء عند انقطاع المطر، وهي ركعتان بلا أذان ولا إقامة، يكبر في الأولى سبعًا بتكبيرة الإحرام، ثم يقرأ الفاتحة وسورة من القرآن جهرًا، ثم يركع ويسجد، ثم يقوم فيكبر في الركعة الثانية خمسًا سوى تكبيرة القيام، ثم يقرأ الفاتحة وسورة من القرآن جهرًا، فإذا صلى الركعتين تشهد، ثم سلَّم.

٤٣٣٠ ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة:٧٠]:

كان بعض الصالحين يدعو مع شرب الماء العذب: الحمد لله الذي جعله عذبًا فراتًا برحمته، ولم يجعله ملحًا أجاجًا بذنوبنا!

٤٣٣١ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ [الواقعة:٧١]:

ما أسهل تحويل الاستمتاع بالدفء إلى عبادة بنية صالحة!

٤٣٣٢ ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ [الواقعة:٧٢]:

يُفْتَن الإنسان بحيازة الأسباب المادية، فتأتي آيات القرآن لترده إلى الصواب، وتنسب الفضل لأهله، وتذكِّر العبد بأن لولا الله، لما تمتع بنعمة واحدة مما هو غارق فيه من النعم.

٤٣٣٣ ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة:٧٣]:

للمقوين أي للمسافرين. قال ابن القيم: «وخصَّ المقوين بالذكر وإن كانت منفعتها عامة للمسافرين والمقيمين تنبيهًا لعباده -والله أعلم بمراده من كلامه- على أنهم كلهم مسافرون، وأنهم في هذه الدار على جناح سفر ليسوا هم مقيمين ولا مستوطنين، وأنهم عابرو سبيل وأبناء سفر».

٤٣٣٤ ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة:٧٣]:

قال الرازي:

قدم كونها تذكرة على كونها متاعا؛ ليُعلَم أن الفائدة الأخروية أتمُّ وبالذكر أهمُّ!

٩٣٣٥ ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٧٤]:

قل سبحان ربي العظيم..

- تنزيهًا له عما يقول الكافرون.
- تعجبًا من أمر المجادلين في آياته والجاحدين بنعمائه.
- شكرًا له على نعمه التي لا تُحصى.
- تذكيرًا لنفسك الأمارة بالسوء إن اتهمت الله في حكمته في أمر من الأمور أو شككت في قدرته.

٩٣٣٦ أي سبِّح ربك واذكره بقلبك ولسانك، فأعظم الذكر أجرًا ما واطأ فيه القلبُ اللسان؛ ولذا أقحم الاسم تنبيهًا على هذا المعنى.

٩٣٣٧ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة:٧٥]:

فلا أقسم بمعنى أقسم و(لا) للتأكيد، على عادة العرب في كلامهم أنهم إذا أقسموا على إثبات أمر واضح قالوا: لا أقسم، أي لا يُحتاج إلى قسم.

٩٣٣٨ ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٦]:

دليل انتفاء علمهم بعظمة الله أنهم لم يوحِّدوه وأشركوا معه غيره، فالعلم النظري لا يكفي، ولو علموا عظمة الخلق، لعظَّموا الخالق، ولو عظَّموا الخالق لأطاعوه ولم يخالفوه.

٩٣٣٩ ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٧]:

قال السعدي:

«وإنه كريم أي: كثير الخير، غزير العلم، فكل خير وعلم، فإنما يستفاد من كتاب الله ويستنبط منه».

٩٣٤٠ ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة:٧٨]:

محفوظ من الباطل والتحريف والتغيير، فلا تناله شياطين الإنس أو الجن، ولا يصِلون إليه، فالله مُظهِره وقد تكفَّل بحفظه.

٩٣٤١ ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩]:

قال ابن تيمية: «فإذا كان ورقه لايمسه إلا المطهرون؛ فمعانيه لا يهتدي بها إلا القلوب الطاهرة».

٩٣٤٢ ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩]:

أكثرنا فهمًا لكلام الله أطهرنا قلبًا.

٩٣٤٣ ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة:٨٠]:

هذا القرآن نزَّله رب العالمين ليكون أعظم ما يربي الله به عباده، فلو هجروه لفسدت تربيتهم، وساءت أخلاقهم، وما قامت لهم قائمة دنيا ولا آخرة.

٩٣٤٤ ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ [الواقعة:٨١]:

العقيدة لا تقبل المداهنة! المُدهِن هو من يُظهِر خلاف ما يُبطِن، فإصراركم على التكذيب سببه مداهنة قومكم؛ لأنكم تخشون إن صدَّقتم بالقرآن أن تزول رئاستكم وسلطانكم.

٩٣٤٥ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢]:

تجعلون شكر النعمة: التكذيب، وتنسبون الرزق لغير الله، وما من رازق إلا الله رب العالمين.

٩٣٤٦ سبب النزول!

أخرج مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال: «**أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا**». قال: فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]، حتى بلغ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]». صحيح مسلم رقم: ١٢٧.

٩٣٤٧ ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ [الواقعة:٨٣،٨٤]:

قال ابن عباس:

«يريد من حضر من أهل الميت ينتظرون متى تخرج نفْسُه».

٩٣٤٨ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة:٨٥]:

قال عامر بن عبد قيس: «ما نظرتُ إلى شيء إلا رأيت الله تعالى أقرب إليَّ منه».

٩٣٤٩ ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة:٨٦،٨٧]:

تحدٍّ إلهي! إن كنتم غير مملوكين لله ولا مقهورين له، فلم لا ترجعون أنفسكم إلى الدنيا كما تشتهون، ولم لا تردون الأرواح إلى الأبدان بعد أن بلغت الحلقوم.

٩٣٥٠ سبحان من قهر بالموت أعتى الجبابرة! إذا بلغت روح أحدكم الحلقوم وأنتم حضور، فهل يستطيع أمهر الأطباء وأعظم العظماء إمساك الروح حتى لا تخرج من الجسد.

٩٣٥١ كان أبو العتاهية عند الرشيد، فقال له: عِظني.

قال: أخافك. قال: أنت آمن. فأنشده:

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس ... إذا تسترَّتَ بالحُجّاب والحَرَس

واعلم بأن سهام الموت قاصدة ... لكل مدَّرِع منها ومُتَّرِس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبس

بكى الرشيد رضوان الله عليه، حتى بلَّ أكمامه.

٩٣٥٢ ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة:٨٨-٨٩]:

قال أبو العالية: «لم يكن أحد من المقربين يفارق الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة، فيشمَّه ثم يقبض».

٩٣٥٣ ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة:٩١]:

أول بشريات المؤمن في الآخرة تكون عند الاحتضار! سلام لك أيها الراحل عن الدنيا إن كنت من أصحاب اليمين، ستسلم من الدنيا وأكدارها، ومنغِّصات نعيمها، ومن النار وعذابها، وتبشَّرك الملائكة بالسلامة عند قبض

روحك، كما يبشِّر الملك روحك عند قبضها: «أبشري بروح وريحان ورب غير غضبان».

٩٣٥٤ ما أندى هذا السلام وما أحبه، فالهول أعظم ما يكون إذا بلغت الروح الحلقوم! لذا يُطمْئِن السلام العبدَ المؤمن إلى ما ينتظره في الآخرة، ويُشعِره بالطمأنينة والأمان مهما كان بين يديه من أهوال.

٩٣٥٥ ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الواقعة:٩٢]:

قال ابن عاشور: «وقدَّم هنا وصف التكذيب على وصف الضلال عكس ما تقدم في قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٥١]، لمراعاة سبب ما نالهم من العذاب وهو التكذيب؛ لأن الكلام هنا على عذاب قد حان حينه، وفات وقت الحذر منه، فبيَّن سبب عذابهم، وذُكِّروا بالذي أوقعهم في سببه ليحصل لهم ألم التندم».

٩٣٥٦ ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة:٩٣، ٩٤]:

الضيافة التي تنتظره غدًا: الحميم الذي يُصهَر به ما في بطونهم والجلود، وتصلية الجحيم أي النار التي تحيط به من كل جانب.

٩٣٥٧ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة:٩٥]:

هذا يقين اليقين وصواب الصواب!

قال قتادة في هذه الآية: «إن الله ليس بتارك أحدا من الناس حتى يقفه على اليقين من هذا القرآن، فأما المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة، وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه اليقين».

٩٣٥٨ ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٩٦]:

عن عقبة بن عامر قال: لما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال النبي ﷺ: «**اجعلوها في ركوعكم**»، ولما نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال النبي ﷺ: «**اجعلوها في سجودكم**». صحيح ابن حبان رقم: ١٨٩٥.

***

سورة الحديد

٩٣٥٩ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الحديد:١]:

كل من حولك من الأحياء وما حولك من الجمادات يسبِّح، فتناغم مع الكون وسبِّح!

٩٣٦٠ خمس سور في القرآن بدأت بتسبيح الجمادات، تعظيمًا لله، فإذا كان في حق الجمادات ولا تكليف عليهم، فكيف بالأحياء المكلفي؟ن!

٩٣٦١ ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ﴾ [الحديد: ٢]:

تخصيص الإحياء والإماتة وملك السماوات والأرض بالذكر هنا لإظهار أن هذين لا يستطيع أي مخلوق ادعاء أن له عملا فيهما.

٩٣٦٢ ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الحديد: ٣]:

من أدعية النوم!

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يدعو عند النوم فيقول: «**اللهم رب السموات ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، فالق الحب والنوى، لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عنا الدين، وأغننا من الفقر**». صحيح مسلم رقم: ٤٤٢٤.

٩٣٦٣ **أول ما علَّم النبي ﷺ أهل اليمن!**

جاء أهل اليمن إلى رسول الله ﷺ فقالوا: جئناكَ لِنتفقَّهَ في الدين، ولِنسألكَ عن أوَّل هذا الأمر ما كان، فأجابهم النبي ﷺ: «**كان الله ولَمْ يكُنْ شيءٌ قبله**

(وفي رواية: ولم يكنْ شيءٌ معه)، **وكان عرْشُه على الماء، ثمَّ خلق السماوات والأرض، وكتب في الذِّكْر كلَّ شيءٍ**». صحيح البخاري رقم: ٧٤١٨.

٩٣٦٤ **عبودية اسم الله الآخر!**

يقول ابن القيم: «وعبوديته باسمه (الآخِر) تقتضي عدم ركونه ووثوقه بالأسباب، والوقوف معها، فإنها تنعدم لا محالة، وتنقضي بالآخرية، ويبقى الدائم الباقي بعدها».

٩٣٦٥ **اسم الله الظاهر والباطن:**

الظاهر بالدلائل الدالة عليه، وأفعاله المؤدية إلى العلم به ومعرفته، فهو ظاهر مدرك بالعقول والدلائل، وباطن لأنه غير مشاهد كسائر الأشياء المشاهدة.

٩٣٦٦ قال ابن جرير: «الظاهر على كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء، فلا شيء أعلى منه، وهو الباطن جميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيء منه».

٩٣٦٧ ﴿وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد: ٤]:

من الملائكة والأعمال، كما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ: «**يُرفَع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل**» صحيح ابن حبان رقم: ٢٦٦.

٩٣٦٨ ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الحديد: ٤]:

عن ابن السماك قال: أوصاني أخي داود بوصية: «انظر، أن لا يراك الله حيث نهاك، وأن لا يفقدك حيث أمرك؛ واستح في قربه منك، وقدرته عليك».

٩٣٦٩ ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الحديد: ٥]:

أي تَرجع أفعال الناس إلى الله، والمراد: رجوع أهلها للجزاء على أعمالهم يوم القيامة، مما يفيد نفس مفاد اسم الله (المهيمن).

٩٣٧٠ ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الحديد: ٦]:

قال ابن عاشور:

«اشتمل هذا المقدار من أول السورة إلى هنا على معاني ست عشرة صفة من أسماء الله الحسنى، وهي: الله، العزيز، الحكيم، الملك، المحيي، المميت، القدير، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، العليم، الخالق، البصير، الواحد، المدبِّر.

عن ابن عباس أن اسم الله الأعظم هو في ست آيات من أول سورة الحديد، فهو يعني مجموع هذه الأسماء».

٩٣٧١ ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]:

قال القرطبي: «فيهِ دليل على أن أصل الملك لله سبحانه، وأن العبد ليس له فيه إلا التصرف الذي يُرضي الله، فيثيبه على ذلك بالجنة، فمن أنفق منها في حقوق الله، وهان عليه الإنفاق منها، كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه، كان له الأجر الجزيل.

٩٣٧٢ ﴿مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[الحديد: ٧]:

ورَّثكم إياه عمن كان قبلكم، وهذا يدل على أنها ليست بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم إلا بمنزلة النواب والوكلاء، فاغتنموا الفرصة فيها بإقامة الحق، قبل أن تزال عنكم إلى من بعدكم.

٩٣٧٣ من طريف ما قيل: إذا رأيتَ الرجل ينفق بسخاء، فاعلم أنه ينفق من غير ماله، ولما كان المال مال الله، فلماذا لا تنفق منه في سبيله؟!

٩٣٧٤ ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ﴾ [الحديد: ٨]:

بيَّن بهذا أنه لا يثبت حكم قبل ورود شرع عن طريق الرسول.

٩٣٧٥ ليس العجب من الإيمان في حضرة الرسل، إنما الأعجب: أن نؤمن بهم دون أن نراهم!

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «قال رسول الله ﷺ: أي الخلق أعجب إليكم إيمانًا؟ قالوا: **الملائكة**.

قال: وكيف لا يؤمنون وهم عند ربهم؟

قالوا: **فالنبيون**.

قال: وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟

قالوا: **فنحن**.

قال: **وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟**

قالوا: فمن يا رسول الله؟

قال: **ألا إن أعجب الخلق إليَّ إيمانًا لقوم يكونون من بعدكم؛ يجدون صحفًا فيها كتاب يؤمنون بما فيها**». حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: ٣٢١٥.

٩٣٧٦ ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ [الحديد: ٨]:

أخذ الميثاق إشارة إلى ما نصب في العقول من الدلائل الموجبة لقبول دعوة الرسل، وبهذا تتطابق دلائل النقل والعقل، أما النقل فبقوله: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾، وأما العقل فبقوله: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾.

٩٣٧٧ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الحديد: ٩]:

الآيات هي المعجزات، وأعظم المعجزات: القرآن، فمن تعرَّض لآيات القرآن قراءة وتدبرًا عاش في أنوار الهداية، ومن غاب عنها تخبط في الظلمات.

٩٣٧٨ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩]:

من علامات رأفته ورحمته:

أن نبَّهكم بالرسول والآيات، ولم يقتصر على ما جعل لكم من الأدلة العقلية على وجود الله.

٩٣٧٩ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١٠]

ما في أيديكم سيرثه الله، وعن قريب ستورِّثونه إلى غيركم، وهذا أعظم باعث على الصدقة والمبادرة إلى الطاعة وعدم الإخلاد إلى الأرض.

٩٣٨٠ ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟﴾ [الحديد:١٠]:

السبق في البذل = السبق في الفضل + علو الدرجات + زيادة الأجر.

٩٣٨١ ولذا فُضِّل أبو بكر رضي الله عنه، وقُدِّم على غيره من الصحابة؛ لأنه أول من أسلم، وأول من أنفق ماله على رسول الله ﷺ.

٩٣٨٢ سر تفضيل الصحابة! قال الإمام الرازي:

«جعل علماء التوحيد هذه الآية دالة على فضل من سبق إلى الإسلام، وأنفق وجاهد مع الرسول ﷺ قبل الفتح، وبيَّنوا الوجه في ذلك، وهو عظم موقع نصرة الرسول عليه الصلاة والسلام بالنفس، وإنفاق المال في تلك الحال، وفي عدد المسلمين قلة، وفي الكافرين شوكة وكثرة عدد، فكانت الحاجة إلى النصرة والمعاونة أشد بخلاف ما بعد الفتح، فإن الإسلام صار في ذلك الوقت قويًا، والكفر ضعيفًا».

٩٣٨٣ ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد:١٠]:

إلا أن ثواب السَّبق يُدْهِش العقول ويُغري كل كسول؛ ولذا قالوا:

السباقَ السباقَ قولا وفعلا حذِّر النَّفْس حسْرة المسبوق

٩٣٨٤ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[الحديد: ١١]:

قال ابن القيم: «وحيث جاءَ هذا القرض فى القرآن قيده بكونه حسنًا، وذلك يجمع أمورًا ثلاثة: أحدها أن يكون من طيب ماله لا من رديئه وخبيثه.

الثانى: أن يخرجه طيِّبة به نفسه ثابتة عند بذله ابتغاءَ مرضاة الله.

الثالث: أن لا يمُنَّ به ولا يؤذِى.

فالأول يتعلق بالمال، والثانى يتعلق بالمنفق بينه وبين الله، والثالث بينه وبين الآخذ».

٩٣٨٥ حُكِي عن عبد الله بن المبارك أنه جاء إليه في بعض الأيام سائل ليسأله شيئًا من الطعام، فلم يجد عنده شيء سوى عشر بيضات فأمر جاريته بأن تعطيه إياها، فأعطته تسعًا وخبأت واحدة، فلما كان وقت غروب الشمس، جاء رجل فدق الباب وقال: خذوا مني هذه السلة، فخرج عليه عبد الله وأخذها منه، فرأى فيها بيضًا، فعده فإذا هو تسعون بيضة، فقال لجاريته: أين البيضة الأخرى؟ كم أعطيتِ السائل؟ فقالت: أعطيته تسعًا، وتركت واحدة نفطر عليها، فقال لها: غرَّمتِنا عشرًا.

٩٣٨٦ ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد:١٢]:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم، وأدناهم نورا من نوره أعلى إبهامه فيطفأ مرة ويوقَد مرة».

٩٣٨٧ ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد:١٣]:

تفاوت المؤمنين في النور يوم القيامة!

قال عبد الله بن مسعود: «يُؤتَون نورهم على قدر أعمالهم، ويمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم».

٩٣٨٨ قال الإمام الرازي:

«الاحتمالات في هذا الباب ثلاثة:

- **أحدها**: أن يكون الناس كلهم في الظلمات، ثم إنه تعالى يعطي المؤمنين هذه الأنوار، والمنافقون يطلبونها منهم.
- **وثانيها**: أن تكون الناس كلهم في الأنوار، ثم إن المؤمنين يكونون في الجنات فيمرون سريعًا، والمنافقون يبقون وراءهم، فيطلبون منهم الانتظار.

- **وثالثها**: أن يكون المؤمنون في النور والمنافقون في الظلمات، ثم المنافقون يطلبون النور مع المؤمنين».

٩٣٨٩ ﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ [الحديد:١٣]:

قال ابن كثير:

«فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمى بنور البصير، ويقول المنافقون للذين آمنوا: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾، وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢]، فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور، فلا يجدون شيئًا، فينصرفون إليهم، وقد ضُرِب بينهم بسور له باب: ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾».

٩٣٩٠ قال المؤمنون في الرد على المنافقين:

- ارجعوا وراءكم حيث الموقف الذي كنا واقفين فيه سويًّا، فالتمسوا منه النور.
- أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نورًا، عن طريق تحصيل سبب النور وهو الإيمان والعمل الصالح.
- أو ارجعوا خائبين، فلا نور لكم عندنا.

وقول المؤمنين هنا على سبيل التهكم، إذ لا نور وراء المنافقين.

٩٣٩١ **الأعمال الصالحة سبب أنوار الآخرة!** قال الإمام الرازي: «تلك الأنوار نتائج الأعمال الصالحة في الدنيا، فلما لم توجد تلك الأعمال في الدنيا امتنع حصول تلك الأنوار في الآخرة».

٩٣٩٢ ﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [الحديد:١٤]:

قال ابن عاشور: «وذكروا لهم أربعة أصول هي أسباب الخسران، وهي: فتنة

أنفسهم، والتربص بالمؤمنين، والارتياب في صدق الرسول ﷺ، والاغترار بما تموِّه إليهم أنفسهم.

﴿٩٣٤٣﴾ ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الحديد:١٥]:

كل شيء يمكن تعويضه إذا فات إلا الإيمان، وصدق من قال: اليوم يُقبَل منك مثقال ذَرة، وغدا لن يقبل منك ملء الأرضِ ذَهبًا.

﴿٩٣٤٤﴾ ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الحديد:١٦]:

حديث تنبَّأ بالمستقبل:

«أول شيء يُرفَع من هذه الأمة الخشوع حتى لا ترى فيها خاشعا». صحيح الجامع رقم: ٢٥٦٩ .

﴿٩٣٤٥﴾ ﴿فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الحديد:١٦]:

كلما طال البعد عن القرآن قسا قلب العبد، ولين القلب بكثرة تعاهد القرآن.

﴿٩٣٤٦﴾ ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ [الحديد:١٧]:

هذا تمثيل رائع، فالقلوب التي ماتت بسبب القساوة، ممكن إحياؤها بالمواظبة على الذكر، كما يحيي الله تعالى الأرض بالمطر.

﴿٩٣٤٧﴾ ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الحديد:١٧]:

المعنى: أن المواظبة على الذكر سبب لعودة الحياة إلى القلوب التي ماتت بسبب الغفلة والذنوب، كما أن الغيث سبب حياة الأرض.

﴿٩٣٤٨﴾ ﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ [الحديد:١٨]:

سمَّى الله النفقة في سبيله قرضًا، ومعلومٌ أن القرض سبيله الرد، والمعنى: أنك مجازَى على إنفاقك في سبيل الله ولا بد خيرَ الجزاء.

٩٣٩٩ أضاف القرض إلى الله، والله أهل الوفاء وأهل الثناء والمجد، فهنيئًا لك يا باذلاً ماله في سبيل الله.

٩٤٠٠ نكَّر القرض؛ ليدل على إطلاقه، فيشمل كل أنواع النفقات من زكاة أو صدقات.

٩٤٠١ فرَّق أصحاب الخواطر بين البخل والسخاء بفرقين:

أحدهما: أن البخيل الذي يلتذ بالإمساك. والسخي الذي يلتذ بالإعطاء.

الثاني: أن البخيل الذي يعطي عند السؤال، والسخي الذي يعطي بغير سؤال.

٩٤٠٢ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الحديد:١٩]:

قال صاحب الظلال:

«ومقام الصديقين مقام رفيع كما تصوره الأحاديث النبوية الشريفة، ومع علو هذا المقام فهو بفضل الله ميسور لمن أراده، وليس وقفًا على أفراد ولا على طائفة. فكل من يحقق إيمانه بالله ورسله يطمع في هذا المقام الرفيع، ولا حجر على فضل الله. (الظلال)

وتلك خاصية هذا الدين وميزته. إنه طريق مفتوح لجميع البشر، وأفق يتطلع إليه الجميع، ليس فيه احتكار للمقامات، وليس فيه خصوصيات محجوزة لأناس بأعيانهم، وليس إلا العمل يصعد بصاحبه إلى أرقى الدرجات، إنه دين لا مجال فيه للطبقات المحفوظة المقام!»

٩٤٠٣ ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾[الحديد:١٩]:

لهم عند ربهم أجر جزيل ونور عظيم يسعى بين أيديهم، وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الأعمال.

٩٤٠٤ ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ﴾ [الحديد:٢٠]:

قال ابن عاشور: «وقد ذكر هنا من شؤون الحياة ما هو الغالب على الناس، وهي أصول أحوال المجتمع في الحياة، وهي أيضًا أصول أطوار آحاد الناس في تطور كل واحد منهم، فإن اللعب طور سن الطفولة والصبا، واللهو طور الشباب، والزينة طور الفتوة، والتفاخر طور الكهولة، والتكاثر طور الشيخوخة».

٩٤٠٥ ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠]:

قال القشيري: «الدنيا حقيرة، وأحقر منها قَدْرًا طالبها، وأقلُّ منه خطرًا المزاحم فيها، فما هي إلا جيفة، وطالب الجيفة ليس له خطر، وأخسُّ أهل الدنيا من بخِل بها، وهذه الدنيا المذمومة هي التي تشغل العبد عن الآخرة!».

٩٤٠٦ ﴿أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد:٢٠]:

الكُفَّار هنا الزُّرّاع الذين يزرعون الأرض، ويبذرون فيها البذور، وسُمّوا كفارًا من الكفر بمعنى الستر والإخفاء لأنهم يخفون البذور في الأرض.

٩٤٠٧ ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد:٢١]:

المقصود المبالغة في وصف سعة الجنة، فقد جرت العادة أن يكون الطول أكبر من العرض، فإذا كان عرض الجنة كهذا، فإن العقل سيذهب كل مذهب في تخيل طولها، ومن ثَمَّ سعتها.

٩٤٠٨ ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الحديد:٢١]:

الجنة تُنال برحمة الله وفضله، لا بسعي العبد وكدِّه.

٩٤٠٩ أطفئ نار الحسد في قلبك تجاه غيرك ببرد هذه الآية التي تثبت الفضل لله وحده.

٩٤١٠ قال مخلد بن الحسين: «ما انتبهتُ من الليل إلا أصبت إبراهيم بن أدهم يذكر

الله ويصلي، فأغتم لذلك، ثم أتعزى بهذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الحديد:٢١]».

٩٤١١ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ [الحديد:٢٢]:

قال ابن عباس: «لما خلق الله القلم قال له اكتب، فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة».

٩٤١٢ ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ [الحديد:٢٣]:

كلمة (لَوْ) ليس لها وجود في قاموس المؤمن.

٩٤١٣ ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد:٢٣]:

تساؤل مشروع! قال ابن جزي: «فإن قيل: إن الإنسان لا يملك نفسه أن يفرح بالخير ويحزن للشر، فالجواب: أن النهي عن الفرح إنما هو عن الذي يقود إلى الكِبْر والطغيان، وعن الحزن الذي يخرج عن الصبر والتسليم».

٩٤١٤ ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ [الحديد:٢٤]:

المراد بالذين يبخلون: المنافقون، بخلوا بأموالهم، ثم أمروا غيرهم بالبخل، وهو ما حكاه الله عنهم: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ [المنافقون: ٧].

٩٤١٥ يتسع البخل في الآية لكل أمر مادي أو قيمي، فالذين أوتوا الكتاب مثلا يعرفون صفته ﷺ كما يعرفون أبناءهم، ومع هذا كتموا هذه المعرفة عن الناس، وتواصوا بهذا البخل جيلا بعد جيل.

٩٤١٦ ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد:٢٥]:

قال الإمام ابن كثير: «وجَعَلْنا الحديد رادعا لمن أبى الحق، وعانده بعد قيام الحجة عليه، ولهذا أقام الرسول ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة، تنزل عليه السور المكية، لبيان أن دين الله حق، فلما قامت الحجة على من خالفه، شرع الله القتال بعد الهجرة، حماية للحق».

٩٤١٧ قال الإمام الفخر الرازي: «ثم إن الحديد لما كانت الحاجة إليه شديدة، جعله الله سهل الوجدان، كثير الوجود، والذهب لما كانت حاجة الناس إليه قليلة، جعله الله- تعالى- عزيز الوجود، وبهذا تتجلى رحمة الله على عباده، فإن كل شيء كانت حاجتهم إليه أكثر جعل الحصول عليه أيسر».

٩٤١٨ ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [الحديد:٢٥]:

المراد به علم الظهور الذي يترتب عليه الثواب أو العقاب، أما علم أنه سيكون فهذا معلوم منذ الأزل، هذا من تمام عدل الله أن لا يعاقب عباده إلا بما ظهر منهم.

٩٤١٩ ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [الحديد:٢٥]:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ينصرونه ولا يبصرونه»، والمراد أنه ينصر الله عز وجل وينصر رسله وهو لم ير الله؛ ولذا قال البغوي: «أي قام بنصرة الدين ولم يرَ الله ولا الآخرة، وإنما يُحْمَد ويُثاب مَنْ أطاع الله بالغيب».

٩٤٢٠ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:٢٦]:

دائمًا المؤمنون قلة، والأكثرية للفُسَّاق والكفار، ليس في الأمر جديد.

٩٤٢١ ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:٢٧]:

قال الإمام الآلوسي: «وقوله سبحانه: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ استثناء منقطع، أي: ما فرضناها نحن عليهم رأسا، ولكن ابتدعوها وألزموا بها أنفسهم ابتغاء رضوان الله».

٩٤٢٢ ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد:٢٧]:

ابتدعوها من أجل أن يرضى الله عنهم، ولكن بمرور الأيام، لم يحافظ كثير منهم على ما تقتضيه هذه الرهبانية من زهد وتقى، بل صارت طقوسا خالية من الروح.

٩٤٢٣ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ [الحديد:٢٨]:

ذكر ابن كثير أنه لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين، أنزل الله هذه الآية في حق هذه الأمة، واستدل بقول النبي ﷺ: «**إنما أجلكم فيما خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغارب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استأجر أجراء فقال: من يعمل من غدوة إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود.**

ثم قال: من يعمل من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى.

ثم قال: من يعمل من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين قيراطين؟ فأنتم هم، فغضبت اليهود والنصارى وقالوا: ما لنا أكثر عملا وأقل عطاء؟

قال: هل ظلمتكم من حقكم شيئًا؟

قالوا: لا.

قال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء». صحيح الجامع رقم: ٢٣١٥.

٩٤٢٤ ﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ [الحديد:٢٨]:

ثمرة التقوى رائعة!

قال القرطبي:

«وأصل الكِفل كساء يكتفل به الراكب، فيحفظه من السقوط، أي يؤتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة المعاصي، كما يحفظ الكِفْل الراكب من السقوط».

٩٤٢٥ ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد:٢٨]:

قال ابن القيم: «نكتة بديعة وهي أنهم يمشون على الصراط بأنوارهم، كما مشوا بها بين الناس في الدنيا، ومن لا نور له فإنه لا يستطيع أن ينقل قدمًا عن قدم على الصراط، فلا يستطيع المشي أحوج ما يكون إليه».

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢٩]:

لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قول الله تعالى:﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ قالوا للمسلمين: أما من آمن منا بكتابكم، فله أجره مرتين لإيمانه بكتابنا وكتباكم، ومن لم يؤمن منا بكتابكم، فله أجر كأجركم، فبأي شيء فُضِّلْتم علينا؟ فأنزل الله هذه الآية.



الجزء الثامن والعشرون

سورة المجادلة آية ١
إلى سورة التحريم آية ١٢

عدد الفوائد: ٢٩٨

قال إياس بن معاوية:

«مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره، كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلا وليس عندهم مصباح، فتداخلتهم روعة، ولا يدرون ما في الكتاب؛ ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح، فقرؤوا ما في الكتاب».

الجامع لأحكام القرآن ١-٤٠

الجزء الثامن والعشرون
من سورة المجادلة آية ١
إلى سورة التحريم آية ١٢

سورة المجادلة

٩٤٢٧ ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١]:

ما أدق تعبير القرآن، فالمرأة تجادل رسول الله ﷺ في زوجها، أما شكواها فلا ترفعها إلا إلى الله.

٩٤٢٨ ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: ١]:

حوار كل اثنين -مهما استترا عن العيون- مسموع ومسجَّل عند الله، فعند كل إساءة أو تجاوز في كلامك تذكر هذه الآية.

٩٤٢٩ ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة: ٢]:

قال الآلوسي: «ويُعلَم من الآيات أن الظهار حرام، بل قالوا: إنه كبيرة؛ لأن فيه إقدامًا على إحالة حكم الله تعالى وتبديله بدون إذنه، وهذا أخطر من كثير من الكبائر، ومن ثم سماه عز وجل مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورا».

٩٤٣٠ ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ [المجادلة: ٣]:

العود معناه العزم على الرجوع عن الظهار أو العزم على جماع امرأته التي ظاهر منها، فكفارته تحرير رقبة من قبل أن يتماسا أي قبل أن يصيب الرجل امرأته.

٩٤٣١ ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٤]:

هذا من لطف الله بعباده وعنايته بهم، حيث ذكر شكوى هذه المرأة المصابة، وأزالها، بل ورفع البلوى بُحكمٍ عام لكل من واجه نفس هذه المشكلة.

٩٤٣٢ قال القرطبي: «وقد ذكر الله تعالى الكفارة هنا مرتبة، فلا سبيل إلى الصيام إلا عند العجز عن الرقبة، وكذلك لا سبيل إلى الإطعام إلا عند عدم الاستطاعة على الصيام».

٩٤٣٣ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٥]:

يحادون الله أي أولياء الله كما في جاء الحديث: «**من عاد لي وليًا فقد آذته بالحرب**».

٩٤٣٤ المحادَّة كناية عن المعاداة، وأصلها أن تكون في حد- أي جانب- وعدوك في حدٍّ آخر، وتشمل الكافرين المجاهرين بالعداوة، والمنافقين المسرّين بها.

٩٤٣٥ ﴿كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة: ٥]:

﴿كُبِتُوا﴾ بمعنى سيُكْبَتون، وعبَّر عن المستقبل بالماضي، للإشعار بتحقق الذل والخسران لكل من حارب الله ورسوله، والهدف: بشارة الرسول ﷺ والمؤمنين ومن سلك طريقهم، بأن أعداءهم سيصيبهم الكبت والذل، وسيتفرق جمعهم.

٩٤٣٦ ﴿أَحْصَىٰهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]:

ما أخوفني غدًا من ذنوب منسية، وهي عند الله مكتوبة محصية.

٩٤٣٧ ما أخطر أن يجتمع إحصاء الرب ونسيان العبد!

٩٤٣٨ خطورة النسيان أنه يؤدي لترك الاستغفار على الذنب، فتتراكم الذنوب، فتقسو القلوب!

٩٤٣٩ أتذكر ذنوب العام الماضي؟ وذنوب عشرة أعوام خلت؟ أحصاها الله عليك، فالويل لك إن نسيتَها، فلم تتب منها!

٩٤٤٠ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[المجادلة: ٧]:

افتتح الكلام بالعلم وختمه بالعلم؛ ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل: «هو معهم بعلمه».

٩٤٤١ ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة: ٨]:

كانوا إذا دخلوا على النبي ﷺ يخفتون لفظ «السلام عليكم»؛ ويعدلون عن ذلك ويقولون: أنعِم صباحًا، وهي تحية العرب في الجاهلية؛ لأنهم لا يحبون أن يتركوا عوائد الجاهلية. قاله ابن عباس، فما هي تحيتك لزملائك؟!

٩٤٤٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ [المجادلة: ٩]:

لا تقل في السر كلامًا تستحي من النطق به في العلن.

٩٤٤٣ قال ابنُ عطيَّة: «خصَّ الإثمَ بالذِّكر؛ لعمومه، والعدوانَ؛ لعظمته في نفسه؛ إذ هي ظلامات العباد، ومعصيةَ الرسول؛ طعنًا على المنافقين؛ إذ كان تناجيهم في ذلك».

٩٤٤٤ ﴿وَتَنَٰجَوْا بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المجادلة: ٩]:

لو عملنا بها كما أمرنا الله لانحسرت خلافاتنا، وحوصِرت مشكلاتنا، وتعاظمت أجورنا!

٩٤٤٥ ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة: ٩]:

أعظم ما يعين على التقوى تذكر الرجوع إلى الله.

٩٤٤٦ ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المجادلة: ١٠]:

الحزن مؤامرة شيطانية ومن جنود إبليس ليشوِّش على المؤمنين إيمانهم وعبادتهم.

٩٤٤٧ ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المجادلة: ١٠]:

في الحديث: «**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس؛ من أجل أن يُحْزِنَهُ**»، صحيح البخاري رقم ٦٢٩٠، وسبب الحزن أن يظن أن الاثنين يتناولانه بسوء أو يخفيان عنه شيئًا.

٩٤٤٨ كان ابن عمر يتحدث مع رجل، فجاء آخر يريد أن يناجيه، فلم يناجِه حتى دعا رابعًا، فقال له وللأول: تأخرا، وناجى الرجل الطالب للمناجاة.

٩٤٤٩ ﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠]:

لا يقضي على الأحزان مثل التوكل على الرحمن.

٩٤٥٠ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١]:

قال قتادة: «نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلا، ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ، فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض».

٩٤٥١ وفي رواية أخرى لقتادة: كان رسول الله ﷺ يُكرِم أهل بدر، فجاء ناس منهم وقد سُبِقوا في المجالس، فلم يُفسِح أحدٌ لهم، فشقَّ ذلك على رسول الله، فقال لمن حوله من غير أهل بدر: قم يا فلان، فشقَّ ذلك عليهم، وعرف ﷺ الكراهة في وجوههم، وقال المنافقون: ألستم تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس؟ والله ما رأيناه قد عدل على هؤلاء، فقال رسول الله ﷺ: «**رحم الله رجلًا يُفسِح لأخيه**»، فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعًا، ونزلت هذه الآية.

٩٤٥٢ ﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١]:

وحذف الله سبحانه متعلِّق ﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ﴾ ليشمل كل ما يرجو الناس أن يُفسِح الله لهم فيه من رزق، ورحمة، وخير دنيوي وأخروي.. استحضر هذه النية مع كل إفساحٍ في مجلس.

٩٤٥٣ ﴿فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١]:

مجرد إفساحك لأخيك في المجلس يفسح الله لك به في الدنيا والآخرة، فكيف لو قضيت له حاجته أو فرَّجتَ كُربَته؟!

٩٤٥٤ قال الرازي: «واعلم أن هذه الآية دلَّت على أن كل من وسَّع على عباد الله أبواب الخير والراحة، وسَّع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة، ولا ينبغي للعاقل أن يُقيِّد الآية بالتفسُّح في المجلس، بل المراد منه إيصال الخير إلى المسلم، وإدخال السرور في قلبه».

٩٤٥٥ ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]:

ليس كل عالم يرتفع بعلمه، وذلك بسبب ضعف إيمانه وقلة إخلاصه، وإن كثر علمه واشتهر اسمه.

٩٤٥٦ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: ١٢]:

ذكر ابن عباس أنها نزلت بسبب أن المسلمين كانوا يكثرون المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، فلما نزلت هذه الآية، كفَّ كثير من الناس، ثم وسَّع الله عليهم بالآية التي بعدها.

٩٤٥٧ ذكروا في سبب تقديم الصدقة أسبابًا: تعظيم أمر مناجاة الرسول ﷺ، والتخفيف عن النبي ﷺ ليتفرغ لعظيم المهام، وتهوين الأمر على الفقراء الذين قد يسبقهم الأغنياء إلى مجلس النبي ﷺ، فإذا علموا أن مناجاة الأغنياء تسبقها صدقة، لم يضجروا.

٩٤٥٨ ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المجادلة: ١٣]:

نزلت بعد عشرة أيام من التي قبلها، ونسخت التي قبلها، وهي من أظهر آيات النسخ؛ لأنها أسقطت وجوب تقديم الصدقة. قال الآلوسي: «والظاهر - والله أعلم - أن الحادثة من باب الابتلاء والامتحان، ليظهر للناس محب الدنيا من محب الآخرة، والله بكل شيء عليم».

٩٤٥٩ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [المجادلة: ١٤]:

من علامات النفاق ظهور الحماس في تناول قضايا غير المسلمين، مع الفتور عند تناول قضايا المسلمين.

٩٤٦٠ قال قتادة: «هم المنافقون تولوا اليهود»، وهو شأن المنافقين في كل عصر، يتولون اليهود على حساب المؤمنين.

٩٤٦١ ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ [المجادلة: ١٤]:

قال رسول الله ﷺ:

«**مثَل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تَعير إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة، لا تدري أيهما تتبع**». صحيح الجامع رقم: ٥٨٥٣.

ومعنى «تَعير» أي تنفلت، فالمنافق يدخل مع أهل الإيمان تارة، ومع أهل الكفر والباطل تارة، فلا ثبات له على حال، لكنه دائمًا حائر بين الفريقين.

٩٤٦٢ ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة: ١٤]:

نزلت في منافق اسمه عبد الله بن نبتل، فقال له النبي ﷺ: «**علام تشتمني أنت وأصحابك**»، فحلف بالله ما فعل ذلك، فقال له النبي ﷺ: «**فعلت**» فانطلق فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما سبوه، فنزلت هذه الآية.

٩٤٦٣ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٥]:

تعليلٌ لإعداد العذاب الشديد للمنافقين في الدرك الأسفل من النار، كي لا تأخذ المسلمين بهم شفقة، فقد عملوا أعمالا سيئة متكررة كما يؤذن بذلك الفعل المضارع: ﴿يَعْمَلُونَ﴾.

٩٤٦٤ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾ [المجادلة: ١٦]:

قالوا للحرامي: احلف، قال: جاءك الفرَج!

٩٤٦٥ ما أسهل على المنافق أن يبيع دينه بأيمان كاذبة!

٩٤٦٦ ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [المجادلة: ١٦]:

بيننا اليوم من ينتسب لهذا الدين، ثم يصد الناس عن الإسلام، ويُضعِف في القلوب أمر الإيمان، وينال من حملة القرآن، ولاشك أن أمثال هؤلاء ينتظرهم أشد العذاب مع الهوان.

٩٤٦٧ ﴿لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المجادلة: ١٧]:

قال القرطبي: «قال مقاتل: قال المنافقون إن محمدًا يزعم أنه يُنصَر يوم القيامة لقد شقينا إذًا، فوالله لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأولادنا وأموالنا إن كانت قيامة، فنزلت».

٩٤٦٨ ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ﴾ [المجادلة: ١٨]:

فيه دليل على أن العبد يبعث على ما مات عليه. قال القاضي عياض: هو عام في كل حالة مات عليها المرء، وقال السيوطي: يبعث الزمار بمزماره، وشارب الخمر بقدحه.

٩٤٦٩ ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [المجادلة: ١٩]:

عملية أسر متكاملة الأركان، وتجنيد في حزب الشيطان، وملامحها الرئيسة: نسيان الذكر، وأعلاه: القرآن!

٩٤٧٠ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠]:

من استهان بالدّين أذله رب العالمين، ومن حارب أولياء الله انتظم في سلك المهانين.

٩٤٧١ ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١]:

قال الزجاج:

غلبة الرسل على نوعين: من بُعِث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب، ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة.

٩٤٧٢ ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]:

لا يجتمع في قلب مؤمن إيمان ومحبة أعداء الرحمن، فكيف يجتمع النقيضان؟!

٩٤٧٣ من جنح إلى منحرف عن دينه، أو وادَّ محاربا لله ورسوله، نزع الله من قلبه نور الإيمان.

٩٤٧٤ سبب عداوتنا لليهود ليس أنهم يهود، وإنما لأنهم أصحاب جَوْرٍ وعدوان على أهل الإيمان.

٩٤٧٥ ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢]:

أعطاهم ومنحهم شهادة الإيمان وجعلها في قلوبهم؛ لأن المودة مكانها القلب، فلما أخلَوْا قلوبهم لله كتب الله فيها الإيمان.

٩٤٧٦ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]:

أكّد الفلاح بثلاثة مؤكِّدات:

﴿أَلَآ﴾ و﴿إِنَّ﴾ و﴿هُمُ﴾.

سورة الحشر

٩٤٧٧ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:١]:

الكون كله يسبِّح الله، ولا حاجة لله في هذا التسبيح لأنه عزيز، لكن حكمة استقرار الكون تقتضي هذا الذكر العظيم.

٩٤٧٨ ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا﴾ [الحشر: ٢]:

هذا ظن أصحاب رسول الله ﷺ، وهم أفضل الخلق إيمانًا بعد الأنبياء، فكان عطاء الله لهم خيرا مما ظنوا، فلا تستعجز قدرة الله أن تحقق أمانيك، وأطلق لآمالك العنان حين تعامل أكرم الأكرمين.

٩٤٧٩ ﴿هُوَ ٱلَّذِي أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا يَٰٓأُولِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر:٢]:

يأس المستضعفين: ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا﴾ + ثقة العدو بقوته: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾= وقوع سنة الله الجارية: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾.

٩٤٨٠ وما زال اليهود كما كانوا بالأمس، حصون مادية، وجدران مناعية، وحمايات دولية، وحراسات عالمية، ومع كل هذا، فالهلاك مصيرهم بإذن الله.

٩٤٨١ ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا﴾ [الحشر:٢]:

كم من هموم عظيمة وظنون سيئة أزالها الله عنا رغم تقصيرنا، لطفا بنا ورحمة بضعفنا.

٩٤٨١٢ ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر:٢]:

عمى بصائر الطغاة، وجهلهم بتاريخ الظالمين وسوء مصائر المجرمين؛ هو الذي يوقعهم كل مرة –من حيث لا يشعرون– في نفس المصير.

٩٤٨١٣ ﴿مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْ﴾ [الحشر:٢]:

هذا ظن الصحابة، وهم أقوى الخلق إيمانًا، وأعظمهم في حسن الظن بالله، ومع هذا كان عطاء الله فوق ما يظنون، وأجمل مما يتوقعون.

٩٤٨١٤ ﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ [الحشر:٣]:

من لطف الله أن أجلى بني النضير من ديارهم، ليبقوا مدة من الزمن، يؤمن خلالها بعضهم، ويولد للبعض ذرية يؤمنون، وما كان هذا ليحدث لو كان عذَّبهم في الدنيا بالقتل والسبي، كما فعل ببني قريظة، قبل أن يقضي عليهم بالنار في الآخرة.

٩٤٨١٥ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر:٤]:

المشاقّة أن يتحول المرء إلى شقٍّ آخر، والعبد إذا انتقل حارب أولياء الله، فقد شاقّ الله، وعقوبة من شاقّ الله عذاب النار.

٩٤٨١٦ ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر:٤]:

قاعدة عامة مأخوذة من حادثة خاصة، أي أن الله شديد العقاب لكل من يشاقه من هؤلاء اليهود وغيرهم ممن سلك نفس الطريق.

٩٤٨١٧ ﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر:٥]:

روي أنه عليه السلام لما أمر بقطع نخيلهم قالوا: قد كنت يا محمد تنهى عَنِ الفساد فِي الأرض، فما بال قطع النخل وتحريقها، فنزلت.

٩٤٨٨ اللينة: النخلة الكريمة، ومن قطع النخيل فقد فعل ما يغيظ العدو، ومن ترك قطعها فقد استبقاها ليعود خيرها على المسلمين، وكلا الأمرين يحقق مراد الله: ﴿وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

٩٤٨٩ ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ [الحشر:٦]:

ليس من حقكم أن تسألوا قسمة الغنيمة؛ لأنكم لم تنالوها بقتالكم، ولكن الله أعطاها لرسوله بلا قتال، والإيجاف: سير سريع بإيقاع، وأريد به: الركض للإغارة؛ لأنه يكون سريعًا.

٩٤٩٠ قال الآلوسي: رُوِي أن بني النضير لما أجلوا عن أوطانهم، وتركوا رباعهم وأموالهم.

طلب المسلمون تخميسها كغنائم بدر، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ...﴾ فكانت لرسول الله ﷺ خاصة.

٩٤٩١ **ماذا فعل رسولنا بالفيء؟!** قال الضحاك: «كانت أموال بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة، فآثر بها المهاجرين، وقسَّمها عليهم، ولم يُعطِ الأنصار منها شيئًا، إلا ثلاثة منهم، أعطاهم لفقرهم».

٩٤٩٢ الفرق بين الفيء والغنيمة؛ أن الفيء مال لم ينتزع بقوة السلاح، بعكس الغنيمة.

٩٤٩٣ ﴿كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡ﴾ [الحشر: ٧]:

يعنى بين الرؤساء والأقوياء، فيغلبون عليه الفقراء والضعفاء، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا اغتنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه، وتُسمَّى المرباع، ثم يوزع منها بعد المرباع ما شاء، فجعل الله الفيء لرسوله يقسِّمه كما أمره به.

٩٤٤٤ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]:

قال ابن عاشور: هذه الآية جامعة للأمر باتباع ما يصدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل، ويندرج تحتها جميع أدلة السنة.

٩٤٤٥ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]:

في «الصحيحين» عن عبد الله بن مسعود أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله الواشمات والمستوشمات**»، فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد يقال لها: أم يعقوب، فجاءت ابن مسعود فقالت: بلغنى أنك لعنت كيت وكيت، فقال لها: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله؟ فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول، فقال: لئن كنت قرأتِه لقد وجدتِه، أما قرأت: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾.

٩٤٤٦ ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر:٨]:

الصدق صدق الأحوال لا صدق الأقوال فحسب، فقد وصَف الله الصادقين بأنهم الذين هاجروا ابتغاء فضل الله (إخلاص)، ونيتهم: (نصر الله ورسوله)، فقدِّم اليوم من أفعالك وأحوالك ما يشهد بصدقك.

٩٤٤٧ ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]:

قال ابن القيم: «الفرق بين الشُّحِّ والبخل أنّ الشُّحّ هو شدَّة الحرص على الشّيء والإحفاء في طلبه والاستقصاء في تحصيله. والبخل: منع إنفاقه بعد حصوله وحبِّه وإمساكه، فهو شحيح قبل حصوله، بخيل بعد حصوله».

٩٤٤٨ ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]:

قال ابن مسعود: «البخل: أن تمنع ما تقدر عليه. والشُّحُّ: أن تأخذ مال أخيك بغير حقِّه»؛ ولذا قال الأزهري: «إن من أخرج زكاته، وعفَّ عن المال الذي لا يحلُّ له، فقد وقي شحَّ نفسه».

٩٤٩٩ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠]:

قال مالك: «إن من قال في أحد من الصحابة قول سوء فلا حظ له في الغنيمة والفيء؛ لأن الله وصف الذين جاءوا بعد الصحابة بأنهم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ ، فمن قال ضدَّ ذلك فقد خرج عن الذين وصفهم الله».

٩٥٠٠ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠]:

قال سعيد بن بريد النباجي: «ينبغي أن نكون بدعاء إخواننا أوثق منا بأعمالنا، نخاف في أعمالنا التقصير، ونرجو أن نكون في دعائهم لنا مخلصين».

٩٥٠١ سئل الإمام أبو حنيفة :من أي الأصناف أنت؟ فقال: «ممن لا يسبُّ السلف، ويؤمن بالقدر، ولا يكفِّر أحدًا من أهل القبلة بذنب» .

٩٥٠٢ قال رجل لأويس القرني :صِلْنا يا أويس بالزيارة، فقال له: قد وصلتك بما هو خير من الزيارة واللقاء، وهو الدعاء بظهر الغيب؛ إن الزيارة واللقاء ينقطعان، والدعاء يبقى ثوابه.

٩٥٠٣ ﴿يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الحشر: ١١]:

هذا قول المنافقين ليهود قريظة والنضير: ﴿لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ﴾ ، ولا نطيع محمدًا في قتالكم، ولاحظ علاقة الأخوة بين المنافقين والكافرين، علاقة نسب شيطاني!

٩٥٠٤ ﴿لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الحشر: ١٢]:

هذه الآية دليل على صحة نبوة النبي ﷺ من جهة علم الغيب؛ لأن اليهود أُخرِجوا فلم يخرجوا معهم، وقوتلوا فلم ينصروهم.

٩٥٠٥ ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر:١٣]:

من خصال اليهود والمنافقين: أن خشيتهم من الناس أشد من خشيتهم من الله، فلا تقلِّدهم.

٩٥٠٦ معنى الفقه: فهم المعاني الخفية.

لما تأثروا بدواعي الخوف الظاهر، وغفلوا عن الخوف المغيَّب عن أبصارهم، وهو خوف الله، كان هذا من علامات عدم فقههم.

٩٥٠٧ ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤]:

هذه الآية تقرر حقيقة عن اليهود أيدتها التجارب والمشاهد الواقعية، واذكروا بالأمس: خط بارليف، واليوم: الجدار العازل في فلسطين المحتلة.

٩٥٠٨ ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ [الحشر: ١٤]:

فلماذا يهزموننا؟! لأن تفرقنا عجيب، وحبنا للدنيا شديد.

٩٥٠٩ ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر:١٤]:

التفرق من قلة العقل!

لا عقل عندهم، فلو كانت لهم عقول، لكانت كلمتهم مجتمعة، وقلوبهم مؤتلفة، والمسلمون اليوم أوْلى بهذا الدرس من اليهود!

٩٥١٠ ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤]:

قال ابن عاشور: «وفي الآية تربية للمسلمين ليحذروا من التخالف والتدابر، ويعلموا أن الأمة لا تكون ذات بأس على أعدائها إلا إذا كانت متفقة الضمائر، يرون رأيًا متماثلًا».

٩٥١١ ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الحشر:١٥]:

التذكير بما جرى للهالكين السابقين، أفضل إنذارٍ للمعاصرين.

٩٥١٢ قال ابن عباس: «يعني به بني قينقاع، أمكن الله منهم قبل بني النضير».

٩٥١٣ ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦]:

مثل المنافقين في تزيينهم الشر والفساد ليهود بنى النضير، كمثل الشيطان إذ قال للإنسان في الدنيا: اكفر بالله، فلما كفر ومات على كفره، وبعثه الله يوم القيامة، ندم وألقى التبعة على الشيطان الذي تبرأ منه، ووجه الشَّبَه: أن المنافقين تبرأوا من معاونتهم عند ساعة الجد، كما يتبرأ الشيطان من الكافر يوم القيامة.

٩٥١٤ ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الحشر:١٧]:

﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: تذييل يفيد أن العاقبة السوء هي جزاء جميع الظّالمين المعتدين على المسلمين، فكما كانت عاقبة الكافر وشيطانه عاقبة سوء، فكذلك تكون عاقبة المقلِّدين لهما، وقد اشتركا في ظلم أهل الخير والصالحين.

٩٥١٥ ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]:

قال قتادة: «قرَّب الله القيامة حتى جعلها غدًا، وذلك أنها آتية لا محالة، وكل آتٍ قريب».

٩٥١٦ قال مالك بن دينار: «مكتوبٌ على باب الجنة: وجدنا ما عملنا، وربحنا ما قدَّمنا، وخسرنا ما خلَّفْنا».

٩٥١٧ قال السعدى:

«هذه الآية أصل فى محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغى له أن يتفقدها، فإن رأى زللًا تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصرًا فى أمر من أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه فى تكميله وتتميمه، وإتقانه، ويقايس بين منن الله عليه وإحسانه وبين تقصيره، فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة».

٩٥١٨ ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]:

تشمل كلماتك المكتوبة على صفحتك في مواقع التواصل، ومقاطعك المسجلة على يوتيوب، فهذه حسنات أو سيئات جارية بعد موتك.

٩٥١٩ قال العز بن عبد السلام: «النظر في سالف الأعمال وسيلة إلى الشكر على ما حَسُن منها، وإلى الاستغفار والتوبة مما قبح منها».

٩٥٢٠ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]:

قال ابن القيم:

«من نسى ربه، أنساه ذاته ونفسه، فلم يعرف حقيقته ولا مصالحه، بل نسى ما به صلاحه وفلاحه، في معاشه ومعاده، فصار معطلا مهملا، بمنزلة الأنعام السائبة بل ربما كانت الأنعام أخبر بمصالحها منه، لبقائها علي هداها الذي أعطاها إياه خالقها».

٩٥٢١ ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]:

من أسباب هتك الستر والتشنيع على الغير! قال علي بن أبي طالب ﷺ: «من نسي خطيئته، استعظم خطيئة غيره».

٩٥٢٢ ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الحشر: ٢٠]:

تكملة للوعظ المتقدم في الآيات السابقة، فأصحاب النار هم الذين نسوا الله، وأصحاب الجنة هم الذين التزموا بالتقوى.

٩٥٢٣ الآية تنبيه خطير وصرخة نذير بأن الناس لفرط غفلتهم، وقلة تفكرهم في عاقبتهم، وتهالكهم على إيثار العاجلة، كأنهم لا يعرفون الفارق بين الجنة والنار، والتمايز العظيم بين أصحابهما في الفضل والمكانة والمنزلة.

٩٥٢٤ ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠]:

هذا أسلوب قصر ادِّعائي؛ لأن فوزهم أبدِيٌّ، فاعتبر فوز غيرهم ببعض متاع الدنيا كالعدم.

٩٥٢٥ ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]:

قال القرطبي: «حثَّ على تأمل مواعظ القرآن، وبيَّن أنه لا عذر في ترك التدبر، فإنه لو خوطِب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه، ولرأيتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة، أي متشققة من خشية الله».

٩٥٢٦ ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]:

كان مالكُ بنُ دينار يقرأُ هذه الآيةَ ثمَّ يقول: «أقسمُ لكم.. لا يؤمنُ عبدٌ بهذا القرآنِ إلا صُدِع قلبُه».

٩٥٢٧ ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر:٢٢]:

ختم الله ذكر علمه بالغيب والشهادة بصفة الرحمة، حتى لا يوسوس إليك الشيطان أن علم الله بحالك، وإحاطتك بسيئاتك حاجب دون رحمته.

٩٥٢٨ ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الحشر:٢٢]:

لايعلم الغيب إلا الله؛ لذا روى مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قال: «**من أتى عرافًا، فسأله عن شيء، فصدَّقه بما يقول لم تُقبَل له صلاة أربعين يومًا**».

صحيح مسلم رقم: ٢٢٣٠.

٩٥٢٩ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الحشر:٢٣]:

الأسماء الحسنى أبواب دخول على الله!

قال ابن القيم: «ومن وافق الله في صفة من صفاته قادته تلك الصفة إليه، وأدخلته على ربه، وأدنته منه، وقرَّبته من رحمته، وصيَّرته محبوبًا، فإنه سبحانه رحيم يحب الرحماء، كريم يحب الكرماء، عليم يحب العلماء، قوي يحب المؤمن القوي، وهو أحب إليه من المؤمن الضعيف، حتى يحب أهل الحياء، جميل يحب أهل الجمال، وتْرٌ يحب أهل الوتر»

٩٥٣٠ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٤]:

قال الغزالي في (المقصد الأسنى):

«الخالق البارئ المصور قد يظن أن هذه الأسماء مترادفة، ولا ينبغي أن يكون كذلك، بل كل ما يخرج من العدم إلى الوجود يفتقر إلى تقدير أولًا.

وإلى الإيجاد على وفق التقدير ثانيا.

وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثا.

والله خالق من حيث أنه مقدِّر.

وبارىء من حيث إنه مخترع موجود.

ومصوِّر من حيث إنه مرتِّبٌ صور المخترعات أحسن ترتيب».

٩٥٣١ روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسُول الله ﷺ قال:

«إنَّ لله تسعة وتسعين اسْمًا، مائة إلَّا واحدًا مَنْ أحصاها دَخَلَ الجنة».

قال ابن حجر في الفتح:

«وقال الأصيلي: ليس المراد بالإحصاء عدُّها فقط؛ لأنه قد يعُدُّها الفاجر، وإنما المراد العمل بها، وقال أبو نعيم الأصبهاني: المذكور في الحديث ليس هو التعداد، وإنما هو العمل، والتعقل بمعاني الأسماء والإيمان بها».

سورة الممتحنة

٩٥٣٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]

عن عروة بن الزبير قال: «لما أنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ في حاطب بن أبي بلتعة، كتب إلى كفار قريش كتابًا ينصح لهم فيه، فأطلع الله نبيه عليه الصلاة والسلام على ذلك، فأرسل عليًّا والزُّبير، فقال: «**اذْهبا فإنَّكُما ستجدان امرأة بِمَكَان كَذَا وَكَذَا، فأتِيَا بِكِتَاب**

مَعَهَا»، فانطلقا حتى أدركاها، فقالا: الكتاب الذي معك، قالت: ليس معي كتاب، فقالا: والله لا ندع معك شيئًا إلا فتَّشناه، أو لتخرجينه، قالت: أو لستم مسلمين؟ قالا: بلى، ولكن النبي ﷺ قد أخبرنا أن معك كتابًا قد أيقنت أنفسنا أنه معك؟ فلما رأت جدّهما أخرجت كتابًا من بين قرونها، فذهبا به إلى النبي ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى كفار قريش، فدعاه النبي ﷺ فقال: «**أنت كتبتَ هذا الكتاب؟**» قال: نعم، قال: «**ما حَمَلَك على ذلك؟**» قال: أما والله ما ارتبت في الله منذ أسلمت، ولكني كنت أمرًا غريبًا فيكم أيُّها الحيّ من قريش، وكان لي بمكة مال وبنون، فأردت أن أدفع بذلك عنهم، فقال عمر رضي الله عنه: ائذن لي يا رسول الله فأضرب عنقه، فقال النبي ﷺ: «**مهْلا يا ابن الخطَّاب، ومَا يُدْرِيكَ لعلَّ الله قَدِ اطَّلَع إلى أهل بَدْر، فقال: اعملوا ما شِئْتُم فإني غافِرٌ لكم**».

٩٥٣٣ ﴿تُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟﴾ [الممتحنة:١]

تضييق الكفار على النبي ﷺ والمؤمنين إخراج لهم؛ لأنه أدى إلى خروجهم من مكة مهاجرين، وقوله: ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟﴾ أي قال لهم الكفار: اخرجوا لأنكم آمنتم.

٩٥٣٤ ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى﴾ [الممتحنة:١]:

شرط جوابه متقدِّم تقديره: «إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي، فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء»

٩٥٣٥ ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١]

قدَّم الله عداوته للمشركين على عداوة المؤمنين لهم؛ لأن عداوة المشركين لله أشد وأقبح، حيث عبدوا غير خالقهم، وشكروا غير رازقهم، وكذَّبوا رسل ربهم وآذوهم.

٩٥٣٦ ﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ [الممتحنة:١]:

لم ذكر ﴿وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ مع الاستغناء عنه بذكر الإخفاء؟ **والجواب**: للإشارة إلى تساوي العِلْمَيْن في علمه عز وجل؛ ولذا قدَّم: ﴿بِمَآ أَخْفَيْتُمْ﴾.

٩٥٣٧ أخبروني: ما فائدة الإسرار والاختباء مع من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟!

٩٥٣٨ ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢]:

هذه خيارات الكفار إن تمكنوا من رقاب المسلمين، رغبة عارمة في أن يعيدوهم كفارًا، وإلا بسطوا إليهم أيديهم بالفتك والعدوان.

٩٥٣٩ ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ٣]:

لما اعتذر حاطب بن أبي بلتعة بأن له أولادًا ورحمًا بين الكافرين، بيَّن الله عز وجل أن الأهل والأولاد لن ينفعوا صاحبهم شيئًا يوم القيامة إن عصى الله.

٩٥٤٠ ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة: ٤]:

في الحديث: «**أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله عز وجل**». صحيح الجامع رقم: ٢٥٣٩.

٩٥٤١ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الممتحنة: ٥]:

لا تسلِّطهم علينا، وتنصرهم علينا، فيظنوا بذلك أنهم على الحق ونحن على الباطل.

٩٥٤٢ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾[الممتحنة:٦]:

هنا أمرٌ بوجوب التأسي بإبراهيم ومن آمن معه في التبرؤ من الكافرين، فليست القصة للتسلية بل للعمل والاعتبار، وجعل من مقتضات الإيمان بالله واليوم الآخر التمسك بهذا التأسي.

٩٥٤٣ ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ [الممتحنة:٧]:

عن محمد بن شهاب الزهري أن رسول الله ﷺ استعمل أبا سفيان بن حرب على بعض اليمن، فلما قُبِض رسول الله ﷺ أقبل، فلقي ذا الخمار مُرْتدًّا فقاتله، فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين. قال ابن شهاب: وهو

في من أنزل الله فيه: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةً﴾.

٩٥٤٤ ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ [الممتحنة:٧]:

أي بالغ القدرة على تقليب القلوب، فلا تيأس من إيمان أحد، ولا تقطع الأمل في استجابته، فلو أراد الله هدايته لأقبل من بعيد، وفي طرفة عين.

٩٥٤٥ في سنن الترمذي عن أبي هريرة:

«**أحبِب حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغِض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما**». صحيح الجامع رقم: ١٧٨.

٩٥٤٦ ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]:

عن أسماء بنت أبي بكر قالت: قدمت عليَ أمي وهي مشركة في عهد قريش، فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله.. إن أمي قدمت عليَّ وهي راغبة أفأَصِلُها؟ قال: « نعم..صليها».

قال ابن عيينة: فنزل قوله تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾.

٩٥٤٧ ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةً﴾ [الممتحنة: ٧]:

لا تُفرِط في عداوة أحد، ولا تقطع حبل وصلك بينك وبينه، واجعل بينك وبينه شعرة لا تنقطع، ودع بابًا بينكما لا يُغلَق.

٩٥٤٨ ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ [الممتحنة: ٨]:

رحم الله الإمام ابن جرير الطبري حين قال:

«وأوْلى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بقوله تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ جميع أصناف الملل والأديان، أن تبرّوهم وتصلوهم وتُقسِطوا إليهم، ويشمل ذلك من كانت تلك صفته، دون تخصيص لبعض دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ».

٩٥٤٩ ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]:

الإسلام دين الإحسان، فالقسط هو تمام العدل، والبِرُّ فوق العدل!

٩٥٥٠ ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة:٩]:

الآية تنبيه صريح على عدم جواز موالاة أعداء الله والإسلام.

٩٥٥١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠]:

اختبار نيات لكل المؤمنات!! قال ابن عباس: «امتحانها أن تُستَحلف ما خرجت لبغض زوج، ولا عشقا لرجل من المسلمين، ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا لحدث أحدثته، ولا لالتماس دنيا، وما خرجت إلا رغبة في الإسلام وحبًّا لله ولرسوله».

٩٥٥٢ جاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة بعد صلح الحديبية، فأقبل زوجها في طلبها، وكان كافرًا، فقال: يا محمد.. ردَّ عليَّ امرأتي، فإنك قد شرطت أن تردَّ علينا من أتاك منا، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾، فاستحلفها رسول الله ﷺ على ذلك، فحلفت فلم يردَّها، وأعطى زوجَها مهرَها، وكان يرد من جاءه من الرجال، ويحبس من جاءه من النساء بعد الامتحان، ويعطي أزواجهن مهورهن.

٩٥٥٣ ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ﴾ [الممتحنة: ١٠]:

إنها عدالة الإسلام! قال القرطبي: «أمر الله تعالى إذا أمسكت المرأة المسلمة أن يُردَّ على زوجها ما أنفق وذلك من الوفاء بالعهد؛ لأنه لما مُنِعَ من أهله بحرمة الإسلام، أمر برد المال إليه حتى لا يقع عليهم خسران من الوجهين: الزوجة والمال».

٩٥٥٤ ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠]:

الكوافر جمع الكافرة، فنهى الله المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات، فمن كانت له امرأة كافرة بمكة، فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما. قال الزهري: فلما نزلت هذه الآية طلَّق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا له بمكة مشركتين.

٩٥٥٥ ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ [الممتحنة:١١]:

نزلت في من ذهبن مرتدات إلى الكفار، وتركن أزواجهن المسلمين.

قال قتادة: «كُنَّ إذا فررن من أصحاب النبي ﷺ إلى الكفار، ليس بينهم وبين نبي الله عهد، فأصاب أصحاب رسول الله ﷺ غنيمة، أُعطِي زوجها ما ساق إليها من جميع الغنيمة، ثم يقتسمون غنيمتهم».

٩٥٥٦ قال ابن عاشور: «أعطى النبي ﷺ عمر بن الخطاب، وعياض بن أبي شداد الفهري، وشماس بن عثمان، وهشام بن العاص، مهور نسائهم اللاحقات بالمشركين من الغنائم».

٩٥٥٧ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ﴾ [الممتحنة:١٢]:

في صحيح مسلم عن عائشة قالت: كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ﷺ يمتحن بهذه الآية.. وكان رسول الله ﷺ إذا أقررن بذلك من قولهن، قال لهن رسول الله ﷺ: «**انطلقن فقد بايعتكن**».

٩٥٥٨ ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢]:

قال ابن تيمية: «ومعصيته لا تكون إلا في معروف؛ فإنه لا يأمر بمنكر، لكن هذا كما قيل: فيه دلالة على أن طاعة أولي الأمر إنما تلزم في المعروف، كما ثبت

في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما الطاعة في المعروف**». صحيح البخاري رقم ٧١٤٠.

٩٥٥٩ هذا من الأقوال الجامعة لكل ما أخبر به النبي ﷺ وأمر به أو نهى عنه، ويشمل نهي النساء عن النياحة، وشق الجيوب، ولطم الخدود، والخلوة بغير محرم، وغير ذلك من المنكرات التي نهى عنها الإسلام.

٩٥٦٠ **سين**: لم التقييد بالمعروف، والرسول ﷺ لا يأمر إلا بالمعروف؟

جيم: للتنبيه على أنه لا يجوز طاعة أي مخلوق في معصية الخالق.

٩٥٦١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة:١٣]:

ينبغي بعد سماع هذه الآية أن تبني موالاتك ومعاداتك على أساس قرب الناس أو بعدهم عن غضب الله.

٩٥٦٢ أينما ذُكِر غضب الله في القرآن، فيجب أن ينصرف الذهن -أول ما ينصرف- إلى اليهود، كما في هذه الآية.

سورة الصف

٩٥٦٣ ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]:

قال القشيري:

«خلف الوعد مع كلِّ أحد قبيح، ومع الله أقبح».

٩٥٦٤ في الحديث: «أتيتُ ليلة أسري بي على قوم تُقرَض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قُرِضَت وَفَت، فقلت: **يا جبريل من هؤلاء؟** قال: **خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرؤون كتاب الله، ولا يعملون به**». صحيح الجامع رقم: ١٢٩.

٩٥٦٥ قال الشَّعبِي: «ما خطب خطيبٌ في الدُّنيا إلَّا سيعرض الله عليه خطبَته ما أراد بها».

٩٥٦٦ ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]:

والمقت هو البُغْض، ومن استوجب مقت الله لزمه العذاب، قال صاحب الكشاف: المقت أشد البغض وأبلغه وأفحشه، ومنه نكاح المقت لتزوج الرجل امرأة أبيه، ولم يقتصر على أن جعل بغض الله كبيرًا حتى جعل أشده وأفحشه لمن خالف قوله فعله.

٩٥٦٧ في الحديث: «**مَثَل العالم الذي يعلِّم الناس الخير وينسى نفسه، كمثل السراج يضيء للناس ويَحرِق نفسه**». صحيح الجامع رقم: ٥٨٣١.

٩٥٦٨ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]:

﴿صَفًّا﴾ توحي بوحدة الهدف، وتآلف القلوب، وجودة النظام، وشرعية العمل الجماعي، وحسن التعاون، وروح الفريق.. فكل هذا يحبه الله.

٩٥٦٩ ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]:

البناء قوي بتماسكه، لكن لبناته لا قيمة لها وهي متفرقة، وكذلك هو الفارق بين العمل الفردي والجماعي.

٩٥٧٠ الإسلام دين النظام، ففي أحلك الظروف وساحة القتال أمَرَنا الله بالنظام، فما بالك بأوقات الرخاء؟!

٩٥٧١ ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]:

بداية الزيغ من العبد، ثم يعاقبه عليه الرب، فلا يضل قوم ابتداء؛ بل يبين لهم الطريق، فإن اختاروا الضلال؛الإنسان مخير لا مسير في أمر الهداية.

٩٥٧٢ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]:

لوْ سُقي الحنظل بماء السُّكَّرِ لم يخرج إلا مُرًّا.

٩٥٧٣ ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]:

عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لي

خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشَر الناس على قدمي، وأنا العاقِب» صحيح البخاري رقم: ٣٥٣٢.

٩٥٧٤ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الصف: ٧]:

شمل هذا التشنيع جميع الذين كذبوا بدعوة النبي ﷺ ولم يؤمنوا به من أهل الكتاب والمشركين، فأهل الكتاب كذبوا على الله فادعوا له الولد، والمشركون كذبوا على الله، فقالوا: ما أنزل الله من شيء.

٩٥٧٥ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨]:

مهما كثر النافخون ولو كانوا كل الخلق، فلن يستطيعوا إطفاء نور الشمس، فكيف بنور الله!

٩٥٧٦ لا تقلق على دين الله ودعوته، لكن اقلق على نفسك أن لا يكون لك موضع قدم في سفينة العاملين لدينه والمنافحين عن دعوته.

٩٥٧٧ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]:

عن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين، يعز عزيزا، ويذل ذليلًا، عزًّا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر**»، فكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان كافرا منهم الذُّل والصَّغار والجزية.

٩٥٧٨ قال ابن عاشور: «فإظهار الدين على الأديان بكونه أعلى منها تشريعًا وآدابًا، وأصلح بجميع الناس، لا يخص أمة دون أخرى، ولا جيلًا دون جيل.

وإظهار أهله على أهل الأديان بنصر أهله على الذين يشاقُّونهم في مدة ظهوره حتى يتمَّ أمره، ويستغني عمن ينصره.

وقد تمَّ وعد الله وظهر هذا الدين، وملك أهله أممًا كثيرة، ثم عرضت عوارض من تفريط المسلمين في إقامة الدين على وجهه، فغلبت عليهم أمم، فأما الدين فلم يزل عاليا مشهودا له من علماء الأمم المنصفين بأنه أفضل دين للبشر».

٩٥٧٩ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الصف: ١٠]:

هذه أعظم تجارة، وأجلُّ مطلوب، وأعلى مرغوب؛ لأنها وحدها التي يحصل بها النجاة من العذاب الأليم، والفوز بجنات النعيم.

٩٥٨٠ ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾ [الصف: ١١]:

قدَّم الله هنا الجهاد بالأموال على الجهاد بالأنفس؛ لأن الكلام هنا عن التجارة الرابحة عن طريق الجهاد، والتجارة تقوم على تبادل الأموال.

٩٥٨١ قال قتادة: «فلولا أن الله بيَّنها، ودلَّ عليها المؤمنين، لتلهَّف عليها رجال أن يكونوا يعلمونها، حتى يضنوا بها، وقد دلَّكم الله عليها، وأعلمكم إياها، فقال: ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾».

٩٥٨٢ ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ [الصف: ١٢]:

هذا شامل للصغائر والكبائر، فإن الإيمان بالله والجهاد في سبيله، مكفِّر للذنوب، ولو كانت كبائر.

٩٥٨٣ ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ﴾ [الصف: ١٢]:

ولا تطيب تلك المساكن إلا برؤية الله سبحانه.

٩٥٨٤ ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖ﴾ [الصف: ١٢]:

ترك المجاهدون ديارهم، فأبدلهم الله بها قصورًا في جنات الخلود.

٩٥٨٥ كان بيد حكيم بن حزام حين أسلم دار الندوة، فباعها بمائة ألف دينار، فقال له ابن الزبير: بِعْتَ مكرمة قريش، فقال له حكيم: «يا ابن أخي!! ذهبت المكارم فلا كرم إلا التقوى، ولأشترين بها دارًا في الجنة،أُشهِدك أني قد جعلتها في سبيل الله».

٩٥٨٦ ﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ﴾ [الصف: ١٣]:
المغفرة والجنة أهم من النصر والفتح!

٩٥٨٧ غاية المؤمن الأساسية رضا الله والجنة، وما عدا ذلك من النصر والتمكين لا يعدو أن يكون هدفًا ثانويًّا، عبَّر عنه بقوله: ﴿وَأُخۡرَىٰ﴾.

٩٥٨٨ ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣]:
التفاؤل منهج قرآني ومذهب نبوي! عن أبي موسى ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحدًا من أصحابه في بعض أمره، قال: «**بشِّروا ولا تُنَفِّروا، ويَسِّروا ولا تُعَسِّروا**» صحيح مسلم رقم: ١٧٣٢.

٩٥٨٩ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]:
يأمرك الله أن تنصر دينه بالأقوال والأفعال، وذلك على الدوام، فكيف وقد انهالت عليه اليوم من الكل السهام؟! وصارت غربة الدين ظاهرة للخواص والعوام؟!

٩٥٩٠ للباطل أنصار، يفنون أعمارهم في خدمته، يسعون بذلك نحو النار، فكيف لا يكون للحق أنصار، يتفانون في نصرته، يسعون بذلك إلى الجنة.

٩٥٩١ ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]:
ثمن النصر معروف! يا أمة محمد.. كونوا أنصار الله ودعاة دينه، ينصركم الله كما نصر الذين مِن قبلكم، ويظهركم على عدوكم.

سورة الجمعة

٩٥٤٢ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١]:

قال ابن عاشور:

«افتتاح السورة بالإخبار عن تسبيح أهل السماوات والأرض لله تعالى براعة استهلال؛ لأن الغرض الأول من السورة التحريض على شهود الجمعة، والنهي عن الأشغال التي تشغل عن شهودها، وزجر فريق من المسلمين انصرفوا عن صلاة الجمعة حِرصًا على الابتياع من عِيرٍ وردت المدينة في وقت حضورهم لصلاة الجمعة».

٩٥٤٣ ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ١]:

يُعزُّ المقبلين عليه، فمفارقتهم لأوامر ربهم تفريط منهم في العزة.

وهو ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ إذا فارق أحدٌ وحيه فاتته الحكمة، كما فات الذين انفضوا إلى العِير مَا خطب به النبي ﷺ، إذْ تركوه يخطب قائما.

٩٥٤٤ ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الجمعة: ٢]:

تلاوة الآيات قبل التزكية؛ لأن أعظم منابع التزكية وأسبابها: تلاوة الآيات.

٩٥٤٥ أمة أمية هداها الله فقادت البشرية!

قال قتادة: «كان هذا الحي من العرب أمة أمية، ليس فيها كتاب يقرؤونه، فبعث الله نبيه محمدًا رحمة وهدى يهديهم به».

٩٥٤٦ ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]:

ضل فلان الطريق أي مشى في مكان لا يوصله لغاية، أو يوصله ضد غايته؛ لأن الضلال في الدنيا ليس فقط لا يوصل للغاية المرجوة، وهي الجنة، بل يوصل لشَرٍّ منها: النار.

٩٥٩٧ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ٣]:

عن أبي هريرة ﷺ قال: «كنا جلوسًا عند النبي ﷺ، فأُنزِلت عليه سورة الجمعة ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾. قال قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يُراجعْه حتى سأل ثلاثًا - وفينا سلمان الفارسي- وَضَع رسول الله ﷺ يده على سلمان، ثم قال: **لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء**». صحيح البخاري رقم: ٤٨٩٧.

٩٥٩٨ ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤]:

هذه الآية أفضل ردٍّ على الحاسدين والمعاندين، وقد نزلت في من أنكر نبوته ﷺ من يهود المدينة.

٩٥٩٩ روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين.

٩٦٠٠ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥]:

يا قارئ القرآن: هل تفهم ما تقرأ؟ وهل تعلم ما تقول؟!

٩٦٠١ قال ابن القيم: «فهذا المثل وإن كان قد ضُرِب لليهود، فهو متناول من حيث المعنى، لمن حمل القرآن، فترك العمل به، ولم يؤدِّ حقه، ولم يرعه حق رعايته».

٩٦٠٢ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦]:

كذَّب الله دعوى اليهود بأنهم أولياؤه؛ بأن تحداهم أن يتمنوا الموت؛ لأن المحب يشتاق لحبيبه، وولي الله يحب لقاء الله.

٩٦٠٣ ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الجمعة: ٧]:

المسيء يكره الموت، والمحسن لا يهابه؛ ولذا قال معاذ بن جبل لما حضرته الوفاة: «مرحبًا بالموت زائرٌ مغيب، وحبيبٌ جاء على فاقة».

٩٦٠٤ ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡ﴾ [الجمعة: ٨]:

تحاول الفرار من الموت وتظنه وراءك، فإذا به أمامك!

٩٦٠٥ هل تعلم أن عدد من يموتون كل عام بواسطة البعوض هو ٧٢٥٠٠٠ شخصًا، بينما عدد من يموتون بافتراس الأسود ١٠٠ شخص! إذا حلَّ الأجل، كان الموت بأهون الأسباب.

٩٦٠٦ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]:

قال القاسمي: «قال بعضهم: قد أبطل الله قول اليهود في ثلاث: افتخروا بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم بقوله: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤]، وبأنهم أهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم، فشبَّههم بالحمار يحمل أسفارا، وبالسبت وليس للمسلمين مثله، فشرع الله لهم الجمعة».

٩٦٠٧ ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾ [الجمعة: ٩]:

قال السيوطي: «فيها مشروعية صلاة الجمعة، والأذان لها والسعي إليها، وتحريم البيع بعد الأذان، واستدل بالآية من قال إنما يجب إتيان الجمعة على من كان يسمع فيه النداء، ومن قال لا يحتاج إلى إذن السلطان؛ لأنه تعالى أوجب السعي، ولم يشترط إذن أحد، ومن قال لا تجب على النساء لعدم دخولهن في خطاب الذكور».

٩٦٠٨ ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الجمعة: ١٠]:

قال عمر رضي الله عنه:

«لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، يقول: اللّهم ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تُمطِر ذهبًا ولا فضة».

٩٦٠٩ ﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الجمعة: ١٠]:

ليكن ذكر الله في أولوياتك أسبق من طلبك للرزق، فالكثرة في الآية دليل على مزيد اهتمام.

٩٦١٠ ﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]:

تتيسر أمورنا ويُبارَك في سعينا بقدر ذكرنا لله أثناء السعي على الدنيا.

٩٦١١ ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الجمعة: ١٠]:

قال قتادة: «افترض الله ذكره عند أشغل ما يكون: عند الضرب بالسيوف»، فكيف بغيره من الأوقات والأحوال؟!

٩٦١٢ ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١]:

اثنا عشر رجلًا منعوا كارثة كونية! قدم دحية الكلبي بتجارة من الشام، وذلك قبل أن يُسلِم، وكان ذلك أثناء الخطبة، فترك الصحابة النبي ﷺ يخطب حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر صحابيًّا، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده.. لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم أحدٌ، لسال عليكم الوادي نارًا».

٩٦١٣ ﴿قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١]:

أعلمهم الله أن ما عنده من ثواب صلاتهم واستماع الخطبة خيرٌ لهم من لذة لهوهم وفوائد تجارتهم، قال السعدي: (وإنْ حصل منها بعض المقاصد، فإن ذلك قليلٌ منغَّص، مُفوِّتٌ لخيرِ الآخرة، وليس الصبر على طاعة الله مُفوِّتًا للرزق، فإن الله خير الرازقين، فمن اتقى الله رزَقَه من حيث لا يحتسب، ومن قدَّم الاشتغال بالتجارة على طاعة الله لم يُبارَك له في ذلك، وكان هذا دليلًا على خُلُوِّ قلبه من ابتغاء الفضل من الله، وانقطاع قلبه عن ربه، وتعلُّقِه بالأسباب، وهذا ضررٌ محضٌ يعقُب الخسران).

سورة المنافقون

٩٦١٤ أخرج مسلم في صحيحه: «كان رسول الله ﷺ يقرأ - أحيانًا - في الركعة الأولى بسورة الجمعة، وفي الأخرى: إذا جاءك المنافقون».

٩٦١٥ ورواه الطبراني بلفظ آخر فيه توضيح: كان رسول الله ﷺ مما يقرأ في صلاة الجمعة بـ: ﴿مَنْ﴾ ؛ فيحرِّض به المؤمنين، وفي الثانية بسورة ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ ؛ فيقرِّع به المنافقين.

٩٦١٦ **حكمة ربانية!**

كثير من المنافقين لا يأتون الصلاة إلا يوم الجمعة، فيسمعون سورة (المنافقون)، وتقرع اسماعهم زواجر الآيات عن قبيح صفاتهم، فكأنها جلسة مصارحة إجبارية، وفصل من فصول الوعظ الإلزامي.

٩٦١٧ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]:

أسوأ الناس حالا من يدل الناس على الله، ثم لا يصِل إليه.

٩٦١٨ صدق المقال لا يدل بالضرورة على صلاح الأحوال.

٩٦١٩ ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]:

مهما أظهر لسانك، فإن الله مطلع على ما يخفيه قلبك، ومهما كانت علانيتك، فإن الله ناظِرٌ إلى سريرتك.

٩٦٢٠ ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٢]:

هذه أيمان الغَموس! أسهل شيء على المنافق الحَلِف كذبا! يحلفون كذبًا ما قالوا، وقد قالوا، ويحلفون إنهم لمنكم، وما هم منكم.

٩٦٢١ قال قتادة: «كلما ظهر شيء منهم يوجب مؤاخذتهم، حلفوا كاذبين، عصمة لأموالهم ودمائهم».

٩٦٢٢ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣]:

الحديث عن المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، فما معنى قوله: ﴿ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ ؟ قال الزمخشري:

«فيه ثلاثة أوجه:

- أحدها: آمنوا، أي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام، ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما أطلع عليه من قولهم: إن كان ما يقوله محمد حقًّا فنحن حمير، وقولهم في غزوة تبوك: أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات.
- والثاني: آمنوا: أي نطقوا بالإيمان عند المؤمنين، ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام.
- والثالث: أن يراد أهل الردة منهم».

٩٦٢٣ آمَنُوا ظاهرًا، ثُمَّ كَفَروا سرًّا، فكانت عقوبتهم أن طُبِع عَلى قلوبهم أي خُتِم عليها بسبب تلوُّنهم وتذبذبهم، وحجبهم الله عن الحق لعدم صدقهم.

٩٦٢٤ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]:

المنافق ذو مظهر هيئة، وصاحب منطق وإقناع، فلا يغرنك الظاهر عما تحت القناع!

٩٦٢٥ ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤]:

قال أبو حيان:

«وشُبِّهوا بالخشب لعزوب أفهامهم وفراغ قلوبهم من الإيمان، ولم يكن حتى جعلها مسندة إلى الحائط، لا انتفاع بها لأنها إذا كانت في سقف أو مكان ينتفع بها، وأما إذا كانت غير منتفع بها فإنها تكون مهملة مسندة إلى الحيطان أو ملقاة على الأرض».

٩٦٢٦ ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]:

قال ابن رجب:

«وهكذَا كلُّ مريب يُظْهِر خلاف ما يُضمرُ، يخافُ من أدْنى شيء، ويتحسَّر عليه».

٩٦٢٧ ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون:٤]:

هذا اللفظ يقتضي الحصر، أي لا عدوَّ إلا هم، ولم يُرِدْ الله هنا حصر العداوة في المنافقين، بل هو من باب إثبات الأولوية والأحقية لهم في الوصف بالعداوة.

٩٦٢٨ الحرب مع الأعداء أيام وتنقضي، وأما المنافقون فمقامهم مع المسلمين صباح مساء، يدلّون العدو على عورات المؤمنين، ويتربَّصون بهم الدوائر؛ لذا كانوا أحقَّ بالعداوة من العدو الظاهر.

٩٦٢٩ قال الفيلسوف الألماني كارل شميت في تعريف السياسة: «إن السياسة هي قبل كل شيء القدرة على استكشاف العدو».

٩٦٣٠ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون:٥]:

لما صدَّق اللهُ زيد بن أرقم في ما أخبر به عن عبد لله بن أبي، مقت الناس ابن أبي، وقال له بعضهم: امض إلى رسول الله يستغفر لك، فلوى رأسه وقال: لقد أشرتم عليَّ بالإيمان فآمنت، وأشرتم عليَّ بأن أعطي زكاة مالي فأعطيت، ولم يبق لكم إلا أن تأمروني بالسجود لمحمد!

٩٦٣١ ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [المنافقون: ٦]:

قال قتادة:

«لما نزلت: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] فقال النبي ﷺ: «لأزيدن على سبعين»، فقال الله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦]».

٩٦٣٢ ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المنافقون:٧]:

التضييق على المؤمنين في أرزاقهم من أساليب المنافقين في كل العصور، ودليل على قلة الفقه وغياب اليقين.

٩٦٣٣ ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ [المنافقون:٨]:

قال زيد بن أرقم: «خرجنا مع النبي ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة، فقال عبد الله بن أبيّ لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذلّ. فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله، فاجتهد يمينه ما فعل. قالوا: كَذَب زيدْ رسولَ الله ﷺ، فوقع في نفسي مما قالوا شدَّة، حتى أنزل الله عز وجل تصديقي في: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾.

٩٦٣٤ قالها رجل واحد هو ابن سلول، لكن الله نسب القول لهم جميعًا؛ لأنهم رضوا قوله!

٩٦٣٥ ﴿لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [المنافقون:٩]:

استخدم لفظ ﴿تُلۡهِكُمۡ﴾ بدلًا من (تشغلكم)؛ لأن من الشغل ما هو محمود، كما في الحديث: «إن من الصلاة لشغلا»، وأما الإلهاء فهو مذموم في كل الأحوال.

٩٦٣٦ ﴿لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩]:

الخاسر الحقيقي ليس في التجارة والأموال، بل المشغول عن ذكر الله.

٩٦٣٧ ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون:١٠]:

قال ابن عباس: «هذه الآية أشد على أهل التوحيد؛ لأنه لا يتمنى الرجوع في الدنيا أو التأخير فيها أحد له عند الله خير في الآخرة».

٩٦٣٨ قال ابن عباس: من كان له مال يبلغه حج بيت ربه، أو تجب عليه فيه زكاة، فلم يفعل، سأل الرجعة عند الموت، فقيل له: إنما يسأل الرجعة الكفار، فقال: سأتلو عليكم بذلك قرآنا، ثم قرأ هذه الآية:

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾.

٩٦٣٩ **حديث نبوي يشرح آية قرآنية!**

قال رسول الله ﷺ:

«أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تأمل الغنى وتخشى الفقر، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، ألا وقد كان لفلان كذا». صحيح الجامع رقم: ١١١١.

سورة التغابن

٩٦٤٠ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التغابن:١]:

تسبيح الله كان وما يزال إلى قيام الساعة، فجدير بك ألا تشذَّ عن منظومة التسبيح العالمية، فتكون من الغافلين.

٩٦٤١ ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن:٢]:

علم الله سابق لا سائق!

فقد قدَّر الله كفر الكافر وإيمان المؤمن، وعلِمَه قبل وقوعه، ولا يمكن أن يوجد من كلٍّ منهما غيرَ الذي قدَّره الله وعلِمه.

٩٦٤٢ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [التغابن:٣]

الحق يقتضي العدل، مما يستدعِي تفضيل المُحْسنِ على المُسيء، وانتصارَ المظلومِ من الظالم، وإذا لم يطَّردْ هذا في الحياة، فلا بد منه بعد الممات.

٩٦٤٣ الإنسان أعجب نسخة في هذا الوجود، وقد اشتملت خلقته على عجائب وأسرار شهدت ببعضها الآثار، وأجلاها وكشف أسرارها العلماء وذوو الأبصار.

٩٦٤٤ ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [التغابن:٤]

يعلم ما تُسِرُّون، فاحذروا دقائق الرياء، ويعلم ما تُعْلِنون، فاحذروا أن يخالف ظاهركم باطنكم، فهذا من الادِّعاء.

٩٦٤٥ قال القشيري: «في قوله: ﴿مَا تُسِرُّونَ﴾ أمر بالمراقبة بين العبد وربه، وفي قوله: ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ أمر بالصدق في المعاملة والمحاسبة مع الخلق».

٩٦٤٦ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن:٤]:

اجتهد في حفظ باطنك من الأخلاق الرذيلة، والنيات غير الخالصة، والحسد والحقد والكبر، فإن الله يعلم ذلك كله.

٩٦٤٧ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التغابن:٥]:

تابع أخبار الهالكين ومصارع الظالمين، وانقشها على جدران ذاكرتك، فلا يستدرجك الشيطان إلى مصائرهم كما استدرج السابقين.

٩٦٤٨ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ﴾ [التغابن:٦]:

أرادوا الحجر على فضل الله، فتعجبوا أن يجعل الله من أنبيائه رسلا لخلقه، فابتُلوا بذهاب العقول، وعبادة الأحجار والأشجار.

٩٦٤٩ الحسد والكبر من أسباب الكفر! قالوا: نحن متساوون في البشرية، فأنى يكون لهؤلاء الفضل علينا، بحيث يصيرون هداة لنا؟!

٩٦٥٠ ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧]:

أمر الله نبيه ﷺ أن يحلف على ثبوت الحق الذي جاء به في ثلاثة مواضع من كتابه،

أحدها: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣].

والثاني: قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ﴾ [سبأ: ٣].

والثالث: قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧].

٩٦٥١ ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ [التغابن:٨]:

سمى الله القرآن نورًا، فمن وجد ظلمة في روحه، ووحشة لا يعلم لها سببًا، فليتفقد علاقته بالقرآن.

٩٦٥٢ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن:٩]:

قال الآلوسي: «التغابن تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ، والمراد بالمغبون من غُبِن في أهله ومنازله في الجنة، فيظهر يومئذٍ غُبْنُ كل كافر بترك الإيمان، وغُبْنُ كلِّ مؤمن بتقصيره في الإحسان».

٩٦٥٣ قال الإمام القرطبي:

«ذلك يوم التغابن الذي لا يستدرك أبدًا؛ لأن تغابن الدنيا يستدرك بوجهين: إما بردٍّ (السلعة) في بعض الأحوال، وإما بربحٍ في بيع آخر وسلعة أخرى، فأما من خسر الجنة فلا درك له أبدًا».

٩٦٥٤ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التغابن:١٠]:

لو كانت الخسارة هي ضياع الجنة، لأورثت حسرة الأبد، فكيف وقد اجتمع معها الخلود في النار؟!

٩٦٥٥ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [التغابن:١١]:

وكأن المصيبة تستأذن ربها أولا، فإن أذن لها نزلت وإلا تراجعت، فلا تظن أن شيئًا أصابك إلا بإذن ربك.

٩٦٥٦ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]:

قال إبراهيم بن إسحاق: «أجمع عقلاء كل ملة أنه من لم يجر مع القدر لم يتهنأ بعيشه».

٩٦٥٧ ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]:

قال ابن عباس: «يَهْدِ قَلْبَهُ لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه».

٩٦٥٨ ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [التغابن:١٢]

جاء الأمر بالطاعة عقب ذكر المصائب، فلا يهوِّن أثر الشدائد مثل كثرة الطاعات، واتباع أمر الله ورسوله باجتناب السيئات.

٩٦٥٩ ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [التغابن:١٢]:

قال الزهري: «من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم».

٩٦٦٠ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن:١٣]:

قال ابن القيم:

«قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفًا، فهو دليل على ضعف الإيمان ولا بد».

٩٦٦١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن:١٤]:

قال عطاء بن يسار:

«نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد، وكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورققوه فقالوا: إلى من تدعنا؟ فيرق فيقيم، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ..﴾».

٩٦٦٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:١٤]:

آية فيها عزاء لمن ابتُلِي بزوج ناشز، أو ولدٍ عاق، فصبر عليهم وعفا عنهم، وفي وعد الله له بالمغفرة تسلية لهذا المبتلى.

٩٦٦٣ ﴿إِنَّ (مِنۡ) أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ﴾ [التغابن:١٤]:

اتخذها منهجًا في حياتك: لا تُعمِّم!

٩٦٦٤ ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [التغابن:١٥]:

أي بلاءٌ واختبارٌ قد يحملكم على كسب الحرام، ومنع حق الله تعالى، فلا تطيعوهم في معصية الله.

٩٦٦٥ قال ابن مسعود: «لا يقولن أحدكم: اللّٰهم اعصمني من الفتنة، فإنه ليس أحد منكم يرجع إلى مال وأهل وولد إلا وهو مشتمل على فتنة، ولكن ليقل: اللّٰهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن».

٩٦٦٦ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن:١٦]:

قال سعيد بن جبير: «لما نزلت: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ اشتد على القوم العمل، فقاموا حتى ورِمَت أقدامهم، فأنزل الله هذه الآية ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ تخفيفًا على المسلمين».

٩٦٦٧ **هل هذا تخفيف أم تكليف؟!**

الأمران محتملان، لكن أكثر الناس يحمل الآية على التخفيف دون التكليف، ويتخذونها ذريعة للتخفف والتهرب من التكاليف الشرعية.

٩٦٦٨ ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٞ﴾ [التغابن:١٧]:

والله شكور يعطي على العمل اليسير الأجر الكثير، وحليمٌ لا يعاجِل بالعقوبة.

سورة الطلاق

٤٦٦٩ ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق:١]:

إرشاد المؤمنين إلى ما يجب عليهم اتباعه إذا أرادوا طلاق أزواجهم، ونهيهم عن إيقاع الطلاق حالَ الحيض، لكونه طلاقًا بدعيًا محرَّمًا، ولكنه مع ذلك يعتبر نافذًا. قال القرطبي: «من طلَّق في طُهْرٍ لم يجامع فيه، نفذ طلاقه وأصاب السنة، وإن طلَّقها وهي حائض نفذ طلاقه وأخطأ السنة».

٤٦٧٠ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق: ١]:

روى البخاري أن عبد الله بن عمر طلق امرأة له وهي حائض، فقال رسول الله ﷺ: «**ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلِّقها طاهرة قبل أن يمسها، فتلك العدة التي أمر بها الله عز وجل**».

٤٦٧١ ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ [الطلاق:١]:

حق المطلقة أن تبقى في بيتها فترة العدة، هذا شرع الله، فما بال كثير من الناس ضربوا به عرض الحائط وخالفوه.

٤٦٧٢ ونسبة البيت إلى المرأة فيه دلالة على أهمية إعطائها سلطة فيه وصلاحيات في اختيار أثاثه وإدارة شؤونه، فهو مملكتها.

٤٦٧٣ ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق:١]:

لست حرًا بل أنت عبد، فلا تتجاوز حدودك مع الله، وإلا كنت ظالما.

٤٦٧٤ ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق:١]:

﴿يُحْدِثُ﴾: ينشئ بلا مقدمات، وينشئ ماذا؟ أمرًا إلهيا نافذا!

٩٦٧٥ ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ﴾ [الطلاق:٢]:

ثبات الأخلاق من علامات الإيمان.

٩٦٧٦ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق:٢]:

كلما كانت التقوى أقوى كان المخرج من الشدة أقرب.

٩٦٧٧ قال ابن أبي العز الحنفي: «ضمن الله للمتقين أن يجعل لهم مخرجًا مما يضيق على الناس، وأن يرزقهم من حيث لا يحتسبون، فإذا لم يحصل ذلك دلَّ على أن في التقوى خللا، فليستغفر الله وليتب إليه».

٩٦٧٨ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]:

قال ابن مسعود: «إن أكثر آية تفويضًا في القرآن: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾».

٩٦٧٩ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق: ٣]:

قال ابن القيم: «فلما ذكر كفايته للمتوكل عليه، فربما أوهم ذلك تعجيل الكفاية وقت التوكل، فعقَّبه بقوله: ﴿قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق: ٣] أي وقتًا لا يتعداه فهو يسوقه إلى وقته الذي قدره له، فلا يستعجل المتوكل ويقول: قد توكلت، ودعوتُ فلم أر شيئًا ولم تحصل لي الكفاية، فالله بالغ أمره في وقته الذي قدره له».

٩٦٨٠ ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ [الطلاق:٤]:

من شدة محافظة الله على الأنساب منع سقي الزرع بماء غيره؛ ولذا منع تزويج المرأة الحامل؛ لأن الرجل إذا تزوج امرأةً حاملًا كان يسقي بوطئه لها ذلك الزرع الذي كان في بطنها قبله.

٩٦٨١ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق:٤]:

بقدر تقواك يتيسَّر أمر دنياك.

٩٦٨٢ كل ما لم ييسره الله لن يتيسر، وكل باب لم يفتحه الله لك، لن ينفتح.

٩٦٨٣ ﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا﴾ [الطلاق:٥]:

شرط واحد ... ومكافآت كثيرة، وعطايا عظيمة، ألا ما أروع قيمة التقوى!

٩٦٨٤ ﴿فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ﴾ [الطلاق: ٦]:

إذا ولدت المطلقة، ورضيت أن ترضع ابنها، فعلى الرجل أن يدفع لها أجر الرضاعة.

٩٦٨٥ ﴿وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖ﴾ [الطلاق: ٦]:

والائتمار معناه التشاور، وسُمِّي التشاور بذلك لأن المتشاورين في مسألة، يأمر أحدهما الآخر بشيء فيستجيب لأمره، فعليكم أيها الآباء والأمهات بالتشاور فيما ينفع أولادكم في ما يتعلق بالرضاعة والأجر عليها وغيرهما.

٩٦٨٦ ﴿وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ﴾ [الطلاق: ٦]:

التعاسر مأخوذ من العسر الذي هو ضد اليسر، يقال: تعاسر المتبايعان، أي لم يتفقا على شيء، بأن امتنع الأب عن دفع أجرة الأم، أو امتنعت الأم عن الإرضاع إلا بأجر معين، فللأب البحث عن مرضعة أخرى.

٩٦٨٧ ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ﴾ [الطلاق: ٧]:

توجيه بأن ينفق كل واحد على مقدار حاله، ولا يكلف الزوج ما لا يطيق، وأن اختلاف أحوال الناس في النفقة أمر طبيعي.

٩٦٨٨ ﴿سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٧]:

ولم يقل (سوف يجعل) لشدة قرب الفرج كلما اشتدت الكرب، فكيف ييأس من يقرأ آية كهذه؟!

٩٦٨٩ ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الطلاق:٨]:

من زرع الشوك لم يحصد العنب، ومن قدَّم الذنب لم يربح الجنة.

٩٦٩٠ غيَّروا أعمالهم، فغيَّر الله أحوالهم، وأعرضوا فأعرض الله، وأساؤوا فساء جزاؤهم.

٩٦٩١ ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق:٩]:

قال ابن جرير:

«أي غَبْنًا؛ لأنهم باعوا نعيم الآخرة بخسيس من الدنيا قليل، وآثروا اتباع أهوائهم على اتباع أمر الله».

٩٦٩٢ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الطلاق:١٠]:

العقول الراجحة تدعو أصحابها إلى تقوى الله وطاعته، ومن دعا لعكس ذلك، فسببه خللٌ في التفكير، وفسادٌ في العقل.

٩٦٩٣ ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾.. [الطلاق:١٠، ١١]:

قال الآلوسي:

«وقوله: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ هو النبي ﷺ، وعبَّر عنه بالذكر، لمواظبته على تلاوة القرآن الذي هو ذكر».

٩٦٩٤ ما أجمل قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن أخلاق النبي ﷺ، فقالت: «ألستَ تقرأُ القرآن؟ فَإِنَّ خُلُق نبي الله ﷺ كان القرآنَ».

قال النووي:

«معناه: العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبره، وحسن تلاوته».

٩٦٤٥ ﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الطلاق:١١]:

إن وجدت في قلبك بقايا ظلمات، فتعرَّض لأنوار الآيات، وأعظم ما تكون سطوعًا أثناء الصلوات وفي الخلوات.

٩٦٤٦ ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ [الطلاق:١١]:

تعجيب وتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من ثواب، فأحسن الرزق رزق الجنة، والله تعالى قد وسَّع رزق الجنة على المؤمنين، وضاعف حلاوته، وزاده حسنًا يومًا بعد يوم.

٩٦٤٧ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢]:

في صحيح البخاري وغيره، قوله ﷺ: «**اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن...** »، فعلينا أن نؤمن بأن هناك سبع أرضين، وأن نرد كيفية تكوينها وهيئاتها وأبعادها إلى علم الله تعالى.

٩٦٤٨ ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢]:

يجري أمر الله وقضاؤه وقدره بينهن، وينفذ حكمه فيهن وفي مَنْ سكنهُنَّ، فلا يرد أمر الله شيء.

٩٦٤٩ ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢]:

ختم الله سورة الطلاق بهذه الآية العظيمة، وهي آية تصبُّ الطمأنينة في قلبك صبًّا:

الله عليمٌ بحالك، وقادرٌ على أن يغيِّر هذا الحال إلى أحسن حال، ففيم القلق والاضطراب؟!

سورة التحريم

٩٧٠٠ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التحريم: ١]:

كان رسول الله ﷺ يمكث عند زينب بنت جحش، ويشرب عندها عسلا، فاتفقت عائشة وحفصة أيتهما دخل عليها النبي ﷺ، فلتقل له: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير، فدخل النبي ﷺ على حفصة، فقالت ذلك له، فقال: «**لا، بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش، ولن أعود له**»، وفي رواية: «**وقد حلَفْتُ، فلا تُخبِري بذلك أحدا**».

٩٧٠١ ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التحريم: ٢]:

شرع الله لك تحليل الأيمان بالكفارة إذا وجدتَ خيرًا منها، وفي الحديث: «**من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها، فليأْتِ الذي هو خير، وليُكفِّر عن يمينه**». صحيح الجامع رقم: ٦٢٠٨.

٩٧٠٢ ﴿عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ﴾ [التحريم: ٣]:

قال سفيان:

«ما زال التغافل من فعل الكرام».

وقال الحسن:

«ما استقصى كريم قط».

٩٧٠٣ إشارة لسمو أخلاق النبي ﷺ، فحين خاطب ﷺ حفصة معاتبًا اكتفى بالإشارة إلى جانب من الحديث، ولم يذكر تفاصيله كاملة.

٩٧٠٤ إنما عرَّفها ﷺ ببعض الحديث، لا لشيء إلا ليرشدها إلى خطئها، وأنه كان من الواجب عليها أن تحفظ سرَّ النبي ﷺ.

٩٧٠٥ ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]:

الخطاب لعائشة وحفصة رضي الله عنهما:

إن تتوبا إلى الله، فلتوبتكما سبب، وهو أن قلوبكما مالت عن الحق، بإفشاء سر النبي ﷺ، وجاء الخطاب على سبيل الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، ليفيد المبالغة في العتاب، وذلك بتوجيه الخطاب إلى من يريد معاتبته مباشرة.

٩٧٠٦ ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]:

هنا أقوى ألوان النصرة لرسول الله ﷺ، فالكون كله يتآزر لنصرته.

٩٧٠٧ لما بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ اعتزل نساءه،قال: يا رسول الله.. لا يشق عليك أمر النساء، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك.

قال عمر:

وقلَّما تكلمت بكلام إلا رجوت أن الله يصدق قولي الذي أقوله، فنزلت هذه الآية.

٩٧٠٨ ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤]:

تعريض بأن من سعى في إغضاب النبي ﷺ، فإنه لا يكون من صالح المؤمنين.

٩٧٠٩ ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارًا﴾ [التحريم: ٥]:

سين: كيف تكون المبدلات خيرا منهن، ولم يكن على وجه الأرض نساء خير من أمهات المؤمنين؟

جيم: إذا طلقهن رسول الله ﷺ لعصيانهن له، لم يبقين على هذه الصفة، وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الأوصاف مع طاعة رسول الله ﷺ خيرا منهن.

٩٧١٠ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]:

صلاح أهلك يبدأ بإصلاح نفسك، ففاقد الشيء لا يعطيه.

٩٧١١ قال علي ﷺ وقتادة ومجاهد: «قوا أنفسكم بأفعالكم، وقوا أهليكم بوصيتكم».

٩٧١٢ دلَّت الآية على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأقرب فالأقرب.

٩٧١٣ ﴿نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]:

يقول ابن رجب الحنبلي عن حجارة النار:

«إن فيها خمسة أنواع من العذاب ليس في غيرها من الحجارة: سرعة الإيقاد، ونتن الرائحة، وكثرة الدخان، وشدة الالتصاق بالأبدان، وقوة حرِّها إذا أُحمِيت».

٩٧١٤ ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾ [التحريم: ٦]:

هم الزبانية التسعة عشر وأعوانهم، ووصفهم الله بالغلظة، لشدة أجسامهم، أو لفظاظتهم وعدم رقتهم مع العصاة.

٩٧١٥ ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]:

قال الزمخشري: «فإن قلتَ: أليست الجملتان في معنى واحد؟

قلتُ: لا، فإن معنى الأولى: أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها.

ومعنى الثانية: أنهم يؤدون ما يؤمرون، لا يتثاقلون عنه، ولا يتوانون فيه».

٩٧١٦ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التحريم: ٧]:

إذا انقضت المهلة، انغلق باب العمل، وسقطت الحيل، ولم ينفع الندم، فالبدار البدار، والفرار الفرار قبل الانتقال إلى دار القرار، وهل ينفع الاعتذار على شفير النار؟!

٩٧١٧ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]:

قال القرطبي: «يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان، وإضمار ترك العود بالجنان، ومهاجرة سيئ الإخوان».

٩٧١٨ **ليست التوبة بالكلام بل بالأفعال!**

قال الجيلاني: «التوبة قلب دولة! من تاب ولم يغيِّر ما كان عليه قبل التوبة فقد كذب في توبته».

٩٧١٩ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨]:

قال ابن عباس: «ليس أحد من الموحدين إلا يعطى نورًا يوم القيامة، فأما المنافق فيُطفَأ نوره، والمؤمن يشفق مما يرى من إطفاء نور المنافق فهو يقول: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾».

٩٧٢٠ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التحريم: ٩]:

هذا الأمر للنبي ومن تبِعَه!

جهاد الكفار والمنافقين بإقامة الحجة عليهم ودعوتهم، وإبطال ما هم عليه من ضلال، وجهادهم بالسلاح والقتال لمن حارب دعوة الله.

٩٧٢١ ﴿كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠]:

الخيانة هنا ليست الزنى! قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما زنتا، أما خيانة امرأة نوح فكانت تقول للناس: إنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط، فكانت تدُلُّ على الضيف، فتلك خيانتها».

٩٧٢٢ ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]:

قال ابن القيم:

«فطلبت كون البيت عنده قبل طلبها أن يكون في الجنة، فإن الجار قبل الدار».

٩٧٢٣ ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢]:

قال البيضاوي: «القانتين: من عداد المواظبين على الطاعة، والتذكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عُدَّت من جملتهم».

٩٧٢٤ ذكر الله ثلاثة أصناف للنساء:

المرأة الكافرة التي لها صلة برجل صالح وهي امرأة نوح وامرأة لوط.

والمرأة الصالحة التي لها صلة برجل كافر وهي آسيا امرأة فرعون.

والمرأة العزباء التي لا صلة بينها وبين أحد وهي مريم عليها السلام.

فالأولى: لا تنفعها صِلتها.

والثانية: لا تضرها صلتها.

والثالثة: لا يضرها عدم وجود الصِّلة شيئًا.

٩٧٢٥ قال يحيى بن سلام: «ضرب الله المثل الأول يحذر عائشة وحفصة، ثم ضرب لهما المثل الثاني يحرضهما على التمسك بالطاعة، وفي ضرب المثل للمؤمنين بمريم اعتبار آخر: وهو أنها لم يضرها عند الله شيئًا قذف أعداء الله اليهود لها، ونسبتهم إياها وابنها إلى ما برَّأها الله عنه، مع كونها الصديقة الكبرى المصطفاة على نساء العالمين، فلا يضر الرجل الصالح قدح الفجار والفساق فيه، وفي هذه تسلية لعائشة أم المؤمنين إن كانت السورة نزلت بعد قصة الإفك».

الجزء التاسع والعشرون

سورة الملك آية ١
إلى سورة المرسلات آية ٥٠

عدد الفوائد: ٥١٨

قال مجاهد:

«عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقِفه عند كل آية منه، وأسأله عنها».

ولهذا كان سفيان الثوري يقول:

«إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به».

مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ١٠

الجزء التاسع والعشرون
سورة الملك آية ١
إلى سورة المرسلات آية ٥٠

سورة الملك

٩٧٢٦ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]:

سورة يومية! في حديث جابر بن عبد الله ﷺ: «كان لا ينام حتى يقرأ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة، و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾». صحيح الجامع رقم: ٤٨٧٣.

٩٧٢٧ قال الراغب: «البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء، والمبارك: ما فيه ذلك الخير، ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يُحَسُّ، وعلى وجه لا يُحصَى ولا يحصر، قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك».

٩٧٢٨ لماذا سُمِّيت سورة المُلك؟!

قال المهايمي:

«سُمِّيَت به لاشتمالها على كثير مما ينبغي أن يكون عليه الملك من كثرة الخيرات، وعموم القدرة، والإحياء والإماتة، واختبار أعمال الناس، والغلبة والغفران، ورفع الأبنية لخدامه وعدم التفاوت في رعاياه، وتزيين بلاده، والقهر على الأعداء، والترحم على الأولياء، والأمن ورخص الأسعار، وأن لا يقدر أحد على نصر من عاداه، ولا على رزق من منعه».

٩٧٢٩ ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]:

تكررت في القرآن ٣٣ مرة، وليس هذا بتكرار، بل تأكيد للتثبيت وإعانة القلوب على حسن التوكل.

٩٧٣٠ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢]:

لِمَ قدَّم ذكر الموت على الحياة؟!

قال الإمام الرازي:

«أيام الموت هي أيام الدنيا وهي منقضية، وأما أيام الآخرة فهي أيام الحياة وهي متأخرة، فلما كانت أيام الموت متقدمة على أيام الحياة لا جرم، قدَّم الله ذكر الموت على ذكر الحياة».

٩٧٣١ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]:

لم يقل أكثر عملًا، ليلفت انتباهك إلى أن العبرة بجودة العمل لا بكثرته!

٩٧٣٢ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣]:

لا ترى فيما خلق السماوات تفاوتا ينافي آثار الحكمة، ولا ينال من كمال القدرة.

٩٧٣٣ يا ابن آدم.. انظر إلى السماء فتأملها، هل ترى فيها عيبًا أو نقصًا أو خللًا؛ أو شقًّا أو خرقًا؟!

٩٧٣٤ عاوِد النظر والاعتبار في دلائل القدرة حتى لا يبقى في قلبك شبهة.

٩٧٣٥ ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٤]:

هذا تحدٍّ إلهي، فليحاول أعظم العلماء أن يجدوا أدنى عيب أو تفاوت في خلق السماء، ولن يفلحوا!

٩٧٣٦ ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥]:

قال قتادة:

«إن الله جلّ ثناؤه إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها زينة للسماء الدنيا، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدي بها».

٩٧٣٧ ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الملك: ٦]:

يشترك الكافرون مع الشياطين في دار الإقامة الجهنمية، وبئس الصحبة وبئس المصير.

٩٧٣٨ ﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ [الملك: ٧]:

عمق قعر جهنم!

في صحيح مسلم:

«**هذا حجر رُمِي به في النار منذ سبعين خريفًا، فلهو يهوي في النار الآن حين انتهى إلى قعرها**». صحيح الجامع رقم: ٦٩٩٣.

٩٧٣٩ ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾ [الملك: ٨]:

تكاد يفارق بعضها بعضًا، وتتقطع من شدة غيظها على الكفار والعصاة، فما ظنك ما ستفعل بهم، إذا دخلوا فيها؟

٩٧٤٠ النار كائن حي لها مشاعر مثل باقي المخلوقات، فتغضب لغضب ربها، وتؤدي مهمتها وهي راضية في النيل ممن كفر به وعصاه.

٩٧٤١ ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ [الملك: ٨]:

توبيخٌ هدفه زيادة عذاب أهل النار.

٩٧٤٢ دليل على أن كل الأفواج التي تدخل النار أنذرتهم رسلهم في الدنيا؛ لأن الله لا يُعذِّب حتى يبعث رسولًا.

٩٧٤٣ لا يدخل أحدٌ النار إلا بعد الإنذار والإعذار، فلا يعذَّب من مات دون أن تبلغه رسالة الإسلام.

٩٧٤٤ ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ﴾ [الملك: ٩]:

في الآية وجهان:

الوجه الأول: وهو الأظهر: أنه من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذِرين.

الوجه الثاني: أنه من كلام الخزنة للكفار، والتقدير أن الكفار لما قالوا ذلك الكلام، قالت لهم الخزنة: إن أنتم إلا في ضلال كبير.

٩٧٤٥ ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]:

ويلٌ لمن لم يسمع نصح الناصحين ولا وعظ الواعظين!

٩٧٤٦ تعطل الحواس اليوم عن استقبال الحق، والتمييز بينه وبين الباطل، مؤشِّر على سير صاحبها في طريق النار.

٩٧٤٧ عمى القلوب يعطِّل عمل الحواس؛ ولذا يتصايحون على أبواب النار: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

٩٧٤٨ قال القرطبي: «ودلَّ هذا على أن الكافر لم يُعْطَ من العقل شيئًا».

٩٧٤٩ قال الإمام الرازي: «قدَّم السمع على العقل تنبيهًا على أنه لا بد أولًا من إرشاد المرشد وهداية الهادي، ثم إنه يترتب عليه فهم المستجيب وتأمله فيما يلقيه المعلم».

٩٧٥٠ ﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١]:

اعتراف المجرم على جريمته، قد يخفف العقوبة في الدنيا، لكن ليس في الآخرة!

٩٧٥١ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الملك: ١٢]:

لم يروا ربهم، ولا نبيهم، ولا الجنة، ولا النار، لكن آمنوا بهذا الغيب، فاستحقوا مدح الله على صفحات القرآن!

٩٧٥٢ ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣]:

رَبٌّ يراقب النيات والخطرات، فكيف بالأفعال والكلمات؟!

٩٧٥٣ ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ [الملك: ١٦-١٧]:

النِّعَم نوعان: نِعَم حاصلة يعلم بها العبد، ونِعَم حاصلة خافية عليه، ولا يعرف قدرها إلا عند فقدها، وهذا أحد أمثلتها.

٩٧٥٤ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]:

حين تبحث البشرية عن السكينة بعيدًا عن طريق الله، لن تجني غير الحيرة والشقاء.

٩٧٥٥ قال السعدي:

«ومن معاني اللطيف، أنه الذي يلطف بعبده ووليه، فيسوق إليه البر والإحسان من حيث لا يشعر، ويعصمه من الشر، من حيث لا يحتسب، ويرقيه إلى أعلى المراتب، بأسباب لا تكون من العبد على بال، حتى إنه يذيقه المكاره، ليتوصل بها إلى المحاب الجليلة، والمقامات النبيلة».

٩٧٥٦ قال ابن المسيب: «بينما رجل واقف بالليل في شجر كثير، وقد عصفت الريح، فوقع في نفس الرجل: أترى الله يعلم ما يسقط من هذا الورق؟ فنودي من جانب الغيضة بصوت عظيم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾».

٩٧٥٧ ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]:

هذه دعوة للمسلمين للانتفاع بما في الأرض من كنوز، ليستغنوا عن غيرهم في احتياجاتهم، وبقدر تقصير الأمة في هذا الأمر تكون حاجتها لغيرها.

٩٧٥٨ الماشي على الأرض يطأ مناكبها، وهي أعلى شيء فيها، ولهذا فُسِّرت المناكب بالجبال، كمناكب الإنسان وهي أعاليه، وفي الآية إشارة إلى أن المشي في سهولها أيسر.

٩٧٥٩ ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]:

قال ابن القيم:

«نبَّه بقوله: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ على أنا في هذا المسكن غير مستوطنين ولا مقيمين، بل دخلناه عابري سبيل، فلا يحسن أن نتخذه وطنًا ومستقرًّا، وإنما دخلناه لنتزوَّد منه إلى دار القرار، فهو منزل عبور لا مستقر حبور، ومعبر وممر لا وطن ومستقر».

٩٧٦٠ في الآية تحذير من الركون إلى الدنيا، وحَثٌّ على إسراع السير فيها إلى دار الخلود وجنة النعيم، فسرعان ما سيطوي الله هذه الدار، و يحيي أهلها بعد موتهم من القبور، وإليه النشور.

٩٧٦١ ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦]:

تخويف وتهديد للذين يخالفون أمره بالعذاب الشديد: أأمنتم عذاب من في السماء إن عصيتموه في الأرض.

٩٧٦٢ ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٧]:

قدَّم الوعيد بالخسف على التوعد بالحاصب؛ لأن الأرض أقرب إليهم من السماء، وقد عبدوا أصنامًا من أشجارها وأحجارها، فخوَّفهم الله بما هو أقرب إليهم.

٩٧٦٣ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الملك: ١٨]:

الاستشهاد بسوء عاقبة السابقين أدعى لردع الغافلين، وأبلغ في تهديد المعاندين، مع ما فيه من تسلية المؤمنين.

٩٧٦٤ المراد بالنكير: الإنكار، والله هنا يستنطِق المخاطبين، وكل من يقرأ القرآن أو يسمعه من المؤمنين وغير المؤمنين، وذلك باستفهامٍ يحتاج منهم إلى إجابة وإقرار: هل عاقبناهم بما يستحقون؟!

٩٧٦٥ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩]:

يلفت الله نظرك إلى دقائق ربما أغفلك عن تدقيق النظر فيها اعتياد مشاهدتها.

يقول الطاهر بن عاشور:

«فإن المرء التونسي أو المغربي مثلًا إذا سافر إلى بلاد الهند أو إلى بلاد السودان، فرأى الفيلة وهو مكتمل العقل دقيق التمييز، أدرك من دقائق خِلْقة الفيل ما

لا يدركه الرجل من أهل الهند الناشئ بين الفيلة، وكم غفل الناس عن دقائق في المخلوقات من الحيوان والجماد ما لو تتبعوه لتجلى لهم منها ما يملأ وصفه الصحف».

٩٧٦٦ لم قال: ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ ، ولم يقل: وقابضات؟

قال الزمخشري: «لأن الأصل في الطيران هو صفُّ الأجنحة؛ لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مدُّ الأطراف وبسطها، وأما القبض فطارئ».

٩٧٦٧ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾[الملك: ٢٠]:

افتقارنا إلى نصرة الله علامة إيمان، واستغناؤنا عن ربنا في طلب النصر هو قمة الغرور.

٩٧٦٨ كل من التمس النصر من غير الله فهو مغرور.

٩٧٦٩ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾[الملك: ٢١]:

كيف تلتمسون الرزق ممن لا يملك أن يرزق نفسه؟!

٩٧٧٠ ﴿لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ [الملك: ٢١]:

مادة العتو ترجع إلى تجاوز الحد في الشيء، والاستمرار فيه مع الثبات عليه، والعرب تسمي كل سفيه: متمردا، وكل متمادٍ في الباطل: عاتيًا.

٩٧٧١ ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]:

مَثَلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مِثْل مَنْ يمشي مكبًّا على وجهه، ومنحنيًا لا مستويًا، وأما المؤمن فيمشي سَوِيًّا منتصب القامة في طريق واضح، وهكذا سيكونون في الآخرة، المؤمن يمشي سويًّا إلى الجنة،والكافر يمشي على وجهه إلى النار.

٩٧٧٢ ﴿قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣]:

هذا حال أكثر الناس!

قال ابن كثير: «أي قلَّما تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم في طاعته، وامتثال أوامره، وترك زواجره».

٩٧٧٣ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٢٣]:

قال صالح بن الإمام أحمد بن حنبل: كان أبي إذا خَرجَتْ الدّلو ملأى قال: الحمدُ لله. قلت: يا أبتِ.. ما الفائدة؟ فقال: يا بُني.. أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾.

٩٧٧٤ ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الملك: ٢٤]:

الذرء هو الإكثار من الموجود، فقل لهم يا محمد: مهما كثر عددكم، وتفرقتم في بقاع الأرض، ستموتون، ثم تُبعَثون، ثم بين يدي الله للحساب تقفون.

٩٧٧٥ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الملك: ٢٥]:

ليس هذا السؤال بريئًا!

بل هو سؤال الشاكّ المتعنت المستريب، فإن معرفة موعد هذا الوعد لن تقدِّم ولن تؤخِّر، ولا أثر لها في التكاليف التي يطالَب الناس بها استعدادًا للقاء الله، فالمهم أنه آتٍ، وأن الناس جميعًا محشورون فيه، ومجازون بما عملوا.

٩٧٧٦ ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الملك: ٢٦]:

تعلموا الأدب من سيد المتأدبين مع الله: إنما أنا نذير مبين، فوظيفتي الإنذار، ومهمتي البيان، أما هذه العلم فعند صاحب العلم، ولا أملك منه شيئًا.

٩٧٧٧ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الملك: ٢٧]:

أول ما تظهر آثار الاستياء والانكسار على الوجه، كما في وجه من يُساق إلى القتل، وليس هذا عند نزول العذاب، بل قبله، بمجرد اقترابه، مما يدل على هول العذاب مع شدة الخوف والفزع في من نزل به.

٩٧٧٨ ﴿سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الملك: ٢٧]:

ولم يقل وجوههم، لإفادة ذمِّهم والتصريح بصفة الكفر، التي كانت سبب هلاكهم.

٩٧٧٩ ﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ [الملك: ٢٧]:

هذا تقريع ملائكة العذاب، وتبكيت أهل النار وهم على أعتابها.

٩٧٨٠ ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الملك: ٢٨]:

قال الزمخشري:

«كان كفار مكة يدعون على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بالهلاك، فأمر بأن يقول لهم: نحن مؤمنون متربصون لإحدى الحسنيين: إما أن نهلك كما تتمنون فننقلب إلى الجنة، أو نُرحَم بالنصرة والإدالة للإسلام كما نرجو، فأنتم ما تصنعون؟ من يجيركم- وأنتم كافرون- من عذاب النار؟!».

٩٧٨١ ﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَا﴾ [الملك: ٢٩]:

من أعظم أسباب قوة التوكل على الله: يقيننا أننا نفوِّض أمرنا للرحمن، والرحمن أرحم بعباده من كل أحد.

٩٧٨٢ ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۢ﴾ [الملك: ٣٠]:

استعظِموا قدر نعمة الماء، وقيِّدوها بالشكر، وخافوا إن لم تُشكَر أنها قد تزول.

٩٧٨٣ قال الإمام الزمخشري:

«وعن بعض الشُّطَار أنها تُلِيَت عنده، فقال: تجيء به الفؤوس والمعاول، فذهب ماء عينيه، نعوذ بالله من الجرأة على الله وعلى آياته».

سورة القلم

٩٧٨٤ ﴿نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١]:

أقسم الله سبحانه بالقلم، وهو واقع على كل قلم يَكْتُب به من في السماء ومن في الأرض، وقلم اليوم يشمل الهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر والتابلت، وما أعظم أثرها على حياتنا.

٩٧٨٥ **فضل القلم!**

قال ابن القيم: «القلم من أعظم نِعَمه على عباده، إذ به تخلد العلوم، وتثبت الحقوق، وتُعلَم الوصايا، وتُحفَظ الشهادات، ويضبط حساب المعاملات الواقعة بين الناس، وبه تُقيَّد أخبار الماضين للباقين اللاحقين، ولولا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض، ودرست السنن، وتخبَّطت الأحكام».

٩٧٨٦ قال قتادة: «القلم نعمة من الله -عز وجل- عظيمة، لولا القلم ما قام دين، ولم يصلح عيش، والله أعلم بما يُصْلِح خلقه».

٩٧٨٧ قيل لابن المبارك: إلى كم تكتب الحديث؟! قال: «لعل الكلمة التي أنتفع بها، لم أسمعها بعد».

٩٧٨٨ ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾ [القلم: ٢]:

كل الصفات المحمودة إنما حصلت، وكل الصفات المذمومة إنما زالت، بسبب إنعام الله ولطفه وإكرامه.

٩٧٨٩ ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾ [القلم: ٣]:

كل أذى نالك في سبيل دعوتك، وطعن نالك من المعاندين، فاصبر عليه صبر المؤقنين بحسن جزاء العاملين.

٩٧٩٠ قال الآلوسي: «أو غير ممنون عليك من جهة الناس، فإنه عطاؤه تعالى بلا

واسطة؛ لأنك حبيب الله تعالى، وهو عز وجل أكرم الأكرمين، ومن شيمة الأكارم أن لا يمنّوا بإنعامهم، لا سيَّما إذا كان على أحبابهم».

٩٧٤١ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]:

سئلت عائشة عن خلُق رسول الله ﷺ فقالت: «كان خُلُقه القرآن».

٩٧٤٢ قال ابن عاشور: «واعلم أن جِماع الخُلُق العظيم الذي هو أعلى الخلق الحسن هو التدين، ومعرفة الحقائق، وحلم النفس، والعدل، والصبر على المتاعب، والاعتراف للمحسن، والتواضع، والزهد، والعفة، والعفو، والجمود، والحياء، والشجاعة، وحسن الصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن المعاملة والمعاشرة».

٩٧٤٣ ما مدحه الله بمال ولا كثرة عيال، ولا لعقل أو عراقة نسب، وإنما أثنى عليه الله بسبب خُلُقِه، فقيمتك عند ربك بحسب أخلاقك.

٩٧٤٤ ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [القلم: ٨]:

كانت الملاينة والمصانعة منهم لا من رسول الله ﷺ، فكانوا يحبون منه أن يستجيب لمقترحاتهم، فيقابلوا ذلك بالتظاهر باستجابتهم لدعوته.

٩٧٤٥ ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]:

لا مداهنة على حساب العقيدة، ولا التقاء في منتصف الطرق، وكان وضوح النبي ﷺ وصراحته يؤذيان الكفار، فيطلبان منه التخفيف، فحذَّره الله من المداهنة.

٩٧٤٦ المداراة أن تضحي بالدنيا لأجل الدين، وتكون باستعمال الألفاظ اللَّيِّنة مع عدم قبول المنكر أو إقرار صاحبه عليه، وأما المداهنة فأن تضحّي بالدين لأجل الدنيا.

٩٧٤٧ ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم: ١٠]:

كثرة الحلف علامة بارزة من علامات الكذب.

٩٧٩٨ وكفى بهذه الآية زاجرة لمن اعتاد الحَلِف.

٩٧٩٩ لسانه (يحلف) وقلوب الناس (تستهين) به، فمن حُرِم القبول، لم تنفعه أَيْمانه في الوصول.

٩٨٠٠ كثرة الحلف تُضعِف ثقة الناس بك، وتجعلهم يستهينون بما تقول.

٩٨٠١ ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١]:

لما تكلم اللسان (بالهمز واللمز)، تجاوبت معه القدم (بالمشي بالنميمة)؛ لأن صلاح الجوارح متعلِّق بصلاح اللسان.

٩٨٠٢ يوصيك القرآن: لا تصدِّق أهل النميمة، ولا تستمع لنصحهم.

٩٨٠٣ مرَّ رسول الله ﷺ بقبرين يُعذَّبان، فقال: «**إنهما ليُعذَّبان، وما يُعذَّبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**». صحيح البخاري رقم: ١٣٦١.

٩٨٠٤ استعمال كلمة المشي مع النميمة لتشويه حال النمّام، بأنه يتجشَّم المشاق لتمرير نميمته، والهدف: تبغيض الناس في النميمة.

٩٨٠٥ ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [القلم: ١٢]:

مناع وأثيم صيغتا مبالغة، والخير هنا يراد به العموم في كل ما يُطلَق عليه خير، وصيغة المبالغة للإشعار برسوخه في النفس، واقترافها له بسرعة وقوة.

٩٨٠٦ ذكر الإمام الرازي أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان له عشرة من البنين، وكان يقول لهم: لئن تبع دين محمد منكم أحد لا أنفعه بشيء أبدًا، فمنعهم من الإسلام.

٩٨٠٧ ﴿عُتُلٍّۭ﴾ [القلم: ١٣]:

العتل هو الجاف الغليظ قاسي القلب، وفي صحيح البخاري عن حارثة بن وهب الخزاعي قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعَّف، لو أقسم على الله لأبرَّه. ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر**». صحيح البخاري رقم: ٤٩١٨.

٩٨٠٨ ﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣]:

له زنمة من الشر، أي علامة يُعرَف بها، والزنمة: شيء يُقطَع من أذن الشاة ويُترَك معلَّقًا بها، والزنيم هو الشخص المعروف بالشر واللؤم بين الناس، كما تُعرَف الشاة بزنمتها.

٩٨٠٩ ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ﴾ [القلم: ١٤]:

كثرة المال والبنين سببان يدفعان الكثيرين للعصيان والتمرد.

٩٨١٠ ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥]:

الشر يُعدي! الذي قال عن القرآن أنه أساطير الأولين هو الوليد بن المغيرة، فلما تلقف الآخرون منه هذا البهتان، وأخذوا يقولونه أسند الله إليهم هذا القول في آية: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الفرقان: ٥].

٩٨١١ ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾ [القلم: ١٦]:

كان الوليد بن المغيرة سيدًا من سادات قومه ومن أكابر رجالات قريش، ولا يستطيع المسلمون يومها أن يدفعوا عن أنفسهم عذابه وإيذاءه، وفي هذه الظروف توعده الله بقوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾ ، فخُطِم أنفه بالسيف يوم بدر، فلم يزل مخطومًا إلى أن مات، لينفذ فيه وعد الله.

٩٨١٢ وقيل: إن معنى وسم الوليد بن المغيرة أن يصير مشهورًا بالذكر الرديء والعار الذي لا يفارقه أبد الدهر، فقد ذكر الله في سورة القلم من أوصافه القبيحة ما التصق به، فعُرِف بالمهانة كما تُعرَف الشاة بزنمتها، وكون الوسم في أعلى جزء من الوجه وهو الأنف دليل على الإذلال والتحقير.

٩٨١٣ أعظم الإهانة إهانة الوجه، ومن بذَل وجهه في طاعة الله، جعل الله هذا سببًا لتحريمه على النار، فإن الله حرَّم على النار أن تأكل آثار السجود.

٩٨١٤ **فائدة فقهية تربوية!**

قال القرطبي: «ومن الوسم الصحيح في الوجه: ما رأى العلماء من تسويد

وجه شاهد الزور، علامة على قبح المعصية، وتشديدًا لمن يتعاطاها ممن يُرجَى تجنبه لها، بما رأى من عقوبة شاهد الزور وشهرته، فقد كان عزيزا بقول الحق، وقد صار مهينا بالمعصية».

٩٨١٥ ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم: ١٧]:

أقسموا على أن يحرموا الفقراء، فحرمهم الله، ولو عزموا على إكرامهم لأكرمهم الله.

٩٨١٦ ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ [القلم: ١٨]:

الأكثرون أنهم إنما لم يستثنوا بمشيئة الله، فيقولوا: إن شاء الله؛ لأنهم كانوا واثقين بأنهم يتمكنون من ذلك لا محالة.

٩٨١٧ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [القلم: ١٩]:

كم من ظالم نائم، ولا يدري أن قرار إهلاكه قد اتُّخِذ، وجاري التنفيذ.

٩٨١٨ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [القلم: ١٩]:

أيها الظالم.. ليس هذا آخر طائف ينزل على الظالمين، واشتراكك مع هؤلاء في جريمة الظلم يعرِّضك لسيف العقاب.

٩٨١٩ ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ٢٠]:

أي احترقت حتى صارت رمادًا كالليل الأسود، لا تُنبِت شيئًا يُنتَفَع به، وهذه عاقبة الظلم، يمنع البركات ويقطع الخيرات!

٩٨٢٠ ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ [القلم: ٢٠]:

لا تضيِّق على الفقير، فيضيِّق الله عليك، ولا تحرم الناس فضلك، فيحرمك الله من فضله.

٩٨٢١ ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ۝ أَنِ ٱغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾[القلم:٢١، ٢٢]:

حَثَّ بعضهم بعضًا على فعل السوء، وأهاب بعضهم ببعض أن يُمضوا عزمهم الخبيث بقطع الثمار جميعًا، وهكذا الخير والشر، دومًا يحتاج إلى تشجيع، وإلى صحبة تحُضُّ عليه.

٩٨٢٢ ﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ۝٢٣ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ﴾ [القلم: ٢٣، ٢٤]:

تواصٍ بالشر في الخفاء، فصاحب السيئات يؤثر الاختباء، ويخاف الفضيحة، والإثم ما حاك في صدرك، وخِفْتَ أن يطَّلِع عليه الناس.

٩٨٢٣ ﴿وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ﴾ [القلم: ٢٥]:

أرادوا أمرًا، وأراد الله أمرًا، فمضى أمر الله!

٩٨٢٤ الحَرْد: القصد، فأصحاب الجنة ساروا إليها على أمر قد قصدوه، وأيقنوا أنهم قادرون على تنفيذه، فقد أخذوا كل الأسباب، من الكتمان، والتبكير، والبعد عن عيون المساكين.

٩٨٢٥ ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ [القلم: ٢٦]:

مجرد (العزم) على السوء دمَّر ما بنوا وحطَّم ما زرعوا، فكيف بـ (فعل) السوء؟!

٩٨٢٦ ﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ﴾ [القلم: ٢٧]:

من أسباب الحرمان: العزم على البخل ومنع الفقراء.

٩٨٢٧ ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨]:

لولا تنزِّهون الله عما لا يليق به، ومن ذلك ظنكم أن قدرتكم مستقلة، فلو استثنيتم وقلتم: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، وجعلتم مشيئتكم تابعة لمشيئة الله، لما جرى لكم ما جرى.

٩٨٢٨ ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [القلم: ٢٩]:

كعادة كثير من الناس، يسمعون نصح الناصح بعد فوات الأوان؛ لذا قالوا: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

٩٨٢٩ ﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ﴾ [القلم: ٣٠]:

قال الرازي: «يقول هذا لهذا: أنت أشَرْتَ علينا بهذا الرأي، ويقول ذاك لهذا:

أنت خوَّفْتَنا بالفقر، ويقول الثالث لغيره: أنت الذي رغَّبْتَني في جمع المال، فهذا هو التلاوم».

﴿قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ﴾ [القلم: ٣١]:

ما الفارق بين الظلم والطغيان؟!

قال ابن عرفة: «الظلم معصية قاصرة على نفس الإنسان، والطغيان معصية متعدية لغيره، وهم ظلموا أنفسهم بقَسَمهم وعدم استثنائهم، وطغوا على المساكين بعزمهم على منعهم من عادتهم».

﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ [القلم: ٣٢]:

عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: «بلغني أنهم أخلصوا، وعرف الله منهم الصدق، فأبدلهم جنة يقال لها: الحَيَوان، ذات عنب يُحمَل العنقودُ الواحد منه على بغل».

قال ابن الفارس في (أحكام القرآن):

«استدل بهذه الآية أبو محمد عبد الوهاب على أن من تعمَّد إلى نقص النصاب قبل الحول، قصدا للفرار من الزكاة، أو خالط غيره أو فارقه بعد الخلطة، فإن ذلك لا يُسقِط الزكاة عنه خلافًا للشافعي، ووجه الاستدلال بالآية أن أصحاب الجنة قصدوا بِجَذِّ الثمار إسقاط حق المساكين، فعاقبهم الله بإتلاف ثمارهم».

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٣٣]:

لا وجه للمقارنة بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، والخطاب هنا للمشركين، فإنهم كانوا يُنكِرون عذاب الآخرة، فهدَّدهم الله بعذاب الدنيا، وتوعَّدهم بعذاب الآخرة.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤]:

قال الحسن: «كل نعيم زائلٌ إلا نعيم أهل الجنة، وكل غمٍّ زائل إلا غمَّ أهل النار».

٩٨٣٥ ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [القلم: ٣٥-٣٨]:

المقصود من هذه الأسئلة نفي كل ذلك.

٩٨٣٦ قال الجمل: «لما نزلت هذه الآية وهي قوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ ، قال كفار مكة للمسلمين: إن الله فضلنا عليكم في الدنيا، فلا بد وأن يفضلنا عليكم في الآخرة، فإذا لم يحصل التفضيل، فلا أقل من المساواة فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ ».

٩٨٣٧ فطر الله عقول عباده على استقباح وضع العقوبة في موضع المثوبة، وجعل الإكرام في موضع الانتقام، فإن الفطر السليمة والعقول تستهجن هذا، وتشهد على سفاهة من فعله، فما لهذه العقول والفِطَر لا تشهد حكمة الله في جعل عقوبته لمن استحقها من المجرمين، وجعل مثوبته للمحسنين.

٩٨٣٨ **ما أقبح الاعتذار بالأقدار للوقوع في الأوزار!**

قال ابن القيم: «ويقول أحدهم: إبليس وإن عصى الأمر، لكنه أطاع الإرادة، يعني أن فعله طاعة لله من حيث موافقة إرادته، وهذا انسلاخٌ من ربقة العقل والدين، وخروج عن الشرائع كلها، فإن طاعة الله إنما هي موافقة الأمر الديني الذي يحبه الله ويرضاه، وأما دخوله تحت القدر الكوني الذي يبغضه ويسخطه ويكفر فاعله ويعاقبه، فهي المعصية والكفر ومعاداته ومعاداة دينه، ولا ريب أن المسرفين على أنفسهم المنهمكين في الذنوب والمعاصي، المعترفين بأنهم عصاة مذنبون أقرب إلى الله من هؤلاءِ العارفين المنسلخين عن دين الأنبياءِ كلهم، والذين لا عقل لهم ولا دين».

٩٨٣٩ ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٩]:

سؤالٌ يراد به النفي: هل لكم عهود علينا بالِغَةٌ أقصى درجات التوكيد، وثابتة إلى يوم القيامة، بأننا سوينا بين المسلمين والمجرمين في أحكامنا؟ أظهِروا هذه العهود للناس إذن، وعندها يصح حكمكم.

٩٨٤٠ ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ۝٣٩ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم: ٣٩-٤٠]:

قطَع خوف الخاتمة ظهور المتقين، وكأنَّ المذنبين أخذوا توقيعًا بالأمان من الرحمن!

٩٨٤١ ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [القلم: ٤١]:

من أجمل ما قيل:

يا آمِنًا من قبيح الفعل منه أَهَل ... أتاك توقيعُ أمْنٍ أنتَ تملِكُه

جَمَعْتَ شيئين: أمْنًا واتباعَ هوى ... هذا وإحداهما في المرء تُهلِكُه

والمحسنون على درب المخاوف قد ... ساروا، وذلك دَرْبٌ لستَ تسلُكه

فرَّطْتَ في الزرع وقتَ البذر مِنْ سَفَهٍ ... فكيف عند حصاد الناس تُدرِكه؟!

٩٨٤٢ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]:

قال كعب الأحبار: «والله ما نزلت هذه الآية إلا عن الذين يتخلفون عن الجماعات»، وقال سعيد بن جبير: «كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون، وهم سالمون، أصحاء فلا يأتونه».

٩٨٤٣ أعظم تهديد لغير المصلي أن يتصور هذا المشهد الأخروي الذي سيتعرض له غدًا.

٩٨٤٤ في الحديث المتفق عليه: «**يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعودُ ظهره طبقًا واحدًا**» السلسلة الصحيحة رقم: ٥٨٣.

٩٨٤٥ ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣]:

قال الإمام الرازي: «وفي هذا وعيدٌ لمن قعد عن الجماعة، ولم يجب المؤذن إلى إقامة الصلاة في الجماعة».

٩٨٤٦ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤]:

قال الحسن البصري: «كم من مستدرَجٍ بالإحسان إليه، وكم من مفتونٍ بالثناء عليه، وكم من مغرورٍ بالستر عليه».

٩٨٤٧ قال القشيري: «الاستدراج انتشار الصيت بالخير فى الخلق، والانطواء على الشر - فى السِّر - مع الحق».

٩٨٤٨ ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٥]:

الظالمون المستمرون في بطشهم وظلم للناس، لا يدركون أن الله إنما يستدرجهم لعقوبة قادمة.

٩٨٤٩ ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [القلم: ٤٦]:

ليست عليهم غرامات إن اتبعوك، ولا كلفة عليهم إن تابعوك، بل على العكس، متابعتهم لك فوز وغنيمة ما بعدها غنيمة، فما سبب تأخُّرهم وعدم استجابتهم؟

٩٨٥٠ ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [القلم: ٤٧]:

النبي نفسه لا يعلم الغيب، فكيف يدَّعي أحدٌ معرفة الغيب؟!

٩٨٥١ ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]:

احذر عاقبة الغضب! إن وُجِدَ منك ما وجده يونس من الضَّجَر والعجلة والمغاضبة، فقد تُبْتَلى بمثل بلائه.

٩٨٥٢ اصبر على تبعات تبليغ الرسالة وأعباء الدعوة، وتحمَّل ما سيحصل لك بسبب ذلك من الأذى والبلاء، فهي سنة الله في المصلحين والمرسلين.

٩٨٥٣ ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُۢبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم: ٤٩]:

التوفيق الإلهي شرط النجاة! قال الإمام الرازي: «المراد من تلك النعمة، هو أنه تعالى أنعم عليه بالتوفيق للتوبة، وهذا يدل على أنه لا يتم شيء من الصالحات والطاعات إلا بتوفيقه وهدايته».

٩٨٥٤ ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم: ٥٠]:

بعد التوبة اجتباء، وبعد التقصير ارتقاء، فاجعل من ذنبك صخرة ترتقي عليها إلى مدارج الاستقامة.

٩٨٥٥ قال ابن عباس عن اجتباء يونس عليه السلام: «ردَّ الله إليه الوحي، وشفَّعَه في قومه».

٩٨٥٦ ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ [القلم: ٥١]:

قال ابن كثير: «وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل، كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعدِّدة كثيرة».

٩٨٥٧ ﴿لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ [القلم: ٥١]:

وجد النبي ﷺ طفلًا يبكي فقال: «**ما لصبيكم هذا يبكي؟ هلا استرقيتم له من العين**». صحيح الجامع رقم: ٥٦٦٢.

٩٨٥٨ ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القلم: ٥٢]:

القرآن ذكر لكل العالمين، وليس فقط للمسلمين، فهل أدى المسلمون واجب الدعوة ليذكِّروا العالمين بما جاء في القرآن.

سورة الحاقة

٩٨٥٩ ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣﴾ [الحاقة: ١-٣]:

قال ابن عباس: «كل شيء من القرآن من قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾، فقد أدرَاه، وكل شيء من قوله: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾، فقد طُوي عنه».

٩٨٦٠ تكرار لفظ ﴿مَآ﴾ ثلاث مرات للتهويل والتعظيم، كأن الله علم أن الخلق سيستهينون بيوم القيامة وينسونه، فهوَّل لهم شأنه، وكرَّر الإشارة إليه؛ لأن التكرار يُعلِّم الأبرار.

٩٨٦١ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: ٤]:

قال الآلوسي:

«تقرع الناس بالإفزاع والأهوال، والسماء بالانشقاق والانفطار، والأرض والجبال بالدَّكِّ والنسف، والنجوم بالطمس والانكدار».

٩٨٦٢ ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥]:

الطغيان هو تجاوز الحدِّ، والطاغية في الآية هي الصيحة التي تجاوزت الحدَّ في الشدة، وعاقب الله بها من تجاوز الحد في الكفر والإساءة.

٩٨٦٣ أنذِر الناس بما يشاهدون، وعليه يمرون، فقد كانت منازل ثمود في طريق أهل مكة إلى الشام في تجارتهم، فهم يرونها ذهابًا وإيابًا.

٩٨٦٤ ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]:

العاتية: شديدة العصف، وأصل العتو: شدة التكبر، فلما تكبَّروا عن طاعة الله، أرسل الله عليهم ريحًا عاتية تأخذهم بعذاب الله.

٩٨٦٥ ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧]:

﴿سَخَّرَهَا﴾: فالريح مأمورة، وهي من جنود الله، وفي الآية نفي لمذهب الماديين بأن كل مخلوق له إرادة مستقلة، يُمضيها كيف ما شاء.

٩٨٦٦ لما ذكر مدة العذاب، ربما ظَنَّ ظان أن العذاب كان متفرقا في هذه المدة، فأزال هذا الظن بقوله:

﴿حُسُومًا﴾، أي متتابعة متوالية؛ ولذا جاءت حاسمة.

٩٨٦٧ ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧، ٨]:

هل تعلم أن موجات تسونامي التي انطلقت يوم الأحد ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٤ أدت لمقتل ٢٣٠٠٠٠ شخص في أربعة عشر بلدًا، رغم أنها لم تستمر إلا ١٠ دقائق فحسب، فما بالك بإعصار سبع ليالٍ وثمانية أيام متتابعة؟!

٩٨٦٨ ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠﴾ [الحاقة: ٩، ١٠]:

المؤتفكات: قرى لوط الثلاث، وخُصّوا بالذكر لشهرة جريمتهم، ولكونهم مشهورين عند العرب، إذ كانت هذه القرى في طريقهم إلى الشام.

٩٨٦٩ قال صاحب الظلال: «﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾، وهم عصوا رسُلًا متعددين، ولكن حقيقتهم واحدة، ورسالتهم في صميمها واحدة، فهم إذن رسول واحد، يمثل حقيقة واحدة، وذلك من بدائع الإشارات القرآنية الموحية».

٩٨٧٠ ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]:

طغى الماء، فأغرقنا به المسرفين، وحملنا عليه المؤمنين، وهذا دليل قدرة الله العظيم.

٩٨٧١ ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢]:

هي الأذن المؤدِّية إلى القلب، فالكلام إما أن يدخل الأذن فيخرج من الأذن دون أن يمرَّ على القلب، أو يمرَّ من الأذن إلى القلب.

٩٨٧٢ جاءت الإشارة لعكس الأذن الواعية في الحديث: «**ويلٌ لأقماع القول**». صحيح الجامع رقم: ٨٩٧، والحديث يتوعَّد من يتسرب الكلام من أُذُنه إلى الأذن الأخرى لديه كأنها قُمْع.

٩٨٧٣ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣]:

قال ابن عباس:

«وهي النفخة الأولى التي يحصل عنها خراب العالم».

٩٨٧٤ ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤]:

ما أحقر هذه الأرض وأهونها على الله، دكَّة واحدة تأتي بكل ما عليها.

٩٨٧٥ رُفِعَت الأرض والجبال من مكانها بفعل القدرة الإلهية من غير واسطة مخلوق، ولا أثر قوة ريح أو مَلَك، فقدرة الله قد تجري بسبب أو بغير سبب.

٩٨٧٦ ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٥]:

الواقعة اسم من أسماء القيامة، فهي الواقعة؛ لأنها لا بد واقعة، وكأن طبيعتها أن تكون لا بد واقعة! والاسم مقصود لدفع الارتياب فيها والتكذيب بها.

٩٨٧٧ ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦]:

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: للإشارة إلى أن ضعف السماء وتشققها طارئ، حدث بسبب النفخ في الصور، أما قبل ذلك، فكانت في غاية القوة والإحكام.

٩٨٧٨ وهدف التهويل من شأن هذه النفخة، ومن شأن المقدِّمات التي تتقدم الساعة، أن يستعد الناس لها بالإيمان والعمل الصالح.

٩٨٧٩ ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]:

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أُذِن لي أن أُحَدِّث عن مَلَك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة**». صحيح الجامع رقم: ٨٥٤.

٩٨٨٠ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]:

تظهر أحوال المؤمنين فيتضاعف سرورهم، وأحوال أهل العذاب؛ فيتضاعف حزنهم، وفي هذا أعظم الزجر عن الذنوب التي هي سبب الفضيحة.

٩٨٨١ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]:

روى ابن أبي حاتم عن أبي عثمان قال: «المؤمن يُعطَى كتابه بيمينه في سِتْرٍ من الله، فيقرأ سيئاته، فكلما قرأ سيئة تغيَّر لونه، حتى يمرُّ بحسناته، فيقرؤها فيرجع إليه لونه، ثم ينظر فإذا سيئاته قد بُدِّلت حسنات.

قال: فعند ذلك يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾».

٩٨٨٢ ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠]:

قال الحسن في هذه الآية: «إن المؤمن أحسن الظن بربه، فأحسن العمل، وإن المنافق أساء الظن بربه فأساء العمل».

٩٨٨٣ **كنز اليقين!** ما نجا أحد إلا بيقينه بيوم الحساب، كلما أيقن أن الله محاسبه، اجتهد لحرث الآخرة.

٩٨٨٤ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]:

في هذا التعبير دلالة على أن الحياة التي يحياها المؤمن في الجنة، في أسمى درجات السعادة والسرور، حتى لو كان للمعيشة عقل، لرضيت لنفسها بحالتها، فأسند الرِّضا إليها لخلوصها من كل الشوائب.

٩٨٨٥ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢٢]:

جنة عالية علوًّا معنويًّا مكانة، وعلوًّا حسيًّا مكانًا، والارتفاع الحسي هو من نعيم الجنة البصري؛ لأن صاحبها يُشرِف على جميع أملاكه في الجنة من أعلى مكان، فتبدو له روائع جنته، وفي ذلك زيادة البهجة والسرور.

٩٨٨٦ ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣]:

كانت المعصية قريبة منهم في الدنيا، فتركوها لله، فكافأهم الله، وأدنى منهم ثمار الجنة، جزاء وفاقًا.

٩٨٨٧ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]:

ما أبرد وقوعها غدًا على أسماع أهل القيامة! قال مجاهد وغيره: نزلت في الصائمين.

٩٨٨٨ قال نافع: «خرج ابن عمر في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له، ووضعوا سفرة لهم، فمَرَّ بهم راعي غنم، فسلَّم، فقال ابن عمر: هلم يا راعي، هلُمَّ فأصِب من هذه السفرة، فقال له: إني صائم، فقال ابن عمر: أتصوم في مثل هذا اليوم الحار الشديد سمومه؟ وأنت في هذه الجبال ترعى هذه الغنم؟! فقال له: إني والله أبادِر أيامي الخالية، فقال له ابن عمر -وهو يريد أن يختبر ورعه-:

فهل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه فنعطيك ثمنها، ونعطيك من لحمها فتفطر عليه؟! فقال: إنها ليست لي بغنم، إنها غنم سيدي.

فقال له ابن عمر: فما عسى سيدك فاعلًا إذا فقدها، فقلتَ: أكلها الذئب، فولى الراعي عنه وهو رافع إصبعه إلى السماء وهو يقول: فأين الله؟! فجعل ابن عمر يردِّد قول الراعي وهو يقول: قال الراعي: فأين الله؟! فلما قدم المدينة بعث إلى مولاه، فاشترى منه الغنم والراعي، فأعتق الراعي، ووهب له الغنم».

٩٨٨٩ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٧]:

قال قتادة: «تمنى الموت ولم يكن عنده شيء في الدنيا أكره إليه منه، وشر من الموت ما يُطلَب منه الموت».

٩٨٩٠ ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨،٢٩]:

المال والسلطان من أسباب الظلم والطغيان، ومن توفيق الله للعبد أن يستعملهما في ما يرضيه، فيكونان حجة له لا عليه.

٩٨٩١ المال والسلطان تكليف لا تشريف للإنسان.

٩٨٩٢ ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠، ٣١]:

قال صاحب الظلال:

«﴿خُذُوهُ﴾: كلمة تصدر من العلي الأعلى، فيتحرك الوجود كله على هذا المسكين الصغير الهزيل، ويبتدره المكلَّفون بالأمر من كل جانب، كما يقول ابن أبي حاتم بإسناده عن المنهال بن عمرو: (**إذا قال الله تعالى: خذوه، ابتدره سبعون ألف ملك، إن الملَك منهم ليقول هكذا، فيُلقي سبعين ألفا في النار**)، كلهم يبتدر هذه الحشرة الصغيرة المكروبة المذهولة!».

٩٨٩٣ ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة: ٣٢-٣٤]:

كان أبو الدرداء ﷺ يحضُّ امرأته على تكثير المرَق لأجل المساكين، ويقول: «خلَعْنا نصف السلسلة بالإيمان، أفلا نخلع نصفها الآخر». اقتبس ذلك من الآية.

٩٨٤٩ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٣٣]:

وصْفُ الله بالعظيم هنا إيماء إلى مناسبة عِظَم العذاب لعِظَم الذنب، إذ لا ذنب أعظم من الكفر، فكان عذاب الكافر عظيمًا، جزاء وفاقا.

٩٨٥٠ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ [الحاقة: ٣٣، ٣٤]:

أقبح ذنب بينك وبين الله: الكفر، وأقبح طبع بينك وبين الخلق: البخل.

٩٨٥١ ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٦]:

قد قال الله تعالى في موضع آخر: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٦]، وقال هنا: ﴿إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾، فكيف الجمع بين الآيتين؟!

وجه الجمع أن النار دركات، فمنهم من طعامه الزقوم، ومنهم من طعامه الغسلين، ومنهم من طعامه الضريع، كما أن منهم من شرابه الحميم، ومنهم من شرابه الصديد.

٩٨٥٢ ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: ٣٧]:

الخاطئ هو من يرتكب الذنب عن تعمد وإصرار، والمخطئ: هو من يرتكب الذنب عن غير إصرار وتعمد، فاللهم لا تجعلنا من الخاطئين، واجعلنا من المخطئين التائبين.

٩٨٥٣ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٣٨-٤٠]:

هذا أشْمَل قسَم في القرآن!

قال الإمام الرازي:

«يعُمُّ جميع الأشياء على الشمول؛ لأنها لا تخرج من قسمين: مُبْصَر وغير مُبصَر، فشمِل الخالق والخلق، والدنيا والآخرة، والأجسام والأرواح، والإنس والجن، والنعم الظاهرة والباطنة».

٩٩٩٩ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤١-٤٣]:

من أسباب إسلام عمر!

أخرج الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب ﷺ قال:

«خرجت أتعرَّض لرسول الله ﷺ قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فوقفت خلفه، فاستفتح بسورة (الحاقة)، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، فقلت- أي في نفسي-: هذا والله شاعر، فقرأ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾، فقلت: كاهن، فقرأ: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى آخر السورة. فوقع الإسلام في قلبي كل موقع».

٩٩٠٠ ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦]:

قال الزمخشري: «المعنى لو ادَّعى علينا شيئًا لم نقله لقتلناه صبرًا، كما يفعل الملوك بمن يتكذَّب عليهم، معاجلة بالسخط والانتقام، فصوَّر قتل الصبر بصورته ليكون أهول، وهو أن يؤخذ بيده، وتضرب رقبته، ومعنى ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ لأخذنا بيمينه».. والكلام هنا عن رسول الله ﷺ!

٩٩٠١ ما أعظم الافتراء على الله، والإفتاء بغير علم، وتأمل وتدبر قول الله عن أحب الخلق إليه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦].

٩٩٠٢ ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]:

هذا القرآن مَصُون أعظم درجات الصيانة، ومحفوظ من قِبَل الله، فلا يجرأ أحد أن يزيد فيه حرفا أو ينقص حرفا، وهذا وعد الله بحفظه، وتهديده بعقاب من أراد أن يمسَّه بسوء.

٩٩٠٣ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة: ٤٨]:

كلُّ من لم يذكِّره القرآن أو تؤثِّر فيه معانيه، فليتَّهِم تقواه.

٩٩٠٤ ﴿وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ [الحاقة: ٤٩]:

سيظل التكذيب بالدين قائما، في زمن النبوة، وفي كل زمان بعد زمن النبوة، فهي سُنَّة ماضية، لكن هيهات أن يؤثِّر التكذيب، فأمركم أيها المكذِّبون معلوم، وعقابكم قادم.

٩٩٠٥ عِلْمُ الله أنَّ مِنْ عباده من سيكذِّب به، لم يمنعه من توجيه التذكرة إليهم وإعادتها عليهم، وذلك لتقوم عليهم الحجة: ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖ﴾.

٩٩٠٦ ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الحاقة: ٥٠]:

القرآن حسرة على الكافرين، إما يوم القيامة إذا رأوا ثواب المؤمنين، أو في الدنيا إذا رأوا إقرار الحق وإزهاق الباطل، فالحسرة إما هنا وإما هناك.

٩٩٠٧ ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ [الحاقة: ٥١]:

في الآية إشارة إلى أن العبد ينبغي أن يسعى دائمًا للارتقاء في معرفة الحق ورعاية الإيمان حتى يكون مشاهِدًا للغيب كمشاهدة المرئيات.

٩٩٠٨ ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٥٢]:

داوِم على ذكره، وادأب على الدعوة إليه، وبلِّغ ما أوحي إليك، ولا تفتر عن عبادته، وهذا الأمر لنبيه، ويسري على أمَّته.

٩٩٠٩ قال الرازي عن هدف التسبيح:

«إما شكرا على ما جعلك أهلا لإيحائه إليك، وإما تنزيها له عن الرضا بأن يُنسَب إليه الكاذب من الوحي ما هو بريء عنه».

سورة المعارج

٩٩١٠ ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١]:

سؤال المشركين عن العذاب يتضمن ثلاثة معانٍ: الإنكار، والتهكم، والاستعجال، فهو سؤال الجُهَّال لا سؤال استفهام واستعلام.

٩٩١١ ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ [المعارج: ٢]:

قال صاحب الظلال:

«السورة تحكي أن سائلا سأل وقوع العذاب واستعجله، وتُقرِّر أن هذا العذاب واقع فعلًا؛ لأنه كائن في تقدير الله من جهة، ولأنه قريب الوقوع من جهة أخرى، وأن أحدًا لا يمكنه دفعه ولا منعه، فالسؤال عنه واستعجاله - وهو واقع ليس له من دافع - يبدو تعاسة من السائل المستعجل، فردًا كان أو مجموعة»

٩٩١٢ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣]:

ثلاثة معانٍ! المراد بها:

- السموات، وسماها معارج لأن الملائكة يعرجون فيها.
- أو النِّعَم والمنن؛ لأن وجوه إنعامه مراتب، وتصل إلى الناس على مراتب مختلفة.
- أو الدرجات التي يعطيها الله لأوليائه في الجنة.

٩٩١٣ ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]:

قال ابن عباس: «هو يوم القيامة، جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة»، فما أطول ذلك اليوم على الخلق، وما أقصره على المؤمنين.

٩٩١٤ ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]:

قال القرطبي: «وهذا القول أحسن ما قيل في الآية- إن شاء الله- بدليل ما رواه قاسم بن أصبغ من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» فقلت: ما أطول هذا؟ فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنه ليُخَفَّف عن المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة المكتوبة يصليها في الدنيا».

٩٩١٥ ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]:

قال صاحب الظلال: «والصبر الجميل هو الصبر المطمئن، الذي لا يصاحبه السخط ولا القلق ولا الشك في صدق الوعد. صبر الواثق من العاقبة، الراضي بقدر الله، الشاعر بحكمته من وراء الابتلاء، الموصول بالله المحتسب كل شيء عنده مما يقع به. وهذا اللون من الصبر هو الجدير بصاحب الدعوة».

٩٩١٦ ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: ٦، ٧]:

كلما زاد الإيمان في القلب، أيقنْتَ بقرب الفرج من الرب.

٩٩١٧ ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٨، ٩]:

السماء كالرصاص المذاب، والجبال كالصوف المنفوش، فما حال العبد الضعيف الذي أثقل ظهره بالذنوب والأوزار؟

٩٩١٨ ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠]:

في هذا اليوم لا يسأل صديقٌ صديقه النصرة أو المعونة؛ لأن كل واحد منهما مشغول بهموم نفسه من شدة الموقف وهول الحساب، ولأنه قد كُشِفَ لهم أنه لا تُغني نفسٌ عن نفسٍ شيئًا، وأنه قد تقطَّعت الأسباب، وتلاشت الأنساب، وعرف الجميع ألا عز إلا بالتقوى.

٩٩١٩ مشاهد الرعب التي يرونها، ألهتهم عن روابط الود التي يعرفونها.

٩٩٢٠ ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ١١]:

قال صاحب الكشاف:

«أي يبصر الأحماء الأحماء، فلا يخفون عليهم، فلا يمنعهم من المساءلة أن بعضهم لا يبصر بعضًا، وإنما يمنعهم التشاغل، فإن قلتَ: ما موقع يبصرونهم؟ قلت: هو كلام مستأنف، كأنه لمّا قال: وَلا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا قيل: لعله لا يبصره، فقيل في الجواب: يبصرونهم، ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم».

٩٩٢١ ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤﴾ [المعارج: ١١-١٤]:

العلاقات والقرابات التي جرت العادة في الدنيا أن يتناصر أصحابها، ويعين بعضهم بعضًا، تتلاشى يوم القيامة، فلا ينفع أحد أحدًا، بل لو افتدى المجرم بجميع من في الأرضِ لم ينفعه ذلك.

٩٩٢٢ ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾ [المعارج: ١٥، ١٦]:

قال قتادة: «تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك فيه شيئًا»، ثم يعود اللحم والجلد كما كانا، ليعود إليها العذاب، فهي هكذا إلى ما شاء الله.

٩٩٢٣ ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [المعارج: ١٧]:

النار كائن حي!

في الحديث: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان يسمعان ولسان ينطق، يقول: إني وُكِّلتُ بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر، وبالمصوِّرين**». صحيح الجامع رقم: ٨٠٥١.

٩٩٢٤ ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: ١٨]:

قرؤوا ففهموا، وفهموا فعمِلوا!

كان عبد الله بن عكيم لا يربط كيسه، ويقول: «سمعتُ الله تعالى يقول: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾».

٩٩٢٥ ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٢٢﴾ [المعارج: ١٩-٢٢]:

من اشتكى اليوم سرعة الانفعال وشدة التأثر بتقلب الأحوال، فليراجع صلاته.

٩٩٢٦ حين يُخسَف القمر، نصلي.

حين تُكسَف الشمس، نصلي.

حين يُمسِك المطر، نصلي.

الصلاة تحل المشكلات الكونية، فكيف لا تحِلُّ مشكلات شخصية؟!

٩٩٢٧ ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٢٢﴾ [المعارج: ٢١-٢٢]:

من يقيم الصلاة حق إقامتها، لن يكون بخيلًا.

٩٩٢٨ ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣]:

قال الإمام الرازي:

«فإن قيل: قال: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ ، ثم: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾، قلنا: معنى دوامهم عليها أن لا يتركوها في شيء من الأوقات، ومحافظتهم عليها ترجع إلى الاهتمام بحالها حتى يؤتى بها على أكمل الوجوه».

٩٩٢٩ ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤،٢٥]:

للعاطل الذي لا يجد عملًا حق الإعانة، أمرٌ جاء بها الإسلام، وعمل به الغرب، وما عمل به المسلمون.

٩٩٣٠ ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [المعارج: ٢٦]:

الأهم: التصديق العملي!

قال الآلوسي: «المراد التصديق به بالأعمال حيث يتعبون أنفسهم في الطاعات البدنية طمعًا في المثوبة الأخروية؛ لأن التصديق القلبي عامٌّ لجميع المسلمين لا امتياز فيه لأحد منهم».

٩٩٣١ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المعارج: ٢٧]:

الخوف النافع!

مشفقون أن يعذِّبهم في الآخرة، فهم من خشية ذلك لا يضيِّعون فرضًا، ولا يتعدَّوْن حَدًّا.

٩٩٣٢ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [المعارج: ٢٨]:

لماذا يُشفِق المؤمن؟!

قال الرازي:

«والمراد أن الإنسان لا يمكنه القطع بأنه أدى الواجبات كما ينبغي، واحترز عن المحظورات بالكلية، بل يجوز أن يكون قد وقع منه تقصير في شيء من ذلك، فلا جرم يكون خائفا أبدا».

٩٩٣٣ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المعارج: ٢٩-٣٠]:

الإسلام دين واقعي، يلبي دواعي الفطرة، ولا يكبتها كفعل الرهبان والمتبتِّلين؛ لذا هو أصحُّ دين، وملاذ الحائرين.

٩٩٣٤ هنا إشارة إلى أن العلاقة الجنسية في الإسلام قائمة على أساس نظيف صريح، يرمي إلى النهوض بواجب إنساني واجتماعي، لا لمجرد إرضاء نزوة حيوانية وشهوة جنسية!

٩٩٣٥ ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المعارج: ٣١]:

دخل في هذه الآية الجامعة مئات الانحرافات الأخلاقية والممارسات الشاذة التي تفننت الحضارة المادية فيهاليوم.

٩٩٣٦ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المعارج: ٣٢]:

قال الإمام القرطبي: «والأمانة والعهد يجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولًا فعلًا، وهذا يعُمُّ معاشرة الناس والمواعيد وغير ذلك، وغاية ذلك حفظه والقيام به».

٩٩٣٧ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٣٣]:

المؤمنون لا يشهدون إلا بما يعلمون، بلا زيادة أو نقصان أو كتمان، وبلا محاباة لقريب أو صديق أو إخوان.

٩٩٣٨ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤]:

الدوام خلاف المحافظة، فدوامهم عليها أن يحافظوا عليها، ولا يشتغلون عنها، وأما محافظتهم عليها، فأن يُراعوا خشوعها ومواقيتها، فالدوام يرجع إلى نفس الصلوات، والمحافظة إلى أحوالها.

٩٩٣٩ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٥]:

أكرمهم الله فيها بأنواع الكرامات كلها، فالكرامة الحسية والروحية والبصرية، وغير ذلك مما لا نعرف من كرامات الجنة.

٩٩٤٠ ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: ٣٦،٣٧]:

أي ما بال الذين كفروا يُسرِعون إلى السماع منك، ومقصدهم من هذا السماع أن يعيبوك ويستهزئوا بك.

٩٩٤١ ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ [المعارج: ٣٦]:

أي مسرعين. وفي سبب نزولها قال الواحدي والبغوي: كان المشركون يجتمعون حول النبي ﷺ، ويستمعون كلامه ويكذبونه ويستهزئون بالمؤمنين، ويقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم، وليكونن لنا فيها أكثر مما لهم، فأنزل الله هذه الآية.

٩٩٤٢ ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ [المعارج: ٣٨]:

الطمع الكاذب! لم يتصفوا بصفات أهل الجنة، وطمِعوا في اللحاق بأهلها.

٩٩٤٣ ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٩]:

رُوِي أن مطرف بن عبد الله بن الشِّخّير رأى المهلَّب بن أبي صفرة يتبختر في

ثوب من الحرير وجُبَّة خزٍّ، فقال له: يا عبد الله، ما هذه المشية التي يبغضها الله؟! فقال له: أتعرفني؟ قال: نعم، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العُذرة، فمضى المهلَّب وترك مشيته.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [المعارج: ٤٠-٤١]:

أقسم الله بنفسه وهو ربُّ مشارق الشمس والقمر والكواكب ومغاربها، إنا لقادرون على إهلاك المجرمين، والإتيان بآخرين صالحين، فما أهون هذا الأمر علينا، لكن مشيئتنا القائمة على حكمتنا اقتضت تأخير العقوبة.

﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ [المعارج: ٤١]:

ومن هذا الذي سبق يومًا إرادة الله أو عارض مشيئته؟!

﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٢]:

اشتغل بما أُمِرت به، ولا تلتفِتْ بقلبك إلى إجرامهم، واحفظ قلبك من نار الحزن على إعراضهم، فإن الله مُنزِلٌ بهم عقوبته في يوم لا يخطئونه.

﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣]:

قال صاحب الظلال:

«فهؤلاء الخارجون من القبور يُسرِعون الخطى، كأنما هم ذاهبون إلى نُصُب يعبدونه، وفي هذا التهكم تناسق مع حالهم في الدنيا، لقد كانوا يسارِعون إلى الأنصاب في الأعياد ويتجمعون حولها، فهاهم أولاء يسارعون اليوم، ولكن شتان بين يوم ويوم!».

﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٤]:

اليوم تنقلب الصور وتنعكس الهيئات! أبصارهم ذليلة خاضعة، لا يرفعونها لما يتوقعونه من العذاب، بعد ما كانوا بالأمس يتفاخرون ويتكبرون على العباد.

سورة نوح

٩٩٤٩ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ﴾ [نوح: ١]:

ولم يقل: أن أنذر الناس، لإثارة حماسته في دعوته؛ لأن حرص الرجل على نفع قومه أكثر من حرصه على نفع غيرهم.

٩٩٥٠ ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [نوح: ١]:

لا عذاب بغير سبب! الآية صريحة في أن ما أصاب قوم نوح من عذاب كان بسبب إصرارهم على كفرهم، وعدم الاستماع إلى إنذار نوح لهم.

٩٩٥١ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ [نوح: ٢]:

ما أسرع امتثال نوحٍ لأمر ربه لما جاءه! اقتدوا به.

٩٩٥٢ ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نوح: ٣]:

قال قتادة:

«بها أرسل الله المرسلين، أن يُعبَد الله وحده، وأن تُتَّقى محارمه، وأن يُطاع أمره».

٩٩٥٣ ﴿وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ [نوح: ٤]:

يمد في أعماركم، واستدل بهذه الآية من قال: إن صلة الرحم يزاد بها في العمر حقيقة، كما في الحديث: «**صلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار، يعمرن الديار، ويزِدْن في الأعمار**». صحيح الجامع رقم: ٣٧٦٧.

٩٩٥٤ ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [نوح: ٤]:

الغلو في حب الدنيا والمبالغة في طلب نعيمها يدفع صاحبه إلى إساءة العمل، وإلى الشك في دنو الأجل.

٩٩٥٥ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا﴾ [نوح: ٥]:

بدأ بالليل لأنه مظنة الراحة والسكون، لكن لا راحة لداعية.

٩٩٥٦ ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٦]:

ليست الهداية بيد بشر، وإنما القلوب بيد الله، إن شاء لها الإيمان آمنت واهتدت.

٩٩٥٧ ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [نوح: ٧]:

جعلوا أصابعهم في آذانهم ليمنعوا الكلام من بلوغ المسامع، وأطلق اسم الأصابع على الأنامل على وجه المجاز، فإن الذي يُجعَل في الأذن الأنملة لا الأصبع كله، فعبَّر عن الأنامل بالأصابع للمبالغة في إرادة سد المسامع.

٩٩٥٨ ﴿وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ [نوح: ٧]:

تنكَّروا له لئلا يعرفهم، أو غَطَّوا رؤوسهم كي لا يسمعوا ما يقول، وهذا قمة الإعراض.

٩٩٥٩ ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٨-٩]:

عظيم إصرار رغم عناد الكفار؛ لأن الداعية يرجو رضا مولاه، ويعلم أنه ينال أجره كاملا ولو لم يستجب له أحد.

٩٩٦٠ ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]:

الذنوب عوائق!

قال بكر بن عبد الله المزني: «إن أكثر الناس ذنوبًا أقلُّهم استغفارًا، وأكثرهم استغفارًا أقلهم ذنوبًا».

٩٩٦١ ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾ [نوح: ١١، ١٢]:

قال الشعبي: خرج عمر يستسقي، فلم يزد على الاستغفار حتى رجع، فأمطروا فقالوا: ما رأيناك استسقيت؟ فقال: لقد طلبتُ المطر بمجاديح السماء التي يُستنزَل بها المطر، ثم قرأ: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾.

٩٩٦٢ وعن الحسن أن رجلًا شكا إليه الجدب، فقال: استغفر الله، وشكا إليه آخر الفقر، وآخر قلة النسل، وآخر قلة ريع أرضه، فأمرهم كلهم بالاستغفار، فقال له بعض القوم: أتاك رجال يشكون إليك أنواعًا من الحاجة، فأمرتهم كلهم بالاستغفار، فتلا له الآية: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾.

٩٩٦٣ ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]:

قال القرطبي: «الرجاء هنا بمعنى الخوف، أي ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على أحدكم بالعقوبة، وأي عذر لكم في ترك الخوف من الله».

٩٩٦٤ ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]:

ويحك.. توقِّر مديرك وأميرك، وتخافهما وترعى حقهما أكثر من مراعاة حق الله.. ما أعظم جهل العبد وأظلمه!

٩٩٦٥ ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤]:

كل طور هو إيجاد خلق لم يكن موجودًا من قبل، فالموجود في الصبي لم يكن موجودًا في الجنين، والموجود في الكهل لم يكن فيه وهو غلام، وهذا التطور العجيب دليل على إمكان الإيجاد بعد الموت.

٩٩٦٦ ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥﴾ [نوح: ١٥]:

لا أحد يعلم أين تقع السماوات السبع؟! هل ما نراه حولنا وتوصلت إليه مراكب الفضاء هي السماء الدنيا؟ فأين باقي السماوات؟ هذا ما لا يعلمه أحد إلا الله.

٩٩٦٧ ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦]:

في جعل القمر نورًا إيماء إلى أن ضوء القمر ليس ذاتيًا، فإن القمر مظلم، وإنما يستضيء بانعكاس أشعة الشمس عليه.

٩٩٦٨ ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]:

أنبت أصلكم وهو أبوكم آدم، فنحن فروع من أبي البشر.

٩٩٦٩ ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٨]:

الناس الذين نبتوا من الأرض سيعودون إلى جوفها مرة أخرى، يعيدهم الله إليها كما أنبتهم منها.

٩٩٧٠ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ١٩-٢٠]:

قال السعدي: «فلولا أنه بسطها لما تمكنا من حرثها وغرسها وزرعها والبناء والسكون على ظهرها».

٩٩٧١ ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ [نوح: ٢١]:

ما أعظم أدب الأنبياء مع الله، فقد نسب عصيانهم إلى أمره لا إلى الله.

٩٩٧٢ ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: ٢١]:

المال والعيال أحيانًا -عكس ما يتبادر للأذهان- يكونان من علامات الخسران.

٩٩٧٣ ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: ٢٢]:

حين يصف الله الكبير مكرهم بالكِبَر، فتخيل كيف يكون.

٩٩٧٤ ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]:

قال ابن جرير:

«كان خبرهم -فيما بلغنا- من محمد بن قيس قال: كانوا قومًا صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم؛ فصوروهم. فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم».

٩٩٧٥ ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [نوح: ٢٤]:

الضلال والحرمان من الهداية هما مصير كلِّ ظالم.

٩٩٧٦ ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ [نوح: ٢٤]:

لعل ضلال الظالمين اليوم هو أثر استجابة دعوة نبي الله نوح من آلاف السنين!

٩٩٧٧ ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [نوح: ٢٥]:

الذنب بلا توبة لا بد له عند الله من عقوبة، قد تتأخر لكنها نازلة لا محالة.

٩٩٧٨ ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]:

بدعوة صادقة واحدة أغرق الله أهل الأرض جميعًا إلا المؤمنين.

٩٩٧٩ فيه مشروعية الدعاء على الظالم، ودعاء سعيد بن جبير على الحجاج لما أمر بقتله مشهور، فقد قال: اللّهم لا تُسَلِّطه على أحد يقتله بعدي.

٩٩٨٠ ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧]:

سين: كيف عرف نوح عليه السلام ذلك؟

جيم: قال الرازي: «للنص والاستقراء، أما النص فقوله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٥].

وأما الاستقراء، فهو أنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، فعرف طباعهم وجرَّبهم، وكان الرجل منهم ينطلق بابنه إليه ويقول: احذر هذا فإنه كذاب، وإن أبي أوصاني بمثل هذه الوصية، فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك».

٩٩٨١ ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [نوح: ٢٨]:

داوِم على الدعاء لوالديك أحياء أو أمواتا!

في الحديث: «**إن الرجل لتُرفَع درجته في الجنة فيقول: أنى لي هذا؟ فيُقال: باستغفار ولدك لك**». صحيح الجامع رقم: ١٦١٧.

٩٩٨٢ ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨]:

لابد مع الولاء للمؤمنين والدعاء لهم، من البراءة من الظالمين، والدعاء عليهم.

سورة الجن

٩٩٨٣ ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]:

سمعوا سورة واحدة أو بعض سورة، فانتفضت أرواحهم، فكيف لو سمعوه كله؟!

٩٩٨٤ ﴿سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ﴾ [الجن: ١-٢]:

الاستماع للقرآن سببٌ لهداية القلب.

٩٩٨٥ ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢]:

قال النووي معلقًا على حديث ابن مسعود وقد طلب منه رسول الله ﷺ أن يقرأ القرآن عليه:

«وفي حديث ابن مسعود هذا فوائد منها استحباب استماع القراءة والإصغاء إليها، والبكاء عند تدبرها، واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له، وهو أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه».

٩٩٨٦ ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ [الجن: ٣]:

قال القرطبي:

«الجَدُّ في اللغة: العظمة والجلال، ومنه قول أنس ﷺ: كان الرجل إذا حفظ البقرة وآل عمران جَدَّ في عيوننا، أي: عظم، فمعنى جَدُّ ربنا: عظمته وجلاله».

٩٩٨٧ ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]:

لأن اتخاذ الصاحبة للأنس بها، واتخاذ الولد للاستعانة والتقوي به، وكل هذا من آثار الاحتياج، والله تعالى هو الغني.

٩٩٨٨ حتى الجن أنكرت على النصارى نسبتهم الولد إلى الله.

٩٩١٩ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ [الجن: ٤]:

ادعاء الولد والصاحبة لله لوم من السفاهة، سواء نطق به شيطان من الجن، أو أحد من الإنس.

٩٩٢٠ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الجن: ٥]:

قال الإمام الرازي:

«وهذا منهم إقرار بأنهم إنما وقعوا في تلك الجهالات بسبب التقليد، وأنهم إنما تخلَّصوا عن تلك الظلمات ببركة الاستدلال والاحتجاج».

٩٩٢١ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]:

جاء في كتب التفسير:

«كان الرجل من العرب في الجاهلية إذا سافر، فأمسى في أرض قفر، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شرِّ سفهاء قومه، فيبيت في أمن وجوار منهم، حتى يصبح»

٩٩٢٢ ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ [الجن: ٧]:

هذا كلام الجن لقومهم، فالجن مثل الإنس، فيهم من ينكر البعث، ويكفر بالله.

٩٩٢٣ ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٨-٩]:

كان مردة الجن يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء حتى يلقوها إلى الكهنة، فحرسها الله حين بعث رسوله بالشُّهُب المحرقة.

٩٩٢٤ كان الرَّجْم موجودًا قبل المبعث، فلما بُعِث النبي ﷺ كثر وازداد، وليس في الآية دلالة على أن كل ما يحدث من الشهب هدفه الرجم، بل إنهم إن حاولوا استراق السمع رُجِموا بالشهب، فالشُّهُب قد تكون ظواهر طبيعية ولأسباب كونية.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]:

قال الآلوسي: «ولا يخفى ما في قولهم هذا من الأدب، حيث لم يصرِّحوا بنسبة الشر إلى الله تعالى، كما صرَّحوا به في الخير، وإن كان فاعل الكل هو الله تعالى، ولقد جمعوا بين الأدب وحسن الاعتقاد».

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الجن: ١١]:

ظهرت عليهم آثار التوفيق مبكِّرا، فعلموا أن الجن صاروا فريقين، من الصالحين وغير الصالحين، وانظر لطفهم في دعوة قومهم، فلم يصرِّحوا أنهم هم الصالحون مع أنهم كذلك، ولم يصرِّحوا بأن قومهم غير صالحين، بل وزادوا لطفا في القول فقالوا: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾.

﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١١]:

طبيعة الإنس والجن الاختلاف!

الطرائق: جمع طريقة، وهي طريقة الرجل ومذهبه، والقِدَد: جمع قِدَّة، وهي الضروب والأجناس المختلفة.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ [الجن: ١٢]:

بعد إيمانهم انقلبت أحوالهم، فأيقنوا بأنهم مقهورون تحت إرادة الله الغالبة، وأنهم أضعف وأفقر ما يكونون إلى الله، فتوكلوا عليه.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: ١٣]:

الإيمان أمانٌ من الخوف!

قال ابن عباس: «لا يخاف أن ينقص من حسناته ولا أن يزاد في سيئاته؛ لأن البخس النقصان، والرهق: العدوان وغشيان المحارم».

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٤]:

عن سعيد بن جبير: أن الحجاج قال له حين أراد قتله: ما تقول فيَّ؟ قال: قاسط عادل، فقال القوم: ما أحسن ما قال، حسِبوا أنه يصفه بالقسط والعدل، فقال الحجاج: يا جهلة، إنه سماني ظالما مشركا، وتلا لهم قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾.

١٠٠٠١ ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥]:

والقاسطون: هم الجائرون الظالمون، جمع قاسط، وهو الذي ترك الحق واتبع الباطل، بخلاف المُقْسِط فهو الذي اتبع الحق وترك الباطل.

١٠٠٠٢ ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٦، ١٧]:

قال عمر بن الخطاب في هذه الآية: «أينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة».

١٠٠٠٣ ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٧]:

عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: « إنما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها».

١٠٠٠٤ ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٧]:

قال ﷺ: «فوالله ما الفقر أخشى عليكم، وإنما أخشى عليكم أن تُبسَط عليكم الدنيا، كما بُسِطَت على من كان قبلكم، فتنافسوها، كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم» صحيح الجامع رقم ١٠٣٦.

١٠٠٠٥ ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]:

المساجد للصلاة، وما يتعلق بها من أمور الدين، فلا تباشر فيها أشغال الدنيا، ولا تنشغل فيها بغير الله.

١٠٠٠٦ دخل أبو مسلم الخولاني ذات يوم المسجد، فنظر إلى نفر قد اجتمعوا، فرجا أن يكونوا على ذكر خير، فجلس إليهم، فإذا بهم يتحدثون في شؤون الدنيا، فقال:

«سبحان الله.. أتدرون ما مثلي ومثلكم؟! كرجل أصابه مطر غزير وابل، فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين، فقال: لو دخلت هذا البيت حتى يذهب عني هذا المطر، فدخل، فإذا البيت لا سقف له، جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على ذكر وخير، فإذا أنتم أصحاب دنيا».

١٠٠٧ ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]:

تلبَّدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلا أن ينصره ويُظهِره على من عاداه.

١٠٠٨ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٠]:

فخر الرسول وعزه أنه عبدٌ لله، فكلما زادت عبوديتنا لله زادنا شرفًا وعزًّا.

١٠٠٩ ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١]:

مع أني نبي، إلا أني لا أقدر أن أدفع عنكم ضرًّا أي عذابًا، ولا أسوق لكم خيرا ولا هداية أي رشَدا، فمفاتيح كل ذلك بيد الله وحده.

١٠١٠ ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢٢]:

قال صاحب الظلال:

«يا للرهبة! ويا للروعة! ويا للجد! إنها ليست تطوعًا يتقدم به صاحب الدعوة. إنما هو التكليف، التكليف الصارم الجازم، الذي لا مفر من أدائه، فالله من ورائه! وإنها ليست اللذة الذاتية في حمل الهدى والخير للناس.

إنما هو الأمر العلوي الذي لا يمكن التلفت عنه ولا التردد فيه! وهكذا يتبين أمر الدعوة ويتحدد.

إنها تكليف وواجب، وراءه الهول، ووراءه الجِدُّ، ووراءه الكبير المتعال».

١٠١١ ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ [الجن: ٢٣]:

على وجهين:

- مستثنى من قوله: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ إلا بلاغًا من الله، فذلك الذي أملكه، فأما الكفر والإيمان فلا أملكهما.

- مستثنى من قوله: ﴿لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ أي لا يجيرني من الله، ويخلِّصني إلا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها عليَّ.

١٠٠١٢ ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]: المراد بالمعصية هنا الكفر، كما قيَّدتها النصوص الأخرى المحكمة، وأما مجرد المعصية، فلا توجِب الخلود في النار كما أجمع عليه علماء الأمة.

١٠٠١٣ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٤]: قضى الله أن بعض العباد لا ينهار لديهم الكفر والعناد إلا بعد أن يروا العذاب.

١٠٠١٤ ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ [الجن: ٢٥]: حتى رسول الله لا يعلم متى نصر الله!

١٠٠١٥ قال مقاتل: «لما سمعوا قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٤] قال النَّضْر بن الحارث: متى يكون هذا الذي توعدنا به؟ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ..﴾».

١٠٠١٦ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦]: موعد النصر غيب، والله وحده يعلم الغيب؛ لذا لا يعلم موعد إهلاك الظالمين، ونصر المؤمنين إلا الله رب العالمين.

١٠٠١٧ ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[الجن: ٢٧]: خصَّ الله الرسل من بين من ارتضاهم بالاطلاع على بعض الغيب، وفيه دليل على إبطال دعوى الكهان والسحرة والمنجِّمين في معرفة الغيب؛ لأن أصحابها أبعد ما يكونون عن ارتضاء الله وأقربهم من سخطه.

١٠٠١٨ قال الواحدي: «وفي هذا دليل على أن من ادَّعى أن النجوم تدلُّه على ما يكون من حياة أو موت أو غير ذلك، فقد كفر بما في القرآن».

١٠٠١٩ ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ [الجن: ٢٨]:

ليعلم الله علم مشاهدة يترتب عليه الجزاء، وإلا فالله يعلم كل شيء قبل وقوعه، ومنه علمه أن الرسل قد أبلغوا رسالاته إلى خلقه.

١٠٠٢٠ ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨]:

أحصى عدد أيامك، وعدد أنفاسك، وعدد حسناتك وعدد سيئاتك، وعدد حركاتك وخطواتك، وعدد كل ما خطر أو لم يخطر ببالك، فهو المحصي سبحانه.

سورة المزمل

١٠٠٢١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ [المزمل: ١، ٢]:

ذهاب مخاوفك وتقوية عزائمك في قيام الليل.

١٠٠٢٢ ﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ٣]:

أي نصف الليل بدلًا من الليل كله، أو انقص من النصف قليلًا إلى الثلث، فكان قيام الليل واجبًا على النبي ﷺ، وكان مخيَّرًا ما بين ثلث الليل إلى نصفه.

١٠٠٢٣ ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]:

كيف الترتيل؟!

وُصِفت تلاوة الفضيل بن عياض للقرآن بأنها «حزينة شهية بطيئة مترسِّلة، كأنه يُخاطِب إنسانًا».

١٠٠٢٤ قال عبد الله بن مسعود: «لا تنثروه نثر الرَّمْل، ولا تهذوه هذَّ الشِّعر، وقِفوا عند عجائبه، وحرِّكوا به القلوب». أي لا تسرِعوا في قراءته.

١٠٠٢٥ قال ابن عباس: «لأن أقرأ سورة أرتِّلها أحب إليَّ من أن أقرأ القرآن كله».

١٠٠٢٦ قال مجاهد: «أحب الناس في القراءة إلى الله أعقلهم عنه».

١٠٠٢٧ قال الإمام الرازي:

«أمره بترتيل القرآن حتى يتمكن الخاطر من التأمل في حقائق تلك الآيات ودقائقها، فعند الوصول إلى ذكر الله يستشعر عظمته وجلالته، وعند الوصول إلى الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف، وحينئذ يستنير القلب بنور معرفة الله، والإسراع في القراءة يدل على عدم الوقوف على المعاني؛ لأن النفس تبتهج بذكر الأمور الإلهية الروحانية، ومن ابتهج بشيء أحبَّ ذكره، ومن أحب شيئًا لم يمر عليه بسرعة، فظهر أن المقصود من الترتيل إنما هو حضور القلب وكمال المعرفة».

١٠٠٢٨ ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل: ٥]:

هو القرآن، والقرآن ليس ثقيلًا في مبناه، فهو ميسَّرٌ للذكر، لكنه ثقيل في أثره على القلب، فلو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله، فأنزله الله على قلبٍ أثبت من الجبل يتلقاه.

١٠٠٢٩ ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ٦]:

أي أَشَدُّ تأثيرًا في القلب وإن كانت أثقل على النفس وأتعب للبدن، ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ أي أقرب لفهم القرآن لخلو الذهن في جوف الليل، وإقبالهم على ما يقرؤونه.

١٠٠٣٠ ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً﴾ [المزمل: ٧]:

لا قوة على أعباء النهار دون قيام الليل.

١٠٠٣١ النهار فيه شغل عظيم، لا يترك فرصة للخلوة بالنفس، وشغل النبي ﷺ في النهار بالدعوة إلى الله، وتبليغ القرآن، وتعليم الدين، ومحاجة المشركين، وتفقد المؤمنين المستضعفين.

١٠٠٣٢ ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ [المزمل: ٨]:

قال ميمون بن مهران: «كان يقال: الذكر ذكران: ذكر الله باللسان، وأفضل من ذلك: أن تذكره عند المعصية إذا أشرفت عليها».

١٠٣٣ قال بلال بن سعد:
«الذكر ذكران: ذكر باللسان حسن جميل، وذكر الله عندما أحلَّ وحرَّم أفضل».

١٠٣٤ ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨]:
التبتل: الانقطاع للعبادة، ومنه سُمِّيَت مريم: البتول؛ لانقطاعها عن الأزواج.

١٠٣٥ قال ابن القيم:
«التبتل يجمع أمرين اتصالًا وانفصالًا، لا يصِحُّ إلا بهما.
فالانفصال: انقطاع قلبه عن حظوظ النفس المزاحمة لمراد الرب منه، وانقطاعه عن التفات قلبه إلى ما سوى الله، خوفًا منه، أو رغبة فيه، أو مبالاة به، أو فكرًا فيه، بحيث يشغل قلبه عن الله.
والاتصال: وهو اتصال القلب بالله، وإقباله عليه، وإقامة وجهه له، حبًّا وخوفًا ورجاء، وإنابة وتوكلًا».

١٠٣٦ ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]:
إن اتخذْتَ من المخلوقين وكيلا، أخذوا مالك وطالبوك بالأجرة، وإذا اتخذت الله وكيلًا، وفَّر عليك مالك، وأعطاك هو الثواب والأجرة.

١٠٣٧ ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠]:
هذا أدب المسلم وثبات أخلاقه حتى مع أعدائه وخصومه!

١٠٣٨ سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الهجر الجميل؟! فقال: الهجر الجميل: هجر بلا أذى!

١٠٣٩ قال ابن مسعود ﷺ في وصف الهجر الجميل:
«خالطوا الناس وزايلوهم وصافحوهم ودينكم لا تُكلِّموه»، لا تكلِّموه بمعنى لا تجرحوه.

١٠٠٤٠ ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ﴾ [المزمل: ١١]:

هي دعوتي، وما عليك إلا البلاغ، فدعهم يكذِّبون، وسأتولى أنا حربهم، فأرِح نفسك من عناء التفكير، ولا ترهق قلبك بكثرة التدبير، فأنا كافيك من كل ما يؤذيك.

١٠٠٤١ ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾ [المزمل: ١١]:

والحياة كلها قليل، وما بقي منها أقل القليل، حتى إن الناس ليحسونها يوم القيامة ساعة من نهار، فكيف يباع نعيم الخلود بساعة؟!

١٠٠٤٢ ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالاً وَجَحِيمًا﴾ [المزمل: ١٢]:

الأنكال: القيود والأغلال.

قال الشعبي:

«أترون أن الله تعالى جعل الأنكال في أرجل أهل النار خشية أن يهربوا؟ لا والله! ولكنهم إذا أرادوا أن يرتفعوا أمسكَتْ بهم».

١٠٠٤٣ ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١٣]:

هل شعرت يومًا بغصة من لقمة طعام كدت معها أن تختنق؟! هذا هو طعام أهل النار الدائم، يدخل إلى الحلق، فلا هو نازل ولا خارج، وأما نوعه فقال ابن عباس: وهو الغسلين والزقوم والضريع.

١٠٠٤٤ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً﴾ [المزمل: ١٤]:

إن يومًا ترجف فيه الأرض، وتتحول الجبال فيه إلى كثبان رمال، هو يوم شديد، جدير أن تخاف منه، وتستعِدَّ له.

١٠٠٤٥ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَـٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ۝ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَـٰهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ [المزمل: ١٥، ١٦]:

اشتراككم مع فرعون في التكذيب والعصيان، يجمعكم معه في سوء العاقبة والخذلان.

١٠٠٤٦ ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧]:

قال الحسن:

«أي بأي صلاة تتقون العذاب؟ بأي صوم تتقون العذاب؟».

١٠٠٤٧ ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨]:

من الدلالات اللغوية لهذه الآية: أن السماءَ تُذكَّر وتؤنَّث.

١٠٠٤٨ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٩]:

الهداية قرار واختيار!

يخيِّر الله الناس بين الاهتداء بهذه الآيات المتقدمة أو الإعراض عنها، بعد أن أقام عليهم الحجة.

١٠٠٤٩ ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ [المزمل: ٢٠]:

ليكن لك ورد يومي ثابت من القرآن مهما كان يسيرًا.

١٠٠٥٠ حتى لو كنت مريضًا، أو كنت في جهاد أو طلب رزق، لا تقطع صلتك بالقرآن، فكيف لو كنت فارغًا من كل هذه الأشغال؟!

١٠٠٥١ ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]:

ما أروع الكسب الحلال!

قال ابن عمر رضي الله عنهما:

«ما خلق الله موتة أموتها بعد الموت في سبيل الله أحب إلي من الموت بين شعبتي رَحْلي، أبتغي من فضل الله ضاربًا في الأرض».

سورة المدثر

١٠٠٥٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر: ١]:

قال الإمام القرطبي:

«ملاطفة في الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذ ناداه بحاله، وعبَّر عنه بصفته، ولم يقل يا محمد ويا فلان، ليستشعر اللين والملاطفة من ربه».

١٠٠٥٣ ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ [المدثر: ٢]:

﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ هو الجناح الأول للداعية، وهذا هو الجناح الثاني: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾، وبدون هذين الجناحين لا وصول لطائر القلب إلى جنة الرب.

١٠٠٥٤ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ [المدثر: ٣]:

تشجيعٌ للنبي ﷺ على الإنذار، وعدم مبالاته بما سوى الله، فكل ما سوى الله مقهور تحت كبريائه تعالى، فلا ينبغي أن يُرهَب إلا منه؛ لذا لا يصدنك شيء عن الإنذار.

١٠٠٥٥ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ [المدثر: ٤]:

قال الماوردي: «ولهم في تأويل الآية وجهان:

أحدهما- معناه: وقلبك فطهِّر من الإثم والمعاصي، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني- معناه: وقلبك فطهِّر من الغدر، أي لا تغدر، فتكون دنس الثياب».

١٠٠٥٦ ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ [المدثر: ٥]:

الرجز هو الأصنام أو المعاصي والآثام، ولما كان المطالب بهذا الأمر هو النبي ﷺ وهو البريء من ذلك، كان هذا من باب: إياك أعني واسمعي يا جارة.

١٠٠٥٧ قال الآلوسي: «كلام جامع في مكارم الأخلاق، كأنه قيل: اهجر الجفاء والسَّفَه وكل شيء يقبح، ولا تتخلق بأخلاق هؤلاء المشركين».

١٠٠٥٨ ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦]:

قال الحسن: «لا تستكثِر عملك! فإنك لا تعلم ما قُبِلَ منه، وما رُدَّ فلم يُقبل».

١٠٠٥٩ قال ابن كيسان: «لا تستكثر عملك، فتراه من نفسك، إنّما عملك مِنَّة من الله سبحانه عليك؛ إذ جعل لك سبيلا إلى عبادته، فله بذلك الشكر أن هداك له».

١٠٠٦٠ ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ٧]:

اصبِر لربك لا تجلدًا، ولا ليراك الناس، ولا ليثنوا على شجاعتك وتجلُّدك، أخلِص في صبرك حتى يقبله الله.

١٠٠٦١ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٨،٩]:

حديث النفخ في الصور:

«كيف أنتم وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنا الجبهة، وأصغى السمع ينتظر متى يؤمر بالنفخ فينفخ. قالوا: كيف نصنع؟ قال قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا». صحيح الجامع رقم: ٤٥٩٢.

١٠٠٦٢ ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ١٠]:

قال القاسمي:

«وفي قوله: ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ تأكيد يمنع أن يكون عسيرًا عليهم من وجه دون وجه، ويشعر بيسره على المؤمنين، ففيه جمع بين وعيد الكافرين وبشارة المؤمنين».

١٠٠٦٣ ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١]:

قال ابن عاشور: «كان الوليد بن المغيرة يلقَّب في قريش بالوحيد؛ لتوحده وتفرده باجتماع مزايا له لم تجتمع لغيره من طبقته، وهي كثرة الولد، وسعة المال، ومجده ومجد أبيه من قبله، وكان مرجع قريش في أمورهم؛ لأنه كان

أسن من أبي جهل وأبي سفيان، فلما اشتهر بلقب الوحيد، كان هذا الكلام إيماء إلى الوليد بن المغيرة».

١٠٠٦٤ ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا وَبَنِينَ ۝١٣ شُهُودًا﴾ [المدثر:١١-١٣]:

تهديدٌ لمن خلقه الله من بطن أمه وحيدًا، لا مال له ولا ولد، فرزقه المال والولد، فكفر وتكبَّر، وتمرد وتجبَّر، والمفسرون على أنه الوليد بن المغيرة المخزومي، وإن كان الناس خُلِقوا مثل خلقه.

١٠٠٦٥ كان الوليد بن المغيرة يُسمَّى الوحيد في قومه. قال ابن عباس: «كان الوليد يقول: أنا الوحيد بن الوحيد، ليس لي في العرب نظير، ولا لأبي المغيرة نظير»، ومعنى الآية: ذرني ومن خلقتُه بزعمه وحيدًا، لا أن الله تعالى صدَّقه بأنه وحيد.

١٠٠٦٦ ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾ [المدثر: ١٤]:

والتمهيد هنا استعارة لتيسير أموره ونفاذ كلمته في قومه، بحيث لا يعسر عليه مطلب، ولا يستعصي عليه أمر، وتنوين وتنكير ﴿تَمْهِيدًا﴾ لإفادة تعظيم هذا التمهيد.

١٠٠٦٧ ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ [المدثر: ١٥-١٦]:

﴿كَلَّآ﴾ ردع وإبطال لطمع الوليد في الزيادة من النعم وقطع لرجائه، والمقصود تطمين النبي ﷺ بأن الوليد سيقطع الله عنه الرزق لئلا تكون نعمته فتنة لغيره، فيغريهم حاله بسلوك نفس الطريق.

١٠٠٦٨ في هذا إيذان بأن كفران النعمة سببُ قطعها.

١٠٠٦٩ ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ [المدثر: ١٦]:

لا يكون ما أمَّل؛ لأن الجدير بالزيادة من نعيم الآخرة هم المتقون، لا هو، وهي بدهية يقرِّرها القرآن، تنزلًا منه لأهل الكفر، وتسلية لأهل الإيمان.

١٠٠٧٠ ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧]:

الجاه الذي أتاه في الدنيا بدون تعب، ومهَّده الله له تمهيدًا، سيلقى نقيضه في الآخرة من تعب وإذلال، وسيرهقه الله إرهاقًا بالمشقة كالذي يصعد عقبة صعبة.

١٠٠٧١ ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٨]:

كان يُفكِّر، لكن أين قاده تفكيره؟ والعِبْرة هنا:

العقل الذي حُرِمَ توفيق الله لا يُغني عنه ذكاؤه من الله شيئًا.

١٠٠٧٢ إعمال العقل والفكر مع إهمال نصوص الوحي نذير ضلال وشؤم.

١٠٠٧٣ ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٩]:

هذا دعاء على الوليد أن يقتله قاتل، أي بتعجيل موته، وفيه إخبار عن قهره وذلته، والاستفهام بقوله: ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ فيه تعجيب من حاله، أي كيف قدَّر ما لا يصح تقديره، وما لا يسوغ أن يقدِّره أي عاقل؟

١٠٠٧٤ ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر: ٢٠]:

ما فائدة التكرار؟ كأنه دعا عليه أولا ورجا أن يُقلِع عن ضلاله، فلما لم يفعل، دعا عليه ثانيًا.

١٠٠٧٥ ﴿ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢﴾ [المدثر: ٢١،٢٢]:

كل شيء مكتوب عليك حتى (النظرة) و(تقطيبة الجبين).

١٠٠٧٦ ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾ [المدثر: ٢٣-٢٥]:

سبب النزول!

قال ابن عباس: «دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن، فلما أخبره خرج على قريش، فقال: يا عجبًا لما يقول ابن أبي كبشة، فو الله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذيٍّ من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله،

فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا: والله لئن صبأ الوليد لتصبو قريش، فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال: أنا والله أكفيكم شأنه، فانطلق حتى دخل عليه بيته، فقال للوليد: ألم تر إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة؟ فقال: ألست أكثرهم مالًا وولدًا؟ فقال له أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه، فقال الوليد: أقد تحدِّث به عشيرتي؟ فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ولا عمر ولا ابن أبي كبشة، وما قوله إلا سحر يؤثر، فأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ إلى قوله: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾».

١٠٠٧٧ ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧﴾ [المدثر: ٢٦، ٢٧]:

سأغمره فيها من جميع جهاته، وستحاصره حتى لا مفر له منها، وإنما سُمِّيَت سقر من سقَرَتْه الشمس: إذا أذابته، وأحرقت جلد وجهه.

١٠٠٧٨ **إعجاز القرآن!**

كان بوسع الوليد بن المغيرة أن يكذِّب القرآن، فيُسلِم -ولو كاذبًا- لينجو من سقر، لكن الإعجاز أن القرآن حكَم بكفره، وبموته على الكفر.

١٠٠٧٩ ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: ٢٨]:

تأكل لحومهم وعروقهم وأعصابهم وجلودهم، ثم تُبدَّل غير ذلك، فيظلون في هذا العذاب، وهم في ذلك لا يحيون ولا يموتون.

١٠٠٨٠ ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٩]:

ومعنى: لَوَّاحَةٌ مغيِّرة للبشرات، ومسوِّدة للوجوه، والبشَر: جمع بشرة وهي ظاهر الجلد.

١٠٠٨١ ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠]:

قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم! محمد يخبر أن خزنة النار تسعة عشر، وأنتم الشجعان، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم؟ فقال أبو

الأشد- واسمه كلدة بن أسيد بن خلف-: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر، عشرة على ظهري، وسبعة على بطني، واكفوني أنتم اثنين، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً...﴾».

١٠٠/١٢ لماذا تسعة عشر؟!

قال صاحب الظلال:

«وهذا العدد كغيره من الأعداد. والذي يبغي الجدل يمكنه أن يجادل وأن يعترض على أي عدد آخر، وعلى أي أمر آخر بنفس الاعتراض..لماذا كانت السماوات سبعًا؟

لماذا كان خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار؟

لماذا كان حمل الجنين تسعة أشهر؟

لماذا تعيش السلاحف آلاف السنين؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟

والجواب: لأن صاحب الخَلْق والأمر يريد ويفعل ما يريد! هذا هو فصل الخطاب في مثل هذه الأمور».

١٠٠/١٣ ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [المدثر: ٣١]:

هكذا تترك الحقيقة الواحدة أثرين مختلفين في القلوب المختلفة، فبينما الذين أوتوا الكتاب يستيقنون، والذين آمنوا يزيدون إيمانًا، إذا بالذين كفروا والمنافقين في حيرة يتساءلون: ماذا أراد الله بهذا مثلًا؟

١٠٠/١٤ ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المدثر: ٣١]:

ليس الكفر قضية فكرية، بل قلبية!

١٠٠/١٥ ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]:

جنود لا تعلم بها المخابرات، ولا ترصدها أجهزة التصنُّت!

١٠٠٨٦ في عام ١٩٥٨ أمر الزعيم الصيني (ماوتسي تونغ) شعبه بقتل جميع أنواع (طيور الدوري)؛ لأنها تأكل المحاصيل وتقلِّل من الإنتاج الزراعي، فكان الفلاحون يقتلون عشرات الآلاف من طيور الدوري، وكان من يقتل أكبر عدد يتلقى الجوائز والمكافآت، ويُعامَل معاملة الأبطال، لاحقًا انتشر الجراد الذي كانت تأكله طيور الدوري بشكل مأساوي في أنحاء البلاد قاضيًا على المحاصيل، وكانت هذه أحد الأسباب الرئيسة لمجاعة الصين الكبرى عام ١٩٦١، والتي تسببت في وفاة ١٥ مليون إنسان بالجوع!

١٠٠٨٧ ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾ [المدثر: ٣٢]:

رغم جمال القمر إلا أنه لا يصلح للحياة! وتبلغ درجة حرارة جانب القمر المواجه للشمس ١٢٠ درجة مئوية، أي أعلى من درجة غليان الماء، ودرجة حرارة الجانب المظلم أقل من درجة تجمّد الماء بمقدار يبلغ ١٥٠ درجة.

١٠٠٨٨ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ۝٣٤﴾ [المدثر: ٣٣،٣٤]:

لا بقاء للألم، ولا دوام للمحن، إنما هي ظلمةٌ فضياء، فإذا اشتدت ظلمة همومك، فتيقَّن أن صبحا قادما في الأفق سيبدِّدها.

١٠٠٨٩ ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝٣٥ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝٣٦﴾ [المدثر: ٣٥-٣٦]:

النار علامة رحمة!

قال سفيان بن عيينة: «خُلِقَت النار رحمةً، يخوِّف الله بها عباده لينتهوا».

١٠٠٩٠ ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧]:

وكلمة (شاء) في الآية معناها أن تقدمك أو تأخرك إنما هو (قرارك) الشخصي.

١٠٠٩١ معناه أن لا وقوف في الطريق إلى الله ألبتة، فإما تقدم وإما تأخر، ومن لم يتقدم بالحسنات سيتأخر بالسيئات؛ فإن لم تتقدم كل يوم فأنت (متأخِّر).

١٠٠٩٢ آية فيها تهديد ووعيد يدفع كل واحد منا لمحاسبة نفسه باستمرار، خوفًا من أن تتراجع أعماله الصالحة، فيحرص على اغتنام كل دقيقة من وقته آناء الليل وأطراف النهار.

١٠٠٩٣ **احذر الكلام السلبي!**

تحدَّث رجلًا الأعمال جون أساراف ومواراي سميث في كتابهما The Answer عن الرسائل السلبية التي يتلقاها الأطفال أثناء نموهم، فيقولان: «عندما تصل إلى السابعة عشرة من عمرك، ستكون قد سمعت عبارة: (لا، لا يمكنك ذلك) حوالي ١٥٠ ألف مرة، وستكون قد سمعت عبارة: (نعم يمكنك ذلك) حوالي ٥آلاف مرة، فهناك ثلاثون (لا) مقابل كل (نعم)، وهذا ينمِّي اعتقادًا قويًا بفكرة: (لا أستطيع)».

١٠٠٩٤ ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ [المدثر: ٣٨،٣٩]:

كل نفس مرهونة بعملها إلا الصادقين؛ لأنهم أدوا ما عليهم. قال ابن عباس: «إن كان أحدهم سبقت له كلمة العذاب جُعلَ منزله في النار يكون فيها رهنًا، وليس يرتهِن أحدٌ من أهل الجنة».

١٠٠٩٥ كل نفس رهن بكسبها عند الله، غير مفكوكة ولا محرَّرة إلا أصحاب اليمين، فإنهم فكوا رقابهم بأعمالهم الصالحة، كما يخلِّص الراهن رهنه بأداء الحق الذي عليه.

١٠٠٩٦ ﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [المدثر: ٤٠،٤١]:

يسائل أهل الجنة بعضهم بعضًا عن أحوال المجرمين، وهذا التساؤل قبَل أن يرونهم يعذَّبون.

١٠٠٩٧ ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: ٤٢-٤٣]:

الصلاة على وقتها! الصلاة على وقتها! قال ابن مسعود:«والله ما تركوها ألبتة، ولكن تركوا المحافظة على أوقاتها».

١٠٠٩٨ ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المدثر: ٤٣، ٤٤]:

قال الإمام الرازي: «وهذان يجب أن يكونا محمولين على الصلاة الواجبة والزكاة الواجبة؛ لأن ما ليس بواجب لا يجوز أن يُعذَّبوا على تركه».

١٠٠٩٩ ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٤، ٤٥]:

مخالطة الهالكين مَهْلَكة.

١٠١٠٠ ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ [المدثر: ٤٦، ٤٧]:

كان عمر بن عبد العزيز يقول:

«ما رأيتُ يقينًا أشبه بالشك من يقين الناس بالموت، ثم لا يستعِدون له».

١٠١٠١ ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]:

من الملائكةِ والأنبياءِ والشهداءِ والصَّالِحِينَ؛ لأنهم لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الشفاعة، فإنه ليس للكفارِ شفيعٌ يشْفَع لهم.

١٠١٠٢ في الآية إثبات الشفاعة، وقد كان أنس بن مالك ﷺ يقول عن شفاعة المؤمنين لبعضهم: «إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة والرجل».

١٠١٠٣ ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ [المدثر: ٤٩، ٥٠]:

من كرِه النصحَ والناصحين فقد أخرج نفسه بنفسه عن حدود الآدمية!

١٠١٠٤ قال ابن تيمية: «فإن أعظم ما عبد الله به نصيحة خلقه».

١٠١٠٥ ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥١]:

قال ابن القيم:

«وهذا من بديع القياس والتمثيل، فإن القوم في جهلهم بما بعث الله به رسوله كالحُمُر وهي لا تعقل شيئًا، فإذا سمعَتْ صوت الأسد أو الرامي نفرت منه أشد النفور، وهذا غاية الذم لهؤلاء، فإنهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم، كنفور الحُمُر عما يهلكها ويعقرها».

﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ﴾ [المدثر: ٥٢]:

كان المشركون يقولون: إن كان محمد صادقًا، فليصبح عند كل رجل منا صحيفة فيها براءته من النار، وقال بعضهم: بلَغَنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح عند رأسه مكتوبًا ذنبه وكفارته، فأْتِنا يا محمد بمثل هذا.

قال مطر الوراق: «أرادوا أن يُعْطَوا بغير عمل»، وهكذا أكثر الناس!

﴿كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ [المدثر: ٥٣]:

أصل الفساد وسر العناد: عدم اليقين بالآخرة، وبالتالي عدم الخوف منها، والجرأة على الله.

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ﴾ [المدثر: ٥٤]:

القرآن فيه التذكير الكافي، والوعظ الشافي، لمن كان لديه استعدادٌ للاستجابة والهداية، دون الحاجة إلى خوارق ومعجزات.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [المدثر: ٥٥]:

تذكر القرآن والعمل بأحكامه في إمكان الجميع، فأزمة الهداية أزمة إرادة أكثر منها أزمة جهالة.

﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [المدثر: ٥٦]:

قال الإمام السعدي:

«فإن مشيئته نافذة عامة، لا يخرج عنها حادث قليل ولا كثير، ففيها ردٌّ على القدَرية، الذين لا يدخلون أفعال العباد تحت مشيئة الله، والجبرية الذين يزعمون أنه ليس للعبد مشيئة، وإنما هو مجبورٌ على أفعاله، فأثبت تعالى للعباد مشيئة حقيقة وفعلا، وجعل ذلك تابعا لمشيئته».

﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]:

قال محمد بن النضر الحارثي:

«أنا أهل أن يتَّقيني عبدي، فإن لم يفعل كنْتُ أهلا أن أغفر له».

١١١٣ ما أجمل توسل يحيى بن معاذ حين قال في كلام أخّاذ:
«يا من أعطانا خير ما في خزائنه: الإيمان قبل السؤال، لا تحرِمْنا مِنْ عفوك مع السؤال».

سورة القيامة

١١١٤ ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ١]:
هذا قسَمٌ بيوم القيامة، والهدف منه: إثبات المعاد، والرد على ما يزعمه الجهلة من العباد، ومن عدم بعث الأرواح والأجساد.

١١١٥ ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]:
قال الحسن: «إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه يقول: ما أردت بكلمتي، يقول: ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي، فلا تراه إلا يعاتبها، وإن الفاجر يمضي قُدُمًا فلا يعاتِب نفسه».

١١١٦ ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٣، ٤]:
البنان: الأصابع، فنبَّه بالبنان –وهي أصغر العظام– على بقية أعضاء الجسم، فلما زعموا أن الله لا يبعث الموتى ولا يقدر على جمع العظام، قال لهم: بلى قادرين على أن نعيد هذه السلاميات على صغرها، ونؤلِّف بينها حتى تستوي، ومن قدر على هذا فهو على جمع الكبار أقدر.

١١١٧ ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ [القيامة: ٥]:
قال سعيد بن جبير:
«يُقدِم على الذنب ويؤخِّر التوبة، فيقول: سوف أتوب، سوف أعمل، حتى يأتيه الموت على شرِّ أحواله وأسوأ أعماله».

١١١٨ قال ابن عباس: «يعني الكافر يُكذِّب بما أمامه من البعث والحساب».

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [القيامة: ٦]:

كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: «من سُئل عن يوم القيامة، فليقرأ هذه السورة».

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ [القيامة: ٧]:

شخَص بصره، فلا يطرف من هول ما يرى، واختلفوا في متى تحصل هذه الحالة على ثلاثة أقوال، فقيل: عند الموت، وقيل: عند البعث، وقيل: عند رؤية جهنم.

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٨]:

فلنتذكر مع كل خسوف قمر، خسوفه يوم القيامة.

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩]:

غدًا تلتهم الشمسُ القمر، وذلك بسبب اختلال الجاذبية التي جعلها الله في النظام الشمسي، لكنها تنهار يوم القيامة.

﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ [القيامة: ١٠]:

هذا القول موعظة، تردعك عن طلب الفرار وتمنيه يوم القيامة، فاهجر اليوم كل ما يدعوك لطلب الفرار غدًا.

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [القيامة: ١١]:

والوَزَر: المراد به الملجأ والمكان الذي يحتمي به الشخص ليتقي به ما يخاف، وأصله: الجبل المرتفع المنيع، من الوَزَر وهو الثِّقَل، فلا مفرَّ يوم القيامة من الحساب.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: ١٢]:

لا محيد عن الرجوع إليه، ليستقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]:

متى هذا النبأ؟!

والجواب: قولان:

- **الأول:** يوم القيامة عند وزن الأعمال.
- **والثاني:** عند الموت.

والأول أرجح؛ لأن الميت تصله صدقاته الجارية بعد موته.

١٠١٢٧ ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤]:

أنت أدرى الناس بنفسك، وتستطيع أن تخدع الجميع إلا نفسك التي بين جنبيك.

١٠١٢٨ قال ابن العربي: «فيه دليل على قبول إقرار المرء على نفسه».

١٠١٢٩ إذا عرفت نفسك، فلن يغرك مدح مادح، ولن يضرك قدح قادح.

١٠١٣٠ ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة: ١٥]:

قال السيوطي: «لو اعتذر بعد الإقرار لم يُقبَل منه، ففيه دليل على أن الرجوع عن الإقرار لا يُقبَل».

١٠١٣١ جاء في وفيّات الأعيان، لابن خلّكان:

أن هشام بن عبدالملك أرسل إلى الأعمش أن:

اكتب لي مناقب عثمان بن عفان ومساوئ علي...!! فكتب إليه الأعمش:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

أمّا بعد.

فلو كان لعثمان مناقب أهل الأرض ما نفعتك.

ولو كان لعليٍّ مساوئ أهل الأرض ما ضرتك.

فعليك بخويصة نفسك.

فإياك أن يكون شغلك الشاغل عيوب فلان وسقطاته وزلاته.

فإنك لاتحاسب عليها!!

وحسنات الناس لأنفسهم لا لك.

فاشغل نفسك بإصلاح عيوبك

والتوبة من سيئاتك

وزيادة حسناتك فهى الباقية في كتابك.

فعلامة خسران العبد انشغاله بعيوب الناس».

١٣٢ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]:

روى الشيخان عن ابن عباس: كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة، فكان يحرِّك شفتيه- يريد أن يحفظه مخافة أن يتفلت منه شيء، أو من شدة رغبته في حفظه، فأنزل الله هذه الآيات.

١٣٣ إذا كان الله ينهى نبيه عن العجلة في قراءة القرآن مع وجود سبب معتبر لذلك، فماذا يقول من يقرؤه باستعجال دون تدبر أو فهم دون وجود سبب معتبر لذلك؟!

١٣٤ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧]:

قال ابن عاشور:

«سور القرآن حين كانت قليلة، كان النبي ﷺ لا يخشى تفلُّت بعض الآيات عنه، فلما كثرت السور، فبلغت زهاء ثلاثين حسب ما عَدَّه سعيد بن جبير في ترتيب نزول السور، صار النبي ﷺ يخشى أن ينسى بعض آياتها، فلعله ﷺ أخذ يحرِّك لسانه بألفاظ القرآن عند نزوله احتياطًا لحفظه، وذلك من حرصه على تبليغ ما أنزل إليه بنصه، فلما تكفل الله بحفظه أمره أن لا يكلف نفسه تحريك لسانه، فالنهي عن تحريك لسانه نهي رحمة وشفقة، لِما كان يلاقيه في ذلك من الشدة».

١٣٥ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨]:

الواجب المطلوب من كل مسلم: اتباع القرآن والعمل به بعد سماعه.

١٣٦ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٩]:

قال السعدي:

«وفي هذه الآية أدب لأخذ العلم، أن لا يبادر المتعلم المعلم قبل أن يفرغ من

المسألة التي شرع فيها، فإذا فرغ منها سأله عما أُشكِل عليه، وكذلك إذا كان في أول الكلام ما يوجب الرد أو الاستحسان، أن لا يبادر برده أو قبوله، حتى يفرغ من ذلك الكلام، ليتبين ما فيه من حق أو باطل، وليفهمه فهمًا يتمكن به من الكلام عليه».

١٣٧ ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ [القيامة: ٢٠]:

قال الإمام الرازي: «خُلِقْتم من عجَل، وطُبِعْتُم عليه، تعْجلون في كل شيء، ومن ثم تحبون العاجلة، وتذرون الآخرة».

١٣٨ ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١]:

ليس كل حبٍّ للدنيا مذمومًا، إنما يُذمُّ من الدنيا ما أضرَّ بالآخرة.

١٣٩ لم أَحَبَّ الدنيا؟! قال عمر بن الخطاب ﷺ: «لولا ثلاث لما أحببتُ البقاء: لولا أن أُحْمَل على جياد الخيل في سبيل الله، ومكابدة الليل، ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما يُنتَقى أطايب الثَّمَر».

١٤٠ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]:

النضارة ليست اليوم، بل في ذلك اليوم! ومعايير الآخرة تختلف عن معايير الدنيا، فكم من ضاحكٍ هنا باكٍ هناك، وقد يبكي هنا من يضحك هناك، والعبرة بمن يضحك آخِرًا!

١٤١ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]:

كان ابن عمر ﷺ يقول: «أكرَمُ أهل الجنة على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية، ثم تلا هذه الآية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾».

١٤٢ وقال الحسن البصري: «لو علِم العابدون أنهم لا يرون ربهم في الآخرة؛ لذابت أنفسهم في الدنيا».

١٤٣ ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥﴾ [القيامة: ٢٤، ٢٥]:

قال الإمام الرازي:

«والظن هنا بمعنى اليقين، هكذا قاله المفسرون، وعندي أن الظن إنما ذُكِر هنا على سبيل التهكم؛ كأنه قيل: إذا شاهدوا تلك الأحوال حصل فيهم ظنٌّ أن القيامة حق».

١٠١٤٤ ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ۝٢٧﴾ [القيامة: ٢٦-٢٧]:

قال ابن عباس: «إن الملائكة يكرهون القرب من الكافر، فيقول ملك الموت: من يرقى بهذا الكافر؟».

١٠١٤٥ قال من حضر صاحبه وهو يحتضر: من يرقيه وينجيه مما هو فيه؟! من الرقية وهي ما يستشفي به المريض من آيات الشفاء؟!

وقيل: هو استفهام استبعاد وإنكار، أي قد بلغ مبلغًا لا أحد يرقيه، فقد أشرف على الموت.

١٠١٤٦ ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩﴾ [القيامة: ٢٨،٢٩]:

اجتمع عليه كرب الموت وهول المطلع.

قال الضَّحَّاك:

«هو في أمرٍ عظيم، النَّاس يجهزون بدنه، والملائكة يجهِّزون روحه».

١٠١٤٧ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٣٠]:

الملائكة يسوقون الروح إلى الله، حيث يأمرهم بأن يحملوها إما إلى عليين، وإما إلى سجّين.

١٠١٤٨ ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١،٣٢]:

أي لا صدَّق رسول الله، ولا وقف بين يدي الله فصلى، ولكن كذَّب رسول الله، وتولى عن طاعة الله، فترك التصديق خصلة، والتكذيب خصلة، وترك الصلاة خصلة، والتولي عن طاعة الله خصلة، فهذه أربع خصال.

١٠١٤٩ ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٣]:

تبخْتَرَ الكافر في مشيه، فقد اطمئن قلبه، وأمِن العقوبة، فاستحق وعيد ربه:

١٠١٥٠ ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٥﴾ [القيامة: ٣٤،٣٥]:

جاء الوعيد بأربعة ﴿أَوْلَىٰ﴾ في مقابل ترك أربع خصال.

١٠١٥١ خرج رسول الله ﷺ من المسجد يومًا، فاستقبله أبو جهل، فأخذ رسول الله ﷺ بثياب أبي جهل، وقال له: «أوْلى لك فأوْلى، ثم أوْلَى لك فأوْلى»، فأنزلها الله في القرآن.

١٠١٥٢ ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]:

حاشا أحكم الحاكمين أن يتركَنا هملًا، بلا أمر أو نهي، ولا ثواب أو عقاب، بل تكليفنا في الدنيا مقصود منه الجزاء في الآخرة.

١٠١٥٣ ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة: ٣٧]:

قال الإمام الرازي:

«فإن قيل: ما الفائدة في ﴿يُمْنَىٰ﴾ في قوله: ﴿مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ﴾ ؟

قلنا: فيه إشارة إلى حقارة حاله، كأنه قيل: إنه مخلوق من المني الذي جرى على مخرج النجاسة، فلا يليق بمثل هذا الشيء أن يتمرد عن طاعة الله تعالى».

١٠١٥٤ قال أبو حامد الغزالي:

«من كان هذا بدؤه، وهذه أحواله، فمن أين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء، وهو على التحقيق أخسُّ الأخساء، وأضعف الضعفاء؟!».

١٠١٥٥ ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩﴾ [القيامة: ٣٨-٣٩]:

من لم يتركك وأنت نطفة، بل قلَب النطفة علقة، ثم قلَب العلقة مضغة، ثم سوَّى خلقها، حتى صرتَ بشرا سويا، فكيف يتركك سدى؟!

ولا يسوقك إلى أسباب هدايتك؟

ولا يدلك على طريق جنتك؟!

١٠١٥٦ ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠]:

تفاعل مع القراءة!

قال الإمام النووي:

«ويُستحبّ لكل مَن قرأ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨] أن يقول: بلى! وأنا على ذلك من الشاهدين.

وإذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠] قال: بلى! أشهد.

وإذا قرأ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٤] قال: آمنت بالله.

وإذا قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١] قال: سُبحان ربي الأعلى».

سورة الإنسان

١٠١٥٧ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]:

تأمل هوانك وضعفك الذي كنت عليه، وأنك سترجع لنفس المصير، فهذا أدعى ألا تتكبر!

١٠١٥٨ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢]:

لن تنتهي ابتلاءاتك في هذه الدنيا، فهذه طبيعة الحياة، وستخرج من بلاء، لتدخل في بلاء، حتى تلقى الله، وهنا أنذرك ربك، وقد أعذَرك من أنذَرك!

١٠١٥٩ ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]:

قال القشيري:

«إما للشقاوة، وإما للسعادة.

إما شاكرًا من أوليائنا، وإما أن يكون كافرًا من أعدائنا، فإن شكر فبالتوفيق، وإن كفر فبالخذلان».

١٠١٦٠ لما كان الشكر قَلَّ من يتصف به قال: ﴿شَاكِرًا﴾، ولما كان الكفر كثيرون من يتصفون به، ويكثر وقوعه من الإنسان بخلاف الشكر قال: ﴿كَفُورًا﴾ بصيغة المبالغة.

١٠١٦١ ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤]:

خوَّفكم الله كي تحذروه!

قال الإمام الرازي:

«وأما السلاسل فتُشَدُّ بها أرجلهم، وأما الأغلال فتُشَدُّ بها أيديهم إلى رقابهم، وأما السعير فهو النار التي تُسعَّر عليهم، فتوقد، فيكونون حطبا لها، وهذا من أغلظ أنواع الترهيب والتخويف».

١٠١٦٢ كان أبو الدرداء ﷺ يقول: «ارفعوا هذه الأيدي إلى الله تعالى قبل أن تُغَلَّ بالأغلال».

١٠١٦٣ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥]:

هي عين في الجنة تُسمَّى كافورًا، يُمزَج منها شراب الأبرار، وهم المقتصدون من أصحاب اليمين، بعكس المقربين الذين يشربون بتلك العين صرفًا خالصًا.

١٠١٦٤ ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥]:

فائدة فعل (كان) في قوله: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ إفادة أن ذلك المزاج الكافوري لا يفارق شراب الأبرار في الجنة، مع ندرة هذا المزاج في الدنيا لغلاء ثمنه وندرة وجوده.

١٠١٦٥ ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦]:

قال القرطبي: «إن الرجل منهم ليمشي في بيوتاته، ويصعد إلى قصوره، وبيده قضيب يشير به إلى الماء، فيجري معه حيثما دار في منازله على مستوى الأرض في غير أخدود، ويتبعه حيثما صعد إلى أعلى قصوره».

١٠١٦٦ ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان: ٦]:

هذه مبالغة في وصفهم بالحرص على أداء الواجبات؛ لأن من وفّى بما أوجبه على نفسه، كان أوفى بما أوجبه الله عليه.

١٠١٦٧ ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]:

ينفق مما يحب لا مما يكره أو استغنى عنه، ويبذل ما يحب طمعًا في الفوز بما هو أحب: الجنة!

١٠١٦٨ يحثك القرآن على الإحسان إلى الأسير ولو كان كافرًا، فكيف بمن يؤذي الأسير المسلم ويعذِّبه؟!

١٠١٦٩ ما أروع قول الإمام الشافعي:

ولو أنني أسعى لنفعي وجَدْتَني ... كثيرَ التواني للذي أنا طالبه

ولكنني أسعى لأنفع صاحبي ... وعارٌ على الشبعان إن جاع صاحبه

١٠١٧٠ ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾[الإنسان: ٨،٩]:

قال ابن رجب: «صحبة المساكين والإحسان إليهم توجب إخلاص العمل لله عز وجل؛ لأن نفعهم في الدنيا لا يُرجى غالبًا»

١٠١٧١ ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]:

تربية ربانية لصاحب المعروف على الإخلاص؛ ومن علاماته: عدم طلب المقابل على العطاء ولو بكلمة ثناء.

١٠١٧٢ قال ابن تيمية: «كان المحقِّقون للإخلاص لا يطلبون من المُحْسَنِ إليه لا دعاءً ولا ثناءً ولا غير ذلك، فإنه إرادة جزاءٍ منه؛ فإن الدعاء نوع من الجزاء على الإحسان والإساءة».

١٠١٧٣ كانت عائشة رضي الله عنها إذا أرسلت إلى قوم بهدية تقول للمرسَل: اسمع ما يدعون به لنا، حتى ندعو لهم بمثل ما دعوا لنا، ويبقى أجرنا على الله تعالى.

١٠١٧٤ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠]:

أي يومًا تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته. قال الأخفش: القمطرير: أشد ما يكون من الأيام وأطوله في البلاء.

١٠١٧٥ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ١٠، ١١]

ببساطة: خوفهم من الله هو الذي نجَّاهم.

١٠١٧٦ ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١]:

قال ابن القيم: «جمَع لهم بين النضرة والسرور، وهذا جمال ظواهرهم، وهذا حال بواطنهم، كما جمَّلوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام، وبواطنهم بحقائق الإيمان».

١٠١٧٧ ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]:

النهاية السعيدة الأكيدة لرحلة الصبر الشاقة الطويلة المثيرة.

١٠١٧٨ ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]:

في الصبر من الخشونة والضيق والألم ما اقتضى أن يكون جزاؤهم من نعيم الجنة ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة.

١٠١٧٩ ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الإنسان: ١٣]:

الاتكاء هو جلسة الملوك وأهل البذخ والترف، وهي جلسة بين الجلوس والاضطجاع، وهي جلسة ارتياح، تليق بمن تكبَّد المشاق في سبيل الله، فنالته الجراح.

١٠١٨٠ ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣]:

قال قتادة: «معلوم أن شدة الحر تؤذي، وشدة القُرِّ تؤذي، فوقاهم الله أذاهما».

١٠١٨١ ليس في الجنة ضوء شمس ولا ضوء قمر، أي ضوء النهار وضوء الليل؛ فضياء الجنة من نوع خاص، لن نعرف طبيعته إلا بعد أن ندخلها.

١٠١٨٢ ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤]:

قال مجاهد: «إن قام ارتفعت معه بقَدْره، وإن قعد تذلَّلَت له حتى ينالها، وإن اضطجع تذللت له حتى ينالها، فذلك قوله تعالى: ﴿تَذْلِيلًا﴾».

١٠١٨٣ ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾ [الإنسان: ١٥]:

الألفاظ هي الألفاظ، لكن الحقائق شيء آخر، فلا الآنية هي الآنية، ولا الأكواب هي الأكواب، وكل ما خطر ببالك، فالجنة أعظم من ذلك.

١٠١٨٤ ﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٦]:

قال القرطبي: «هذا التقدير هو أن الأقداح تطير، فتغترف بمقدار شهوة الشارب، وذلك قوله تعالى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي لا يفضل عن الري لا ينقص منه، فقد أُلهِمَت الأقداح معرفة مقدار ري المشتهي، حتى تغترف بذلك المقدار».

١٠١٨٥ ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧]:

قال قتادة: «الزنجبيل اسم العين التي يشرب بها المقرَّبون صِرْفًا، وتُمزَج لسائر أهل الجنة».

١٠١٨٦ ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧]:

قال ابن القيم: «وهذا لأن الجزاء وفاق العمل، فكما خلصت أعمال المقرَّبين كلها لله خلُص شرابهم، وكما مزج الأبرار الطاعات بالمباحات مُزِجَ لهم شرابهم، فمن أخلص أُخلِص شرابه، ومن مزج مُزِج شرابه».. جزاءً وفاقًا.

١٠١٨٧ ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٨]:

سُمِّيَت بذلك لسلاسة انحدارها في الحلق، وسهولة شربها، وقيل: هي في طعم الزنجبيل، لكن ليس فيها لذعته.

١٠١٨٨ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩]:

شبَّههم في جمالهم وانتشارهم في مجالسهم عند اشتغالهم بالخدمة باللؤلؤ المنثور، ولاشك أن طوافهم بأسيادهم جعلهم يبدون متناثرين.

١٠١٣٩ قال الرازي: «هذا من التشبيه العجيب؛ لأن اللؤلؤ إذا كان متفرِّقًا يكون أحسن في المنظر؛ لوقوع شعاع بعضه على البعض، فيكون مخالفًا للمجتمِع منه».

١٠١٤٠ قال الإمام القرطبي:

«وقيل: إنما شبَّههم بالمنثور؛ لأنهم سراع في الخدمة، بخلاف الحور العين، إذ شبَّههُن باللؤلؤ المكنون المخزون؛ لأنهن لا يُمْتَهَنَّ بالخدمة».

١٠١٤١ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠]:

ثَمَّ بفتح الثاء هي اسم إشارة، بمعنى هناك، وأما ثُمَّ بالضَمِّ: حرف عطف.

١٠١٤٢ ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١]:

البس (البسي) ما يرضيه، يُلبِسْكَ (يُلبِسْكِ) ما يرضيك.

١٠١٤٣ ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١]:

مرة أساور من ذهب، ومرة من فضة، إما على التعاقب أو على الجمع بينهما، أو كما يشتهون.

١٠١٤٤ **حدِّد مقدار جواهرك في الجنة!**

في الحديث:

«**تبلغ الحِلْية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**». صحيح الجامع رقم: ٢٩١١.

١٠١٤٥ قال ابن عرفة: «أُخِذَ منه أن الخضرة أحسن الألوان؛ لأنها وسط بين السواد والبياض، والسواد مجمِّعٌ للبصر مع أنه يحدث انقباضا في النفس، والبياض مُفرِّقٌ للبصر مع أنه يؤثر انبساطًا وسرورًا في النفس، وأجيب بأن الخضرة أحسن الألوان المغَيَّرة بالصباغ، وأما البياض فهو أحسن الألوان».

١٠١٤٦ ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]:

طهَّرَهم به عن كل ما سواه، أو شديد الطهارة لأنه لا يؤول إلى النجاسة والبول؛ لأنه يرشَح عرقًا من أبدانهم له ريح كريح المسك.

﴿١٠١٩٧﴾ ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢]:

شكَر الله سعيا قليلا، ومع قلته كان معيبا، وهذا من معاني وتجليات اسم الله الشكور.

﴿١٠١٩٨﴾ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ۝٢٣ فَٱصْبِرْ﴾ [الإنسان: ٢٣، ٢٤]:

يا صاحب الكرب.. إذا أردت جرعة صبر، فافتح مصحفك!

﴿١٠١٩٩﴾ ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٥]:

هل تحافظ على أذكار الصباح والمساء يوميًّا؟! هذا من الواجبات العملية لهذه الآية.

﴿١٠٢٠٠﴾ ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦]:

هذا هو الزاد: الاتصال بالذي أنزل القرآن، وكلَّفنا بالدعوة، وينبوع القوة والمدد: الاتصال به ذكرا وعبادة ودعاء وتسبيحا.. ليلا طويلًا، فالطريق طويل، والعبء ثقيل.

﴿١٠٢٠١﴾ ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦، ٢٧]:

من سبَّح الله ليلًا طويلًا، لم يكن يوم القيامة عليه ثقيلا، بل كان أخفَّ شيء عليه.

﴿١٠٢٠٢﴾ ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ [الإنسان: ٢٨]:

أصله: شدَّ الشيء بالإسار، والإسار في اللغة: الجلد الذي لم يُدبغ؛ لأن الجلد الذي لم يُدبغ إذا أخذْتَ سيوره وشددت بها شيئًا وهي مبلولة يبست، فاستحكم الشدَّ غاية الاستحكام، ومنه قيل للأسير: (أسير) لأنه يُشَدُّ بالإسار.

﴿١٠٢٠٣﴾ ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ [الإنسان: ٢٨]:

أي شددنا عظامهم إلى بعض كما يُشدُّ الشيء إلى الشيء بالإسار، فلو كان الذي شدَّ يدك بمعصمك، ومعصمك بمرفقك، ومرفقك بمنكبك، لو كان غير متقن لتساقطت أعضاؤك منك في الطريق!

١٠٢٠٤ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾ [الإنسان: ٢٩]:

قال ابن القيم في الفوائد:

«للعبد بين يدي الله موقفان؛ موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحق الموقف الأول هوَّن عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفِّه حقه شُدِّد عليه ذلك الموقف، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ [الإنسان: ٢٦، ٢٧]».

١٠٢٠٥ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]:

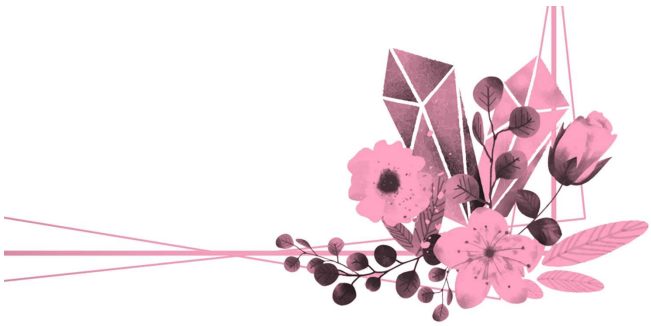
جميع ما يصدر عن العبد بمشيئة الله، ولا يجري في هذه الوجود شيء إلا بإذنه.

١٠٢٠٦ **الأثر العملي للإيمان بمشيئة الله!**

قال ابن القيم: «ولو سعى في هذا المطلوب بكل طريق، واستفتح من كل باب، ولم يكن مستعينًا بالله، متوكِّلًا عليه، مفتقرًا إليه في حصوله، متيقنًا أنه إنما يحصل بتوفيقه ومشيئته وإعانته، لا طريق له سوى ذلك بوجه من الوجوه، لم يحصل له مطلوبه، فإنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن».

١٠٢٠٧ ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾ [الإنسان: ٣١]:

دخول الجنة برحمة الله، ودخول النار بعدله.



سورة المرسلات

١٠٢٠٨ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ [المرسلات:١-٦]:

سبب النزول:

روى مسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ في غار وقد أنزلت عليه: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١]، فنحن نأخذها من فيه (فمه) رطبة، إذ خرجت علينا حية، فقال: «اقتلوها»، فابتدرناها لنقتلها فسبقتنا، فقال رسول الله ﷺ: «**وقاها الله شركم كما وقاكم شرها**». صحيح مسلم رقم: ٢٢٣٤.

١٠٢٠٩ «المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات والملقيات» المراد بها الملائكة، فأقسم الله بطوائف من الملائكة، أرسلهن بأوامره، فعصفن في مضيهن كما تعصف الرياح إسراعًا في امتثال أمره، وبطوائف منهن نشرن أجنحتهن في الجو عند نزولهن بالوحي، ففرقن بين الحق والباطل، فألقين ذكرًا إلى الأنبياء عذرًا للصالحين، أو نذرًا للمجرمين.

١٠٢١٠ **اقرؤوا بهذه السورة في صلاة المغرب!**

عن عبيد الله عن ابن عباس أن أم الفضل سمعته يقرأ والمرسلات عرفًا، فقالت: يا بني.. لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة، إنها لآخِر ما سمعت من رسول الله ﷺ، يقرأ بها في المغرب.

١٠٢١١ ويرى البعض بعض هذه الصفات للرياح، وبعضها للملائكة.

- فالصفات الثلاث الأولى للرياح (المرسلات والعاصفات والناشرات)، أي وحق الرياح المرسلات لعذب المكذِّبين، فتعصف بهم عصفًا، وهذه الرياح كذلك تنتشر في الآفاق، فتأتي بالسحاب والأمطار.

- والصفتان الرابعة والخامسة للملائكة (الفارقات والملقيات)، فأقسم الله بالملائكة الذين ينزلون بالشرائع التي تفرِق بين الحق والباطل، والْمُلْقِياتِ ذِكْرًا هم الملائكة الذين يلقون كتب الله إلى الأنبياء عليهم السلام.

١٠٢١٢ هذا القسم الخماسي فيه إشارة إلى شدة غضب الله من إنكار البعض للبعث، وإسرافهم بذلك على أنفسهم.

١٠٢١٣ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ [المرسلات: ٧]:

هنا محكمة الآخرة!

هذا هو جواب القسم الخماسي، وهو أن القيامة حق! والبعث والجزاء واقع غدًا مهما كذَّبتموه وأنكرتموه.

١٠٢١٤ ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [المرسلات: ٨-١٠]:

هنا عرضٌ لمشهد الانقلاب الكوني الذي يشير إلى انفراط عقد هذا الكون، وهو انفراطٌ مصحوب بدوي انفجارات هائلة، تعتبر الزلازل والبراكين والصواعق حين تقاس بأهوال يوم القيامة كلعب الأطفال التي يفرقعونها في الأعياد، وليس هذا سوى مَثَل للتقريب، وإلا فأهوال يوم القيامة أكبر من أن تتصورها العقول!

١٠٢١٥ ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤﴾ [المرسلات: ١١-١٤]:

أي عُيِّن للرسل الوقت الذي تحضر فيه للشهادة على أممهم، وهو يوم عرض الحساب الختامي، والفصل في جميع القضايا المتعلِّقة بالحياة، والقضاء بحكم الله فيها، وقد أخَّر الله تعذيب الكافرين وتنعيم المؤمنين إلى هذا اليوم الرهيب.

﴿١٠٢١٦﴾ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥]:

أي ويلٌ لمن بلغته هذه الآيات البينات، ثم استمر في التكذيب والكفران، وتتكرر هذه الآية في سورة المرسلات وحدها عشر مرات للتوبيخ والتقريع.

﴿١٠٢١٧﴾ قسَّم الله العذاب على قدر التكذيب، فليس من كذَّب بآية واحدة كمن كذَّب بالكتاب كله، فالتكذيب درجات، ولكل مكذِّب عذاب بحسب نوع تكذيبه وعظمته، وإنما يُقسَم له من الويل على قَدْرِ ذلك.

﴿١٠٢١٨﴾ ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ۝١٧﴾ [المرسلات: ١٦، ١٧]:

تذكيرٌ بإهلاك الأولين كقوم نوح وعاد وثمود، وإهلاك الآخرين القريبين زمانًا من أهل مكة كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام.

﴿١٠٢١٩﴾ ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [المرسلات: ١٨]:

هي سُنَّة ماضية لا تحيد، وهي إهلاك كلِّ المجرمين، وليس فقط من أجرم من السابقين، بل ومنكم معاشر اللاحقين، إن سرتم في طريق المجرمين.

﴿١٠٢٢٠﴾ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٩]:

قال الإمام الرازي: «هؤلاء وإن أُهلِكوا وعُذِّبوا في الدنيا، فالمصيبة العظمى والطامة الكبرى مُعَدَّة لهم يوم القيامة».

﴿١٠٢٢١﴾ ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠]:

ذكَّرهم بأصلهم كي لا يُعْجَبوا بأحوالهم.

﴿١٠٢٢٢﴾ قال ابن عاشور: «هذا الوصف كناية رمزية عن عظيم قدرة الله تعالى؛ إذ خلق من هذا الماء الضعيف إنسانًا شديد القوة عقلًا وجسمًا».

﴿١٠٢٢٣﴾ ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢١-٢٣]:

أنكرتم البعث، وقد علمتم أن الله خلقكم من نطفةٍ مهينة حقيرة، فلماذا لم تقيسوا أمر البعث على ذلك؟!

١٠٢٢٤ عن بُسْر بن جحاش القرشي ﷺ أن النبي ﷺ بزق يومًا في كفِّه، فوضع عليها أصبعه، ثم قال:

«**قال الله: ابن آدم.. أنَّى تُعْجِزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سوَّيتُك وعدَلتك، مشيتَ بين بُرْدَين، وللأرض منك وئيد، فجمَعْتَ ومنَعْتَ، حتى إذا بلَغَتْ التراقي، قلتَ: أتصدَّق، وأنَّى أوان الصدقة**». صحيح الجامع رقم: ٨١٤٤.

١٠٢٢٥ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات: ٢٥، ٢٦]:

قال القرطبي: «أي ضامة تضم الأحياء على ظهورها والأموات في بطنها، وهذا يدل على وجوب مواراة الميِّت ودفنه، ودفنِ شعره وسائر ما يزيله عنه، ومنها قوله عليه السلام: (**قصّوا أظافركم، وادفنوا قُلاماتكم**)».

١٠٢٢٦ ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٧]:

تذكُّر النِّعَم يعين على شكرها!

قال سلام بن أبى مطيع: «دخلْتُ على مريض أعوده، فإذا هو يئِنُّ، فقلتُ له: اذكر المطروحين فى الطريق، اذكر الذين لا مأوى لهم، ولا لهم من يخدمهم. قال: ثم دخَلْتُ عليه بعد ذلك، فلم أسمعه يئنُّ، وجعل يقول: اذكر المطروحين فى الطريق، اذكر من لا مأوى له، ولا له من يخدمه».

١٠٢٢٧ ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المرسلات: ٢٩]:

اذهبوا طلقاء بعد الارتهان والحبس الطويل في يوم الفصل العظيم، والممتد لآلاف السنين، ولكن إلى أين؟!

١٠٢٢٨ ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝٣٠ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ [المرسلات: ٣٠، ٣١]:

انطلقوا - أيها المشركون - إلى ظلٍّ من دخان جهنم، والذي تفرَّق من ضخامته إلى ثلاث شعب، وسمَّاه بالظل على سبيل التهكم بهم، إذ يكونون في أمس الحاجة إلى ظل يأوون إليه، فيجدونه نارا.

١٠٢٢٩ ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢]:

ترتفع شرارات النار في الهواء، ثم تسقط على رأس الكافر، لتكون كل شرارة منها كأنها قصر ضخم أصابه في مقتل!

١٠٢٣٠ ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٣]:

جمْع الجِمال غرَضه تصوير تشديد العذاب!

قال الآلوسي: «الجمال إذا انفردت واختلط بعضها بالبعض، فكل من وقع فيما بين أيديها وأرجلها في ذلك الوقت نال بلاء شديدًا وألما عظيمًا، فتشبيه الشرارات بها حال تتابعها يفيد حصول كمال الضرر».

١٠٢٣١ ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ۝٣٣﴾ [المرسلات: ٣٢،٣٣]:

هنا تشبيهان: شبَّه شرر النار في عظمته وضخامته بالقصر وهو البناء العظيم العالي، وشبَّهه في اللون والكثرة والتتابع وسرعة الحركة بالجمال الصفراء.. ذكره الآلوسي.

١٠٢٣٢ ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦﴾ [المرسلات: ٣٥،٣٦]:

ولا تتعارض هاتان الآيتان مع الآيات التي تفيد نطقهم يوم القيامة؛ لأن يوم القيامة فيه مواطن كثيرة، فقد ينطقون في موطن، ولا ينطقون في آخر، أو المعنى: لا ينطقون بحجة نافعة، ومن نَطَق بما لا ينفع، فكأنه ما نطق.

١٠٢٣٣ ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: ٣٨]:

هذا يوم الفصل لا يوم الاعتذار، وسيُفصَل فيه بين الخلائق، ليتبين المحق من المبطل، والمظلوم من الظالم، وأهل الجنة من أهل النار، فلا ينجو جبار عنيد، ولا شيطان مريد.

١٠٢٣٤ ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ [المرسلات: ٣٩]:

الحِيَل يوم القيامة منقطعة، والتلبيسات غير ممكنة، فاحتالوا لأنفسكم إن كنتم تقدرون، وهو خطاب تقريعي مِنْ أنواع العذاب النفسي.

٠٢٣٥ هكذا تدبَّروا القرآن!

صلى سعيد بن المسيب يومًا في المسجد ركعتين، ثم اضطجع، فجاء غلام، فقام يصلي فافتتح المرسلات، فقرأ الغلام وسعيد يسمع، حتى إذا بلغ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ [المرسلات: ٣٨، ٣٩]، فوثب سعيد بن المسيب، وهو يقول: «اللّٰهم لا كيدَ لي، ولا قوةَ إلا بك، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

٠٢٣٦ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١]:

هل هي ظلال الأشجار؟ أم ظلال القصور؟ أم ظلال من جنسٍ آخر لا نعلمه؟

٠٢٣٧ ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المرسلات: ٤٢، ٤٣]:

قارِنوا بين طعام أهل الجنة وطعام أهل النار، ليعينكم هذا على حسن اتخاذ القرار، فتتنزَّهوا عن الأوزار، وتلحقوا بركب الأبرار.

٠٢٣٨ لما اتقى المتقون ما يحبون، كافأهم الله بما لا يتخيَّلون!

قال الثوري: «إنما سُمّوا متقين؛ لأنهم اتقوا ما لا يُتَّقى».

أي ما لا يتقيه أكثر الناس من المحرَّمات والشبهات.

٠٢٣٩ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المرسلات: ٤٤]:

المقصود منه أن تبكيت الكافرين وتذكير بما فاتهم من النعيم العظيم، ليتحسروا أنهم لم يكونوا من المتقين، وإلا لفازوا بهذا النعيم.

٠٢٤٠ ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ [المرسلات: ٤٦]:

تُقال لكل مجرم، نسي الحساب، وأذاق العباد ألوان العذاب، وظن أنه يُعجِز رب الأرباب.

٠٢٤١ قال صاحب الكشاف:

«فإن قلتَ: كيف صحَّ أن يقال لهم ذلك في الآخرة؟

قلتُ: يقال لهم ذلك في الآخرة إيذانًا بأنهم كانوا في الدنيا أحقّاء بأن يُقال لهم، وكانوا من أهله، تذكيرًا بحالهم السَّمْجَة، وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل، على النعيم والملك الخالد».

١٠٢٤٢ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨]:

قال قتادة: «عليكم بحسن الركوع؛ فإن الصلاة من الله بمكان».

١٠٢٤٣ ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠]:

سؤال تعجيبي عن أحوال المشركين، فإذا بلغتَ هذه الآية في صلاتك، فانوِ مخالفتهم وقل: آمنتُ بالله.



الجزء الثلاثـــــون

سورة النبأ آية ١
إلى سورة الناس آية ٦

عدد الفوائد: ٥١٣

تخلَّص من حواجز فهم القرآن.

فحبُّ الظهور وطلب الجاه أو المال أو ثناء الناس أو صرف وجوههم إليك، كل هذا يحرمك بركة القرآن وقطف معانيه. قال سفيان الثوري:

«كنتُ أوتيتُ فهم القرآن، فلما قَبِلْتُ الصُّرَّة، سُلِبْتُه».

تذكرة السامع والمتكلم ص١٩

الجزء الثلاثون
سورة النبأ آية ١
إلى سورة الناس آية ٦

سورة النبأ

١٠٢٤٤ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ: ١]:

قال الزجاج: «اللفظ لفظ استفهام ومعناه التفخيم، كما تقول: أي شيءٍ زيد؟ إذا عظَّمتَ أمره وشأنه».

١٠٢٤٥ ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ﴾ [النبأ: ٢،٣]:

عظمة الأنباء والأخبار بقدر ما فيها من الحديث عن أحوال الآخرة.

١٠٢٤٦ قال ابن كثير: «قال قتادة وابن زيد: النبأ العظيم البعث بعد الموت.

وقال مجاهد: هو القرآن، والأظهر: الأول لقوله: ﴿ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ﴾ يعني الناس فيه على قولين؛ مؤمن به وكافر».

١٠٢٤٧ ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾ [النبأ: ٤]:

أي حقًّا ليعلمن صدق ما جاء به محمد ﷺ من القرآن وأخبار البعث، أو سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم.

١٠٢٤٨ ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾ [النبأ: ٥]:

وعيد بعد وعيد، وتهديد فوق التهديد.

١٠٢٤٩ ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا﴾ [النبأ: ٦]:

المهد هو رمز الحنان والرعاية للطفل الضعيف، فلا تخف وأنت تتقلب في مهد الأرض الذي هيأه الله لك.

١٠٢٥٠ ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧]:

قال الزمخشري: «أي أرسيناها بالجبال كما يرسُّ البيت بالأوتاد».

١٠٢٥١ أثبت العلم الحديث أن الجبال أوتاد، يمكن أن تصل جذورها إلى ما يعادل ١٥ مرة من ارتفاعها فوق سطح الأرض.

١٠٢٥٢ ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النبأ: ٨]:

لم خلقنا الله أزواجًا؟!

قال القرطبي: «أي أصنافا: ذكرًا وأنثى. وقيل: ألوانًا.

وقيل: يدخل في هذا كل زوج من قبيح وحسن، وطويل وقصير، لتختلف الأحوال فيقع الاعتبار، فيشكر الفاضل ويصبر المفضول».

١٠٢٥٣ ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: ٩]:

من السَّبت بمعنى الراحة، فيقال: سبَت فلان يسْبِت، إذا استراح بعد تعب، ومنه سُمِّي يوم السبت؛ لأن اليهود ينقطعون فيه عن أعمالهم للراحة.

١٠٢٥٤ ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ: ١٠]:

كأن الليل ثوب يستر تحته أناسا من أصناف شتى! فعابد متهجِّد، وعاصٍ متمرِّد، وشاكٍ متألِّم.

١٠٢٥٥ ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١٠، ١١]:

آية توصيك ألا تقلب ليلك إلى نهار، ولا نهارك إلى ليل، بل اجعل الليل للنوم، والنهار للسعي، وتمتَّع ببركة البكور.

١٠٢٥٦ ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢]:

سبعَ سمواتٍ محكمة البناء، لا يُؤثِّر في بنيانها مَرُّ الدهور وكرُّ العصور، فلا تحتاج إلى ترميم، ولم يسمع أحد من الخلائق يومًا عن تصدع ركن من أركانها.

١٠٢٥٧ ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ: ١٣]:

نحن على بُعْدٍ عن الشمس يصل لأكثر من ١٥٠ مليون كيلومتر، ومع هذا

تصل حرارة الجو في فصل الصيف إلى ٥٠ و ٦٠ درجة مئوية، فكم تبلغ الحرارة على سطح الشمس؟!

والجواب: تصل درجة حرارة سطح الشمس إلى نحو ٥٦٠٠ درجة مئوية، وأما في باطنها فتزيد درجة الحرارة عن ١٥ مليون درجة مئوية!

١٠٢٥٨ ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [النبأ: ١٤-١٦]:

وأصحُّ الأقوال أن المعصِرات: السحاب، فالمعصرات هي السُّحُب تعتصر بالمطر، ولولا المطر لمات الزرع، وتدهور الإنتاج النباتي والحيواني، وظهرت المجاعات، وهذه الآيات تذكِّرنا بنعمة المطر التي اعتدناها، فنسينا شكرها.

١٠٢٥٩ ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾ [النبأ: ١٧]:

ميقاتٌ للكفرة والظلمة والمفسدين، ولا مفرَّ لهم منه، وهو كذلك ميقاتٌ للمؤمنين للقصاص من المجرمين، وإن غدًا لناظره قريب.

١٠٢٦٠ قال ابن عاشور: «وهذا ردٌّ لسؤالهم تعجيله وعن سبب تأخيره، سؤالًا يريدون منه الاستهزاء بخبره، والمعنى: أن ليس تأخر وقوعه دالًا على انتفاء حصوله، والمعنى: ليس تكذيبكم به مما يحملنا على تغيير إبانه المحدد له، ولكن الله مستدرجكم مدة».

١٠٢٦١ ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨]:

هي النفخة الأخيرة لإسرافيل في الصور، والتي يكون معها حشر الخلائق.

قال عطاء: «كل نبي يأتي مع أمته».

١٠٢٦٢ ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ [النبأ: ١٩]:

هذا من علامات انهيار النظام الدنيوي الذي كانت السماوات فيه ملتئمة، ما لها من فروج، فإذا بها اليوم منشقَّة، قد تحولت إلى أبواب وطرق تسلكها الملائكة التي تنزل إلى الأرض لتنفيذ أمر الجزاء.

١٠٢٦٣ ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]:

تمر الجبال يوم القيامة بست حالات:

الأولى: الاندكاك.

الثانية: تصير كالعهن المنفوش.

الثالثة: تصير كالهباء المنبث.

الرابعة: تُنسَف نسفًا.

الخامسة: تسُفُّها الريح، فتصير كأنها غبار يمر مرَّ السحاب.

السادسة: تصير سرابًا، فمن نظر إلى أماكنها لم يجد فيها شيئًا، كما أن من يرى السراب من بعيد إذا جاء الموضع الذي رآه لم يجده شيئًا.

١٠٢٦٤ ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [النبأ: ٢١]:

أي موضع رصد، يرصد فيه خزنتُها من كان يكذِّب بها وبالقيامة، والإخبار أنها كانت مرصادًا للمبالغة حتى كأنها أصل الرَّصد، فإنها لا تفلِت أحدًا حقَّ عليه العذاب.

١٠٢٦٥ قال الحسن وقتادة: «لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز النار، فإن كان معه جواز نجا وإلا احتبس».

١٠٢٦٦ ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ [النبأ: ٢٢]:

طغوا في الدنيا، فتجاوزوا الحدود ظلمًا واستكبارًا، فكانت جهنم لهم منزلا وقرارا.

١٠٢٦٧ المرجع الوحيد والمستقر الأخير الذي ينتظر كل الطغاة هو جهنم وبئس المصير.

١٠٢٦٨ ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣]:

والأحقاب: جمع حُقُب، وهو الزمن الطويل نحو ثمانين عامًا، وجمْعُه هنا يراد به طول المكث وتوالي الأزمان في النار، أي كلما مضى حقُب تبِعَه حقب آخر.

١٠٢٦٩ مرَّ عمر بن الخطاب ﷺ بكثيب من رمل فبكى، فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ قال:

«ذكرتُ أهل النار، فلو كانوا مخلَّدين في النار بعدد هذا الرمل، كان لهم أمَد يمدون إليه أعناقهم، ولكنه الخلود أبدًا».

١٠٢٧٠ ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٤]:

قال ابن عباس: «البرد: النوم»، فلا راحة في النار ولو للحظة واحدة تسمح بنوم!

١٠٢٧١ ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ: ٢٥]:

والحميم هو الماء الذي بلغ الغاية في الحرارة، والغساق: هو ما يسيل من جلودهم من القيح والدماء والصديد.

١٠٢٧٢ ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦]:

شدة العقوبة تتناسب مع شدة الذنب، فكلُّ ذنب له عذاب يوافقه، بحسب قدره وعظمته، ولا ذنب أعظم من الشرك؛ لذا لا عذاب أعظم من عذاب المشركين في النار.

١٠٢٧٣ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ: ٢٧]:

أزمتنا أزمة يقين! لم يخافوا الحساب؛ لأنهم لم يوقنوا به، ولو أيقنوا بالنار، لفروا من الأوزار، ولحقوا بقطار الأبرار.

١٠٢٧٤ في الآية إشارة إلى أن جانب الرجاء في المحاسبة أرجح من جانب الخوف، فالكريم قد يُسقِط حقه بالعفو، والله أكرم الأكرمين؛ ولذا ذكر الرجاء ولم يذكر الخوف.

١٠٢٧٥ ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا﴾ [النبأ: ٢٨]:

الكذاب هو التكذيب المفرط، إشارة إلى أنهم كذَّبوا بكل ما جاءهم من الآيات والأدلة، حتى لا يأخذ السامع بهم رحمة إذا سمع ما أعده الله لهم من عذاب شديد.

١٠٢٧٦ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا﴾ [النبأ: ٢٩]:

كل شيء في صحيفتك مكتوب!

عن عبد الله بن عامر ﷺ أنه قال: أتى رسول الله ﷺ في بيتنا وأنا صبي، قال: فذهبت أخرج لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله تعال أعطيك، فقال رسول الله: **وما أردت أن تعطيه؟** قالت: أعطيه تمرًا، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنك لو لم تعطيه شيئًا، كُتِبَتْ عليك كذبة**». السلسلة الصحيحة رقم: ٧٤٨.

١٠٢٧٧ ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠]:

قال عبد الله بن عمرو:

«لم ينزل في شأن أهل النار آية أشد من هذه الآية: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قال: فهم في مزيد من العذاب أبدًا».

١٠٢٧٨ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبأ: ٣١]:

مجرد النجاة من الجحيم غنيمة، فكيف إذا كان بعده روعة النعيم؟! قال مجاهد وقتادة: «فازوا، فنجَوا من النَّار».

١٠٢٧٩ ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَابًا﴾ [النبأ: ٣٢]:

سَرْدٌ للمتع البصرية في الجنة التي تستريح لها الروح، فكيف إذا كانت هذه الحدائق كل شجرها ساقه من ذهب؟! وشاهقة حتى أن الشجرة فيها يسير الراكب الجواد المُضمَّر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها!

١٠٢٨٠ ليس كل بستان يقال له: حديقة، إنما الحديقة هي البستان الذي عليه حائط يحيط به.

١٠٢٨١ ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ: ٣٣]:

فتيات في ريعان الشباب، لا تحتاج الواحدة منهن إلى عمليات تجميل لتبقى على نضارتها وشبابها، إنما جمالها لا يتغير، وسنُّها لا تتقدَّم، والمتعة بها لا تنقص بل تزداد يومًا بعد يوم.

١٠٢٨٢ ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ: ٣٤]:

امتنعوا عن قطرة خمر واحدة منها في الدنيا، فتلذذوا في الجنة بكؤوس خمر ممتلئة متتابعة.

١٠٢٨٣ ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾ [النبأ: ٣٥]:

حتى مجرد الكلام الذي قد يؤذي نفسيتك، لن تسمعه في الجنة.

١٠٢٨٤ اجتنب مجالس اللغو في الدنيا، فهذا مِنْ طُرُق الجنة.

١٠٢٨٥ دلَّت الآية على أن اللغو عكس النعيم، وأن مجالس اللغو من الشقاء، وتجلب للمرء في الدنيا العناء، وتحرمه في الآخرة من أحلى عطاء: الجنة.

١٠٢٨٦ ليس في الجنة إلا الصدق بجميع أشكاله وصوره، فقد ودَّعتَ عالم الكذب والادعاء لتنعم بدار الصدق والهناء.

١٠٢٨٧ ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦]:

عطاء لا على سبيل العِوَض، بل على سبيل الفضل والكرم، وحسابًا إما بمعنى أنه كافٍ، أو أنه محسوب على قدر أعمالهم الصالحة.

١٠٢٨٨ ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [النبأ: ٣٧]:

ذكر الرحمة هنا بشارة، فنحن أحوج ما نكون إلى رحمة الله يوم القيامة.

١٠٢٨٩ ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النبأ: ٣٧]:

لا يملك أحد من الخلق ابتداء الكلام يوم القيامة إلا بإذن الله، وهذا يشمل الشفاعة.

١٠٢٩٠ ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]:

لا يتكلم الملائكة المقرَّبون، ولا الأنبياء المعصومون، فكيف بمن عداهم؟!

١٠٢٤١ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ [النبأ: ٣٩]:

من أراد أن يرجع إلى الله فليرجع إليه الآن، قبل ألا ينفع درهم ولا دينار، ويؤمر به إلى جنة أو نار.

١٠٢٤٢ ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠]:

عن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم أن الله تعالى يقتص يوم البعث للبهائم بعضها من بعض، ثم يقول لها: كوني ترابًا فتكون، فيتمنى الكافر مثل ذلك.

سورة النازعات

١٠٢٤٣ ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾ [النازعات:٤]:

قال ابن القيم:

«كل حركة في السموات والأرض:من حركات الأفلاك والنجوم والشمس والقمر والرياح والسحاب والنبات والحيوان فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسموات والأرض، كما قال تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ وقال: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝١﴾ وهي الملائكة، وأما المكذِّبون للرسل المنكرون للصانع فيقولون: هي النجوم».

١٠٢٤٤ ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝١ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٢ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝٣ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٤﴾ [النازعات: ٢-٥]:

أقسم الله بطوائف الملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد، والتي تنشطها أي تُخرِجها، والتي تسبح في مضيها، والتي تُسرِع فتسبق إلى ما أُمِروا به، والتي تدبِّر أمور العباد بما يُصلِح دينهم ودنياهم، وأسند الله التدبير إلى الملائكة؛ لأنهم أسبابه.

١٠٢٤٥ ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾ [النازعات: ٤]:

سابِق الملائكة بالعمل! قال مجاهد: «الملائكة سبَقت بني آدم بالخير والعمل الصالح».

١٠٢٤٦ ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦،٧]:

عن أبيّ بن كعب ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «**يا أيها الناس! اذكروا الله.. اذكروا الله.. جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه**». صحيح الجامع رقم: ٧٨٦٣.

١٠٢٤٧ ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٨]:

ولم يقل: القلوب يومئذٍ واجفة؛ لأن أهل الإيمان لا يخافون يومها، والمراد هنا قلوب الكفار الفجار.

١٠٢٤٨ ﴿أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ﴾ [النازعات: ٩]:

لأن المعلوم من حال المضطرب الخائف أن يكون نظره نظر خاشع ذليل مضطرب، يترقب ما سينزل به من الأمر العظيم.

١٠٢٤٩ ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ﴾ [النازعات: ١٠]:

هؤلاء تعجَّبوا من البعث بعد الموت، فما حقيقة كلمة (الحافِرة)؟

والجواب: يقال: رجع فلان فى حافرته، أي في طريقه التى جاء فيها، فأثَّر فيها بمشيه، وصار أثر قدميه حُفَرا في الأرض، فهي في الحقيقة محفورة إلا أنها سُمِّيت حافرة، وتقول العرب لمن كان فى أمر، فخرج منه ثم عاد إليه: رجع إلى حافرته.

١٠٣٠٠ ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ﴾ [النازعات: ١١]:

استبعد الماديون البعث؛ لأنهم حكَّموا المحسوس في اللامحسوس، وأقحموا العلم في تفسير الغيب، وغفلوا عن أن الله الذي خلقهم من عدم، قادر على أن يبعثهم من العدم.

٠٣٠١ ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢]:

قال محمد بن كعب: «قالت قريش: لئن أحيانًا الله بعد أن نموت لنخسرن»، وسيتحقق ما تظنون: سيبعثكم الله وتخسرون.

٠٣٠٢ ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [النازعات: ١٣]:

الزجرة هي النفخة الثانية في الصور، واسمها الرادفة، وبها يُبعَث كل الخلق من جديد.

٠٣٠٣ ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤]:

(إذا) فجائية للدلالة على سرعة حضورهم لأرض المحشر عقب النفخة الثانية مباشرة، حيث يأمر الله بخلق أجساد جديدة تحلُّ فيها الأرواح، ثم تحضر الأجساد والأرواح إلى ساحة الحشر للحساب بأسرع ما يكون.

٠٣٠٤ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ [النازعات: ١٥]:

فرعون كان أقوى من كل طاغية، ولما تمرد على موسى، أخذه الله نكال الآخرة والأولى، فلا تستبعد هلاك من هو دون فرعون في القوة والأعوان، وسلك نفس مسلكه في الطغيان.

٠٣٠٥ ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات: ١٦]:

المقدَّس: المطهَّر، والمراد به التطهير المعنوي، وهو التشريف والتبريك لأجل ما نزل فيه من كلام الله دون وساطة ملَك إلى موسى عليه السلام، وهذا تقديس خاص، وطُوى: اسم مَكان، ولعله نوع من الأودية يشبه البئر المطوية.

٠٣٠٦ ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [النازعات: ١٧]:

من رحمة الرحمن أن أرسل إلى رأس الطغيان من يدعوه إلى الإيمان، ولم يعاجِلْه بعذابه؛ لأنه حليم ذو إمهال.

٠٣٠٧ ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨]:

ما أجمل أسلوب الداعية في خطابه، تعلَّموا من موسى وهو يخاطب أشد الناس عداوة له .

٣٠٨ إذا كان شأن مخاطبة أعدى أعداء الله ومن ادعى الألوهية بالرِّفق واللين، فكيف بخطاب أخيك المسلم؟!

٣٠٩ يا رب.. هذا أمرك بالرفق مع من جحدك، فكيف رفقك بمن وحَّدك؟ هذا رفقك بالكفّار، فكيف رفقك بالأبرار؟!

٣١٠ ﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾ [النازعات: ١٩]:

في الاقتصار على ذكر الخشية إيجاز بليغ؛ لأن خشية الله جماع كلِّ خير.

٣١١ ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ [النازعات: ٢٠]:

قال أبو حيان:

«وهي العصا واليد، جعلهما واحدة؛ لأن اليد كأنها من جملة العصا لكونها تابعة لها، أو العصا وحدها لأنها كانت المقدِّمة والأصل، واليد تبَعٌ لها؛ لأنه كان يتَّقيها بيده».

٣١٢ ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ [النازعات: ٢١]:

كذَّب الخبر، وعصى الأمر، فقال لموسى إنك لست رسولا بل اتهمه بالجنون، وعصى الأمر، فلم يمتثل أمر موسى.

٣١٣ ﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ﴾ [النازعات: ٢٢]:

تجاوز فرعون حدود التكذيب والعصيان، إلى ما هو أشد منهما في الجحود والعناد، وهو صد الناس عن الحق والسعي في إبطاله.

٣١٤ السعي حركة دؤوبة تخبر عن حماسة أهل الباطل وجَلَدهم في الشر، فكيف لا يغار أهل الحق؟!

٣١٥ ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٣، ٢٤]:

قال هذا القول الفاجر، فلم يرده عن ضلاله أحد، فهلكوا معه. ضريبة السكوت غالية!

٠٣١٦ ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٤، ٢٥]:

كلمة واحدة أضاعت دينه ودنياه، فافهم خطورة ما تتكلم به.

٠٣١٧ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٦]:

كأنه قال: خافوا أن تسلكوا نفس الطريق، فتصيروا إلى نفس المصير.

٠٣١٨ الخوف شرط الانتفاع بالعِبَر، والاستفادة من السِّيَر.

٠٣١٩ ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾﴾ [النازعات: ٢٧-٢٩]:

لفَت الله أنظارهم للسماء وهم في بيئة بدائية ولم يبلغوا من العلم ما بلغناه، فكيف بأبناء القرن الواحد والعشرين، واكتشافات السماء وعالم الفضاء تنهمر علينا صباح مساء؟!

٠٣٢٠ هل تعلم أن السماء تحوي ما يقارب ٢٠٠ ألف إلى ٤٠٠ ألف مليون مجرَّة في الجزء الذي عُرِف من السماء.

٠٣٢١ ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]:

هذه الآية تقتضي تأخر خلق الأرض على (خلق) السماء، بينما قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٩]، يقتضي تقدم خلق الأرض على خلق السماء، فهل الآيتان متعارضتين؟!

سئل ابن عباس عن الجمع بين الآيتين، فقال:

«خلق الله تعالى الأرض أولًا غير مدحوَّة، ثم خلق السماء، ثم دحا الأرض بعد ذلك، وجعل فيها الرواسي والأنهار وغيرهما».

٠٣٢٢ ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣١]:

قال الإمام الرازي:

«فانظر كيف دلَّ بقوله: ﴿مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ على جميع ما أخرجه من الأرض قوتًا ومتاعًا للأنام من العشب والشجر، والحب والثمر والعصف والحطب، واللباس والدواء، حتى النار والملح، أما النار فلا شك أنها من العيدان. قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢﴾ [الواقعة: ٧١، ٧٢].

وأما الملح فلا شك أنه متولد من الماء.

وأنت إذا تأملت علمت أن جميع ما يتنزه به الناس في الدنيا ويتلذذون به، فأصله الماء والنبات، ولهذا السبب تردد في وصف الجنة ذكرهما، فقال: جنات تجري من تحتها الأنهار [البقرة: ٢٥]».

﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣٢]: ١٠٣٢٣

للإرساء معنيان:

- إثباتها في الأرض وتغلغل صخورها في باطن الأرض، ولولا ذلك لزعزعتها الرياح.
- جعلها منحدرة ليتمكن الناس من تسلقها بسهولة كما يتمكن الراكب من ركوب السفينة الراسية، ولو كانت داخل البحر لما تمكن أحد من ركوبها.

﴿مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣]: ١٠٣٢٤

تشترك كل المخلوقات في الإنعام عليها بالطعام، لكن ما يميِّز الإنسان عن الأنعام: نعمة العقل والإيمان.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٤]: ١٠٣٢٥

إنها القيامة، وسُمِّيت بذلك لأنها تطمُّ على كل شيء لعظم أهوالها، فالمصيبة مصيبة الآخرة، ومن نجى منها فهو المعافى بحق.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ [النازعات: ٣٥]: ١٠٣٢٦

أعمالٌ نُسِيَت، لكن أُحْصِيت، وغدًا إما تسُرُّ وإما تضُرُّ.

١٣٢٧ ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦]:

قال الشوكاني: «والظاهر أن تبرز لكل راءٍ، فأما المؤمن فيعرف برؤيتها قدر نعمة الله عليه بالسلامة منها، وأما الكافر فيزداد غمًّا إلى غمه، وحسرة إلى حسرته».

١٣٢٨ ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦]:

في حديث مسلم عن ابن مسعود مرفوعًا: «**يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**».

١٣٢٩ ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨﴾ [النازعات: ٣٧،٣٨]:

قدَّم الطغيان على إيثار الحياة الدنيا؛ لأن الطغيان سبب أساسي لإيثار الدنيا على الآخرة.

١٣٣٠ قال ابن عاشور:

«مناط الذمِّ في إيثار الحياة الدنيا هو إيثارها على الآخرة، فأما الأخذ بحظوظ الحياة الدنيا التي لا يفيت الأخذ بها حظوظ الآخرة فذلك غير مذموم، وهو مقام كثير من عباد الله الصالحين».

١٣٣١ ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٩]:

أنت دومًا في مفترق طُرُق!

لا تؤثِر النوم على الصلاة، ولا اللغو على القرآن، ولا الرشوة والربا على أكل الحلال، ولا الخبيث على الطيب، ولا ما يأكله الدود على جنات الخلود، وإلا ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾.

١٣٣٢ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠]:

أفضل أدوية العشق والهوى: الخوف من الله.

١٣٣٣ يخاف غدًا مقامه بين يدي الله للحساب، فينتهي عن السيئات، ويصبر عن الشهوات.

٠٣٣٤ إذا أردت الصواب فانظر هواك فخالفه. قال عمران الميرتلي:

فخالِف هواها واعصِها إنَّ مَنْ يُطِع ... هوى نفسه تنزِع به كلَّ منزَع

ومن يُطِع النفس اللجوجة تُرْدِه ... وتَرْمِ به في مَصْرعٍ أيِّ مصرع

٠٣٣٥ ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١]:

هذه الجنة يدركها العبد قبل موته، وذلك إذا حضر الأجل ودَعَت الملائكة نفسه للخروج: اخرجي أيتها النفس المطمئنة، اخرجي إلى روح وريحان، ورب عنك غير غضبان.

٠٣٣٦ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾[النازعات: ٤٢]:

رحلة حياتك المضطربة بالأحداث والأحوال المتغيرة، لا بد أن ترسو يومًا على ساحل الآخرة.

٠٣٣٧ السؤال عن الساعة نوعان: سؤال استبعاد، وهذا كفر، وسؤال استعداد، وهذا لا بأس به.

٠٣٣٨ عن أنس بن مالك ﷺ: أن رجلًا سأل النبي ﷺ: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «**ما أعددت لها**». قال: ما أعددْتُ لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، **ولكني أحب الله ورسوله**، فقال: «**أنت مع من أحببت**». صحيح البخاري رقم: ٦١٦٧.

٠٣٣٩ ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٤٣]:

عن عائشة رضي الله عنها:

«لم يزل رسول الله ﷺ يذكر الساعة، ويسأل عنها حتى نزلت هذه الآية».

٠٣٤٠ أي ما لك أنت وهذا السؤال؟ فالسؤال هنا تعجيب من كثرة ذكر النبي ﷺ لها، والمعنى أنهم يسألونك عنها، فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها.

٣٤١ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٤٤]:

أي: إلى ربك علم منتهاها، وليس أمر الساعة إليك، فأنت لا تعلم إلا ما أذن الله لك بعلمه، ولم يأذن لك بذلك.

٣٤٢ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥]:

لا تحتاج لتعلم كل العلم لتقوم بالدعوة والإنذار؛ ولذا يشملك الأمر النبوي: «بلِّغوا عني ولو آية».

٣٤٣ تزداد ضرورة الإنذار إذا لم يكن العلم بوقت قيام الساعة حاصلا.

٣٤٤ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦]:

هذه الدنيا ليست إلا غدوة أو روحة.

فكيف لا تصبر على شدَّتها؟!

أو كيف يغتر عاقل بلَّذتها؟!

سورة عبس

٣٤٥ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾[عبس: ١-٢]:

ابتسِم حتى في وجه الأعمى، فإن كان لا يراك، فإن الله يراك.

٣٤٦ تذكيرٌ بأن بعض المغمورين الذين لا يعرفهم أحد، لهم عند الله شأن قد لا نبلغه.

٣٤٧ هنا تقطيبة عابرة لم ترها عين أعمى، لكن رآها الله، فخلَّدها في كتابه، والدرس: راقِب الله في كل أعمالك، ودع عنك الناس.

٣٤٨ سيد الخلق يعاتبه رب العالمين على الملأ في تقطيبة جبين، فكيف نخاف النقد الهادف والنصح الصادق لتصحيح عيوبنا؟

﴿١٣٤٩﴾ ﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ [عبس: ٢]:

أثنى الله على الأعمى بالمجيء رغم إعاقته، فإذا قويت العزمات لم تمنع العقبات عن بلوغ الغايات.

﴿١٣٥٠﴾ ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس: ٣]:

رُبَّ كلمة غيَّرَت مسار حياة، وموعظة انتشلت من خلودٍ في النار، فلا تستقل جهدا، ولا تبخل بحرف.

﴿١٣٥١﴾ في الخطاب لطفٌ بالغ، وهو أن الله لم يواجه نبيه، بل استعمل الكناية، فتحدَّث عن عبوس الوجه بضمير الغائب: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ ، ثم جاء العتاب بضمير الخطاب: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾.

﴿١٣٥٢﴾ ﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ [عبس: ٤]:

لا تستهِن بكلمة نصح تسديها لغيرك، فستنفعه حتما –إن لم يكن في الحال– فبعد شهور أو أعوام.

﴿١٣٥٣﴾ ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾[عبس: ٥،٦]:

من استغنى عنك، فإياك أن تتصدى له، بل دعه يرحل بهدوء.

﴿١٣٥٤﴾ ﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس: ٧]:

عليك البلاغ لا الهداية، والسعي لا النتيجة.

﴿١٣٥٥﴾ قال أبو حيان:

«تحقيرٌ لأمر الكافر، وحضٌّ على الإعراض عنه وترك الاهتمام به، أي: وأي شيء عليك في كونه لا يفلح، ولا يتطهر من دنس الكفر؟».

﴿١٣٥٦﴾ ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾[عبس: ٨-١٠]:

قال السيوطي في (الإكليل):

«في هذه الآيات حثٌّ على الترحيب بالفقراء، والإقبال عليهم في مجلس العلم، وقضاء حوائجهم، وعدم إيثار الأغنياء عليهم».

٠٣٥٧ هذه الآية من دلائل صدق النبوة!

قال ابن زيد: «كان يُقال: لو أن رسول الله ﷺ كتم من الوحي شيئًا، لكتم هذا عن نفسه».

٠٣٥٨ ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾[عبس: ١١، ١٢]:

الكلام على وجه التهديد، أي فمن أراد أن يذكره فليذكره، ومن شاء ألا يذكره فلا يذكره! كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾.

٠٣٥٩ ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٢]:

ذِكْر الله إلهام وتوفيق!

قال ابن عباس ﷺ في قول تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾:

«من شاء الله تبارك وتعالى ألهمه ذكره».

٠٣٦٠ ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ﴾[عبس: ١٣، ١٤]:

المراد تعظيم القرآن، والمعنى أنَّ تذكرة القرآن مثبتة في صحف منسوخة من اللوح المحفوظ، مكرَّمة عند الله؛ لأنها نزل بها كرام الحفظة، أو لأنها نزلت من اللوح المحفوظ.

٠٣٦١ ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ﴾ [عبس: ١٣]:

كرامة الكتاب من كرامة صاحبه، وليس أكرم من الله؛ لذا فلا كتاب أكرم من القرآن.

٠٣٦٢ ﴿مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ﴾ [عبس: ١٤]:

مرفوعة القدر، مطهَّرة عن أيدي الشياطين، أو لا يمسُّها إلا المطهَّرون.

٠٣٦٣ ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةِۭ﴾[عبس: ١٦]:

ومن كرامة القرآن أن الذي نزل به ملائكة، سفراء بين الله ورسله، وهم بررة لم يتدَنَّسوا بذنب، فنزل به أطهر الملائكة جبريل على أطهر قلب، قلب محمد ﷺ.

٠٣٦٤ ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧]:

فيها وجهان:

أحدهما: التعجُّب من كفره، مع إحسان الله إليه، وأياديه لديه.

والآخر: ما الذي أكفره، أي أيُّ شيءٍ أكفره؟

٠٣٦٥ قال الزمخشري: « ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾: دعاء عليه، وهي من أشنع دعواتهم؛ لأن القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها».

٠٣٦٦ قال مجاهد: «ما كان في القرآن ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾، فإنما عُنِيَ به الكافر».

٠٣٦٧ ﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: ١٨، ١٩]:

قال الحسن: «كيف يتكبَّر من خرج من سبيل البول مرتين!!».

أي مرة حين خرج دفقة منيٍّ من أبيه، ومرة حين نزل من بطن أمه.

٠٣٦٨ ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٠]:

اللّهم يسِّر لنا كل عسير، فكل ما لا يتيسر بك غير يسير.

٠٣٦٩ ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢١]:

أي جعل له قبرًا يُوارَى فيه إكرامًا، ولم يجعله مما يُلقَى على وجه الأرض، فتأكله الطيور والوحوش.

٠٣٧٠ ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٢]:

أي بعثه بعد موته وأحياه، وإنما قال في البعث: ﴿إِذَا شَآءَ﴾، ولم يقل ذلك في الإماتة والإقبار؛ لأن وقت البعث غير معلوم، بل موكول إلى علم الله ومشيئته.

٠٣٧١ ﴿كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٣]:

قال ابن جرير:

«أي ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر، من أنه قد أدَّى حق الله عليه، في نفسه وماله، فإنه لما يؤدِّ ما فُرِض عليه من الفرائض».

١٠٣٧٢ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾[عبس: ٢٤-٣٠]:

ليكن لك وقفات تفكر مع كل وجبة طعام، تتأمل فيها كيف ساقه الله إليك، ونفعك به، ثم صرف عنك ضرره وأذاه، ونوَّع لك أصنافه وجناه.

١٠٣٧٣ ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾[عبس: ٣١،٣٢]:

قرأ عمر ﷺ هذه الآية، فقال: كلُّ هذا قد عرفنا، فما الأبَّ؟ ثم رفع عصا كانت في يده وقال: هذا لعمر الله التكلف، وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأبُّ؟ ثم قال: اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب، وما لا، فدعوه.

١٠٣٧٤ قال الزمخشري:

«فإن قلتَ: فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته؟

قلتُ: لم يذهب إلى ذلك، ولكن القوم كانت أكبر همتهم عاكفة على العمل، وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفًا عندهم، فأراد أن الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان بمطعمه، واستدعاء شكره، وقد علم من فحوى الآية، أن الأبَّ بعض ما أنبته الله للإنسان متاعا له أو لأنعامه فعليك بما هو أهم، من النهوض بالشكر لله تعالى على ما تبين لك أو لم يشكل، مما عدَّد من نعمه، ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأبِّ».

١٠٣٧٥ ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾[عبس: ٣٣-٣٦]:

فارَق أحبابه عند موتهم بالدمع والأحزان، ثم حين لقيهم بعد البعث فرَّ منهم بلا توانٍ، فيا له من يوم تشيب من هوله الولدان!

١٠٣٧٦ ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧]:

في صحيح مسلم:

«**يُحشَر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا، الأمر أشدُّ من أن ينظر بعضهم إلى بعض**». صحيح الجامع رقم: ٨٠٤٣.

١٠٣٧٧ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨]:

ضوء هذه الوجوه في الآخرة من عبادتها في الدنيا، فابن عباس يرى ضوءها من قيام الليل، والضحاك يراه من أثر الوضوء، والرازي رآه بسبب الخلاص من علائق الدنيا، والاتصال بعالم القُدُس ومنازل الرضوان.

١٠٣٧٨ ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٩]:

تبسَّمْ، فالبِشْر والتبسم من سمات أهل الجنة.

١٠٣٧٩ ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ۝٤٢﴾ [عبس: ٤٠-٤٢]:

الغبَرة ما يصيب الإنسان من الغبار، والقترة سواد كالدخان، ولا يرى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه، وكأن الله جمع في وجوههم بين السواد والغبرة، كما جمعوا بين الكفر والفجور.

سورة التكوير

١٠٣٨٠ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]:

من أوائل السور القرآنية نزولا، فهي السورة السادسة أو السابعة في ترتيب نزول سور القرآن.

١٠٣٨١ أخرج الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي العين، فليقرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾**». صحيح الجامع رقم: ٦٢٩٣.

٠٣٨٢ في التكوير وجهان:

أحدهما: أن يكون من كُوِّرَت العمامة إذا لففتَها، أي: يُلفُّ ضوء الشمس لفا، فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق.

والثاني: أن يكون لفُّها عبارة عن رفعها وسترها؛ لأن الثواب إذا أُريد رفعه، لُفَّ وطُوِي، فتصبح مستترة بعد أن كانت بارزة.

٠٣٨٣ ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢]:

تساقط بعضها على بعض، وتصادمت بسبب اختلال نظام الجاذبية الذي جعله الله في الدنيا لإمساكها إلى أمد معلوم، وهو يوم القيامة.

٠٣٨٤ ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣]:

الجبال أقوى مظهر من مظاهر القوة والثبات في الدنيا، ومع هذا تُقتَلع من أصولها، وتتفتَّت حتى تصير هباء منبثًّا، وتسير في الهواء أمام العيون.

٠٣٨٥ ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤]:

قال السعدي:

«أي: عطَّل الناس حينئذٍ نفائس أموالهم التي كانوا يهتمون لها ويراعونها في جميع الأوقات، فجاءهم ما يذهلهم عنها، فنبَّه بالعشار، وهي النوق التي تتبعها أولادها، وهي أنفس أموال العرب إذ ذاك عندهم، على ما هو في معناها من كل نفيس».

٠٣٨٦ ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]:

قال الطاهر بن عاشور:

«وحَشْرُها: جمعها في مكان واحد، أي مكان من الأرض عند اقتراب فناء العالم، فقد يكون سبب حشرها طوفانًا يغمر الأرض من فيضان البحار، فكلما غمر جزءًا من الأرض فرَّت وحوشه حتى تجتمع في مكان واحد، طالبة النجاة من الهلاك».

٣٨٧ ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾ [التكوير: ٦]:

قال الحسن: «تُسجَر حتى يذهب ماؤها، فلا يبقى فيها قطرة».

٣٨٨ ست آيات في الدنيا وست آيات في الآخرة:

الست الدنيوية! قال أبي بن كعب ﷺ:

«ستٌّ آيات قبل يوم القيامة:

بينا الناس في أسواقهم، إذ ذهب ضوء الشمس.

فبينما هم كذلك، إذ تناثرت النجوم.

فبينما هم كذلك، إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحرّكت واضطربت واحترقت، وفزِعت الجنّ إلى الإنس، والإنس إلى الجنّ.

واختلطت الدواب والطير والوحش، وماجوا بعضهم في بعض: ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ﴾. قال: اختلطت.

﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ﴾: أهملها أهلها.

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾.

قال: قالت الجنّ للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، قال: فانطلقوا إلى البحار، فإذا هي نار تأجج؛ قال: فبينما هم كذلك إذ تصدّعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وإلى السماء السابعة العليا، قال: فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم».

٣٨٩ ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ [التكوير: ٧]:

قال الفخر الرازي: «قوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ فيه وجوه:

أحدها: قُرِنَت الأرواح بالأجساد.

ثانيها: يصيرون فيها- أي: يوم القيامة- ثلاثة أصناف، كما قال تعالى: ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ﴾.

ثالثها: أنه يُضَمُّ إلى كل صنف من كان في طبقته، فيُضَمُّ الطائع إلى مثله».

١٠٣٩٠ ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨،٩]:

سؤالها وجوابها هو تبكيتٌ لقاتلها، مثل تبكيت قوم عيسى في قول الله لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

١٠٣٩١ ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠]:

صحف الأعمال التي سجَّلتها الملائكة على أصحابها، تُطوَى عند الموت، ثم تُنشَر يوم القيامة للحساب، فإما أن تبعث صاحبها على الفخر أو الخزي.

١٠٣٩٢ قال قتادة:

«يا ابن آدم.. هي صحيفتك تُملَى فيها، ثم تُطوَى، ثم تُنشر عليك يوم القيامة، فلينظر الرجل ماذا يملي في صحيفته».

١٠٣٩٣ ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١١]:

أصل الكشط إزالة جلد الحيوان الميت عنه، وهو أعمُّ من السلخ؛ لأن السلخ لا يقال إلا في إزالة جلد البقر والغنم دون إزالة جلد الإبل، فإنه كشط ولا يقال له سلخ، والمقصود أن السماء تنزع من مكانها كما يُنزَع الغطاء عن الشيء.

١٠٣٩٤ قال ابن عاشور:

«فالظاهر أن السماء تبقَى منشقة منفطرة، تعرج الملائكة بينها وبين أرض المحشر حتى يتم الحساب، فإذا قُضِي الحساب أزيلت السماء من مكانها، فالسماء مكشوطة، والمكشوط عنه هو عالم الخلود».

١٠٣٩٥ ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [التكوير: ١٢]:

قال قتادة: «وإنما يسعِّرها غضب الله وخطايا بني آدم».

١٠٣٩٦ ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [التكوير: ١٣]:

قُرِّبت الجنة من أهلها، حتى لا يتكبَّدوا مشقة الانتقال إليها، تكريمًا لهم، ومبالغة في إيصال اللطف إليهم.

١٠٣٩٧ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]:

هذا جواب القسم. عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ اثنتا عشرة خصلة: «ست في الدنيا، وست في الآخرة».

١٠٣٩٨ قال ابن عطية: «ووقع الإفراد ﴿نَفْسٌ﴾ لينبِّه الذهن على حقارة المرء الواحد، وقلة دفاعه عن نفسه».

١٠٣٩٩ عن ابن مسعود ﷺ أن قارئًا قرأ سورة التكوير عنده، فلما بلغ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ قال: وانقطاع ظهراه.

١٠٤٠٠ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]:

هذا جواب الشرط، وقد ذُكِر بعد ثلاث عشرة جملة من قوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾، وهو علم يقين لا يقبل الشك، ولا ينفع معه تبرير ولا إنكار!

١٠٤٠١ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦﴾ [التكوير: ١٥، ١٦]:

أقسم الله بالنجوم في كل أحوالها، في حال خنوسها أي: اختفائها نهارا، وحال جريانها، وحال كنوسها أي: غيابها.

١٠٤٠٢ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير: ١٧]:

أدبر ظلامه أو أقبل، فهذا من الألفاظ التي تُستَعمل في الشيء وضده، إلا أن المناسب هنا أن يكون المراد به إقبال الظلام، لمقابلته بالصبح إذا تنفَّس.

١٠٤٠٣ ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨]:

تنفس الصبح هو إقباله، وكأن الليل خزانة أحزان تُرهِق صاحبها، بحيث لا يستطيع أن يتحرك، فإذا طلع الصبح تخلص من هذا الحزن وتنفَّس.

١٠٤٠٤ لا يتنفس الصبح إلا بعد شدة الظُّلْمة، ولا يأتي الفرج إلا بعد اشتداد الكُرْبة.

١٠٤٠٥ جعل طلوع الفجر وانبلاج النهار من الليل كأنه عودةٌ للروح وتنفُّسٌ بانشراح!

١٠٤٠٦ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [التكوير: ١٩]:

هذا جواب القسم: إن هذا القرآن لقول رسول كريم، يعنى به جبريل عليه السلام.

١٠٤٠٧ ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ [التكوير: ٢٠]:

بلغ من قوة جبريل أنه قلع قرية آل لوط وقلَبَها، ﴿مَكِينٖ﴾ من المكانة، فجبريل أعظم الملائكة مكانة ومنزلة عند الله.

١٠٤٠٨ ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾ [التكوير: ٢١]:

يطيعه من معه من الملائكة المقربين، وأمين، أي: يؤدي ما كلَّفه الله به بدون زيادة أو نقصان.

١٠٤٠٩ ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾ [التكوير: ٢٢]:

رد على اتهامات المشركين السخيفة بأن النبي ﷺ مجنون، ومع هذا ردَّ الله على هذا الاتهام، وأثبت الردَّ في كتابه، فنتعلم من هذا عدم الاستخفاف بالشبهات والاتهامات.

١٠٤١٠ ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]:

أورد ابن جرير عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

من زعم أن محمدًا، رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله؛ قال: وكنت متكئا، فجلستُ، فقلت: يا أم المؤمنين.. أنظريني ولا تعجليني، أرأيت قول الله: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] قالت: إنما هو جبريل رآه مرة على خلقه وصورته التي خلق عليها، ورآه مرة أخرى حين هبط من السماء إلى الأرض سادًّا عظم خلقه ما بين السماء والأرض قالت: أنا أول من سأل النبي ﷺ عن هذه الآية، فقال: «هو جبريل عليه السلام».

١٠٤١١ ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤]:

تعلَّموا الكرم الدعوي! رسول الله ﷺ ليس ببخيل يشحُّ بالعلم، فلا يبلِّغ ما قيل له بخلًا، فالكرم هنا يكون بتعليم غيرنا ما بلَغَنا. قال الفراء: «يأتيه غيب السماء، وهو شيء نفيس، فلا يبخل به عليكم».

١٠٤١٢ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [التكوير: ٢٥]:

أي الذي يتراءى لمحمد ﷺ إنما هو ملَك، لا مِثْل الذي يتراءى للكُهّان من شياطين.

١٠٤١٣ ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦]:

كما يُقال لتارك الطريق المستقيم متعمِّدًا: أين تذهب؟ فمثَّل الله حال الكافرين في تركهم طريق الحق إلى طريق الباطل بحال هذا الضال.

١٠٤١٤ **الحصار!**

في صحيح البخاري:

عن عدي بن حاتم، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم أحد إلا سيكلِّمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدَّم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة**». صحيح البخاري رقم: ٧٥١٢.

١٠٤١٥ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧]:

القرآن شرفٌ للخلق أجمعين من الإنس والجن والملائكة، وما نعلم، وما لا نعلم من العوالم.

١٠٤١٦ القرآن أفضل المواعِظ، فكيف لا يحتل موقعًا بارزًا في مفردات خطاب أي داعية؟!

١٠٤١٧ ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]:

الاستقامة قرار، والصلاح مرتبط بإرادة العبد.

١٠٤١٨ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]:

قال أبو هريرة ﷺ: «لما نزلت: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾، قال أبو جهل: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فنزلت: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾».

١٠٤١٩ هذا إعلان بالافتقار التام إلى الله، وأنه لا قدرة للعبد على ما لم يقدره الله عز وجل، فهو خاضعٌ ومقهور تحت مشيئته.

سورة الانفطار

١٠٤٢٠ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤﴾[الانفطار: ١-٤]:

هذا هو مستقبلنا جميعًا، وما ينتظرنا غدًا، والتفكير في الغد يدفع المرء للاستعداد له، ومن ثم المرور بنجاح من هذه الأهوال العظام.

١٠٤٢١ ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾ [الانفطار: ٥]:

المراد أنه إذا وقعت هذه العلامات من أشراط الساعة، فهنا ينكشف كل شيء، وتعلم كل نفس ما قَدَّمَتْ من أعمال، وما أَخَّرته فلم تعمله.

١٠٤٢٢ المراد بالعلم هنا: العلم التفصيلي، وهو الذي يظهر عند نشر الصحف وقراءة الكُتُب، وأما العلم الإجمالي فحصل في أول زمن الحشر؛ لأن المطيع يرى آثار السعادة، والعاصي يرى آثار الشقاوة في أول الأمر.

١٠٤٢٣ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]:

قيل للفضيل بن عياض: لو أقامك الله يوم القيامة، فقال: يا فضيل.. ما غرَّكَ بربك الكريم؟ ماذا كنت تقول؟ قال: «أقول: غرَّني ستورك المرخاة».

١٠٤٢٤ قال يحيى بن معاذ: «لو أقامني بين يديه، فقال: ما غرَّك بي؟ قلتُ: بِرُّك بي».

١٠٤٢٥ وقال بعض أهل الإشارة: «إنما قال: ﴿بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ دون سائر أسمائه وصفاته، كأنه لقَّنه الإجابة حتى يقول: غرَّني كرم الكريم».

١٠٤٢٦ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧]:

جاء في تفسير الظلال:

«تقول مَجلة العلوم الإنجليزية: إنَّ يدَ الإنسان في مُقدمة العجائب الطبيعية الفذَّة، وإنَّه من الصَّعب جدًّا - بل من المستحيل - أن تُبْتكرَ آلة تضارع اليد البشرية من حيث البساطة، والقُدرة، وسرعة التكيُّف، فحينما تريد قراءةَ كتاب، تتناوله بيدك، ثُمَّ تثبته في الوضع الملائم للقراءة، وهذه اليد هي التي تُصَحِّح وضعَه تلقائيًّا، وحينما تُقلِّب إحدى صفحاته، تضع أصابِعَك تحت الورقة، وتضغط عليها بالدرجة التي تقلبها بها، ثم يزول الضغط بقلب الورقة، واليد تُمْسِك القلم وتكتب به، وتستعمل كل الآلات التي تلزم الإنسان، من ملعقة، إلى سكين، إلى آلة الكتابة، وتفتح النوافذ وتغلقها، وتحمل كلَّ ما يريده الإنسان، واليدان تشتملان على سبع وعشرين عظمة، وتسع عشرة مجموعة من العضلات لكل منهما».

١٠٤٢٧ ثلاث مراحل للجنين أخبر عنها القرآن مبكرا:

- **الخلق**: بتلقيح البويضة عن طريق الحيوان المنوي.
- **التسوية**: وهي الأسابيع الثمانية الأولى بعد خلق الإنسان بتخصيب البويضة، وتسَمَّى بالمرحلة الجنينية Embryonic Stage ، وفيها تسوى كل أوليات الأعضاء.
- **التعديل**: من بداية الأسبوع التاسع إلى الولادة، وتُسَمَّى بمرحلة الجُمَيل Fetal Stage؛ وفيها يتنامى الجسم وتكتمل الهيئة.

١٠٤٢٨ ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]:

قال أبو حيان:

«وأيّ: تقتضي التعجيب والتعظيم، فلم يجعلك في صورة خنزير أو حمار، كأنه قال: أيِّ تركيبٍ حسَنٍ شاء ركَّبك».

١٠٤٢٩ ضمن مليارات البشر عبر كل العصور، لا تكاد تجد اثنين متطابقين في الشكل تمامًا، وهذا التنوع والاختلاف معجزة من المعجزات.

١٠٤٣٠ ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ [الانفطار: ٩]:

المراد بالدين الإسلام، أو المراد بالدين الحساب، والمعنيان صحيحان، فإن جوهر الإسلام في يوم الحساب.

١٠٤٣١ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[الانفطار: ١٠-١٢]:

خوَّفهم برؤية الملائكة وكتابتهم لأعمالهم؛ لأنهم لم يستحوا من اطِّلاع الله عليهم، ولو أيقنوا بمراقبته لاجتنبوا السيئات، ولكان حياؤهم من رؤية الله لهم أعظم من حيائهم من رؤية الملائكة.

١٠٤٣٢ ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٢]:

قال الحسين بن الفضل: «حيث قال: ﴿يَعْلَمُونَ﴾، ولم يقل: (يكتبون)، دلَّ على أنهم لا يكتبون الجميع، فيخرج عنه السهو والخطأ، وما لا تبعة فيه».

١٠٤٣٣ قال محمد بن الفضل: «منذ أربعين سنة ما أمليتُ على كاتبيَّ سيئةً، ولو فعلتُ ذلك لاستحييتُ منهما».

١٠٤٣٤ قال عطاء بن أبي رباحٍ: «إنَّ من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدُّون فضول الكلام ما عدا كتاب الله أن تقرأه، أو تأمر بمعروفٍ، أو تنهى عن منكرٍ، أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بدَّ لك منها، أتُنكرون: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠، ١١]، و ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧، ١٨]؟ أما يستحي أحدكم أن لو نُشِرَت عليه صحيفته التي أملى صدر نهاره، كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه؟!».

١٠٤٣٥ **أمْسِك عليك لسانك!** قال عبد الله بن عمرو ﷺ: «ولا تنطق فيما لا يعنيك، واخزِن لسانك كما تخزن نفقتك».

١٠٤٣٦ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣]:

قال السعدي: «المراد بالأبرار، القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، الملازمون للبر، في أعمال القلوب وأعمال الجوارح، فهؤلاء جزاؤهم النعيم في القلب والروح والبدن، في دار الدنيا، وفي دار البرزخ، وفي دار القرار».

١٠٤٣٧ ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤]:

جحيم كذلك في الدور الثلاثة: في دار الدنيا، ودار البرزخ، وفي دار القرار.

١٠٤٣٨ ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٥]:

قال ابن القيم:

«إنه اليوم الذي يدين الله العباد فيه بأعمالهم، فيثيبهم على الخيرات، ويعاقبهم على المعاصي والسيئات، وما كان الله ليعذِّب أحدًا قبل إقامة الحجة عليه، والحجة إنما قامت برسله وكتبه، وبهم استُحقَّ الثوابُ والعقاب، وبهم قام سوق يوم الدين، وسيق الأبرار إلى النعيم، والفجار إلى الجحيم».

١٠٤٣٩ ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٦]:

تصوير لشدة العذاب!

قال ابن كثير: «لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة، ولا يُخَفَّف عنهم من عذابها، ولا يُجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة، ولو يومًا واحدًا».

١٠٤٤٠ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٧، ١٨]:

فائدة التكرير تعظيم يوم القيامة.

قال الجبائي: «بل هو لفائدة مجدَّدة، إذ المراد بالأول: أهل النار، والمراد بالثاني: أهل الجنة، كأنه قال: وما أدراك ما يعامل به الفُجّار في يوم الدين؟ ثم ما أدراك ما يُعامَل به الأبرار في يوم الدين؟».

١٠٤٤١ ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[الانفطار: ١٩]:

لا يغني حبيبٌ عن حبيبه، ولا والدٌ عن ولده، ولا ولي عن وليه، وإنما الأمر لله وحده، هو الذي يغني ويحمي ويأوي ويهدي.

سورة المطففين

١٠٤٤٢ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]:

تهديد شديد من رب العالمين لمن يبخس الناس أموالهم ويغشّهم، فحقوق العباد ذات شأن عظيم عند رب العالمين.

١٠٤٤٣ قال سلمان الفارسي:

«الصلاة مكيال، فمن وفَّى مكياله وُفِّي له، ومن طفَّف فقد علمتم ما قال الله تعالى في المطففين».

١٠٤٤٤ إذا كان الويل لمن طفف مكيال الدنيا، فكيف حال من طفف مكيال الدين، وفي الحديث: «**أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته، لا يُتِمُّ ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها**». صحيح الجامع رقم: ٩٨٦.

١٠٤٤٥ ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣]:

الأصل كالوا لهم ووزنوا لهم، ولكن حُذِفَتْ (اللام)؛ لأن هؤلاء المطففين أكلوا حقوق الناس ونقصوا الكيل عند الوزن، فنقص اللفظ، وحُذِفَت اللام، وهذا من الأساليب البيانية الرائعة، وتناظر بديع جميل بين اللفظ والمعنى.

١٠٤٤٦ أراك حريصًا على حقك، ماذا عن حقوق الآخرين؟!

١٠٤٤٧ ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ [المطففين: ٤]:

قال عمر بن عبد العزيز يومًا لرجل شتمه:

لولا يوم القيامة لأجبتُك!

١٠٤٤٨ ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ٤-٥]:

هذا سر انتشار العدوان بين الناس، العدوان على الأموال والأعراض والأبدان والإنسان والحيوان.

١٠٤٤٩ ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]:

أحْسِن وقوفك بين يدي ربك في الظلام، ليسهل عليك القيام غدًا وسط الزحام.

١٠٤٥٠ من لم يذكر أثناء معاملة الناس قيامه لله يوم القيامة، فسيميل إلى العدوان، ومآله إلى النيران.

١٠٤٥١ ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧]:

والصحيح أن «سجّينًا» مأخوذ من السِّجن، وهو الضيق.

١٠٤٥٢ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ [المطففين: ٨]:

سجّين: موضع يجمع الضيق والسفول، يُدفَن فيه كتاب هؤلاء، فكتابهم في حبس، وجُعِل هذا دليلًا على خِسّة منزلتهم، ومؤشرًا على الإعراض عنه وإبعادهم مع الزجر والهوان.

١٠٤٥٣ ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٩]:

قال ابن كثير: «ليس تفسيرا لقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾، وإنما هو تفسير لما كُتِب لهم من المصير إلى سجين، أي مرقوم مكتوب مفروغ منه، لا يُزاد فيه أحد، ولا يُنقَص منه أحد».

١٠٤٥٤ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المطففين: ١٠]:

قال ابن حجر: «(ويح): كلمة رحمة، و(ويل): كلمة عذاب».

١٠٤٥٥ ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢﴾ [المطففين: ١١-١٢]:

الإيمان بيوم الدين وبحساب يوم القيامة هو مفتاح الاستقامة، والعدوان والسقوط في الإثم سببه ضعف الإيمان بهذا اليوم.

١٠٤٥٦ ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المطففين: ١٣]:

وصف الله هؤلاء المكذبين بثلاث صفات هي: الاعتداء على الحق، والمبالغة في ارتكاب الآثام، والجرأة في افتراء الكذب بأن وصفوا القرآن بأنه ليس من عند الله.

١٠٤٥٧ ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]:

قال ابن الجوزي:

«وقوع الذَّنب على القلب كوقوع الدُّهن على الثوب، إن لم تعجِّل غَسْلَه، وإلا انبسط».

١٠٤٥٨ قال ابن القيم:

«وأصل هذا: أن القلب يصدأ بالمعصية، فإذا زادت غلب عليه الصدأ حتى يصير رانًا، ثم يغلب حتى يصير طبقًا وقفلًا وختمًا، فيصير القلب في غشاوة وغلاف، فإذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انتكس، فصار أعلاه أسفله، فحينئذٍ يتولاه عدوه، ويسوقه حيث أراد، والمعافى من عافاه الله».

١٠٤٥٩ ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]:

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكِتَت في قلبه نُكتَة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر الله وتاب، صُقِل قلبه، فإن عاد زيد فيها، حتى تعلو على قلبه، وهو (الران) الذي ذكر الله في كتابه: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**».

١٠٤٦٠ ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]:

قال المفسِّرون:

هو الذنب على الذنب حتى يسودَّ القلب، وقال مجاهد: «هو الرجل يذنب الذنب، فيحيط الذنب بقلبه، ثم يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه، حتى تغشى الذنوب قلبه».

١٠٤٦١ ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]:

كما أنهم- اليوم- محرومون من معرفته، فهم غدًا ممنوعون من رؤيته.

١٠٤٦٢ قال الشافعي: «لما حجب قوما بالسُّخْط، دلَّ على أن قوما يرونه بالرضا، ثم قال: أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا».

١٠٤٦٣ ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [المطففين: ١٥-١٦]:

تأمل كيف قدَّم الله عدم رؤيته على عقوبة النار، ولعله دليل على أن العذاب النفسي في النار أشد من العذاب البدني .

١٠٤٦٤ ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٧]:

تقريع ولوم وتبكيت يضاعف أثر العذاب على أهل النار.

١٠٤٦٥ ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠﴾ [المطففين: ١٨-٢٠]:

كتاب الأبرار في عليين في أعلى الجنة، وهو كتاب قد كُتِب عند الله قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

١٠٤٦٦ ﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢١]:

قال ابن القيم:

«وخصَّ تعالى كتاب الأبرار: أنه يُكتَب ويُوقَّع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين سادات المؤمنين، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار، تنويهًا بكتاب الأبرار وما وقع لهم به، وإشهارًا له وإظهارًا لمكانتهم بين خواص خلقه، كما يكتب الملوك تواقيع يعظمون بين الأمراء وخواص أهل المملكة، تنويهًا باسم المكتوب له، وإشهارًا بذكره. وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده».

١٠٤٦٧ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٢]:

نعيمٌ اليوم وغدًا، فاليوم في نعيم الإيمان وسكينة الإحسان ونعمة الرضا وأنس القرب من الرحمن، وغدًا في نعيم الخلود وقصور الجنان.

١٠٤٦٨ ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣]:

قال القشيري:

«أثبت النظر ولم يبيِّن المنظور إليه لاختلافهم في أحوالهم، فمنهم من ينظر إلى قصوره، ومنهم من ينظر إلى حوره، ومنهم ومنهم..ومنهم الخواصُّ، فهم على دوام الأوقات إلى الله ينظرون».

١٠٤٦٩ ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]:

علامتان بارزتان في وجوه أهل الجنان: الضحك والاستبشار، وما زاده الله في وجوههم من النور والحُسْن مما لا يصفه الواصفون، ولا يحيط به الأولون والآخِرون.

١٠٤٧٠ ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ [المطففين: ٢٥]:

من الذي يسقيهم؟! حلِّق بخيالك، وتمنَّ على الله من الذي يسقيك.

١٠٤٧١ قال أبو عبيدة والزجاج: «الرحيق من الخمر ما لا غش فيه، ولا شيء يفسده».

١٠٤٧٢ ﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٦]:

قال السعدي:

« ﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ يحتمل أن المراد مختوم عن أن يُداخِله شيء يُنْقِص لذَّته، أو يُفسِد طعمه، وذلك الختام، الذي خُتِمَ به: مسك.

ويحتمل أن المراد أنه الذي يكون في آخر الإناء، الذي يشربون منه الرحيق حثالة، وهي المسك الأذفر، فهذا الكدر منه، الذي جرت العادة في الدنيا أنه يراق، يكون في الجنة بهذه المثابة».

١٠٤٧٣ ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]:

على مثل هذا النعيم العظيم المقيم يجب أن يكون التنافس، لا على النعيم الذي تعتريه الأكدار، وسريع الزوال.

١٠٤٧٤ ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[المطففين: ٢٧،٢٨]:

تسنيمٌ عين في الجنة يشرب بها المقربون صرفًا، ويُمزَج منها شراب أصحاب اليمين ليطيب.

١٠٤٧٥ **لماذا قال يشرب بها وليس منها المقربون؟!**

والجواب: المعنى: يُروَى بها المقرَّبون، والري أعلى من الشرب، فكم من إنسان يشرب ولا يرتوي، فكان لفظ (بها) متضمِّنًا لمعنى التروية.

١٠٤٧٦ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾[المطففين: ٢٩]:

حتى الضحك سيعذَّبون عليه، فكيف بالظلم والعدوان وسلب الأموال؟!

١٠٤٧٧ بحسب قدر الإجرام تكون سخرية أهل الطغيان من أهل الإيمان.

١٠٤٧٨ ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين: ٣٠]:

الغمز بالعين مُسَجَّلٌ في الصحائف، وتكتبه الملائكة، وستُحاسَب عليه.

١٠٤٧٩ ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ﴾ [المطففين: ٣١]:

وهم لإيغالهم فى الكفر والفسوق والعصيان، لا يكتفون بالغمز واللمز عند رؤية المؤمنين، بل يجعلونهم عند عودتهم إلى أهليهم مادة للتفكه والضحك.

١٠٤٨٠ ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ [المطففين: ٣٢]:

اتباع الهدى ضلال، والاستمساك بالحق فساد، هذا ما تسير به الركبان، وتُطلِقه بعض وسائل الإعلام.

١٠٤٨١ ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾ [المطففين: ٣٣]:

دعاة لا قضاة! ليسوا أهلًا للحكم على غيرهم؛ والله لم يكلِّفهم بذلك، وإنما كلَّفهم بإصلاح أنفسهم.

١٠٤٨٢ ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾ [المطففين: ٣٤]:

الفائز من يضحك أخيرًا.

١٠٤٨٣ ﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٦]:

التعبير بثُوِّب إنما هو من باب التهكم والتعيير، كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

سورة الانشقاق

١٠٤٨٤ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشقاق: ١]:

سورة «الانشقاق» من السور المكية، وكان نزولها بعد سورة الانفطار، وقبل سورة الروم.

١٠٤٨٥ ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾ [الانشقاق: ٢]:

أي سمعت السماء وانقادت لربها، وليس أذنت من السماح.

١٠٤٨٦ ﴿وَحُقَّتۡ﴾ [الانشقاق: ٢]:

أي وحُقَّ لها أن تطيع أمره؛ لأنه العظيم الذي لا يُمانَع ولا يُغالَب، بل قهر كل شيء، وذلَّ له كل شيء، فكيف لا تطيعه؟!

١٠٤٨٧ ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ﴾ [الانشقاق: ٣]:

نُسِفَت جبالها ومبانيها، فصارت مستوية مبسوطة مد البصر.

١٠٤٨٨ ﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ﴾ [الانشقاق: ٤]:

تلقي الأرض الأموات من بطنها، فتكون مثل الطوفان البشري الهائل، وتخرِج ما في بطنها حتى لا يبقى فيها شيء.

١٠٤٨٩ ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ [الانشقاق: ٥]:

مع أن التكرار ليس من البلاغة، لكنه في القرآن من أعظم صور البلاغة؛ لأنه

تكرار في موضعه، فالحديث هنا: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق:٥] عن الأرض، بينما في الآية الثانية من السورة عن السماء؛ ولذا ناسب تكرار اللفظ بحروفه من غير تغيير.

١٠٤٩٠ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]:

أعمالنا الماضية تنتظرنا في المستقبل، فاذكروها؛ لأنكم ستقدمون عليها غدًا.

١٠٤٩١ في الحديث: «**كل الناس يغدو، فبائعٌ نفسه، فمعتقها، أو موبقها**». صحيح الجامع رقم: ٩٢٥ .

١٠٤٩٢ ﴿كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق:٦]:

اللقاء المرتقب! عملك هو شخص في انتظارك غدًا، فما شكل هذا الشخص..أقصد العمل؟.

١٠٤٩٣ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-٨]:

المراد بالحساب اليسير: عرض الأعمال، مع التجاوز عن الهفوات، بفضل الله. عن عائشة قالت: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته: **اللهم حاسبني حسابًا يسيرًا**، فلما انصرف، قلتُ: يا رسول الله.. ما الحساب اليسير؟! قال: **أن ينظر في كتابه، فيتجاوز له عنه، إنه من نوقِش الحساب عُذِّب**» صحيح الجامع رقم: ٦٢٢٠.

١٠٤٩٤ ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٩]:

ينقلب في الجنة إلى أهله من الحور والغلمان والزوجات الآدميات.

١٠٤٩٥ السرور الحقيقي هو السرور النهائي؛ لأنه الدائم والأبدي.

١٠٤٩٦ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ [الانشقاق: ١٠]:

قال ابن جرير:

«وأما من أُعْطِي كتابه منكم أيها الناس يومئذٍ وراء ظهره، وذلك أن جعل يده

اليمنى إلى عنقه، وجعل الشمال من يديه وراء ظهره، فيتناول كتابه بشماله من وراء ظهره، ولذلك وصَفهم جلَّ ثناؤه أحيانًا أنهم يؤتون كتبهم بشمائلهم، وأحيانًا أنهم يؤتونها من وراء ظهورهم».

١٠٤٩٧ قال الآلوسي:

«وتمييز الكفرة بكون الإعطاء من وراء ظهورهم، ولعل ذلك لأن مؤتي الكتب (من الملائكة) لا يتحملون مشاهدة وجوههم لكمال بشاعتها، أو لغاية بغضهم إياهم، أو لأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم».

١٠٤٩٨ ﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا﴾ [الانشقاق: ١١]:

سوف يدعو ربه بالهلاك، وينادي عليه بحسرة وندامة: أيها الموت أقبِل، فهذا أوانك، لتنقذني مما أنا فيه من عذاب.

١٠٤٩٩ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ١٣]:

احذر أن تكون ممن يسرُّه ما يضُرُّه، ويفرح بما يُهلِكه.

١٠٥٠٠ ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤]:

كلما قوي الإيمان بالبعث، حسن العمل، وكلما ضعف الإيمان به ساء العمل.

١٠٥٠١ ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٥]:

بلى ليبعثن وليرجعن، فإن ربه كان به بصيرًا من يوم خلقه إلى أن بعثه.

١٠٥٠٢ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ [الانشقاق: ١٦]:

أقسم الله تعالى بمخلوقاته تشريفًا لها، وتنبيهًا لنا لكي نعتبِر بها.

١٠٥٠٣ ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق: ١٧]:

أي وما جمع، والوسْق: جمع الأشياء بعضها إلى بعض، فيجوز أن يكون المعنى: (وما جمع) مما كان منتشرًا في النهار من ناس وحيوان، فإنها تأوي إلى مساكنها بالليل، وهذا من الفطرة التي جعلها الله في الأحياء، من طلبهم السكون في الليل.

١٠٥٠٤ ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩]:

قال الحسن: «أمرًا بعد أمر، رخاء بعد شدة، وشدة بعد رخاء، وغنى بعد فقر، وفقرًا بعد غنى، وصحة بعد سقم، وسقمًا بعد صحة».

١٠٥٠٥ دوام الحال من المحال، وهذا من أعظم دوافع الأمل وعدم اليأس لمن كان ضعيفًا أو مغلوبًا، وأعظم دوافع لتواضع لمن كان قويًّا أو منتصرًا.

١٠٥٠٦ ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٣]:

الله يعلم ما تُضمِره النفوس من الخير والشر، ويعلم ما تُسِرّون وما تُعلِنون، وسيجازيكم عليه، فطهِّروا قلوبكم، وأرْضوا ربكم.

١٠٥٠٧ المرءُ يُوعِي متاعه وماله، يقال: أوعيتُ الزاد والمتاع: إذا جعلتُه في الوعاء، فالله يعرف ما يوعون من الأعمال، والأعمال السيئة مما تُوعيه قلوبهم، فالقلوب وعاء الأعمال كلها، خيرها وشرها، فاحذروا أن تدخلوا على مكارم الأعمال من الخبث ما يفسدها.

١٠٥٠٨ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الانشقاق: ٢٥]:

حين يعدك الله بأجر دائم خالص من الشوائب، لا نقص فيه ولا بخس، ألا يرغِّبك هذا في الطاعة، ويحفِّزك عليها؟!

سورة البروج

١٠٥٠٩ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١]:

قال القرطبي:

«وفى البروج أربعة أقوال:

أحدها: ذات النجوم.

والثانى: ذات القصور.

الثالث: ذات الخَلْق الحسن.

الرابع: ذات المنازل، وهي اثنا عشر منزلا».

١٠٥١٠ ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾ [البروج: ٢]:

المقصود به يوم القيامة بلا اختلاف بين أهل التأويل؛ لأن الله تعالى وعد الخلق به؛ ليجازي فيه الذين أساءوا بما عملوا، ويجازي الذين أحسنوا بالحسنى.

١٠٥١١ ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ [البروج: ٣]:

الشاهد هنا: الحاضر في ذلك اليوم العظيم، وهو يوم القيامة، والمشاهِد لأهواله، والمراد بالمشهود: مشاهد هذا اليوم التي يشيب منها الولدان.

١٠٥١٢ ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ [البروج: ٤]:

قُتِل هنا ليس من القتل الذي هو إزهاق الروح، وإنما هو من اللعن، والمعنى: (لُعِن أصحاب الأخدود).

١٠٥١٣ تعريضٌ بأصحاب مكة! كأنه قيل: أقسم بهذه الأشياء إن كفار مكة لملعونون كما لُعِنَ أصحاب الأخدود.

١٠٥١٤ ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ [البروج: ٤]:

كل المشاركين في جريمة القتل ملعونون! لفظ ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ يَعُمُّ الآمرين بحفر الأخدود، والمباشرين لحفره، والقائمين على تسعيره بالنار، ثم القاذفين للمؤمنين فيه، أي كل من اشترك في هذه الجريمة.

١٠٥١٥ ﴿إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ﴾ [البروج: ٦]:

هم أعوان الملك، فالقُعود هو الجلوس، وهي كناية عن ملازمتهم للأخدود، لئلا يتهاون الذين يحشون النار بالحطب عن تسعيرها.

١٠٥١٦ ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]:

ما فعله الصِّرب بالمسلمين في البوسنة، وما فعله البوذيين من مذابح بمسلمي بورما، هو نهج قديم، يتجدَّد كل حين.

١٠٥١٧ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾ [البروج: ١٠]:

قال الحسن البصري: «انظر إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة! ».

١٠٥١٨ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾ [البروج: ١٠]:

يُراد بهم جميع من عذبوا المؤمنين والمؤمنات في أي عصر، ويدخل فيهم أصحاب الأخدود، وكفار قريش الذين آذوا رسول الله وأصحابه.

١٠٥١٩ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [البروج:١٠]:

جمع سبحانه لهم بين عذاب جهنم وعذاب الحريق، لبيان أن عذابهم مضاعف، مرة لظلمهم، ومرة لشركهم.

١٠٥٢٠ في الحديث: «**إن الله تعالى يعذِّب يوم القيامة الذين يعذِّبون الناس في الدنيا**».

صحيح الجامع رقم: ١٩٠٠.

١٠٥٢١ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾ [البروج:١٠]:

قال الحسن:

«انظروا إلى هذا الكرم والجود، هم قتلوا أولياءه وأهل طاعته، وهو يدعوهم إلى التوبة».

١٠٥٢٢ ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [البروج:١١]:

أمة كاملة نالها الإحراق، ومع ذلك سمّاه الله الفوزالكبير! فالثبات على الحق ولو صاحَبَه الموت يؤدي إلى الجنة، وهي الفوز الكبير وأي فوز!

١٠٥٢٣ الثبات على الحق انتصار إيماني، وهو مقدَّم على الانتصار العسكري.

١٠٥٢٤ الفوز غير النصر، والفوز في القرآن لمن ثبت على الحق حتى فاز بالجنة، ولو مات حرقًا كأصحاب الأخدود؛ ولذا قال حرام بن ملحان بعد طعنه: فزت ورب الكعبة.

١٠٥٢٥ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]:

قال الرازي: «إن هذا القادر لا يكون إمهاله لأجل الإهمال، لكن لأجل أنه حكيم، إما بحكم المشيئة، أو بحكم المصلحة».

١٠٥٢٦ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٣]:

يبدأ الخلق بالإنشاء، ثم يعيده بالحشر يوم القيامة، ومن كان كذلك،كان بطشه في غاية الشدة.

أو يبدأ البطش بالكفرة في الدنيا، ثم يعيده في الآخرة.

١٠٥٢٧ ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]:

البَشَر يغفرون لك لكن يبقى في نفوسهم شيء، والله عز وجل يغفر لك ويتودد إليك رغم كل شيء.

١٠٥٢٨ اقترن اسم الله (الغفور) باسم (الودود)؛ ليرغِّب المذنبين في التوبة، وأن ماضي العصيان ليس حائلا بينهم وبين محبة الرحمن.

١٠٥٢٩ ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]:

دخل ناس من أصحاب النبي ﷺ على أبي بكر ﷺ يعودونه، فقالوا: ألا نأتيك بطبيب؟ قال: قد رآني! قالوا: فما قال لك؟ قال: قال: إني فعال لما أريد.

١٠٥٣٠ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾[البروج: ١٧،١٨]:

قال صاحب الظلال: «هل أتاك حديث الجنود.. فرعون وثمود.. وهما حديثان مختلفان في طبيعتهما وفي نتائجهما، فأما حديث فرعون، فقد أهلكه الله وجنده ونجى بني إسرائيل، ومكن لهم في الأرض فترة، ليحقق بهم قدرا من قدره، وإرادة من إرادته.

وأما حديث ثمود، فقد أهلكهم الله عن بكرة أبيهم، وأنجى صالحًا والقلة معه، حيث لم يكن لهم بعد ذلك ملك ولا تمكين، إنما هي مجرد النجاة من القوم الفاسقين.

وهما نموذجان لفعل الإرادة، وتوجه المشيئة، وصورتان من صور الدعوة إلى

الله واحتمالاتها المتوقعة، إلى جانب الاحتمال الثالث الذي وقع في حادث الأخدود، وكلها يعرضها القرآن للقلة المؤمنة في مكة، ولكل جيل من أجيال المؤمنين».

١٠٥٣١ ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ﴾ [البروج: ١٩]:

﴿فِى تَكْذِيبٍ﴾ أبلغ وأقوى من قوله (يكذِّبون)، كأن التكذيب وعاء، وهم موجودون داخل هذا الوعاء، فالتكذيب محيط بهم، وفيه بيان شدة تكذيبهم، فهم يكذِّبون بكل شيء، ولا يؤمنون بشيء.

١٠٥٣٢ ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [البروج: ٢٠]:

كما أن التكذيب محيط بهم، فالله تعالى محيطٌ بهم وبتكذيبهم، فهم لا يفوتونه، ولا يُعجِزونه.

١٠٥٣٣ ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١]:

القرآن ذو مجد، ومن تعلَّق بالقرآن وعمل به أعطاه من مجده، وأمتنا لن تعود إلى مجدها إلا بالعودة إلى القرآن المجيد.

سورة الطارق

١٠٥٣٤ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ٢،٣]:

شبَّه طلوع النجم ليلا بطروق المسافر الطارق بيتًا، يجمعهما الظهور في الليل.

١٠٥٣٥ ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق:٣]:

الذي يثقب نوره، فيخرق السماوات، فينفذ، حتى يُرى في الأرض، ويشمل سائر النجوم.

١٠٥٣٦ ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]:

في التعبير بهذه الصيغة معنى التوكيد الشديد، فما من نفس إلا عليها حافظ يراقبها، ويُحصي عليها عملها، ويحفظه عليها حتى يوم الجزاء، وهو مكلَّف

بهذا من قِبَل الله، فليس هناك فوضى، والناس ليسوا مطلقين في الأرض بلا حساب أو رقيب، فتكون الآية زاجرة عن فعل السيئات، ووعيدًا لأصحاب الغفلات.

١٠٥٣٧ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾[الطارق: ٥-٧]:

قال ابن عاشور: «وأطنَب في وصف هذا الماء الدافق، لإدماج التعليم والعبرة بدقائق التكوين، ليستيقظ الجاهل الكافر، ويزداد المؤمن علما ويقينًا».

١٠٥٣٨ ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: ٨]:

هذا قياس عقلي، فالذي قدر على أن يخلق الإنسان من هذا الماء المهين الدافق، قادر أن يعيده يوم القيامة، وهو استدلال بالمحسوس المشاهَد على الغيب غير المشاهَد.

١٠٥٣٩ ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩]:

قال ابن القيم: «وفي التعبير عن الأعمال بالسر لطيفة، وهو أن الأعمال نتائج السرائر الباطنة، فمن كانت سريرته صالحة كان عمله صالحًا، فتبدو سريرته على وجهه نورًا وإشراقًا وحياء، ومن كانت سريرته فاسدة كان عمله تابعًا لسريرته لا اعتبار بصورته، فتبدو سريرته على وجهه سوادًا وظلمة وشينًا».

١٠٥٤٠ ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ١٠]:

لا قوة للعبد ذلك اليوم؛ لأن قوة الإنسان إما أن تكون لذاته، أو مستفادة من غيره، فنفى القوة الذاتية بقوله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ﴾، ونفى القوة الخارجية بقوله: ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾.

١٠٥٤١ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾[الطارق: ١١-١٢]:

أقسم الله بالسماء ذات المطر الذي يعقب مطرا آخر؛ وسُمِّي رجعًا لأنه يرجع ويتكرر، وبالأرض التي تتصدع عن الأشجار والثمار والأنهار، وفي القسم بهاتين الحالتين إيماء إلى دليلين من أدلة البعث بعد الموت.

١٠٥٤٢ **تفاءلوا!** سموا المطر رجعا ليرجع، **استعمل دائمًا لغة المتفائلين.**

١٠٥٤٣ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾[الطارق: ١٣، ١٤]:

القرآن هو القول الفصل الذي يفصل بين الحق والباطل، وهو قول فصلٌ ينهي كل قول، وكل جدل، وكل شك، وكل ريب، ومثل هذا الكتاب لا يمكن أن يتلبَّس به أي شيء من الهزل.

١٠٥٤٤ ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[الطارق: ١٥، ١٦]:

قال صاحب الظلال: «فهذا كيد، وهذا كيد، وهذه هي المعركة: ذات طرف واحد في الحقيقة، وإن صُوِّرَت ذات طرفين لمجرد السخرية والهزء!».

١٠٥٤٥ ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٧]:

لا تعجل، ولا تستبطئ نهاية المعركة، فإنما هي الحكمة وراء الإمهال القليل، وهو قليل حتى لو استغرق عمر الحياة الدنيا، فما عمر الدنيا إلى جانب خلود الآخرة؟!

سورة الأعلى

١٠٥٤٦ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]:

كما أن الله الأعلى في السماء، فلا بد أن يكون الأعلى في قلبك في جميع أحوالك، وفي كل نواحي حياتك.

١٠٥٤٧ قال الإمام القرطبي:

«يُستَحب للقارئ إذا قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ أن يقول عقبه: سبحان ربي الأعلى، قاله النبي ﷺ وقاله جماعة من الصحابة والتابعين».

١٠٥٤٨ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[الأعلى: ٢، ٣]:

قال الإمام الرازي:

«لما أمر الله بالتسبيح، فكأنَّ سائلا قال: الاشتغال بالتسبيح إنما يكون بعد المعرفة، فما الدليل على وجود الرب؟ فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾، واعلم أن الاستدلال بالخلق والهداية هي الطريقة المعتمدة عند أكابر الأنبياء عليهم السلام».

١٠٥٤٩ ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾[الأعلى: ٤-٥]:

امتنَّ الله علينا بالمرعى الذي تخرجه الأرض من النباتات والزروع، ثم ذكَّرنا بما يصير إليه هذا الكلأ، وهو غثاء أحوى بعد ما يبس ومات.

١٠٥٥٠ هذا مَثَل للحياة، وعاقبة الكفار والمغترين بالدنيا، فإنهم يكونون في سعادة ونعيم، ثم يصيرون إلى شقاء في الدنيا والآخرة، كالمرعى الذي جعله الله غثاء أحوى.

١٠٥٥١ ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦]:

قال الرازي:

«هذه آية تدل على المعجزة من وجهين:

أحدهما: إنه كان رجلًا أميًّا، فحفظه لهذا الكتاب المطول عن غير دراسة ولا تكرار ولا كتبة، خارق للعادة، فيكون معجزا.

وثانيهما: أن هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة، فهذا إخبار عن أمر عجيب غريب مخالف للعادة سيقع في المستقبل، وقد وقع، فكان هذا إخبارًا عن الغيب، فيكون معجزًا».

١٠٥٥٢ ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٨]:

ديننا يسر، وشرعنا سهل سمح، لا حرج فيه ولا عسر.

١٠٥٥٣ قال: ﴿وَنُيَسِّرُكَ﴾، ولم يقل: نيسِّر لك، ليُستَدل بعظمة المُعطِي سبحانه على عظمة المُعطَى، وكيف لا وقد نشأ ﷺ يتيمًا، لا أب له ولا أم، في قوم جُهّال، ثم جعله تعالى في أفعاله وأقواله قدوة للعالمين، وهاديًا للخلق أجمعين.

١٠٥٥٤ نون التعظيم دالة على عظمة العطاء، لأن الله فتح على نبيه من أبواب التيسير ما لم يفتحه على أحد قبله.

١٠٥٥٥ كانت سيرته ﷺ كلها صفحات من السماحة واليسر، فما خُيّر بين أمرين إلا اختار أيْسرهما، وكان ﷺ يقول لأصحابه: «**إنما بُعِثْتم مُيَسِّرين لا مُعسِّرين**».

١٠٥٥٦ عفا النبي ﷺ عن قاتل عمه، وتجاوز عمن اعتدى على بناته أثناء هجرتهن، ورحَّب بمن جاءه تائبًا وكان قد أهدر دمه، وأطلق قريشًا كلها يوم فتح مكة، وهو القادر على أن يفعل بها ما شاء، أعطى الأعرابي حتى أرضاه، ومنع أصحابه من تهييج ذلك الذي بال في مصلاه، وما ذلك إلا معنى من معاني: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾.

١٠٥٥٧ ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٩]:

قال ابن كثير: «ذكِّر حيث تنفع التّذكرة، ومن هنا يؤخَذ الأدب في نشر العلم، فلا يضعه عند غير أهله».

١٠٥٥٨ قال علي رضي الله عنه:

«ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم، وقال: حدِّث الناس بما يعرفون.. أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله».

١٠٥٥٩ **للتذكير شروط!**

قال الشيخ السعدي: «مفهوم الآية أنه إذا ترتب على التذكير مضرة أرجح ترك التذكير؛ خوف وقوع المنكر».

١٠٥٦٠ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥]:

من المحفِّزات على الصلاة! قال ابن عباس: «ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه، فصلى له».

١٠٥٦١ قدَّم التزكّية على ذكر الله والصلاة؛ لأنها أصل العمل والدافع إليه، فإذا أشرقت أنوار التزكية أِقبلت على الخير.

١٠٥٦٢ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٦]:

قرأ ابن مسعود هذه الآية، فقال: «أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة؟ لأن الدنيا حضرت وعجلت لنا طيباتها وطعامها وشرابها؛ ولذاتها وبهجتها، والآخرة غُيِّبت عنا، فأخذنا العاجل، وتركنا الآجِل».

١٠٥٦٣ ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٧]:

أي الجنة خير وأدوم من الدنيا. وقال النبي ﷺ: «**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم، فلينظر بم يرجع**» صحيح الجامع رقم: ٧١٠٠.

١٠٥٦٤ ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٧]:

قال مالك بن دينار: «لو كانت الدنيا من ذهب يفنى، والآخرة من خزف يبقى، لكان الواجب أن يُؤْثَرَ خَزَفٌ يبقى، على ذهب يفنى. قال: فكيف والآخرة من ذهب يبقى، والدنيا من خزف يفنى».

سورة الغاشية

١٠٥٦٥ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ [الغاشية: ٢]:

والمراد بخاشعة ذليلة، لماذا لم يصفها بالذل ابتداء؟ قيل: إشارة إلى التهكم، وأنها خشعت في وقت لا ينفعها فيه الخشوع.

١٠٥٦٦ ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٣]:

ليس في الحياة بطالة، فالكل يعمل، وكلنا مع العمل يتعب، لكن شتان ما بين عامل مأجور وآخر موزور، فاختر لنفسك، وحدِّد نوع تعبك.

١٠٥٦٧ ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥﴾ [الغاشية: ٤، ٥]:

كيف تقاوم الشهوات؟! كان الحارث المحاسبي يقول:

«اصرف عنك عوارض الشَّهوات بالحزن والندامة على الشَّهوات الماضية التي قد انقَضَت عنك لذتها، وبقيت عليك تبعاتها».

١٠٥٦٨ ﴿لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الغاشية: ٩]:

ليس في الدنيا من الدنيا شبع، وإنما هى سلاسل من الطمع، بعكس الجنة التي يبلغ فيها رضاك مبلغا، لا تطمع معه إلى شيء غيره.

١٠٥٦٩ ﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ [الغاشية: ١١]:

مجالسنا الخالية من اللغو تذكِّرنا بنعيمنا في الجنة.

١٠٥٧٠ في صحيح البخاري في وصف أهل الجنة:

«**قلوبهم على قلب رجلٍ واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض**». صحيح البخاري رقم: ٣٢٤٦.

١٠٥٧١ ﴿فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ﴾ [الغاشية: ١٣]:

والسرر: جمع سرير، مرفوعة وذكروا في حكمة ارتفاعها أن يرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما خوَّله ربه من النعيم والملك فيها، وهذا من متع الجنة البصرية.

١٠٥٧٢ ﴿وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ﴾ [الغاشية: ١٥]:

النمارق هي الوسائد، وهي مرتَّبة، فالترتيب والنظام هو من نعيم الجنة، والارتجال والفوضى ضد كذلك.

١٠٥٧٣ ﴿وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٦]:

الزرابي هي أعلى أنواع الفُرُش والسجاجيد، وهي متفرقة هنا وهناك في مجالسك في الجنة.

١٠٥٧٤ ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠﴾

[الغاشية: ١٧-٢٠]:

عبادة التفكر هي مفتاح التذكر،فالفكر والذِّكر شقيقان، وهما بابان يؤديان إلى سمو العقل وحياة القلب.

١٠٥٧٥ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١]:

وظيفتنا تذكير الناس لا إكراههم على الهداية، فالتغيير المفروض مرفوض، والإجبار يدفع إلى الصدود والإعراض.

١٠٥٧٦ ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١]:

قال ابن عاشور:

«ومن الجهلة من يضع قوله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ في غير موضعه، فيريد أن يتخذه حجة على حرية التدين بين جماعات المسلمين، وشتان بين أحوال أهل الشرك وأحوال جامعة المسلمين، فمن يلحد في الإسلام بعد الدخول فيه يُستتاب ثلاثًا، فإن لم يتب قُتِل، وإن لم يقدر عليه فعلى المسلمين أن ينبذوه من جامعتهم، ويعاملوه معاملة المحارب، وكذلك من جاء بقول أو عمل يقتضي نبذ الإسلام، أو إنكار ما هو من أصول الدين بالضرورة، بعد أن يوقف على مآل قوله أو عمله فيلتزمه، ولا يتأوله بتأويل مقبول».

١٠٥٧٧ ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[الغاشية: ٢٥-٢٦]:

إن كان الأمر كذلك، فأين المفر؟!

سورة الفجر

١٠٥٧٨ ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١﴾ [الفجر: ١]:

قال ابن عباس: «هو انفجار الصبح كل يوم»، يُقِسم ربنا برحيل الظلام وميلاد الضياء، فأبْشِروا.

١٠٥٧٩ إن إدبار الليل وإقبال النهار آية من الآيات اليومية الباهرة الدالة على كمال قدرة الله، وأنه وحده المدبر لكل الأمور، فتفاءل بربٍّ قدير كريم.

١٠٥٨٠ (الفَجْر - الفرَج): نفس الحروف، مع اختلاف الترتيب، فهما متقاربان في المبنى والمعنى، فمع كل فجر يسبقه ظلام، تذكَّر قرب الفرَج مهما طالت الأيام.

١٠٥٨١ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ [الفجر: ٤]:

قال السعدي: «أي: وقت سريانه وإرخائه ظلامه على العباد، فيسكنون ويستريحون ويطمئنون، رحمة منه تعالى وحكمة».

١٠٥٨٢ قال ابن عاشور: «ومعنى يسري: يمضي سائرًا في الظلام، أي إذا انقضى منه جزء كثير، شُبِّهَ تَقَضِّي الليل في ظلامه بسير السائر في الظلام وهو السُّرَى، وتقييد الليل بظرف إذا يسر لأنه وقت تمكن ظلمة الليل، فحينئذٍ يكون الناس أخذوا حظهم من النوم، فاستطاعوا التهجد».

١٠٥٨٣ ﴿فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٢، ١٣]:

كثرة الفساد والإفساد مؤذِن بقرب زواله وانهياره.

١٠٥٨٤ أيها المفسدون..استلمتُم من الله رسالة: لا تغتروا.. إمهالي ليس بالإهمال.

١٠٥٨٥ ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر:13]:

قال صاحب الكشاف: «وذِكْرُ السوط إشارة إلى أن ما أحلَّه الله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أعِدَّ لهم في الآخرة، كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يُعذَّب به».

١٠٥٨٦ ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ [الفجر:١٥]:

كم مِنْ مُكرَمٍ مُنعَّمٍ، ولا يعلم في حقيقة الأمر أنه (مبتَلى).

١٠٥٨٧ ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ كَلَّاۖ﴾ [الفجر: ١٦، ١٧]:

قال ابن القيم: «وأخبر تعالى أن توسعته على من وسَّع عليه وإن كان إكرامًا له في الدنيا فليس ذلك إكرامًا على الحقيقة، ولا يدل على أنه كريم عنده من أهل محبته، وأن تقتيره على من قتر عليه لا يدل على إهانته له وسقوط منزلته عنده، بل يوسع ويقتر ابتلاء وامتحانا، فيبتلى بالنعم كما يبتلى بالمصائب».

١٠٥٨٨ ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾ [الفجر:١٧]:

الآية تحث على (الإكرام) وليس مجرد (الإطعام)، فقد تطعِم الفقير مع التكبر والإهانة، وأما الإكرام فينصرف إلى حفظ المشاعر والتقدير التي تحفظ الكرامة.

١٠٥٨٩ ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ [الفجر:١٨]:

فيه ذمٌّ عدم التواصي بالخير والحضِّ عليه، وفيه أن أفراد الأمة متكافلون، ومأمورون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع التزام كل واحد بما يأمر به، وابتعادِه عما نهى عنه.

١٠٥٩٠ ليس للفقير عذر في إهمال المساكين، فإن فقدت المال، فلم تقدِر على الإطعام، فليس أقل من حضِّ غيرك عليه، ولك نفس الأجر مع التمام.

١٠٥٩١ ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر:٢٤]:

اكتشف عند الموت أن حياته الحقيقية لم تبدأ بعد! وأن كل ما عاشه كان أضغاث أحلام وبضعة أوهام! للأسف.. اكتشاف متأخِّر!

١٠٥٩٢ كل حياة تنتهي بالموت ليست حياة، الحياة الحقيقية هي التي لا موت فيها.

١٠٥٩٣ تعريف الاغترار بالدنيا! قال سعيد بن جبير: «الغرة في الحياة الدنيا أن يغتر بها وتشغله عن الآخرة، أن يمهِّد لها ويعمل لها، كقول العبد إذا أفضى إلى الآخرة: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾».

١٠٥٩٤ ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ﴾ [الفجر:٢٥،٢٦]:

المعنى لا يعذِّب أحدٌ تعذيبًا مثل تعذيب الله لهذا الكافر، ولا يوثق أحد إيثاقًا مثل إيثاق الله إياه بالسلاسل والأغلال، فنفي المماثلة في الشدة معناه تعذيبه أشدَّ عذاب يعذَّبُ به العصاة.

١٠٥٩٥ ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ [الفجر:٢٩]:

قال الآلوسي: «وكأن الأمر بالدخول في جملة عباد الله تعالى الصالحين إشارة إلى السعادة الروحانية؛ لكمال استئناس النفس بالجليس الصالح، والأمر بدخول الجنة إشارة إلى السعادة الجسمانية».

سورة البلد

١٠٥٩٦ ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد:٤]:

الدنيا لا تصفو لأحد؛ ولذا سئل الإمام أحمد: متى يجد العبد طعم الراحة، فقال: عند أول قدم يضعها في الجنة.

١٠٥٩٧ ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد:٤]:

خُلِقَت على كدَرٍ وأنـت ... تريدها صفوا من الأكدار

ومُكلِّـفُ الأيـام ضِـدَّ طِباعهـا ... مُتطَلِّـبٌ في المـاءِ جَـذوةَ نـارِ!

١٠٥٩٨ الكبَد هو طبيعة الحياة الدنيا، مهما اختلفت أشكاله وأسبابه، فأخسر الخاسرين من جمع على نفسه كبَد الدنيا وكبد الآخرة، وهو الأشق.

١٠٥٩٩ لكن شتان بين من يكدح للأمر الجليل، ومن يكدح للأمر الحقير، وبين من يموت في سبيل دعوة، ومن يموت في سبيل نزوة وشهوة، وبين من يكدح ليدخل الجنة، ومن يكدح سعيًا وراء النار.

١٠٦٠٠ ﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا﴾ [البلد:٦]:

ليس كل إنفاق إهلاكًا.

قال السعدي: «سمى الله الإنفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكا؛ لأنه لاينتفع المنفق بما أنفق، ولا يعود عليه من إنفاقه إلا الخسارة».

١٠٦٠١ ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ﴾ [البلد:٨]:

الأهم من العين الانتفاع بالعين!

قال عز الدين أحمد بن عبد الدائم وقد أصابه العمى:

إن يُـذهبِ الله مـن عينـيّ نورَهما ... فـإن قلبـي بصيـرٌ مـا بـه ضررُ

أرى بقـــلبي دنيـــاي وآخـــرتي ... والقلـبُ يُـدرك مـا لا يـدرك

١٠٦٠٢ ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾ [البلد: ٨، ٩]:

قرأ الفضيل ليلة هذه الآية، فبكى فسئل عن بكائه، فقال: «هل بِتَّ ليلة شاكرا لله أن جعل لك عينين تبصر بهما؟ هل بِتَّ ليلة شاكرًا لله أن جعل لك لسانا تنطق به؟»، وجعل يعدِّد من هذا الضرب.

١٠٦٠٣ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ﴾ [البلد: ١٢ - ١٤]:

المشكلات الصعبة والمشاق الشديدة لا تستطيع تجاوزها إلا بالصدقات وتفريج الكُرُبات.

١٠٦٠٤ ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد:١٤]:

أَسْغَبَ الرجل: إذا دخل في المجاعة، وقال الراغب: السَّغَب: الجوع مع التعب.

١٠٦٠٥ قال النخعي: «قيَّد الإطعام بيوم المجاعة؛ لأن إخراج المال فى ذلك الوقت أثقل على النفس وأوجب للأجر».

١٠٦٠٦ ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد:١٥]:

في الحديث النبوي: «**الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة**». صحيح الجامع رقم: ٣٨٥٨ .

١٠٦٠٧ ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد:١٦]:

هو الفقير إذا اشتد فقره، كأنه لُصِقَ بالتراب من فقره وضره، فليس فوقه ما يستره، ولا تحته ما يفترشه. قال مجاهد: «هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره».

١٠٦٠٨ ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد:١٧]:

من العقبات: عقبة الدعوة!

قال الإمام الرازي: «وهذا يدُلُّ على أنه يجب على المرء أن يدُلَّ غيره على طريق الحق، ويمنعه من سلوك طريق الشر والباطل ما أمكنه».

٠٦٠٩ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ [البلد:١٨]:

لن تكون من أصحاب الميمنة -أو أصحاب اليمين كما جاء في آيات أخرى- حتى تتجاوز العقبات التي عرضتها هذه الآيات.

سورة الشمس

٠٦١٠ ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩]:

أقسم الله سبع مرات متوالية، دلالة على أهمية ما يقسِم عليه، وجواب القسم هو: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾.

٠٦١١ ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:١٠]:

معنى دَسَّاها: حال بينها وبين فِعْل الخير وأخفاها بالمعاصي، يقال: دسَّ فلان الشيء إذا أخفاه وكتمه، وأصل فعل دسّى: دسَّس، فلما اجتمع فيه ثلاث سينات، قُلِبت السين الثالثة ياء.

٠٦١٢ ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾ [الشمس:١٢]:

المبادِر إلى الظلم والفساد والشر هو أكثر الخلق شقاوة وخسرانًا دنيا وآخرة.

٠٦١٣ ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس:١٤]:

عقرها واحد، ورضي البقية، فنسب الله الجريمة لهم جميعًا! وأهلكهم كلهم..ما أخطر عمل القلب!

٠٦١٤ ﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس:١٤]:

قد يتسبب فرد في إهلاك أمة، فعاقر الناقة -واسمه قِدار بن سالف- تسبب بفعلته في عذاب قوم ثمود!! ولذا يُضرَب به المثل في الشؤم، فيُقال: (فلان أشأم من قِدار).

٠٦١٥ بشِّروا القاتل! قال ابن تيمية: «إذا كان هذا عذابه لمن أشرك وعقر الناقة، فمن انتهك محارم الله، وعقر عباده، وسفك دماءهم، كان أشد عذابًا».

١٠٦١٦ ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس:١٥]:

قال الرازي: «وهذه الآية وإن كانت متأخرة، لكنها على هذا التفسير في حكم المتقدم، كأنه قال: إذ انبعث أشقاها، ولا يخاف عقباها، والمراد بذلك أنه أقدم على عقرها، وهو كالآمن من نزول الهلاك به وبقومه».

سورة الليل

١٠٦١٧ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل:٧]:

قال الزمخشري:

«سمَّى طريقة الخير باليسرى لأن عاقبتها اليسر، كما سمَّى طريقة الشر العُسرى لأن عاقبتها العسر».

١٠٦١٨ ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل:١٥،١٦]:

سُئل الحسن البصري عن أطفال المشركين فقال: في الجنة،

قيل: عن من هذا؟

فقال: عن الله: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾، وهذا لم يُكذِّب ولم يتولَ.

١٠٦١٩ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ [الليل:١٩]:

ذكر الإمام ابن جرير أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق، فقد كان يعتق العجائز من النساء إذا أسلمن، ويشتري الضعفة من العبيد فيعتقهم، فقال له أبوه: يا بني، أراك تعتق أناسًا ضعفاء، فلو أنك تعتق رجالًا جلداء- أي: أشداء- يقومون معك، ويمنعونك، ويدفعون عنك.

فقال أبو بكر:

أي أبت.. إنما أريد ما عند الله، فنزلت هذه الآيات.

سورة الضحى

١٠٦٢٠ ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ [الضحى:١]:

قال جندب بن سفيان: «اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثا، فجاءت امرأة (أم جميل امرأة أبي لهب)، فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين - أو ثلاثة - فأنزل الله عز وجل: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾.

١٠٦٢١ أقسم الله بنور الضحى الذى يأتي بعد ظلمة الليل، وهو مناسب لنور الوحي الذي أتى بعد احتباسه عنه، فأقسم الله بضوء النهار بعد ظلمة الليل، على ضوء الوحي الذي أتى بعد ظلمة انقطاعه.

١٠٦٢٢ ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى:٣]:

هذا جواب القسَم، ونفى الله التوديع الذي لا يكون إلا بين المتحابين، ونفى الله القَلْي أو القِلَى، وهو البغض الشديد، ولا يكون إلا بين المتخاصمين، أي ما تركك ربك منذ اختارك، وما أبغضك منذ أحبك.

١٠٦٢٣ استعمل ضمير المخاطب في الأمر المحبوب، فقال: ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾، وفيه تكريم للنبي ﷺ وتودُّدٌ له بذكر حرف المخاطب، ولم يقل (وما قلاك)، إكرامًا لنبيه وتنزيهًا له أن يكون من المبغوضين، فلا يليق استخدام فعل قلى مع النبي ﷺ.

١٠٦٢٤ ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى:٣]:

يوجهنا الله هنا لأدب الحديث مع من نُجِلُّهم ونحترمهم.

١٠٦٢٥ ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤]:

ثَوَاب الله خير لَك من نعيم الدُّنْيَا، وقد رآه عمر مضجعًا قد أثَّر الحصير في جنبه، فَبكى، فقال: يا رسول الله.. هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت

صفوة الله من خلقه، فقال له ﷺ:: «يا عمر.. ألا ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة».

١٠٦٢٦ قال الآلوسي: «وقال بعضهم: يحتمل أن يراد بهما نهاية أمره ﷺ وبدايته، أي لنهاية أمرك خير من بدايته، فأنت لا تزال تتزايد قوة، وتتصاعد رفعة».

١٠٦٢٧ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى:٥]:

ولم يقل: يعطيك ربك ما ترضى! فالخير في عطاء الله ولو خالف ما تمنيناه.

١٠٦٢٨ ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّاً فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]:

وليس المراد بالضلال هنا اتباع الباطل، فإن الأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة باتفاق العلماء، وإنما هو عدم العلم بالشرائع وعلوم الدين؛ التي لم يكن يعلم عنها شيئًا قبل الوحي، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣].

١٠٦٢٩ ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠]:

إن لم تحسن إلى الفقير بالصدقات، فأحسن إليه بجميل العبارات والدعوات والابتسامات.

١٠٦٣٠ حفظ مشاعر السائل صدقة، وإن لم تُعطِه صدقة.

١٠٦٣١ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:١١]:

في الحديث النبوي: «**إذا آتاك الله مالا، فليرَ أثر نعمة الله عليك وكرامته**». صحيح الجامع رقم: ٢٥٤.

١٠٦٣٢ قال الإمام الرازي: «إن الله أخَّر حق نفسه وهو الشكر، وقدَّم حق اليتيم والسائل؛ لأنه غنيٌّ وهما محتاجان، وتقديم حق المحتاج أَوْلى».

١٠٦٣٣ قال الرازي:

«وضع (الله) في حظهما الفعل، ورضي (من عباده) لنفسه بالقول»، يعني التحدث بنعمته.

سورة الشرح

١٠٦٣٤ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]:

بلى يا رب، فما انشرح صدرٌ إلا بك، ولا ضاق إلا بالبُعد عنك.

١٠٦٣٥ ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح:٢-٣]:

قال الإمام محمد عبده: «الكلام على التمثيل، فإن ما كان يحمله عليه السلام من ثقل الاهتمام بشأن قومه، وضيق المذاهب بين يديه قبل تواتر الوحي عليه بالإرشاد، لم يكن ثقلًا حسيًّا ينقض منه الظهر، ولكنه كان هما نفسيًا يفوق ألمه ألم ذلك الثقل الحسي الممثل به، فعبَّر عن الهمِّ الذي تبخع له النفوس بالحمل الذي تقصم له الظهور».

١٠٦٣٦ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:٤]:

رفع الله ذكر نبيه بالشهادتين، وفي الأذان، وبالمقام المحمود، وبصلاته وصلاة ملائكته وصلاة المؤمنين عليه، وأنه اختصه بالشفاعة.

١٠٦٣٧ وما أجمل قول حسان بن ثابت:

وضمَّ الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذِّن:أشهد

وشقَّ له من اسمه ليُجِلَّه ... فذو العرش محمودٌ وهذا محمد

١٠٦٣٨ ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥]:

أفضل مزايا العُسْر أنه لا يدوم.

١٠٦٣٩ قال رسول الله ﷺ: «**واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا**». صحيح الجامع رقم: ٦٨٠٦.

١٠٦٤٠ قال ابن رجب: «ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب واليسر بالعسر: أن الكرب إذا اشتدَّ وعظم وتناهى، حصل للعبد اليأس من كشفه من جهة

المخلوقين، وتعلَّق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل عليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]».

١٠٦٤١ اشتداد الشدة من أسباب الفرج؛ ولذا فالشدة نوع من النِّعَم لما يترتب عليها، كانت العرب تقول: الشدة إذا تناهت انفرجت.

وكُـــلُّ الحادِثـــاتِ إذا تَناهَـــتْ ... فمَوْصُـولٌ بهـا الفـرَجُ القريـبُ

١٠٦٤٢ ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح:٥-٦]

قال ابن القيم: «فالعسر وإن تكرَّر مرتين فتكرَّر بلفظ المعرفة فهو واحد، واليسر تكرَّر بلفظ النكرة فهو يُسران، فالعُسْر محفوف بيُسْرَيْن، يُسْرٌ قبله، ويُسْرٌ بعده، فلن يغلب عُسْرٌ يُسْرَيْن».

١٠٦٤٣ ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح:٦]

أيها المبتلى .. تصبَّر.

يقول القائل:

ألا فأصـبر عـلى الحـدثِ الجليـل ... وداوِ جَـواكَ بالصَّـبْرِ الجميـل

ولا تيـأسْ فـإن اليـأس كفْـر ... لعـل الله يُغنـي مـن قليـل

وإنَّ الـعْسر يتبعـه يسـارٌ ... وقـولُ اللهِ أصـدَقُ كـلِّ قيـل

١٠٦٤٤ ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ [الشرح:٧]:

الفراغ فيه سُمٌّ قاتل!

ولذا كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: «إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللا، لا في عمل دنيا، ولا في عمل آخرة»

١٠٦٤٥ لم يذكر في الآية متعلِّق ﴿فَرَغْتَ﴾، أي فرغت من ماذا، ليعُمَّ كل فراغ، قلبي أو وقتي أو عقلي أو عاطفي.

١٠٦٤٦ الفراغ نعمة حُرِم منها الكثيرون، فاغتنمها للتقرب من الله.

١٠٦٤٧ سكين الفراغ بوسعه أن يذبح إيمان أتقى الأتقياء، والعاقل من ملأ فراغه بالطاعات، ولم يدَع فُرْجة يتسلل منها الشيطان.

١٠٦٤٨ مرَّ شريح القاضي على قوم يلعبون يوم عيد، فقال: فقال: ما لكم؟ قالوا: فرغنا يا أبا أمامة، قال: «ما بهذا أُمِرَ الفارغ».

١٠٦٤٩ ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾ [الشرح:٨]:

اجعل رغبتك في جميع أعمالك إرضاء ربك، ولا تجعل لك هدفا آخر، فتقديم ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ لإفادة الحصر؛ فالإخلاص فيه الخلاص.

سورة التين

١٠٦٥٠ ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ﴾ [التين:٤]:

انتبه! هنا نعمةٌ منسية تستحق الشكر!

١٠٦٥١ **كل مولود يولد على الفطرة!**

قال عبد الرحمن بن كيسان: «أحسن تقويم: أكمل عقل وفهم وأدب وعلم وبيان».

وقال الطاهر بن عاشور:

«وتفيد الآية أن الإنسان مفطور على الخير، وأن في جبلته جلب النفع والصلاح لنفسه وكراهة ما يظنه باطلًا أو هلاكًا، ومحبة الخير والحسن من الأفعال؛ لذلك تراه يُسَرُّ بالعدل والإنصاف، وينصح بما يراه مجلبة لخير غيره، ويغيث الملهوف، ويعامل بالحسنى، ويغار على المستضعفين، ويشمئز من الظلم».

١٠٦٥٢ كان بعض الصالحين يقول: «إلهنا.. أعطيتنا في الأولى أحسن الأشكال، فأعطِنا في الآخرة أحسن الفعال، وهو العفو عن الذنوب، والتجاوز عن العيوب».

١٠٦٥٣ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين:٥]:

قال ابن جرير: «وأوْلى الأقوال في ذلك عندي بالصحة، وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال معناه: ثم رددناه إلى أرذل العمر، إلى عمر الخُرَف الذين ذهبت عقولهم من الهِرَم والكِبْر، فهو في أسفل من سفل في إدبار العمر، وذهاب العقل».

١٠٦٥٤ رجَّح ابن كثير أن أسفل سافلين هو النار، «أي: ثم بعد هذا الحسن والنضارة، مصيره إلى النار، إن لم يطع الله تعالى ويتبع الرسل؛ ولهذا قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾».

سورة العلق

١٠٦٥٥ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق:١]:

باعتبارك فردًا من أمة (اقرأ)، كم كتابًا تقرأ كل عام؟

١٠٦٥٦ بحسب تقرير التنمية البشرية الصادر عن اليونسكو، فإن كل ٨٠ عربيًّا يقرؤون كتابًا واحدًا، بينما المواطن الأوربي يقرأ ٣٥ كتابًا كل عام، والمواطن اليهودي في فلسطين المحتلة يقرأ ٤٠ كتابًا.

١٠٦٥٧ وبحسب تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠١١، الصادر عن (مؤسسة الفكر العربي) يشير إلى أن المواطن العربي يقرأ بمعدل ٦ دقائق سنويًّا، بينما يقرأ الأوربي بمعدَّل ٢٠٠ ساعة سنويا!

١٠٦٥٨ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[العلق:٦،٧]:

يبدأ الطغيان باستغناء العبد عن فضل ربه واعتماده على نفسه.

١٠٦٥٩ ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾[العلق:٩، ١٠]:

كل من حارب الدعاة والمصلحين، وضيَّق على المساجد والمصلين، فهو على خطى أبي جهل.

٠٦٦٠ قال الإمام الرازي:

«هذه الآية وإن نزلت في حق أبي جهل، فكل من نهى عن طاعة الله، فهو شريك أبي جهل في هذا الوعيد».

٠٦٦١ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ [العلق:١٧]:

قال ابن عاشور:

«وهذه الآية معجزة خاصة من معجزات القرآن، فإنه تحدى أبا جهل بهذا، وقد سمع أبو جهل القرآن، وسمعه أنصاره، فلم يقدم أحد منهم على السطو على الرسول ﷺ مع أن الكلام يُلْهِب حميته».

٠٦٦٢ ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨]:

قال ابن عباس: «قال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا يصلي لأطأنَّ على عنقه، فقال النبي ﷺ: لو فعل لأخذَتْه الملائكة عيانًا».

٠٦٦٣ ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق:١٩]:

مما يستفاد من هذه الآية أن مما يُدفع به أذى الأعداء وبطش الظالمين: عبادة الله وخاصة الصلاة وكثرة السجود.

٠٦٦٤ من أجمل ما قيل:

وإذا سئمت من (الوجود) لبُرهة فاجعل من (الواو) الكئية (سينا)

سورة القدر

٠٦٦٥ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر:١]:

قال ابن عباس: «يُكتَب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحج، يقال: يحج فلان ويحج فلان».

٠٦٦٦ ليلة القدر قد يجعلها الله سببًا في تغيير قدَرِك، فكيف لا تبذل فيها غاية جهدك؟!

١٠٦٦٧ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر:٢]:

قال الفرَّاء: «كُلُّ ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ فقد أدراه، وما كان من قوله: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ [الأحزاب: ٦٣] فلم يُدْرِه».

١٠٦٦٨ ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ [القدر:٣]:

وحدة قياس ليلة القدر بالثواني لا بالساعات، فاللحظة الليلة أغلى من أي ثمن.

١٠٦٦٩ عبادة ساعة واحدة في ليلة القدر خير من عبادة ما يقارب من مائة شهر، وهذا حدٌّ أدنى، لكن لا سقف لكرم الله، ولا منتهى لفضله؛ ولذا قال: ﴿خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾.

١٠٦٧٠ قال الحافظ ابن حجر عقب حكايته الأقوال في ليلة القدر: «وأرجحها كلها أنها في وتر من العشر الأواخر، وأنها تنتقل».

١٠٦٧١ **خطأ**: العمل في ليلة القدر يعادل ٨٣ سنة وأربعة أشهر.

والصواب: بل هو (خير) منه.

فلها حد أدنى من الثواب، ولا سقف لحدِّها الأقصى.

١٠٦٧٢ قال الإمام الشافعي عن ليلة القدر:

«أستحبُّ أن يكون اجتهادُه في يومها كاجتهاده في ليلتها».

١٠٦٧٣ يقول عبدالحميد ابن باديس:

«ليلة القدر تراد للدين لا للدنيا..وكثير من العوام يتمنى لو يعلم ليلة القدر ليطلب بها دنياه، فليتب إلى الله من وقع له هذا الخاطر السيئ. فإن الله يقول في كتابه العزيز: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٖ﴾، ولسنا ننكر على من يطلب الدنيا بأسبابها التي جعلها الله تعالى، وإنما ننكر

على من يكون همه الدنيا دون الآخرة؛ حتى أنه يترصد ليلة القدر ليطلب فيها الدنيا غافلًا عن الآخرة».

١٠٦٧٤ قال رسول الله ﷺ عن ليلة القدر:

«**من حُرِمها فقد حُرِم الخير كله، ولا يحرم خيرها إلا محروم**». صحيح الجامع رقم: ٢٢٤٧.

فالحرمان علامة خذلان، واغتنامها توفيق وعلامة رضا الرحمن.

١٠٦٧٥ ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر:٤]:

قال الإمام الرازي:

«إن الإنسان يأتي بالطاعات والخيرات عند حضور الأكابر من العلماء والزهاد أحسن مما يكون في الخلوة، فالله تعالى أنزل الملائكة المقرَّبين، حتى أن المكلف يعلم أنه إنما يأتي بالطاعات في حضور أولئك العلماء العباد الزُّهاد، فيكون أتم، وعن النقصان أبعد».

سورة البينة

١٠٦٧٦ ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البينة:١،٢]:

لا انفكاك لأهل الكتاب والمشركين مما هم فيه من كفر وضلال إلا بالبينة، والبينة هنا هو رسول الله ﷺ.

١٠٦٧٧ ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة:٤]:

ما أنزله الله ليكون ميثاقًا للاجتماع والاتفاق، جعله أهل الكتاب سببًا للتفكك والافتراق، والبينة هنا هي ما جاءهم على ألسنة أنبيائهم، فاختلفوا عليه، وتفرقوا بين مؤمن به ومكذِّب له.

٠٦٧٨ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٧]:

قال أبو هريرة: «أتعجبون من منزلة الملائكة من الله، والَّذي نفسي بِيَده..لمنزلة العَبْد المؤمن عِنْد الله يوم القيامة أعظم من منزلة مَلَك، واقرؤوا إِن شِئْتُم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾».

٠٦٧٩ ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة:٨]:

من أقصر الطرق لنيل رضوان الله أن تخشاه!

سورة الزلزلة

٠٦٨٠ ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]:

أي: تشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها من خير وشر، فالأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على العباد، ذلك ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا﴾ أي أمرها أن تخبر بما عمل عليها، فلا تعصي أمره.

٠٦٨١ ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الزلزلة: ٦]:

الصَّدَر مقابل الوِرْد، وهو الرُّجوع من شُرب الماء، وهي إشارة إلى أن الحياة الدنيا حدَثٌ عارض، مثل مشهد السقاية، فهي أقصر ما تكون، فالدنيا هي المورِد، والصَّدَر هنا هو قيام الناس للبعث، وجاء لفظ (يَصْدُرُ) دون غيره للدلالة على هذا المعنى.

٠٦٨٢ ﴿أَشۡتَاتٗا﴾ [الزلزلة: ٦]:

أي متفرقين، وهذا أدعى للحيرة والخوف والرهبة، إذ مع الجماعة يكون الأُنس والإلف، وهذا لا يتاح مع التشتت والتفرق، ولا سيما في يوم الفزع الأكبر.

٠٦٨٣ ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧]:

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يُظلم مؤمنًا حسنته، ويُعطي بها في الدنيا، ويُجزَي بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعَم بحسان ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يُجزَى بها**». صحيح مسلم رقم: ٥٢٧٠.

١٠٦٨٤ ومن جميل ما أنشدوا:

إنَّ مـن يعتـدي ويكسِـب إثـما ... وزنَ مثقـال ذرةٍ سـيراه
ويُجـازَى بفعلـه الشَّرِّ شرًّا ... وبِفِعْـل الجميـل أيضًـا جـزاه
هكـذا قولـه تبـارك ربي ... في (إذا زلزلـت) وجَـلَّ ثنـاه

١٠٦٨٥ في موطأ مالك: أن مسكينا استطعم عائشة أم المؤمنين، وبين يديها عنب، فقالت لإنسان: خذ حبة، فأعطِه إياها، فجعل ينظر إليها ويعجب، فقالت: أتعجب! كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة.

١٠٦٨٦ **غرضها التعليم!**

قال الآلوسي: «وعن عائشة: كان بين يديها عنب، فقدَّمته إلى نسوة بحضرتها، فجاء سائل فأمرت له بحبة من ذلك العنب، فضحك بعض من كان عندها، فقالت: إن فيما ترون مثاقيل الذرة وتلت هذه الآية، ولعلها كان غرضها التعليم، وإلا فهي كانت في غاية السخاوة».

سورة العاديات

١٠٦٨٧ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات:٦]:

قال الفضيل: «الكنود الذي تُنسيه سيئة (مصيبة) واحدة حسنات (نِعَما) كثيرة، ويعامِل الله على عقد عِوَض»، ومعنى عقد العوض أنه يعبده في مقابل نعمه عليه، فإذا فقد النعم كسل أو توقف عن العبادة.

١٠٦٨٨ قال الحسن: «الكنود اللوام لربه، يَعُدُّ المحن والمصائب، وينسى النعم والراحات».

١٠٦٨٩ وفي هذا تسلية للعبد إن وجد قلة الوفاء من الخلق، فإذا كان الإنسان كنودًا جحودًا لربه؛ وهو الذي خلقه وأكرمه، فكيف لا يكون فيه شيء من الجحود مع سائر الخلق؟!

١٠٦٤٠ ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات:١٠]:

لم تأتِ مادة (حصل) إلا في سورة العاديات، والتحصيل في اللغة: الجمع والتمييز، وأصله من الحوصل والحوصلة، وهي من الطير كالمعدة للإنسان، ولهذا دلالة، فكل ما يعمله الإنسان مستقر في أعماقه، ومجموع في صدره، حتى يحين ميعاد كشفه يوم القيامة.

١٠٦٤١ أقسم الله بثلاثة أشياء ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ﴾ ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾، وجعل جواب القسم أيضًا ثلاثة أشياء: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.

١٠٦٤٢ قال الرازي: «وإنما خصَّ أعمال القلوب بالتحصيل دون أعمال الجوارح؛ لأن أعمال الجوارح تابعة لأعمال القلوب، فإنه لولا البواعث والإرادات في القلوب، لما حصلت أفعال الجوارح».

١٠٦٤٣ ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات:١٠]:

اليوم كشف الحسابات السِّرِّية، وإظهار الأعمال الخفية، ولا يستطيع بشر أن يتصور كيف سيتم هذا.

سورة القارعة

١٠٦٤٤ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة:٣]:

لا علم لك بكُنهِها؛ لأنها في الشدة بحيث لا يبلغها عقل أحد ولا فهمه، وكأنه الله تعالى يقول: قوارع الدنيا في جنب تلك القارعة ليست بقوارع.

١٠٦٤٥ ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]:

تأثير القيامة في الجبال الشامخات هو أنها جعلتها كالعِهْن المنفوش أي الصوف الملوَّن، فكيف سيكون حال العبد الضعيف يومها!

١٠٦٩٦ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: ٨]:

قال أبو بكر رضي الله عنه: «إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحقَّ لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلًا، وإنما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وحقَّ لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفا».

١٠٦٩٧ ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩]:

قال الرازي: «فيه وجوه:

أحدها: أن الهاوية من أسماء النار، وكأنها النار العميقة يهوي أهل النار فيها مهوى بعيدًا.

وثانيها: فأم رأسه هاوية في النار؛ لأنهم يهوون في النار على رؤوسهم.

وثالثها: أنهم إذا دعوا على الرجل بالهلاك، قالوا: هوت أمه لأنه إذا هوى أي سقط وهلك فقد هوت أمه حزنا عليه».

١٠٦٩٨ ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ١١]:

نار الدنيا في جنب نار الآخرة ليست حامية، وبذلك صار آخر السورة مطابقا لأولها، فالقارعة ليس كأي قارعة، ونار الآخرة ليست كأي نار.

١٠٦٩٩ قال رسول الله ﷺ: «**إذا اشتد الحر، فأبْرِدوا عن الصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم**» صحيح البخاري رقم: ٥٣٣. وهذا الحديث من أدلة وجود جهنم الآن.

سورة التكاثر

١٠٧٠٠ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]:

قال السعدي: «ولم يذكر المتكاثَر به، ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون، ويفتخر به المفتخرون، من التكاثر في الأموال، والأولاد، والأنصار، والجنود، والخدم، والجاه، وغير ذلك مما يقصد منه مكاثرة كل واحد للآخر».

١٠٧٠١ قال علي بن أبي طالب ﷺ: «ما زلنا نشُكُّ فى عذاب القبر حتى نزلت: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾».

١٠٧٠٢ قال رسول الله ﷺ: «**لو أن لابن آدم واديًا من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**» صحيح مسلم رقم: ١٠٤٨، وقال أُبيٌّ: «كنا نرى هذا من القرآن، حتى نزلت: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]».

١٠٧٠٣ ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ [التكاثر:١-٢]:

عن ميمون بن مهران قال: قرأ عمر بن عبد العزيز ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]، فبكى، ثم قال: ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٢]: «ما أرى المقابر إلا زيارة، ولا بد لمن يزورها أن يرجع إلى الجنة، أو إلى النار».

١٠٧٠٤ قال قتادة: «كانوا يقولون: نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعدُّ من بني فلان، وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم، والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم».

١٠٧٠٥ في الحديث:

«**إن أول ما يُسأَل عنه العبد يوم القيامة من النعيم أن يُقال له: ألم نُصِحَّ لك جسمك، ونرويك من الماء البارد؟!**». صحيح الجامع رقم: ٢٠٢٢.

قال القرطبي:

«الكل يُسأَلون، ولكن سؤال الكافر توبيخ؛ لأنه قد ترك الشكر، وسؤال المؤمن سؤال تشريف؛ لأنه قد شكر».

١٠٧٠٦ ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ [التكاثر:١-٢]:

الناس في الدنيا عابرو سبيل، ثم ينتقلون منها إلى زيارة القبور، ثم ينتقلون من القبور إلى المستقر النهائي في دار السعير أو دار الحبور، فهي ثلاث مراحل يمرُّ بها كل عبد:

- الحياة الدنيا كعابر سبيل.
- حياة البرزخ كزائر إلى يوم البعث.
- موقف يوم القيامة إلى الجنة أو النار.

١٠٧٠٧ ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [التكاثر: ٣]:

لو وصَلَتْ حقيقة العلم إلى القلب لما ألهاه التكاثر عن العمل، ومجرد العلم لا يدفع للعمل، لكن إذا حاز علم اليقين كان الحرص على العمل أشد، فاذا صار عين يقين كأنك تشاهده، كان العمل أسهل وأيسر.

١٠٧٠٨ ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣-٤]:

العلم الأول عند نزول الموت ومعاينة الملائكة، والعلم الثاني في القبر.

سورة العصر

١٠٧٠٩ ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣]:

قال الشافعي: «لو فكَّر الناس فى سورة العصر لكفتهم».

١٠٧١٠ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]:

الإنسان كأنه مغمور بالخسر، والخسران أحاط به من كل جانب، وتنكير لفظ ﴿خَسِرَ﴾ للتهويل، أي في خسر عظيم، ولا ينجو إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع: العلم والعمل والدعوة والصبر على كل ذلك.

١٠٧١١ ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]:

قال الإمام الرازي: «ودلَّت الآية على أن الحق ثقيل، وأن المِحَن تلازمه، فلذلك قرن به التواصي بالصبر».

سورة الهمزة

١٠٧١٢ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة:١]:

الهماز: بالقول، واللماز: بالفعل، فتوعَّد الله كل من يزدري الناس، وينتقص بهم، انتقاصا بين أيديهم أو من وراء ظهورهم.

١٠٧١٣ ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُۥ﴾ [الهمزة:٢]:

قال الأستاذ الإمام محمد عبده: «أي أن الذي يحمل هذا الهمزة اللمزة على الحط من أقدار الناس، هو جمعه المال وتعديده، فكلما نظر إلى كثرة ما عنده منه، انتفخ وظن أنه من رفعة المكانة، بحيث يكون كل ذي فضل ومزية دونه».

١٠٧١٤ ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ [الهمزة:٣]:

كلما زاد المال طال الأمل، وكلما طال الأمل ساء العمل، إلا من كان غنيًّا شاكرًا، وقليل ما هم.

١٠٧١٥ الغنى لا يُطيل عمر العبد، والفقر لا يقصِّره، وشعور الغني بذلك عن فعل الخيرات يؤخِّره.

١٠٧١٦ ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [الهمزة:٧]:

أي تشرف على الأفئدة، وخص الأفئدة؛ لأن الألم إذا وصل إلى الفؤاد، مات صاحبه، فأخبرسبحانه أنهم في حال من يموت، لكنهم لا يموتون.

١٠٧١٧ تَعْلَمُ مقدار ما يستحقه كل واحد من أهل النار من العذاب، وذلك بعلامة أطلعها الله عليها في كل عبد دخل النار.

١٠٧١٨ ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة:٨]:

نفتح الأبواب والنوافذ عند اشتداد الحر، لعل نسمة هواء تبرِّد الجو، لكن أبواب النار غدًا مغلقة، فلا يُخفَّف عن أهلها العذاب، مهما طرقوا على الأبواب: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾.

سورة الفيل



﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل:١]:

ذكر مقام الربوبية دون مقام الألوهية؛ لأن المقام مقام حماية ودفاع ونعمة وفضل، وهو ما يستدعي مقام الربوبية، كما أن رب الأسرة يحمي أسرته ويرعى مصالحهم، وأضاف ضمير المخاطب (الكاف) للنبي ﷺ فقال (رَبُّكَ) دلالة على عظم مكانته ﷺ عند ربه، وتسلية له، وتثبيتا لقلبه.



﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل:٢]:

كادوا بيت الله، فأضلَّ الله سعيهم وتدبيرهم، وكل من كاد أولياء الله، سيضله الله.

سورة قريش



﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾[قريش:١،٢]:

الإيلاف: من الإلف وهو اعتيادُ الشيء، والتكرير تفخيمًا لأمر الإيلاف وتذكيرًا لعظيم فضل الله فيه. قال ابن عباس: «أُمروا أن يألَفوا عبادةَ ربّ هذا البيت، كإلفهم رحلةَ الشتاء والصيف».



﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش:١]:

اللام متعلِّقة بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾، أي: ليعبدوا الله، لأجل نعمته عليهم بالإيلاف.

أو اللام متعلِّقة بفعل تعجُّب محذوف، والتقدير: اعجبوا لإيلاف قريشٍ رحلةَ الشتاء والصيف، وتركهم عبادةَ ربِّ هذا البيت، الذي أطعَمهم من جوعٍ وآمنَهم من خوف.

١٠٧٢٣ ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾ [قريش:٣]:

لما كان الإنعام لا بد وأن يقابل بالشكر والعبودية؛ لذا أتبع الله ذكر النعمة بطلب العبودية، فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾.

١٠٧٢٤ ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش:٤]:

قال ابن عباس: «وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾».

سورة الماعون

١٠٧٢٥ ﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون:٢]:

أي: يدفعه بعنف، فالدعُّ هو الدفع بعنف، فإذا جاءه اليتيم يستجديه شيئًا، دفعه بشدة، وبلا رحمة.

١٠٧٢٦ هناك علاقة وثيقة بين الإيمان بالبعث والجزاء، وفعل الخيرات، وبذل العطاء، دون حاجة إلى آمر، ولا خوف من إقامة العقوبات.

١٠٧٢٧ ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون:٣]:

قال الإمام الرازي: «وإضافة طعام إلى المسكين تدل على أن ذلك حق المسكين، فكأنه - المكذِّب بالدين - منع المسكين مما هو حقه، وذلك يدل على نهاية بخله وقساوة قلبه وخساسة طبعه».

١٠٧٢٨ ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ [الماعون:٦]:

لا رياء في الفرائض!

قال القرطبي:

«ولا يكون الرجل مرائيًا بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة، فمن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها».

سورة الكوثر

١٠٧٢٩ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:٣]:

رأى العاصي بن وائل السهمي رسول الله ﷺ في المسجد الحرام، فتحدَّث معه، فلقيه عدد من صناديد قريش فقالوا: من كنت تتحدث معه؟

فقال لهم: ذلك الأبتر، وكان قد تُوُفِّي ابنه عبد الله بعد أن مات ابنه القاسم قبل عبد الله، فانقطع بموت عبد الله الذكور من ولده ﷺ يومئذٍ، وكانوا يصِفون من ليس له ابن بالأبتر، فأنزل الله هذه السورة.

١٠٧٣٠ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:٣]:

قال ابن تيمية:

«الله منتقمٌ لرسوله ممن طعن عليه، وسبَّه، ومُظهِرٌ لدينه، ولكذب الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد، ونظير هذا ما حدَّثناه أعداد من المسلمين العدول، عما جرَّبوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا قالوا:

كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر، وهو ممتنعٌ علينا حتى نكاد نيأس منه، حتى إذ تعرَّض أهله لسب رسول الله ﷺ والوقيعة في عرضه، فعجلنا فتحة وتيسر، ولم يكد يتأخر إلا يومًا أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة ويكون فيهم ملحمة عظيمة.

قالوا:

حتى إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظًا عليهم بما قالوا فيه».

سورة الكافرون

١٠٧٣١ ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون:١-٢]:

أصحاب الرسالة لا يُساوِمون على المبادئ، ولا يتنازلون عن الثوابت.

١٠٧٣٢ **هل تقرأ سورة الكافرون كل ليلة؟!**

قال رسول الله ﷺ:

«**إذا أخذتَ مضجعك من الليل فاقرأ ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، ثم نم على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك**». صحيح الجامع رقم: ٢٩٢.

١٠٧٣٣ واقرأها في ركعتي الفجر، لحديث عائشة عن رسول الله ﷺ:

«**نِعْم السورتان هما، يُقرَآن في الركعتين قبل الفجر: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ و ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾**». صحيح الجامع رقم: ٦٧٧٣.

١٠٧٣٤ ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦]:

قال الشنقيطي:

«في هذه السورة منهج إصلاحي، وهو عدم قبول ولا صلاحية أنصاف الحلول؛ لأن ما عرضوه عليه ﷺ من المشاركة في العبادة، يعتبر في مقياس المنطق حلا وسطا لاحتمال إصابة الحق في أحد الجانبين، فجاء الرد حاسمًا وزاجرًا وبشدة ؛ لأن فيه أي فيما عرضوه مساواة للباطل بالحق، وفيه تعليق المشكلة، وفيه تقرير الباطل، إن هو وافقهم ولو لحظة».

سورة النصر

١٠٧٣٥ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر:١]:

قال عبد الله بن عمر:

«نزلتْ هذه السُّورةُ بِمِنًى في حِجَّة الوداع، ثُمَّ نزلت: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾، فعاش بعدهما النَّبِيُّ ﷺ ثمانين يومًا، ثُمَّ انتقل إلى الرَّفيق الأعلى».

١٠٧٣٦ ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر:٣]:

روى البخاري ومسلم مِن حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «ما صلَّى رسول الله ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه:

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ إِلَّا يقول فيها: سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي». حافِظ عليها كل صلاة.

١٠٧٣٧ ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُ﴾ [النصر:٣]:

وفي رواية عنها:

«كان رسول الله ﷺ يُكْثِرُ أن يقول في ركوعه وسجوده: سُبْحَانَك اللّٰهم ربنا وبحمدك، اللّٰهم اغفر لي».

سورة المسد

١٠٧٣٨ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد:١]:

ليس في الآية تكرار، فالجملة الأولى دعاء عليه بالهلاك والخسران، والجملة الثانية: إخبار عن أن هذا الدعاء قد استجيب، وأن الخسران قد نزل به فعلًا، وخصَّ اليدين بالتباب؛ لأن العمل أكثر ما يكون بهما، وقيل: المراد باليدين نفسه، وقد يُعبَّر عن النفس باليد.

١٠٧٣٩ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد:١]:

هذه الآية دليل على إعجاز القرآن، فكان أبو لهب يستطيع أن يدعي الإسلام ليبطل هذه الآية لكنه لم يفعل. سئل الحسن عن قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾..

هل كان في أُمِّ الكتاب؟

وهل كان أبو لهب يستطيع ألا يصلى النار؟

فقال: «والله ما كان يستطيع ألا يصلاها، وإنها لفي كتاب الله من قبل أن يخلق أبو لهب وأبواه».

١٠٧٤٠ النسب لا يغني شيئًا عن صاحبه بغير عمل! قال الإمام البقاعي: «وعُرِف بهذا أن الانتماء إلى الصالحين لا يغني إلا إن وقع الاقتداء بهم في أفعالهم؛ لأنه عم النبي ﷺ».

١٠٧٤١ **من امرأة أبي لهب؟!**

قال ابن كثير:

«كانت زوجته من سادات نساء قريش، وهي: أم جميل، واسمها أروى بنت حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان، وكانت عونا لزوجها على كفره وجحوده وعناده؛ فلهذا تكون يوم القيامة عونا عليه في عذابه في نار جهنم».

١٠٧٤٢ ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد:٢]:

من بلاغة القرآن!

هل ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾:

- موصولة: أي والذي كسب.
- نافية: أي وما كسب شيئًا.
- استفهامية: وما هذا الذي كسبه، استحقارًا له.
- نكرة تامة بمعنى شيء: أي ما أغنى عنه ماله، وشيءٌ كسبه.

١٠٧٤٣ ﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدٖ﴾ [المسد:٥]:

سيزيد الله إذلال امرأة أبي لهب وعذابها، بأن يأمر ملائكته أن تضع في عنقها حبلًا قويًا من ليف، على سبيل الإذلال والإهانة، فقد كانت في الدنيا تزعم أنها من بنات الأكابر.

١٠٧٤٤ وروي عن سعيد بن المسيب أنه قال:

كان لها قلادة ثمينة، فقالت: لأبيعنها ولأنفقن ثمنها في عداوة محمد، فأبدلها الله عنها حبلًا في جيدها من مسد النار.

١٠٧٤٥ لفظ الجيد يستعمل للتعبير عن الجمال والثناء الإطراء بدلًا من لفظ العنق أو الرقبة، فإذا جاء معه الحبل من مسد مع جيد هذه المرأة المتنعمة المرفهة، فهذه الرفاهية، ستطوَّق بحبل من مسد، فهي إهانة ومفارقة ساخرة؛ لذا استعمل الجيد بدلًا من العنق أو الرقبة.

سورة الإخلاص

١٠٧٤٦ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾[الإخلاص:١-٢]:

سبب النزول:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت كفار قريش: يا محمد.. انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى سورة الإخلاص.

١٠٧٤٧ **من بركات هذه السورة!**

قال رسول الله ﷺ: «**أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فإنه من قرأ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ في ليلة، فقد قرأ ليلته ثلث القرآن**».

صحيح الجامع رقم: ٢٦٦٣.

١٠٧٤٨ قال ابن تيمية: « ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن؛ لأن القرآن ثلاثة أثلاث: ثلث توحيد، وثلث قصص، وثلث أمر ونهي، وثلث التوحيد أفضل من غيره».

١٠٧٤٩ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:٢]:

قال ابن عباس: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: «السيد الذي قد كمُل في سُؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد عظم في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبَّار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته، لا تنبغي إلا له».

سورة الفلق

١٠٧٥٠ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفلق:١]:

الاستعاذة بالفلق من أسباب التفاؤل، وتذكير بالنور بعد الظلمة، والسعة بعد الضيق، والفرَج بعد الانغلاق، والفلق كل ما يفلقه الله، كالنبات من الأرض، والأولاد من الرحم، والحي من الميت، وكل هذا يبشِّر بالفرج.

١٠٧٥١ قال الإمام الرازي: «في سورة الفلق المستعاذ به مذكور بصفة واحدة، وهي أنه رب الفلق، والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات، وهي الغاسق والنفاثات والحاسد.

أما سورة الناس فالمستعاذ به مذكور بصفات ثلاث: وهي الرب والملك والإله، والمستعاذ منه آفة واحدة، وهي الوسوسة، فما الفرق بين الموضعين؟

أن الثناء يجب أن يتقدر بقدر المطلوب، فالمطلوب في سورة الفلق سلامة النفس والبدن، والمطلوب في سورة الناس سلامة الدين، وهذا تنبيه على أن مضرة الدين وإن قلَّت، أعظم من مضار الدنيا وإن عظمت».

١٠٧٥٢ **تأمين شامل على الحياة كل صباح ومساء!**

قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن خبيب رضي الله عنه: «**قل** (قل هو الله أحد) **والمعوذتين، حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات، تكفيك من كل شيء**».

صحيح الجامع رقم: ٤٤٠٦.

١٠٧٥٣ قال الشاعر عبد الله السعيدي:

ليلٌ ويعقبُه فلَقْ ... فلِمَ التشاؤمُ والقلق؟

أنظر لرحمةِ والديكَ ... فكيفَ رحمة مَنْ خلَقْ؟

١٠٧٥٤ ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:٥]:

قال الحسين بن الفضل: «إن الله جمع الشرور في هذه السورة وختمها بالحسد؛ ليُعلم أنه أخس الطبائع».

سورة الناس

١٠٧٥٥ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]:

لم قال أعوذ دون أستعيذ؟

السين والتاء دالة على الطلب، فقوله: أستعيذ بالله، أي أطلب العياذ به.

أما من قال: أعوذ بالله، فقد امتثل بالفعل لما طُلِب منه؛ لأن الله طلب منه الاعتصام والالتجاء إليه، وفرق بين نفس الاعتصام والالتجاء، وبين طلب ذلك.

فالأول: مخبر عن حاله وعياذه بربه، وخبره يتضمن سؤاله وطلبه أن يعيذه.

والثاني: طالب سائل من ربه أن يعيذه، كأنه يقول: أطلب منك أن تعيذني.

فحال الأول أكمل. ذكره ابن القيم.

١٠٧٥٦ بدأ برب الناس، وقدَّم الربوبية على غيرها لعمومها وشمولها لكل الخلق، وأخَّر صفة الألوهية لاختصاصها بمن عبده ووحَّده فحسب.

١٠٧٥٧ قال القرطبي: «وإنما ذكر أنه رب الناس، وإن كان ربًّا لجميع الخلق لأمرين:

أحدهما: لأن الناس معظَّمون، فأعلم بذكرهم أنه رب لهم وإن عظموا.

الثاني: لأنه أمر بالاستعاذة من شرِّهم، فأعلم بذكرهم أنه هو الذي يعيذ منهم».

١٠٧٥٨ «رب الناس، ملك الناس، إله الناس»:

مناسبة هذه الإضافات الثلاثة للاستعاذة هي تقوية قلب العبد في مواجهة أعدى أعدائه، وأشدهم ضررا، وأبلغهم كيدا، وهو الشيطان الرجيم.

١٠٧٥٩ ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤]:

قال ابن عباس: «ما من مولود إلاَّ على قلبه الوَسواس، فإذا عقلَ، فذكر الله، خَنَسَ، وإذا غفلَ، وَسْوَسَ، قال: فذلك الوَسْواس الخنَّاس».

١٠٧٦٠ ﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٥]:

قال ابن تيمية: «فالذي يوسوس في صدور الناس نفوسهم وشياطين الجن وشياطين الإنس، والوسواس الخناس يتناول وسوسة الجنة ووسوسة الإنس، وإلا أي معنى للاستعاذة من وسوسة الجن فقط، مع أن وسوسة نفسه وشياطين الإنس هي مما تضره، وقد تكون أضر عليه من وسوسة الجن».

١٠٧٦١ ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٦]:

قال الحسن:

«هما شيطانان: أما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس، وأما شيطان الإنس فيأتي علانية».

